

مخطوطة تاريخ الأئمة

تأليف:

ابن العبري

ترجمة ودراسة وتقديم:

شادية توفيق حافظ

مراجعة:

السباعي محمد السباعي

مخطوطة تاريخ الأزمنة

المركز القومي للترجمة
المشروع القومي للترجمة
إشراف : جابر عصفور

- العدد : ١١٥٣
- مخطوطة تاريخ الأزمنة
- جريجوريوس أبو الفرج المعروف بـ « ابن العبري »
- شادية توفيق حافظ
- السباعي محمد السباعي
- الطبعة الأولى ٢٠٠٧

هذه ترجمة كتاب :

حكايا دمجية حكايا اثنان.

حكايا حكايا حكايا
حكايا حكايا حكايا

حقوق الترجمة والنشر بالعربية محفوظة للمركز القومي للترجمة .

شارع الجبلية بالأوبرا - الجزيرة - القاهرة . ت: ٢٧٣٥٤٥٢٤ - ٢٧٣٥٤٥٢٦ فاكس: ٢٧٣٥٤٥٥٤

El-Gabalaya St., Opera House, El-Gezira, Cairo

e.Mail:egyptcouncil@yahoo.com Tel.: 27354524 - 27354526 Fax: 27354554

المركز القومي للترجمة

المشروع القومي للترجمة

مخطوطة تاريخ الأزمنة

تأليف العلامة : جريجوريوس أبو الفرج

المعروف بـ «ابن العبري»

ترجمة ودراسة وتقديم : شادية توفيق حافظ

مراجعة : السباعي محمد السباعي



٢٠٠٧

بطاقة الفهرسة
إعداد الهيئة العامة لدار الكتب والوثائق القومية
إدارة الشؤون الفنية

ابن العبري ، جريجوريوس أبو الفرج
مخطوطة تاريخ الأزمنة / تأليف : جريجوريوس أبو الفرج
[ابن العبري مستعاراً] ؛ ترجمة ودراسة وتقديم : شادية توفيق حافظ ؛
مراجعة : السباعي محمد السباعي
القاهرة : (المشروع القومي للترجمة) ، ٢٠٠٧ .
٣٤٠ ص ، ٢٤ سم - المركز القومي للترجمة
التاريخ
٩٠٧،٢ التاريخ / الإسلامي
(أ) حافظ ، شادية توفيق (مترجم)
(ب) السباعي ، السباعي محمد (مراجع)

رقم الإيداع ٢٠٠٧/٤٤٥٤
الترقيم الدولي 4 - 217 - 437 - 977 - I.S.BN.
طبع بالهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية

تهدف إصدارات المركز القومي للترجمة إلى تقديم الاتجاهات والمذاهب الفكرية المختلفة للقارئ العربي وتعريفه بها ، والأفكار التي تتضمنها هي اجتهادات أصحابها في ثقافتهم ، ولا تعبر بالضرورة عن رأي المركز .

المحتويات

الصفحة	
7 مقدمة المترجمة
27 الأحداث التي وقعت بعد وفاة صلاح الدين
40 بداية حكم المغول (التتار)
42 أبناء جنكيز خان
43 القوانين التي سنّها جنكيز خان
44 نشأة عبادة المغول للصور
47 أسباب استيلاء الفرنجة على القسطنطينية من اليونان
77 استيلاء التتار على سمرقند
78 استيلاء التتار على خوارزم
81 مقتل أمين الدولة في بغداد
87 وفاة جنكيز خان
91 تنصيب الخان على مملكة المغول بعد جنكيز خان والده
99 بداية مملكة بدر الدين لؤلؤ صاحب الموصل
113 تتويج كيوك خان بدلا من الخان أبيه
120 تولية مونككا خان عرش المغول
135 الاستيلاء على بغداد
139 بداية الأسرة الحادية عشرة التي انتقلت من ملوك العرب إلى ملوك الهون
146 تولي قوبيلاي قاآن مملكة المغول
153 تولي أباقا الحكم بعد هولاقو
157 الاستيلاء على أنطاكية
181 تولية تكودار الحكم بعد أباقا

الصفحة

187 أرغون بن أباقا
188 قتل شمس الدين صاحب الديوان
209 كيخاتو شقيق أرغون
229 أسطورة بناء مدينة وقرية دارا
231 مقتل نوروز المطارد
235 ذهاب الهون والفرس والمغول إلى بلاد ديار بكر
239 الحرب التي قام بها تيمور خان في طور عبيد
242 جزء صغير من كتاب الأزمنة - تيمور خان

مقدمة المترجمة

تمر في حياة الأمم ، كما تمر في حياة الأفراد ، فترات ، وأحداث لها تأثير بعيد المدى في تطور الأمة ونموها. ولعل من أحلك تلك الفترات التي مرت في حياة أمتنا العربية عامة والإسلامية خاصة فترة الحروب الصليبية.

فقد شهدت تلك الفترة بداية انهيار النفوذ العربي في الأمة الإسلامية وبزوغ نفوذ الأجناس الأخرى، مثل: الأكراد، والأتراك، والجراكسة، وسيطرتهم على الحكم وتفتت الإمبراطورية الإسلامية إلى إمارات ودويلات صغيرة.

وفي الوقت نفسه بدأ غزو استيطاني أوروبي تحت ستار حرب دينية لنهب الأراضي المقدسة من أيدي المسلمين.

وعن هذه الدوامات المتصارعة على منطقة الشرق الأوسط كتب كثير من المؤرخين _ شرقيين وغربيين _ كل من وجهة نظره، يشرح الأحداث، ويقدم التفسيرات التي تلائم وجهة نظره لما عاصره أو شاهده أو سمع عنه.

وفي عصرنا هذا حيث تصحو الأمة العربية لتلحق بركب الحضارة نجد إقبالا شديدا على قراءة ودراسة تاريخنا، ويجد القارئ أمامه هذا التاريخ بقلم المؤرخين العرب مدافعين عن قومهم أو ناديين هزائمهم متغنين بانتصاراتهم ومبالغين في أمجادهم. وعلى النقيض نجد تاريخ المنطقة بقلم المؤرخين الغربيين متحاملين علينا ناقدين لنا متجاهلين أي فضل أو مجد للشرق والشرقيين.

وبين هؤلاء وأولئك نجد طائفة السريان تبرز أمامنا، مقدمة لنا التاريخ من وجهة نظر ثالثة؛ فهم منذ عصور اضطهاد المسيحية الأولى قد تمرسوا على كتابة تاريخ شهدائهم وتدوينه، لذلك كان باعهم في هذا العلم أطول،

وقدمهم أرسخ، وقدرتهم على الدراسة التاريخية الموضوعية أعظم من زملائهم المؤرخين العرب.

ومن ناحية أخرى بالمقارنة مع المؤرخين الغربيين نجدهم يختلفون عنهم فى نظرتهم إلى التاريخ؛ فهم وإن اشتركوا مع الصليبيين فى العقيدة إلا أنهم يخالفونهم فى القومية، كما كان الصليبيون بالنسبة لهم غزاة فاتحين.

وعند استعراض المؤرخين يبرز أمامنا "ابن العبرى" كمؤرخ وشاعر وفيلسوف.

هو جريجوريوس أبو الفرج بن أهرون، المعروف بابن العبرى. ولد سنة ١٢٢٦ ميلادية (٦٢٤ هجرية) فى مدينة ملطية عاصمة أرمينية الصغرى على ضفة الفرات، وكانت فى ذلك الوقت تحت حكم الدولة السلجوقية، وكانت تعد من أعظم تلك الأصقاع على الرغم مما دهمها من نواب الزمان.

نشأ ابن العبرى فى مدينة ملطية وكان له خمسة أشقاء . وفى سنة ١٢٤٣ ميلادية (٦٤١ هجرية) عندما ناهز ابن العبرى السابعة عشرة من عمره تعرض أهرون_ والده _ لمتاعب كثيرة شأنه فى ذلك شأن سائر سكان هذه المدينة بسبب غارات التتار عليها وعلى جميع النواحي المحيطة بها. فاضطرته قسوة الحياة والظروف الصعبة التى تعرض لها أن يهرب مع أولاده إلى أنطاكية حيث بدأ ابن العبرى حياة الرهبنة.

مكث ابن العبرى مع عائلته فى أنطاكية ما يقرب من ثلاث سنوات، ولكن يد التدمير امتدت إليها فى سنة ١٢٤٦ ميلادية (٦٤٤ هجرية) حين وصل إليها التتار. ظل ابن العبرى فى أنطاكية حتى سنة ١٢٥٢ ميلادية (سنة ٦٥٠ هجرية)، ثم انتقل مع أهله إلى حلب.

عرف مؤرخنا بالعديد من الألقاب، وكان أكثرها شهرة وشيوعا هو "ابن العبرى"، فقد دعى فى المعمودية باسم "يوحنا" ويشهد بذلك التاريخ

السرياني المحفور على ضريحه في "دير مار متى" كما اتخذ له في الكهنوت اسم "جريجوريوس".

وقد اشتهر "ابن العبري" أيضا باسم "أبو الفرج". وليس معنى هذا أنه كان له ولد يدعى "فرج" كما ظن "برنشتين" BERNSTEIN. فمن المعروف أن ابن العبري لم يتزوج طيلة حياته ووهب نفسه للرهبنة، ولا يوجد في كتاباته ولا كتابات غيره من الكتاب السريان ما يوضح لماذا اختار هذا الاسم ولماذا أطلق عليه. وكان الوحيد الذي تعرض لهذه التسمية هو "بُدج" BUDGE ولكن كان تفسيره لهذا الاسم فيه بعض الخطأ. لقد ذكر أن اسم "أبي الفرج" هو: "أبو الذي يبعث على السعادة"، وأنه كانت توجد بوابة شرقية في حلب تسمى "بوابة الفرج"؛ لأن كل من ينظر من خلالها يشاهد حدائق وبساتين تبعث على السعادة. وهذا التفسير غير مقبول إذ إن كلمة "الفرج" في اللغة العربية لا تعنى السعادة، ولكنها تعنى انفراج الكرب أو زوال الغم ويظل سر تسميته بـ "أبي الفرج" قائما.

كما أخطأ أيضا "بوكوك" POCOKE في ظنه، إذ قال إن "أبا الفرج" هو "أبو الفرج" المدعو "بابن الطيب" وخدع بمشابهة الاسم، مع أن ابن الطيب كان نسطوريا وتوفي قبل "ابن العبري" بما يقرب من مائتي سنة (سنة ١٠٤٣ ميلادية - ٤٣٥ هجرية). كما خلط "بوكوك" أيضا بينه وبين أبي الفرج يعقوب، المشهور "بابن القف" (المتوفى سنة ١٢٨٦ ميلادية - ٦٨٥ هجرية).

ولقد لعبت العاطفة والتعصب المذهبي دورهما في أقلام بعض المستشرقين. فنسبوا "ابن العبري" إلى أصل يهودي مستندي في ذلك إلى كنيته وإلى اسم والده. لقد اعتبروه يهودي الأصل لا لشيء إلا لكونه سريانيا من غير أهل مذهبهم. ولقد وجد من بين المؤرخين من ينقض هذا الرأي فضلا عن يؤيده. فقد ذكر رينودوت أنه وجد في نسخة خطية من أعمال "ابن العبري" _ في باريس _ أنه كان أخا للبطريك ميخائيل الكبير، وهو من أشهر الكتاب اليعاقبة. ولو كان كذلك "أبي يهوديا"، أو على الأقل حديث

العهد بالنصرانية لم يكن أهل ملته قد وافقوا على انتخابه بطريركا وفقا لقوانين الكنيسة الشرقية .

كان أول من فند هذه الادعاءات من السريان هو البطريرك أفرام الأول برصوم، كما قامت مؤخرا المجلة البطريركية في دمشق* بنشر مقالين بهذا المعنى فيهما التحليل الكافي لأصل "ابن العبري". وكان رأى "بولس بهنام" أن "ابن العبري" مسيحي سرياني لا غبار عليه. وقد دعى بابن العبري نسبة إلى "عبرا"، وهي قرية بجوار ملطية على نهر الفرات كانت تقطنها أسرته قبل نزوحها إلى ملطية. وكانت عادة انتساب الأشخاص إلى المدن والقرى جارية لدى جميع الأمم. وذهب الأب أغناطيوس أفرام برصوما إلى أن نسبته إلى تلك المدينة ناجمة عن ولادته أو ولادة أحد أجداده أثناء عبور أسرته نهر الفرات.

وقد اشتهر ابن العبري بعدة ألقاب أخرى، مثل : بحر الحكمة ، ونور المشرق والمغرب ملك العلماء، وأكبر الحكماء ، والأب القدس، والعلامة العارف بالله ، وزينة المؤلفين ، وإكليل المفارنة ، وتاج الرؤساء ، ودائرة معارف القرن الثالث عشر.

وتحتوى مؤلفات ابن العبري على معلومات مفصلة وواقية عن حياته وسيرته الذاتية المذكورة في تواريخه المختلفة، بينما لا تسعنا المعلومات الواردة بها عن رسم صورة متكاملة لتاريخ أسرته. كان أبوه الشماس أهرون الطبيب ابن توما الملطي الملقب بتاج الدين - الذى ينحدر من أسرة ملطية عريقة - من رجال التقى ومن أشهر أطباء زمانه. كان وجيها في قومه نافذ

* المجلة البطريركية الدمشقية - السنة الثانية ص ١٤٦

المقالة الأولى: للبطريرك يعقوب الثالث

المقالة الثانية : لجريجوريوس بولس مطران بغداد

الكلمة فى أهل بلده كريما على عشيرته، وكذلك كانت أمه من فضليات النساء فى عصرها.

كان هذا الطبيب عريقا فى المسيحية، لا كما توهم بعض المستشرقين من أنه كان يهوديا ثم تنصر إذ اتخذوا بالاسمين: "أهرون" و"ابن العبرى" لقد أظهر ابن العبرى منذ الصغر نباهة فذة وذكاء خارقا ؛ فتعهد والده بالعلم والأدب، فراح يلقنه أصول العلوم واللغات حتى حصل على نصيب كبير منها فى وقت قصير.

كان أول ما درسه "ابن العبرى" فى ملطية إبان صباه هو اللغة السريانية التى بذ فيها أقرانه، ثم حذق طقوس الكنيسة والكتاب المقدس وشروحه وتفسير أئمة المسيحيين الأولين. ثم قرأ الطب على أبيه مقتفيا آثاره فيه وهو حكيم زمانه، كما درس _ أيضا _ علوم الفلسفة منذ أن اشتد ساعده فى حذق المعارف البشرية .

ولقد اتضح من أعمال ابن العبرى أنه كان يتمتع بدرجة كبيرة من القدرة على تحصيل اللغات، فبينما كانت لغته الأصلية هى السريانية فقد تعلم العربية بحكم نشأته فى مدينة ملطية فى سن مبكرة جدا. وليس هناك شك فى أنه كان يستطيع أن يتحدث العربية والعبرية ويقرأ ويكتب بهما.

ولقد ذهب بعض الآراء إلى أن والدته كانت عربية، ولكن دراسته العميقة للسريانية والسهولة والبلاغة التى كتب بها توحى بأنها كانت مسيحية سريانية.

ولقد استمر ابن العبرى فى قراءة السريانية والعربية طيلة حياته. فقد قرأ بتوسع فى العربية، ودرس بإتقان التاريخ واللغة وديانة العرب أكثر من أى كاتب سريانى آخر. وتتأكد هذه الحقيقة من اقتباساته من الكتاب الذين ذكرهم فى أعماله المختلفة، مثل: ابن سينا وأرسطو وميخائيل الكبير. كان ابن العبرى يمثل طرازا فريدا من الرجال، فكان يتميز عن أى كاتب سريانى

آخر بأنه مزج التراث الفكرى الإسلامى بالتراث الكنسى القومى للثقافة المسيحية.

أما بالنسبة لليونانية فقد أنكر "نولدكه" NOLDEKE معرفة ابن العبرى لهذه اللغة، ولكن يؤكد البعض إمام ابن العبرى بهذه اللغة والرأى الأخير هو الأرجح. فقد اقتبس ابن العبرى فى كتاباته الكثير من المؤلفات اليونانية، كما أن هناك عدة مراجع لكتاب يونان ذكروا اسم ابن العبرى. ومن بين الكتاب اليونان الذين اقتبس منهم ابن العبرى: هرمس، وأوكليد، وأرشميدس. كما قام ابن العبرى بتعريب كتب كثير من فلاسفة اليونان الأقدمين كأرسطو وغيره.

ومن الذين أيدوا فكرة إمام ابن العبرى باللغة اليونانية أغناطيوس أفرام برصوما؛ فقد قال إن اللغة اليونانية تعتبر أولى اللغات التى تعلمها ابن العبرى فى شبابه. وفى سنة ١٢٤٣ ميلادية (٦٣١ هجرية) - بعد رحيل الطبيب أهرون إلى أنطاكية واستقراره مع أسرته - أخذ ابن العبرى يتردد على علماء البلد ليجنى منهم ما أمكنه من الآداب والمعارف، كما انكب على درس الفلسفة واللاهوت فلم يدع مطلباً إلا بحث عنه ولا مشكلة إلا وحاول حلها. وكان ابن العبرى فى ذلك الوقت لم يتجاوز الثامنة عشرة من عمره. وبعد مضى عام فى العلم والتحصيل اعتكف ابن العبرى فى مغارة بالقرب من أنطاكية، حيث قضى سنة كاملة وقد بدأ حياة الرهبنة منذ ذلك الوقت. ولما كانت نفسه التواقفة إلى العلم لم تشبع بعد فقد ترك صومعته الهادئة وانتقل مع رفيق له يدعى "صليب وجيه بن يعقوب" إلى مدينة طرابلس الشام، حيث أنهى دراسة الطب والبيان والمنطق على الأستاذ يعقوب النسطورى. ثم بعد فترة انتقل إلى حلب وهناك أتم دروسه الفلسفية واللاهوتية وأحكام اللغة العربية، ولم يكف طوال حياته عن المطالعة ومجالسة جهابذة زمانه.

كان من المعروف عن ابن العبري أنه إذا زار مدينة أو قرية وعرف أن لها مكتبة كان لا يغادرها حتى ينال أكبر قسط من العلم منها. ففي خزانة مراغة وقف على الشروح الفلسفية باللغة العربية وأحاط بتصانيف ابن سينا الطبية والفلسفية كلها.

وقد عني ابن العبري - أيضا - بدراسة اللغة الفارسية عناية فائقة؛ فنظرا لطبيعة العلاقات الطيبة التي كانت قائمة بين ابن العبري والمغول ومكوته فترة - ليست قليلة - في بغداد، كل هذا جعله يتجه إلى دراسة اللغة الفارسية دراسة مستفيضة، وكذلك نجده في كتابه "تاريخ مختصر الدول" يتحدث مباشرة وبثقة عن الفرس والمغول والمعارك التي قامت بينهما. فلا بد أن تكون تلك المعلومات آتية عن معرفة شخصية بتاريخهم، ربما يكون قد حصل عليها من صلته بالمغول مباشرة، كما يجوز أنه قد أخذها من كتب أو وثائق مختلفة. كما أن مخطوطته "كتاب الأزمنة" التي قام بكتابتها بنفسه - التي هي موضوع هذا الكتاب - يوجد بها بعض الكلمات الفارسية والمغولية، مثل: دقاق، وقرأجيان، ونويان.. إلخ ويمكن القول بأنه تمكن من قراءة اللغة الأوغورية وربما تكلم بها.

ولقد قال عنه بدج : " إن ابن العبري كان معدا إعدادا كافيا لعمله اللغوي، حتى إنه كان يعرف العبرية والسريانية والعربية والفارسية جيدا، كما كان لديه بعض المعلومات عن اليونانية، ومعرفة لا بأس بها باللغة الأرمينية، بالإضافة إلى بعض لهجات تركستان ومنغوليا وغرب الصين" .

المنهج التاريخي عند ابن العبري

يمتاز ابن العبري في كتاباته بأنه جمع بين سعة المعارف التي لا حد لها وحاسة النقد المستتيرة، فقد استعاض عن الأساطير التي كانت ثمرة الجهل والسذاجة بأخبار صادقة أصيلة.

إن ابن العبري لم يكن مؤرخا يعتمد على الرواية فحسب، بل كانت تستهويه فلسفة التاريخ. فهو يبحث عن الحادثة: أسبابها ونتائجها والظروف التي أدت إليها وأحاطت بها. فمثلا نجده يقص كيف ظهر رجل تركماني زاهد يدعى "بابا" سنة ١٢٤٠ ميلادية وادعى النبوة، محدثا فتنة دينية بين العرب وكيف اشتد ساعده بمن انضم إليه من الفلاحين والتركماني الذين باعوا ممتلكاتهم وتبعوه، ثم وضح لنا ابن العبري كيف أن قوات هذا البابا هزمت جيشاً أعدّه حاكم ملطية، ولكن نبلاء بيت الروم أعدوا له كميناً وخنقوه فادعى أتباعه برئاسة تلميذه "إسحاق" أنه ذهب ليحضر ملائكة لمساعدتهم. وقامت معارك بينهم وبين جند السلطان انتهت بحصارهم، حيث قتلوا جميعاً بحد السيف ولم يبق منهم رجل أو امرأة أو طفل أو حيوان فيه الروح. وهكذا أخذت تلك الفتنة.

إن نظرة ابن العبري للحدث الذي يتكلم عنه أو يصفه نظرة شاملة، فلا تشعر بانفصال بين الحدث السياسي ومسبباته ونتائجه. كان ابن العبري يحرص على لقب مؤرخ أكثر من حرصه على لقب كاتب بليغ. وإذا كان العرب والفرس والمغول قد وجدوا في مؤلفات ابن العبري التاريخية منبعاً فياضاً لأقدم وأقوم الوثائق، فإننا نستطيع - أيضاً - أن نستخلص منه مجموعة كبيرة من المعلومات التي يندر وجودها عند غيره. ففي مواضع كثيرة من تاريخه نستطيع أن نستكشف تاريخ بعض البلاد التي لم نكن نعرف عنها الكثير. ومن أمثلة ذلك: تاريخ الأمم التركية، ولاسيما تاريخ "الأويغوريين" و"الخطا" الذي استمدّه من سجلات تلك الأمم نفسها. لقد وصف كثيراً من البلاد وكان وصفه دقيقاً صادقاً. وقد تضمن وصفه الكثير من الملاحظات القيمة حول: مواقع المدن، وطبيعة الجو، وغلات الأرض، وعادات السكان الذين يسكنون تلك البلاد.

لقد استطاع ابن العبري بفضل أسفاره ورحلاته العديدة أن يجمع بعض الروايات الصادقة من مهد الإمبراطورية المغولية، فحاول أن يخطط تاريخاً

لفتوحات جنكيزخان وخلفائه. فنجده قد تعرض إلى أصل القبائل المغولية والصينية المختلفة، وإلى أنساب الأمراء والملوك وغيرهم من الشخصيات الهامة ذات المكانة الرفيعة.

ويكاد المرء لا يلاحظ أى خلاف بين ابن العبري والمؤرخين الآخرين فى سردهم للأحداث، ولكن إذا أمعنا النظر فى قراءة بعض الأحداث يمكن لنا أن نستبين بعض الفروقات. فلو أخذنا ما ذكره ابن الأثير عن سقوط القسطنطينية نجد أنه كباقي المؤرخين المسلمين يسمي سكانها بالروم، بينما يدعوهم ابن العبري باليونانيين، ونجد ابن الأثير يحكى مقتل الكهنة والقس باختصار كجزء من معركة فتح القسطنطينية، بينما ابن العبري يحكى لنا عن هذه الواقعة منفصلا بها ومتأثرا بمقتل رجال الدين المسيحي، كذلك نجد ابن الأثير يسمي قادة الفرنجة. "دوقس البنادقة"، و"المركيس مقدم الإفرنسيس"، والثالث "كندا فلند"، بينما يدعوهم ابن العبري "دوقاس البندقية" و"مركيس رئيس الفرنسيس" و"جوندوفري"، وكذلك نجد ابن العبري يسمي كنيسة القسطنطينية الكنيسة العظمى التى تدعى "صوفيا" على حين يسميها ابن العبري كنيسة "أيا صوفيا العظيمة". وهذه الفروق البسيطة فى الكتابة ونطق الأسماء إنما يرجع بالطبع الى الخلفية الدينية واللغوية لكل من المؤرخين.

ولو أخذنا حدثا هاما فى تاريخ الأمة الإسلامية _ وهو سقوط بغداد وانهاى الخلافة العباسية _ فسنجد أن مؤرخا مسلما مثل رشيد الدين فضل الله الهمداني فى كتابه "جامع التواريخ" الذى تحدث فيه عن تاريخ المغول بتكليف من غازان خان _ يكتب بتوسع شديد عن المكاتبات بين هولاكو والخليفة، وتحرك الرسل بينهما، ومحاولات التفاهم التى فندها ناصحو السوء المحيطون بالخليفة، ثم يقص كيف سقطت بغداد والحوار الذى دار بين هؤلاء والخليفة، ثم يورد أسماء الخلفاء العباسيين من أول السفاح والمنصور حتى ينتهى بالمستعصم، كما أنه عنى بشرح دور القادة المغول والقادة العرب ووزراء الخليفة وأمراء الجيوش. وفى الوجه المقابل نجد ابن العبري يناقش

إستيلاء المغول على بغداد بواقعية مجردة ، ولا يظهر تعاطفا مع الخليفة وأهل بغداد. والجملة الوحيدة التي تطفئ فيها النفس البشرية على واقعية المؤرخ هي حينما يقول : " جمع الكاثوليكس جميع المسيحيين في كنيسة سوق الثلاثاء حماية لهم ومحافظة عليهم ولم يصب أحد من المسيحيين. ولقد أحضر العرب الأثرياء كميات كبيرة من ثرواتهم الى الكاثوليكس أملا في إنقاذ أنفسهم والمحافظة على أملاكهم ولكنهم قتلوا جميعا". بينما يقول رشيد الدين في اقتضاب شديد "في مساء الأربعاء الرابع عشر من صفر سنة ٦٥٦ هجرية قضاوا على الخليفة وعلى ابنه الأكبر"، نجد ابن العبري يتحدث بالتفصيل "فأحضروا الخليفة أمامه وحاكمه وحكم عليه بالسجن حتى الموت، عندئذ أوثقوه ووضعوه في جوال وخيطوا عليه وقتلوه بضربات من أقدامهم".

إننا نجد نفس الملاحظة عندما نقارن بين ما كتبه ابن العبري في تاريخه للحروب بين الصليبيين وملوك الدولة الأيوبية، وبين ما كتبه مؤرخ لبنى أيوب وهو جمال الدين بن واصل، فبينما يسهب ابن العبري في وصف قوات الفرنجة، وكيف كانوا على وشك الانتصار عندما مات ملكهم هنري وتهادنوا مع الملك العادل وهم في مركز القوة _ نجد أن ابن واصل يقول : "إن الملك العادل يواصل الغارات على الفرنج ويقصدتهم بنفسه وجموعه مرة بعد أخرى حتى أضجرهم وأسأمهم فراسلوه في طلب الصلح^{*}". ولا يمكن بالطبع ان ننفي عن ابن واصل تعاطفه مع الأيوبيين وتعصبه ضد الصليبيين كما لم ننفي عن ابن العبري تعاطفه مع المسيحيين؛ فقد كان ابن العبري معاصرا للمغول ويخشى بطشهم فيما كتب بل يعدهم مناصرين لملته، فلذلك لم يكن محايدا.

* جمال الدين واصل : مفرج الكروب ج ٣ ص ٧٨ تحقيق د. الشيال سنة ١٩٦٠

أعماله

تناول ابن العبري في كتاباته كل فروع العلم التي كانت مطروقة في أيامه. وكان هدفه من وراء ذلك هو المحافظة على اللغة السريانية: لغة وأدبا من ناحية، وتقديم علوم المسلمين باللغة السريانية إلى أهل ملته وتعريفهم بها من ناحية أخرى.

لم يتوقف ابن العبري طوال حياته عن المطالعة والتأليف، فألف ما يزيد عن الثلاثين كتابا بالعربية والسريانية. وذكر العلامة السمعاني أسماءها في المجلد الثاني من المكتبة الشرقية. ومن مجموعة كتبه هذه يتبين لنا أنه خاض معظم مجالات المعرفة؛ إذ كتب في: المسائل اللاهوتية، وشرح الكتاب المقدس، والفلسفة، والطب، والتاريخ، والنحو، والشعر، والفكاهة.

ويلفت نظر القارئ من بين هذه المؤلفات مخطوطة سريانية من تأليفه، هي: "تاريخ الأزمنة" التي كتبها، وقلد فيها أستاذه "ميخائيل السرياني الكبير". وفيها يتناول التاريخ منذ بدء الخليقة حتى وفاته عام ١٢٨٦ ميلادية.

إن التاريخ الزمني أو تاريخ الأزمنة لابن العبري يعتبر موسوعة زمنية وتاريخية، يوجد بها حشد ضخم من المعلومات المتنوعة، فهو يتعامل مع التاريخ والدين واللغة وعادات الشعوب وتقاليدها، علاوة على قصة حياة العلماء والمحاربين الكبار. وهو يصف المعارك وحصار المدن، وظهور المذنبات الفلكية والظواهر غير الطبيعية في السماء، والزلازل والمجاعات وسقوط الثلج، وهو كذلك يحكي فضائح البلاط كما يحكي بعض القصص الهزلية.

ولقد رأيت _ كمحاولة استكمال تاريخ الأمة العربية من وجهة نظر المؤرخين السريان _ أن أقوم بترجمة مخطوطة "ابن العبري" من سنة ١١٩٧ ميلادية حيث توقف تاريخ ميخائيل السرياني الكبير، إلى سنة ١٢٨٦ ميلادية.

ويشتمل هذا الكتاب على الفترة التي عاشها ابن العبري وعاشها بنفسه؛ ولذا فهي فترة لها أهميتها من حيث إنها لم تكتب نقلا وإنما كتبت عن رؤية ومشاهدة، فجاءت كتابته صورة حية لأحداث عصره.

وقد قسم ابن العبري هذا الكتاب إلى ثلاثة مجلدات، يحتوى أولها على كتاب تاريخ الدول، ويتضمن هذا الكتاب أخبار العالم منذ الخليقة إلى قرب سنة وفاة المؤلف سنة ١٢٨٥ ميلادية.

ويتناول هذا الكتاب تاريخ العالم والدول والعلماء في غاية من الضبط والدقة، آخذا عن تاريخي: يعقوب الرهاوي، وميخائيل الكبير، وتواريخ سريانية وعربية وفارسية وقف عليها في خزانة مراغة. وقد كتب هذا المخطوط بالسريانية وطبعه لأول مرة برونس، وكرش & BRUNS KIRSH سنة ١٧٨٩ ميلادية في جزعين ونقلاه إلى اللاتينية. ولكن هذه الطبعة تشوبها أغلاط لا تحصى، وقد قام العلامة "بدجان" BEDJAN سنة ١٨٩٠ ميلادية بإعادة طبع هذا الكتاب النفيس ووفاه حقه من الإصلاح والتحسين، ثم ترجمه "بُدج" BUDGE إلى اللغة الإنجليزية تحت اسم THE CHRONOGRAPHY OF BAR HEBRAEUS.

مصادر المخطوطة

يدين العالم لروبرت هنتنجدون ROBERT HUNTINGDON ، وهو أحد رجال الشركات البريطانية التي كانت تعمل في بلاد الشام، بالفضل لوجود مخطوطة "تاريخ الأزمنة" لابن العبري في متناول أيدينا. كان هنتنجدون قد تعلم اللغات الشرقية في أكسفورد؛ حيث درس العربية والسريانية والعبرية والقبطية والأرمنية. وأثناء إقامته في حلب وثق صلته برجال الكنائس والأديرة الشرقية وبالأهالي والحكام الأتراك، فمكنته هذه الصلات من شراء الكثير من المخطوطات من الأديرة والكنائس. وفي سنة

١٦٩٣ ميلادية اشترت منه مكتبة "بودلين" عدد ٦٤٦ مخطوطا نظير سبعمائة جنيه، وكان من بين هذه المجموعة نسختان لكتاب الأزمنة*.

أما المخطوطة التي قمت بترجمتها فهي المحفوظة في مكتبة "بودلين" بأكسفورد تحت رقم HUNT 52.

كان من أهم أهداف ابن العبري في تأليف تلك المخطوطة أن يثير اهتمام السريان بتاريخهم ولغتهم وآدابهم؛ كي يستمروا كقوة ذات حيوية في منطقتهم غرب آسيا، كما حاول أن يدفعهم إلى إدراك أهمية العلوم والمعارف الخاصة بالحضارتين اليونانية والعربية ولذلك فقد ألف _ إلى جانب ترجماته وتأليفه في الفلسفة - كتابه في تاريخ الدول .

كان من أهم المصادر التي اعتمد عليها ابن العبري مؤلفات أوسيبوس EUSEBIUS ، ويوحنا الأسيوي وديونسيوس التلمحري. ولكن اعتماده الكبير كان على المخطوطة التي قام بتأليفها رئيسه ومعلمه ميخائيل الكبير، إلا أنه خالفه في كثير من الأحيان.

بدأ ابن العبري كتابه أساسا كاستكمال لعمل ميخائيل الكبير؛ إذ كان ينوي أن يكتب تاريخ الثمانين سنة التي توقفت بعد وفاة ميخائيل الكبير، معتمدا في ذلك على مشاهداته وما سمعه من معاصريه، وما كانت تحتويه خزائن مراغة وأذربيجان. كما أنه زاد على هذا الكتاب عدة إفادات وتعليقات نقلها من مشاهير مؤرخي العرب كالطبري وابن الأثير، كما اعتمد ابن العبري في تأليف مخطوطته على المراجع التي أخذها من مكاتب مراغة وأذربيجان. وبعد أن أتمها _ وعلى إثر دراساته للمخطوطات السريانية والعربية والفارسية المختلفة في مكاتب مراغة وأذربيجان _ عاد وبدأ في كتابة التاريخ كاملا من عهد آدم.

* تحت رقم 1 / HUNT : 52

ولقد ذكر بـدج BUDGE أن العشر سنوات الأخيرة من تاريخ المخطوطة أي منذ سنة ١٢٨٦ ميلادية (١٥٩٧ يونانية) حتى النهاية قام برصوم الصفي بكتابتها وذلك لوفاء شقيقة ابن العبرى.

ترجمات المخطوطة

بدأت معرفة العالم الحديث بمخطوطة ابن العبرى عندما قام بوكوك POCOCKE * سنة ١٦٥٠ بنشر مقتطفات من ترجمة كتاب "تاريخ مختصر الدول"، وهو الكتاب الذى كتبه ابن العبرى باللغة العربية اختصارا لكتاب "تاريخ الأزمنة". ولكن هذه الترجمة التى نشرها بوكوك POCOCKE ** أثارت الاهتمام بابن العبرى. فنشر "بوكوك" للمرة الثانية سنة ١٦٦٣ النص العربى لمختصر الدول مع ترجمة لاتينية.

ثم قام السمعانى ASSEMANI *** فى سنة ١٧٢١ بنشر مقتطفات من كتابات ابن العبرى بالسريانية والعربية لتاريخ الدول فى الجزء الثالث من كتابه ومعها ترجمة لاتينية، وفى نفس النسخة نشر الجزء الذى كتبه برصوم الصفي شقيق ابن العبرى عنه.

وفى سنة ١٧٨٩ ميلادية نشر برونز P.G. BRUNS والدكتور كرش G.G. KIRSH نصا سريانيا كما نسخها برونز BRUNS **** بنفسه، مصحوبا بترجمة لاتينية نشرها فى ليبزج. ولكن هذه الطبعة كانت مليئة بالأخطاء؛ سواء فى النسخ أو الترجمة، وكان من أشد مهاجميه برنشتين BERNSTEIN.

* POCOCKE : SPEAMEN HISTORIAE , OXFORD 1650

** POCOCKE : HISTORIA COMPARDISA DYNASTARIUM OXFORD, 1663

*** ASSEMANI : B.O.ii CLEMENTINO VATICANA, ROME 244-263

**** BRUNS & KIRSH : ABULPHARAGII RIVE BAR- HEBRAC CHRONICON SYRIACUM. LEIPZIG

وفى سنة ١٧٩٠ ميلادية نشر برونز BRUNS * ترجمة للفصول الثلاثة الأخيرة من المخطوطة، وهى : مهاجمة الفرس لديار بكر - القضاء على طور عبيد - جزء من كتاب الأزمنة.

كذلك فى سنة ١٨٢٣ ميلادية قام برنشتين BERNSTEIN ** بنشر جزء عن حياة ابن العبرى، وتعرض لكتاب تاريخ الأزمنة وترجماته المختلفة.

كما قام أبلوس ولامى ABBELOOS & LAMY *** سنة ١٨٧٢ ميلادية بنشر حياة ابن العبرى وأعماله، ومن بينها كتابه تاريخ الأزمنة وترجمه إلى اللاتينية

وفى سنة ١٨٧٥ ميلادية قام قرداحى CARDAHI **** فى روما بنشر هذا، الكتاب وقام بترجمته هو _ أيضا _ إلى اللاتينية.

وفى سنة ١٨٩٠ ميلادية قام بدجان BEDJAN بنشر المخطوطة كاملة بالسريانية كما نسخها هو بنفسه، وإن كان قد كتبها بالخط النسطورى لأنه كان نسطوريا. وقد قام بنسخه لهذه المخطوطة بمراجعة مخطوطة كرش وبرونز كما استفاد من مذكرات برنشتين BERNSTEIN التى كان قد جمعها من مخطوطات الفاتيكان ودون فيها ملاحظاته على الفروق بين مخطوطتى بودلين وبين أخطاء برونز وكرش. وهذه النسخة التى حققها بدجان BEDJAN هى التى اعتمد عليها بدج فى ترجمة مخطوطة بودلين HUNT 1.

*BRUNS : REPORTORIUM FUI BIBLISCHE UND MORGENLANDISCHE LITERATURE

**BERNSTEIN : CHRONICI SYRIACI SPECIMINE. LEIPZIG 1823

***ABBELOOS & LAMY : CHRONICON ECLESIASTICUM

****CARDAHI : LIBER THESAURI DE ARTE POETICA SYRORUM-ROME 1875

وجاء بعد بدجان BEDJAN عدة مستشرقين وكتاب تعرضوا لحياة ابن العبري وأعماله المختلفة، ولتلك المخطوطة على وجه الخصوص، مثل: نولدكه NOLDEKE سنة ١٨٩٢م ، ودوفال DUVAL وسميث SMITH سنة ١٨٩٤م ، وروبنز دوفال RUBENS DUVAL سنة ١٨٩٩م ، وبومشتارك BAUMSTARK سنة ١٩٢٢م ، ولعل أهم ترجمة للمخطوطة هي الترجمة التي قام بها بدج BUDGE وإن كان قد اكتفى بترجمة النص دون وضع أى هوامش للتعليق أو التحقيق أو شرح لوجهة نظره؛ لأن ذلك كان سيضاعف من حجم الكتاب. وكان التصرف الوحيد الذى قام به هو إضافة بعض الكلمات لتوضيح المعنى، فوضعها بين قوسين كما وضع علامة استفهام بعد الجملة المشكوك فى فهمها(جاء ذكر هذا فى ترجمتى للنص السريانى) .

وصف المخطوطة :

وتشتمل هذه المخطوطة على ٤٠٢ ورقة من الحجم المتوسط، وقد وضعت أرقام الصفحات فى أعلى الصفحة من الوسط. وتنتهى صفحات المخطوطة بالرقم ٢٠١؛ وذلك لأن الورقة تشتمل على رقم واحد للصفحتين:، الصفحة الأولى تأخذ الرقم ثم الصفحة الثانية تأخذ نفس الرقم مع الحرف V على يمينه.

وتتقسم الصفحة عادة إلى عمودين ويتراوح عدد أسطر العمود الواحد ما بين ٢٥ و ٣٦ سطرا. والمخطوطة مكتوبة فى معظمها بالخط الواضح الدقيق . ونعثر بين الحين والآخر فى أسفل الصفحة أو على أحد الجانبين على قوائم بعرض الصفحة، وهى عبارة عن هوامش مكتوبة _ أحيانا _ بالسريانية، وأحيانا باللغة العربية، وقد تكون فى بعض المواضع غير واضحة بالمرّة. وقد تكون هذه الهوامش _ أحيانا _ تكملة لما جاء فى النص، أو تشتمل على بعض أسماء الخلفاء أو الملوك الفرس والمغول، وسنوات

حكمهم وتواريخ وفياتهم، فهي في كثير من الأحيان تكون عبارة عن ملاحظات توضح لنا بعض ما خفى من الأمور.

ومن خط المخطوطة نستطيع أن نميز بين ناسخين لها؛ إذ نلاحظ أنها كتبت بخطين مختلفين، كما أننا نجد في بعض الأحيان أن الناسخ لم يقسم الصفحة إلى عمودين، بل كتب على الصفحة بأكملها .

لم يقسم ابن العبري المخطوطة إلى فقرات، ولكنه قام بسرد الأحداث دون أن يحددها بعناوين، ولكن يمكننا الاستدلال على عنوان معين أو فصل معين من خلال وجود خط أكبر بقليل من الخط المكتوب به المخطوطة، وأحياناً يكون رأس الموضوع بنفس الخط فلا يظهر الفرق بينهما ، وأحياناً يضع علامة مميزة ويكتب العنوان في الهامش الخارجي .

ونجد _ أيضا _ في أماكن كثيرة فراغاً يتسع لكلمة أو أكثر ناقصة، ولكن في بعض الحالات الأخرى نجد أن الفراغ يتسع لكلمة أو أكثر؛ وعلى ذلك فلا نجد في النص إخلالاً بالمعنى ، كما توجد _ أيضا _ بعض الأعمدة الفارغة ، وكذلك بعض الصفحات بيضاء لا كتابة فيها ولكنها لا تخل بالمعنى.

كما نجد في المخطوطة بعض التعليقات والهوامش في أسفل الصفحة أو على أحد الجانبين.

أما طريقة إصلاح خطأ، فكان الناسخ عندما يخطئ في كتابة كلمة فهو أحياناً يشطبها ويكتب بجوارها الكلمة الصحيحة ، وأحياناً يترك الخطأ دون أن يشطبه أو يضع أي علامة لوجوده أو لوجود حرف زائد ، كما أنه في حالة سقوط كلمة ما فإنه يكتبها بين الكلمتين، وأحياناً يضع علامة معينة ويضع الكلمة أو الجملة الناقصة في الهامش الخارجي ، وأحياناً يضع ثلاث نقاط هكذا (•••) ويكتب الجملة الناقصة في أسفل الصفحة ويحيطها ببيرواز، وأحياناً إذا كان السطر غير كاف للكلمة فإنه يضع الحرف الأخير منها فوق

الكلمة، وهو عادة لا يقسم الكلمة أثناء النسخ على سطرين إلا إذا كانت الكلمة مركبة.

أما عن الاختصارات فهو شائع في مخطوطات السريان؛ وهو استخدام كلمات مختصرة، أى حذف الجزء الأخير منها . ومن الملاحظ أنه لم يختصر أسماء الأعلام حتى ولو كان قد سبق له كتابتها كاملة، ولو كان ذلك في السطر الذى يسبقه.

أما عن طريقة كتابة الأعداد فقد كتبت الأعداد بالحروف، أى: مفقطة ، كما كتبت _ أيضا _ بطريقة المقابل العددي للحروف السريانية. وقد كتبت هذه الحروف بالخط الإسطنرجيلى.

أما طريقة كتابة الأسماء _ سواء أسماء أعلام أو بلدان فلم يتبع الناسخ خطة ثابتة فى كتابتها، وإنما كتبها بطرق متعددة. وقد يكون ذلك راجعا إلى المصدر الذى نقل منه. فعند استخدام الأسماء العربية كان الناسخ ينقلها من العربية إلى السريانية فى أغلب الأحيان وفق القاعدة المتبعة فى اللغة السريانية فهو مثلا يتبع الضمة "واوا". وأحيانا أخرى لا يتبع القاعدة السريانية فلا يكتب واوا وراء الضمة، كما يتبع الكسرة "ياءا" وفقا للإملاء السريانى، وأحيانا أخرى يهملها وفقا للإملاء العربى، ووفقا لقاعدة الإملاء السريانى لا يتبع الفتحة الطويلة المتوسطة ألفا بينما نجد الألف ترسم فى الإملاء العربى وأحيانا يسير على طريقة الإملاء العربى، فيتبع الفتحة الطويلة ألفا.

وقد كتب بعض الأسماء العربية مع إهمال رسمها فى الأصل؛ فمثلا اعتبر تشكيل الشدة فوق الحرف هو بمثابة حرفين، كما أنه يرسم الألف

المقصورة فى العربفة بالألف الطوولة فى الخط السرفانى؁ مع أنها ترسم فى العربفة فاء؁ وىكتب التاء المربولة ألفا وإن كان أءفانا فكتبها بالهاء وأءفاناً فكتب الأسماء العربفة كما تنطق فى الفونانفة؁ كما أنه فستخدم الطرفقة التى ففبعا السرفان فى نقل الكلمات الفونانفة إلى السرفانفة؁ وفطبقةا فى نقل الكلمات العربفة إلى السرفانفة.

الأحداث التي وقعت بعد وفاة صلاح الدين

عندما سمع بكتمر^(١) صاحب خلاط^(٢) بموت صلاح الدين^(٣) فرح فرحا عظيما، وبدأ في جمع قواته، وخرج إلى ميفارقين^(٤) فقتله رجل يدعى: هزار دیناری^(٥) من عبید شاهرمن،^(٦) وتولى السلطة بدلا منه (من بكتمر). ولأن هزار دیناری كان صبورا لبكتمر فقد أعرض عن قتل ابنه الصغير محمد واتخذه ولدا له ورباه. وفي العام نفسه توفي _ أيضا _ سنان^(٧) رئيس فرقة الإسماعيلية في مصياب^(٨)، وتولى بدلا منه رجل فارسي يدعى: ناصر^(٩). كان كل ملوك العرب والفرنجة يخشون سنان لأنه كان قد صنع خناجر وكتب على كل واحد منها اسم أحد الملوك، كما كان كل واحد من رجاله يتفانى في تنفيذ ما وكل إليه من أوامر بالقتل ولو كان المراد قتله في عرض البحر . كان سنان دارسا لحكمة الشعوب الأخرى وفلسفاتها وتناسخ الأرواح، وكان يدرس لمريديه تعاليم أفلاطون؛ ولذلك كانوا يحتقرون الموت ويعتقدون أنهم لن يغادروا الدنيا حتى ولو قتلوا. وكثيرا ما كان سنان يختفي ويذاع خبر موته ثم يعود للظهور مرة أخرى؛ ولذا حين توفي لم يصدق رجاله ذلك.

وفي هذه السنة سنة ١٥٠٤ يونانية (١١٩٣ ميلادية) تآمر لاون صاحب قبليقية وقبض على البرنس بيموند صاحب أنطاكية. كانت بغراس^(١٠) مع لاون، لأنه كان قد استولى عليها بعد أن فر العرب منها؛ فاتفق الحاكم الأرمني لبغراس أن يتآمر سرا مع البرنس ويخبره برغبته في الثورة على صاحبها لاون، ويسلم القلعة إلى البرنس ويدخل أنطاكية ويسكن فيها .

◆ مصياب: في النسخة السريانية مصيات (ص121٧ عامود ٢ سطر٢٩). أما في النسخة الإنجليزية

"مصريات". (MASRYATH p.343) ISMAELITES in (MASRYATH p.343) أما الصحيح فهو "مصيات".

وعندما أرسل الحاكم إلى البرنس ووعده بأن يسلم له بغراس صدقه البرنس وخرج مسرعا كالمطارد ومعه ابنه وزوجته. وعندما جاءوا وعسكروا عند النبع أمام بغراس أرسل لهم الحاكم طعاما وخمرا، وقال لهم : "من المستحيل أن تصعدوا إلى القلعة في الصباح، ولكن حين يحل الظلام وتأتون ستجدون الأبواب مفتوحة فتدخلون سرا. ولا تصحبوا معكم أحدا من الفرسان حتى لا يشعر الحراس وينكشف السر، وليبق الفرسان مختبئين بالقرب منكم". فصدق البرنس ذلك وانتقل من العين متظاهرا أنه ذاهب إلى أنطاكية. وعندما حل المساء عاد هو وزوجته وابنه ومن معهم من الصبية الصغار القائمين على خدمتهم. ولما اقتربوا من الباب وجدوه مفتوحا ودخلوا مسرورين فقال لهم صاحب: "فلتستريحوا الآن حتى ينبلع الصباح ونتدبر الأمور، ثم ندخل بعض الفرسان تباعا ونقبض على الحراس". عندما نام هؤلاء الفرسان أرسل صاحب إلى لاون- الذي كان مختبئا هناك - فجاء بعدد كبير من الأرمن، ودخل بغراس وقبض على البرنس وكبله بالأغلال هو وزوجته وابنه وعذبه عذابا شديدا جزاء وفاقا لما ارتكبه مع روفين شقيق لاون. وظل البرنس أسيرا عند لاون حتى جاء هنري^{♦♦} ابن أخت^{♦♦} ملك إنجلترا وقدم العهود والمواثيق فحرروه. وازدادت قوة لاون بعد موت قلعج أرسلان فاستولى على اثنين وسبعين قلعة؛ بعضها من الأتراك وبعضها من اليونانيين. ولقد أحرز النصر في جميع معاركه. وعندما سمع عز الدين مسعود صاحب الموصل بوفاة صلاح الدين رغب في أن يستعيد مملكة سوريا فأرسل إلى أخيه عماد الدين صاحب سنجار^(١١) ونصيبين، وإلى سنجر

♦ هنري : في النسخة السريانية هرري (ص ١٢٢ عامود ٢ سطر ١٤) / وفي النسخة الانجليزية : هنري (HANRI p.344) وهو الأصح لأن اسم هنري اسم مألوف عند أهل إنجلترا.

♦♦ ابن أخت : في النسخة السريانية : ابن أخت (ص ١٢٢ عامود ٢ سطر ١٤) وهو الأصح / في النسخة الإنجليزية : (شقيق أخت) (THE BROTHER OF THE SISTER p.344) ملك إنجلترا فإن شقيق أخت ملك إنجلترا هو شقيق ملك إنجلترا. فقد ترجمت كلمة ابن إلى كلمة شقيق خطأ.

شاه ابن أخيه صاحب مدينة الجزيرة، وإلى مظفر الدين بن زين الدين صاحب إربل؛ طالبا منهم أن يستعدوا للذهاب جميعا لاسترداد المدن من خلفاء صلاح الدين. كما أرسل الملك الأفضل الابن الأكبر لصلاح الدين الذي كان يحكم دمشق مكان أبيه* إلى عمه العادل الذي كان آنذاك في دمشق، واستدعاه لكي يقوم على رأس القوات ويقابل خلفاء الأتابك. وأرسل إلى الملك العزيز أخيه الذي كان يحكم مصر، وإلى الملك الظاهر^(١٢) الأخ الآخر الذي كان يحكم حلب، وإلى ناصر الدين بن* تقى الدين ابن عمه صاحب حماة، وإلى الملك مجاهد بن ناصر الدين^(١٣) ابن عم أبيه صاحب حمص، وجمع منهم قوات أرسلها مع عمه العادل. وجاء العادل وعسكر عند مرج ریحان في مدينة الرها. وعندما سمع عز الدين^(١٤) صاحب الموصل بذلك جمع أنصاره بدوره وجاء إلى نصيبين، وهناك مرض بالدسنتاريا ورجع عائدا إلى الموصل ومات بعد قليل. وكان رجلا عطوفا ومتواضعا ولم يره أحد قط يتكلم إلا وعيناه تتظران أمامه، ولم يرفض قط طلبا لمحتاج. وحكم بعده ابنه نور الدين أرسلان شاه^(١٥) الذي اتخذ مجاهد الدين قائما بأمره.

وفي سنة ٥٩٠ هجرية (١١٩٣ ميلادية) ذهب علاء الدين بن تكش خوارزم شاه إلى منطقة خراسان^(١٦)، فالتقى بالسلطان طغرل^(١٧) (في معركة) بالقرب من مدينة الري، وقتل طغرل وأرسل رأسه إلى بغداد، وعلقت على رأس رمح وثبتت على باب قصر الخليفة. حكم خوارزم شاه همذان وبقية البلدان، وعين له نائبا وهو قطلغ اينانج بن البهلوان، الذي كان

◆ أبيه : في النسخة السريانية: أبيه (ص ١٢٢ عامود ٢ سطر ٣٢) / في النسخة الإنجليزية: أخوته (HIS p.344 BROTHERS) الأصح هو أبيه؛ لأن الملك الأفضل تولى حكم دمشق بعد وفاة والده الناصر صلاح الدين. (تاريخ مختصر الدول ص ٢٣٧).

◆ ◆ بن "تقى الدين": في النسخة السريانية: ابن (ص ١٢٧٧ عامود ١ سطر ٣). وفي النسخة الإنجليزية: شقيق (THE BROTHER p.344) والأصح هو "ابن" لأن ناصر الدين ابن تقى الدين وليس شقيقه. وهو الملك المنصور ناصر الدين محمد بن الملك المظفر تقى الدين.

من قبل حاكما على همذان. وكان ابن البهلوان هذا قد استدعى خوارزم شاه لأن السلطان طغرل كان قد هرب من سجنه وانتصر عليه واسترد منه البلاد. وبمقتل طغرل انتهى ملك السلاجقة في خراسان، وبقيت مملكتهم تلك التي لدينا في بلاد الروم. كان طغرل بن أرسلان بن طغرل بن محمود^(١٨) بن ملكشاه بن ألب أرسلان بن داود الذي هو جغرى بك بن ميكائيل بن سلجوق بن دقاق^(١٩). في هذا العام جاء الملك العزيز صاحب مصر إلى دمشق لانتزاعها من أخيه الأكبر الملك الأفضل، فذهب عمهما الملك العادل^(٢٠) وأصلح بينهما على أن تكون أورشليم (القدس) للعزيز، وجبلية واللاذقية للملك الظاهر صاحب حلب، وللعاقل بعض القرى في مصر. فجاءا وتصالحا وذهب كل منهما إلى منطقته.

وفي سنة ٥٩١ هجرية (١١٩٤ ميلادية) أرسل الخليفة الناصر جيشا بقيادة سيف الدين طغرل _ أحد نبلائه _ إلى أصفهان التي استسلمت له نتيجة ما عاناه أهلها من اضطهاد على يد الخوارزميين. في العام نفسه استعد الملك العزيز ملك مصر ليحضر ويأخذها (دمشق) من الملك الأفضل أخيه. وعندما سمع أخوه الأفضل بذلك توجه بنفسه إلى قلعة جعبر^(٢٢) عند عمه العادل وعند أخيه الظاهر ودعاهما لمساعدته . وجاء معه إلى دمشق وعسكر الملك العزيز _ أيضا _ بالقرب منها (دمشق)، عندئذ خدع الشيوخ من عبید صلاح الدين الملك العزيز وقالوا للعاقل وللأفضل: "تعالوا إلينا وسنسلم لكم هذا الرجل". عندما شعر العزيز بالخيانة رجع فورا إلى مصر، فتبعه العادل والأفضل ودخلا مصر وعسكرا في بلبیس. ولأنهما كانا قادرين على أخذ مصر فقد قام العادل بمنع الأفضل من إتمام الغزو واتفقا على الصلح، وعاد الأفضل إلى دمشق ودانت له أورشليم، ودخل العادل مصر وأصبح قائدا للملك العزيز .

♦ ابن محمود : في النص السرياني ورد اسم "ابن محمود بن ملكشاه" (ص ٧١٢٢ عامود ١ سطر ٣٦). أما في الترجمة الإنجليزية "ابن محمود بن محمد بن ملكشاه" (the son of MAHMUD، the son of MAHAMAD، p.345) the son of MALIKSHAH. ومما هو جدير بالإشارة أن النص السرياني وكذلك الترجمة الإنجليزية خطأ لأن الاسم لا يوجد به اسم محمود.

فى سنة ٥٩٢ هجرية (١١٩٥ ميلادية) خرج الملك العادل مع الملك العزيز من مصر وعسكرا عند دمشق ليستوليا عليها من الملك الأفضل؛ عندئذ استعد الأفضل لمعركة على الأسوار، وعين كل واحد من نبلائه على باب من أبواب المدينة وقلاعها. فقام أحد نبلاء الأفضل _ وهو المكلف بحماية البوابة الشرقية واسمه عز الدين الحمصى _ بخيانتة. ودخل العادل دمشق وذهب وعسكر فى دار عمه أسد الدين شيركوه^(٢٣) ودخل _ أيضا _ الملك العزيز. كذلك تم لهما الاستيلاء على المدينة من الملك من الأفضل وأعطوه قلعة صرخد^(٢٤)، فخرج وذهب إليها. أما الملك العزيز فقد رجع إلى مصر، ومكث العادل بدمشق حاكما اسميا بينما كان الملك العزيز الحاكم الفعلى. وقد تراسل الملك الظاهر صاحب حلب مع الملك الأفضل كثيرا وحذره من الثقة بالعادل " فلاخير يرجى منه لنا، " وقال له: "إنه أكثر دراية وعلما به منه ومع أنه عم لنا جميعا فإننى زوج ابنته، ولو كنت قد شعرت بحنان بَدَرَ منه نحونا لكان من الأوفق لى أن أكون على علاقة طيبة به أكثر منك". فأجابه الأفضل معارضا وقائلا: "إنك لست على صواب فيما تقول، فهو فى مكانة والدنا فكيف يؤذينا؟".

وفى سنة ٥٩٣ هجرية (١١٩٦ ميلادية) قام النزاع مرة أخرى بين العادل والفرنجة، واحتج العادل بانهيار السلام بموت (ملك) إنجلترا[♦] وصالح الدين. وذهب وعسكر عند يافا^(٢٥) واستولى عليها بالحرب. حينئذ أرسل فرنجة الساحل إلى من فى الداخل وقالوا: "إن لم تتركونا سريعا فسيسيطر العرب على كل شواطئ البحر". فأرسل فرنجة الداخل قوات كبيرة أقاموا على رأسها رجلا من أبناء الكنيسة يُدعى: "شنتسليز"، وخرجوا وعسكروا عند تبنين^(٢٦) وشنوا عليها حربا شعواء. وعندما كانوا على وشك الاستيلاء

♦ إنجلترا : فى النسخة السريانية : إنجلترا (ص ١٢٣ عامود ١ سطر ٢٩) / فى النسخة الإنجليزية : بموت

ملك إنجلترا وقد كتب BUDGE كلمة "ملك" بين قوسين The death of (king) of

(ENGLAND) . ص ٣٤٦ وهذا هو الأصح.

عليها علموا أن هنري* صاحب عكا^(٢٧) قد سقط من مكان مرتفع ومات. ولما لم يكن لهم ملك فقد توقفوا عن الحرب. ثم أرسلوا في طلب صاحب قبرص وأعطوه زوجة هنري. فلما سمع العادل بذلك تفاوض معه وعقد معه صلحا اشترط فيه أن تكون بيروت للفرنجة وتبنين للعرب. وترك الفرنجة تبنين ورحلوا.

وفي تلك السنة توفي ملكشاه بن خوارزم شاه تكش^(٢٨) في بلدة نيسابور، وتولى بعده قطب الدين محمد^(٢٩) على الرغم من أن وصية أبيهم كانت تعطى الملك لشقيقه هندوخان وليس له. وفي ذلك الوقت _ أيضا _ توفي سيف الدين إسلام طغتكين بن أيوب^(٤٤) شقيق صلاح الدين، الذي كان يحكم أرض الجنوب*، وقد تولى بعده ابنه إسماعيل؛ ولعدم كفاءته في الإدارة ثار عليه نبالؤه وقتلوه.

وفي سنة ٥٩٤ هجرية (١١٩٨ ميلادية) توفي عماد الدين زنكي بن مودود بن زنكي بن أفسنقر صاحب سنجار ونصيبين والخابورا والرقعة^(٣٠)، وملك بعده ابنه قطب الدين محمد، وتولى تدبير دولته مجاهد الدين بريقش مملوك أبيه. وفي السنة نفسها ذهب نور الدين أرسلان شاه صاحب الموصل وعسكر عند نصيبين، واستولى عليها من قطب الدين محمد ابن عمه بحجة أن قطب الدين كان قد وضع يده على عدة قرى في بلاد ما بين النهرين على حدود الموصل. وعندما أرسل رسولا لاستردادها رفض؛ فجمع نور الدين قوة وذهب إلى نصيبين، وجاء _ أيضا _ قطب الدين فانهزم وهرب إلى حران^(٣١)، فأرسل إلى العادل وطلب منه العون. وعندما دخل نور الدين نصيبين ومكث بها بضعة أيام تفشى المرض في قواته، ومات ستة من نبالء الموصل من بينهم مجاهد الدين قيمانز^(٣٢) قائده؛ ولذلك ترك نور الدين

♦ هنري : في النسخة السريانية " هررى" (ص ١٢٣ عامود ٢ سطر ٢) / والنسخة الإنجليزية (HANRI

p.346) "هنري" وهي الأصح.

♦ ♦ أرض الجنوب : المراد بها "بلاد اليمن".

نصيبين وجاء إلى الموصل، وعادت إلى قطب الدين صاحبها مرة أخرى. وفي السنة نفسها ذهب خوارزم شاه إلى مدينة بخارى^(٣٣) واستولى عليها من شعب الخطاي، أي: الصينيين. وعلى الرغم من اختلاف العقائد فقد كانت هناك صداقة بين عرب بخارى والصينيين لما توسموا فيهم من حكمة وعدل؛ ولذا وقفوا بجانبهم وحاربوا معهم بعنف على الأسوار ثم أخذوا كلبا* وألبسوه ملابس خوارزم شاه وألقوا به عند الخوارزميين وقالوا: "هذا هو ملككم." فلما استولى خوارزم على المدينة بالسيف لم يتذكر لهم إهانتهم، ولكنه أعطى لهم ذهباً وجعلهم يقسمون له يمين الولاة. وفي العام نفسه جاء الملك العادل وعسكر عند ماردين^(٣٤) وحارب أهلها بشدة. وكان صاحبها صغيراً يدعى: حسام الدين^(٣٥)، وقائده نظام الدين بريقش. وقد خانه أهل المدينة وسلموها للعادل التي قامت قواته بالنهب والتخريب فيها، ومع ذلك ظل أهلها يحاربون عند قلعتها.

وفي سنة ٥٩٥ هجرية (١١٩٨ ميلادية) توفي الملك العزيز^(٣٦) بن صلاح الدين صاحب مصر، وكان قد خرج للصيد* فشاهد ذئبا، فجرى خلفه، فسقط من فوق جواده وأصابته حمى عاد بعدها إلى القاهرة*** حيث توفي وترك طفلاً صغيراً يدعى الملك المنصور^(٥٤). حينئذ وقع انقسام بين النبلاء، فمنهم من أراد تنصيب الغلام بدلا من أبيه، ومنهم من رغب في تنصيب العادل، بينما رأى بعضهم تنصيب الأفضل. ولكن مؤيدي الأفضل

◆ أخذوا كلبا : كان خوارزم شاه تكش أعور. ففي أثناء هذا الحصار أخذ أهل بخارى كلباً أعور وألبسوه ملابس تكش .

◆ ◆ خرج للصيد : كان هذا الصيد في صحراء الفيوم. ورد ذلك في (مفرج الكروب ص ٨٢)، و(المختصر في أخبار البشر ج ٢ ص ٦٥)، و(النجوم الزاهرة ج ٦ ص ١٢٨)، وكان ذلك في السابع من محرم.

◆ ◆ ◆ عاد إلى القاهرة : دخلها يوم عاشوراء (المختصر في أخبار البشر ج ٣ ص ٦٥).

كانوا الأقوى فأرسلوا وأحضره ♦ من صرخد وحكم بالفعل. حينئذ هرب الذين كانوا يعارضون ♦♦ الأفضل واستولوا على أورشليم؛ فاستدعى الملك الأفضل قوات من المصريين وخرج للهجوم على دمشق، فأخبر الدمشقيون الملك العادل في أثناء حربه في ماردين. عندئذ ترك ابنه الملك الكامل محمد على قلعة ماردين وعاد مسرعا إلى دمشق. ثم جاء الأفضل وعسكر عندها، فانقسمت القوات ضده فانسحب وعاد مرة أخرى إلى مصر، وكان مجيئه بلا فائدة. وتضايق أهل ماردين كثيرا نتيجة لما عانوه من نقص في الغذاء وانتشار الأمراض إبان حكم الكامل بن العادل، وأوشك نظام الدين قائد الطفل حسام الدين على تسليم القلعة. وما إن سمع هذا نور الدين صاحب الموصل وأبناء أعمامه حكام سنجار والجزيرة حتى دب الرعب في قلوبهم، وتشاوروا فيما بينهم قائلين: "إذا استولت أسرة العادل على ماردين فسوف يحرموننا من كل أراضينا". لذلك ذهبوا خفية إلى دنيسر^(٥٧) ونزل الكامل من ماردين ♦♦♦ إلى السهل، وقابلوا الأتابكة وهزموهم، وهرب الكامل ومن معه إلى ماردين. وعندما دخلوا (المدينة) وجدوا أن الذين كانوا بها قد فروا فذهبوا ونهبوا خيامهم، وفي ذلك المساء جمع الكامل قواته وتوجه إلى حران، ومن حران

♦ أحضره : في النسخة السريانية "أحضره" (ص ١٢٣٧ عامود ٢ سطر ٣). وفي النسخة الإنجليزية أحضروا الملك منصور" (they sent and brought MALIK MANSOUR from) (SARKHAD p.347). وهو يقصد بهذا زيادة التوضيح.

♦♦ يعارضون الأفضل : في النسخة السريانية "يعارضون الأفضل" (لا يطلبون) (ص ٧ 237 عامود ١ سطر ٤). وفي النسخة الإنجليزية "طلبوا الأفضل" (those who wanted AFDAL fled p.347) والنسخة السريانية هي الأصح لأننا نفهم من المتن أن مؤيدي الأفضل كانوا هم الأقوياء؛ ولذلك نصبوا الأفضل. أما بالنسبة لمن عارضوا في تنصيبه فقد هربوا، ولا يمكن أن يكون الذين طلبوه هم الذين هربوا.

♦♦♦ ماردين : في النسخة السريانية "نزل من ماردين إلى السهل" (ص ١٢٣ 123 عامود ٢ سطر ٢٨). وفي النسخة الإنجليزية "نزل الكامل إلى السهل" (and KAMIL came down to the plain p.) (348).

ذهب إلى دمشق إلى والده العادل. وقد قيل: إنه لو لم ينزل بيت الكامل إلى السهل* لما استطاع الأتابكة قط أن يزعموهم من ماردین، ولما استطاعوا استرداد القلعة مرة أخرى ولكن الله تبارك وتعالى يفعل ما يشاء .

وفي سنة ٥٩٦ هجرية (١١٩٩ ميلادية) جمع الملك العادل قواته ودخل مصر وسمع بذلك الأفضل فجمع هو _ أيضا _ قواته وخرج وقابل عمه فهزم وهرب ليلا ودخل القاهرة.♦♦ وجاء العادل وعسكر عندها وأراد أن يشن حربا عليها؛ حينئذ نصح النبلاء الملك الأفضل بالتفاوض وطلب السلام؛ لأنه ليست لديه قوة العادل، فأرسل الأفضل إلى العادل طالبا السلام على أن يتولى دمشق بدلا من مصر، فلم يوافق الملك العادل. فطلب (الأفضل) أن يعرضه مرة أخرى الرها وحران، ولكن هذا المطلب رفض أيضا. فطلب لعلها: ميفارقين وحاني^(٣٧) وجبل جور^(٣٨). فوافق العادل وتم الصلح بينهما. وخرج الأفضل متوجها إلى صرخد، وأرسل رجاله ليتسلموا ميفارقين. عندئذ أعلن نجم الدين أيوب بن العادل العصيان وأبى التسليم، فأرسل الأفضل إلى العادل بهذا النبأ. فاعتذر العادل قائلاً بأن ابنه قد تمرد على أمره ولم يستمع إليه. وعندما علم الأفضل بما حدث بين العادل وبين ابنه اجتمع به، وبعث إليه برسول يتفاوض معه مرة أخرى في الموضوع نفسه.

وفي السنة نفسها توفي خوارزم شاه تكش بن ألب أرسلان صاحب خوارزم وجزء من خراسان والرى وباقي البلاد الجبلية، وتولى بعده علاء الدين بن قطب الدين محمد، وكان يسمى باسم أبيه. كما توفي في العام نفسه القاضي الفاضل الموثق المصري وحيد زمانه^(٣٩) في مصر.

♦ السهل : في النسخة السريانية "نزل (من ماردین) إلى السهل" ص ٧ 123 عامود ٢ سطر ٣٦) في النسخة الإنجليزية "من الجبل إلى السهل" (from the mountain to the plain p.348).

♦♦ القاهرة : في ص ١٢٤ عامود ١ سطر ٨ وردت مكتوبة بياء ولكن في (ص ١٢٤ عامود ١ سطر ٩) وردت مكتوبة بدون بياء وهو الأصح. دخل الملك العادل القاهرة في الحادي والعشرين من ربيع الآخر سنة ٥٩٦ هجرية. (مفرج الكروب ص ١٠٩).

وفي سنة ٥٩٧ هجرية (١٢٠٠ ميلادية) أبطل العادل الدعاء للملك الطفل المنصور^(٤٠) ابن الملك العزيز؛ فساعت صورتته في عين النبلاء وكتبوا إلى الملك الأفضل في صرخد، وإلى أخيه الملك الظاهر في حلب طالبين منهما الحضور والإقامة حول دمشق، ومعلنين أنه إذا قام الملك العادل بالحرب عليها فيجب عليهما القبض عليه وتسليمه لهم. فلما سمع العادل بهذا التدبير أرسل إلى ابنه الملك المعظم شرف الدين _ عيسى الموجود في دمشق آنذاك _ للإسراع بالقبض على الأفضل في قلعته بصرخد، فما إن سمع الأفضل بذلك حتى خرج مسرعا وجاء إلى حلب عند أخيه الظاهر، فذهب الاثنان إلى منبج^(٤١) التي كانت ملكا للعادل واستوليا عليها. وبنفس الطريقة تم لهما الاستيلاء على قلعة نجم^(٤٢) وعادا وعسكرا عند حماة، فأعطى لهما نصر الدين بن تقي الدين ثلاثين ألف دينار ثم تركاه وذهبا سالكين طريق بعلبك إلى دمشق. وعقد الأفضل والظاهر معاهدة بينهما تنص على أن يتولى الملك الأفضل دمشق عند الاستيلاء عليها، ثم يتوجهان معا للاستيلاء على مصر، بعد ذلك يعيد الأفضل دمشق للظاهر على أن تكون مصر له. وتطبيقا لهذا الاتفاق قاما بشن حملات على دمشق، فلما تحركا للاستيلاء عليها تحركت شهوة الحسد والحقد في نفس الملك الظاهر على أخيه الملك الأفضل وقال له: "إن دمشق ستكون لي وسأرسل معك قواتي للاستيلاء على مصر، وعندئذ تكون من نصيبك". فقال له الأفضل: "ألا تعلم أن أمي وأبنائي موجودون على الأبواب الأخرى في حمص؟"^(٦٩) فقد أحضرتهم من صرخد التي أعطيتها لزين الدين قراجا♦ - أحد عبيد أبيه، والذي كان مساعدا له- لذلك أطلب منك أن تترك لي دمشق حتى تحتفى بها هؤلاء النسوة إلى أن تأخذ مصر". حينئذ عارض الملك الظاهر ولم يقبل هذا العرض. ولما رأى النبلاء ذلك الانشقاق بينهما تركوهما وانضم فريق منهم إلى العادل، بينما دخل فريق آخر إلى دمشق فاتفق الأخوان؛ عندئذ أرسلوا إلى العادل عمهما طالبين السلام، وأعطى العادل منبج للملك الظاهر بالإضافة إلى حلب وأفامية^(٤٣) وكفر

♦ زين الدين قراجا الصلاحي: تسلم صرخد مقابل عشرة آلاف دينار، فأنزل الملك الأفضل والدته وأهله منها. (مفرج الكروب ص ١٢٤).

طاب^(٤٤) وجزءاً من بلاد المعارة، وتولى الملك الأفضل حكم سميساط^(٤٥) وسروج ورأس العين وجملين، ودخل الملك العادل دمشق. أما هما فقد ذهب كل واحد منهما إلى بلده. وفي ذلك الوقت عندما دخل الظاهر والأفضل دمشق وعسكرا هناك جمع نور الدين قواته وأخذ معه ابن عمه قطب الدين محمد صاحب سنجار وماردين[♦]، وتوجهها للاستيلاء على ما بين النهرين من بيت العادل. وعندما وصلوا إلى رأس العين حل بهم المرض لأن فصل الصيف كان قد حل. وكان الملك الفائز بن العادل في حران فأرسل إلى نور الدين عارضا السلام فقبل نور الدين ذلك؛ لما كان يعانيه من مرض آنذاك، ولسماعه بالصدقة القائمة بين الأفضل والظاهر وبين عمهم العادل؛ فوافق على السلام وأقسم لهم يمين الولاء، ورجع إلى الموصل وعاد ومن معه كل إلى بلده. وفي العام نفسه عندما حكم معز الدين قيصر شاه ملطية^(٤٦) هاجمها أخوه ركن الدين سليمان^{♦♦} بن قلع أرسلان واستولى عليها في شهر حزيران (يونيو) سنة ١٥١١ يونانية (٥٩٧ هجرية / ١٢٠٠ ميلادية). وهرب معز الدين قيصر شاه من أمام أخيه إلى الملك العادل صهره، فأرسل العادل وأسكنه الرها مزودا إياه بالمؤن. ومن هناك ذهب ركن الدين إلى أرزن الروم^(٤٧)، وكان بها ابن الملك محمد بن صلتق وهو أحد أبناء البيوتات القديمة. ومنذ ذلك الوقت حكموا أرزن الروم. فلما ذهب صاحبها إلى ركن الدين أخذه وحبسه دون أن يؤذيه واستولى على المدينة وأخذ - أيضا - قونية^(٤٨) من جلال الدين^{♦♦♦}

♦ صاحب ماردين : في النسخة السريانية :صاحب ماردين (ص ٧ 124 عامود ١ سطر ١٩). كما ورد ذلك - أيضا - في (مفرج الكروب ص ١٢٧).

وفي الترجمة الإنجليزية (حاكم مصر) (the lord of EGYPT p.350) والأصح هو "صاحب ماردين"
♦♦ ركن الدين سليمان : في النسخة السريانية : "ركن الدين سليمان بن قلع أرسلان" (ص ٧ 124 عامود ١ سطر ٣٤). في النسخة الإنجليزية : "ركن الدين سلطان" (the son ، RUK AD-DIN SULTAN of KELEJ ARSLAN p.350). الأصح هو "ركن الدين سليمان بن قلع أرسلان" كما ورد في (مفرج الكروب ص ١٦٠).

♦♦♦ جلال الدين : في النسخة السريانية : "جلال الدين"
(ص ١٢٤٧ عامود ٢ سطر ١٣) / وفي النسخة الإنجليزية : "غيات الدين" (and he also took ICONIUM from GHAYATH AD-DIN KAI KESRU p. 350)

كيخسرو وأخيه، وهرب غياث الدين إلى سوريا وجاء إلى الملك الظاهر صاحب حلب، وأخبره بالأمر آملا في مساعدته. ولما لم يجد منه العون هرب من عنده واختفى، وأخذ ينتقل من مكان إلى آخر حتى وصل إلى القسطنطينية؛ حيث أكرم ملك اليونان وفادته وزوجه ابنة أحد كبار البطارقة. ومكث هناك حتى استولى الفرنجة على القسطنطينية كما سنرى فيما بعد. وعندما تسلط الفرنجة على القسطنطينية هرب غياث الدين إلى حميه الذي كان يحكم إحدى القلاع، فاستقبله وقال له: "تكفى هذه القلعة لي ولك حتى يهبنا الله الراحة"، وبقي عنده حتى توفي أخوه .

وفي هذه السنة حدثت مجاعة كبيرة في مصر؛ لأن النيل لم يفيض كالمعتاد، وأكل البشر جثث الموتى وجيف الحيوانات. وبعد ذلك انتشر وباء الطاعون، كما وقع _ أيضا _ زلزال دمر كثيرا من المباني والأسوار العالية في دمشق وحمص وحماة، وأيضا طرابلس وصور وعكا والسامراء^(٤٩) ووصل حتى بلاد الروم . أما في الشرق فلم يكن عنيقا .

وفي سنة ٥٩٨ هجرية (١٢٠١ ميلادية) ذهب خوارزم شاه محمد بن تكش إلى بلدة خراسان، واستولى على مدينة مرو^(٥٠) ونيسابور من غياث الدين ومن شهاب الدين أخيه لأنها كانا ملكين عليهما. ولكن عندما ذهب إلى خوارزم وشغل بموت أبيه استردهما غياث الدين، وعندئذ أرسل له قائلا: "لم أنتظر مثل هذا التصرف منك، ولكن على العكس انتظرت مساعدتك لي ضد الصينيين؛ وحيث إنك لم تقدم لي يد العون فلا يجدر بك إلحاق الأذى بي". ولما لم يجب عليه بمودة جاء إلى المدن واستولى عليها بالسيف، وهزم غياث الدين لأنه كان يشكو من مرض النقرس، أما أخوه شهاب الدين فقد كان مشتبكا في حرب مع الهنود .

وفي سنة ٥٩٩ هجرية (١٢٠٢ ميلادية) أرسل الملك العادل أبو بكر أيوب صاحب مصر ودمشق قواته بقيادة ابنه الملك الأشرف موسى إلى ماردين؛ حيث حاصرها لفترة طويلة وتمت له في النهاية السيطرة على

بلادها ومدنها. حينئذ توسط صاحب حلب الملك الظاهر غازي بن صلاح الدين بينهما، وعقد صلحا على شرط أن يعطى صاحب ماردين للعادل مائة وخمسين ألف دينار أبيض، كل دينار يساوي ستة زوازي، وينصب العادل ملكا، وتضرب السكة باسمه، ويكتب اسمه على العملة من الزوازي والدنانير. وأخذ الملك الظاهر من المبلغ عشرين ألف دينار^{٥١}، وكذلك مدينة القراي من أرض الشبختان^{٥٢} وترك الأشرف. وفي الوقت نفسه خرب التركمان المدن المسلوقة تخريبا تاما، ولم يكن الناس بقادرين على عبور الطريق بغير مساعدة من قوات الفرسان والرجال المسلحين .

وفي هذه السنة نفسها عاد العادل، وأخذ من الأفضل ابن أخيه مدينة سروج^(٥١) ومدينة رأس العين^(٥٢) وجوملين، وكذلك أخذ الظاهر صاحب حلب قلعة نجم من أخيه الأفضل وبقيت له سميساط فقط. وعندما رأى أن عمه وأخاه قد ظلماه أرسل رسولا إلى ركن الدين سليمان^{٥٣} بن الملك قلعج أرسلان صاحب مدينة مليتين وقونية، وأصبح تابعا له وباعه وسك باسمه الزوازي (الدنانير) وأصبح واحدا من أمراء بيت الروم. عندئذ أرسل الأفضل والدته^{٥٤} إلى الملك العادل وتوسلت إليه أن يعيد البلاد التي أخذها من ابنها، ولكنه لم يلب طلبها . وهكذا كافأ الله صلاح الدين بعد موته بالطريقة نفسها التي كافأ بها الأتابكة^(٥٣)، وذلك عندما أرسل صاحب الموصل أمه وابنة عمه إليه لتشفعا إليه، ولم يقبل طلبهما.

◆ عشرين ألف دينار : ذكر في مفرج الكروب ص ١٤٠ "عشرة آلاف دينار".

◆◆ أرض الشبختان : هي أرض الخطا الشماليين .

◆◆◆ ركن الدين سليمان : في النسخة السريانية : "سليمان" (ص ٧ 124 عامود ١ سطر ٣٤٩) وفي

النسخة الإنجليزية "سلطان" (RUKN AD-DIN SULTAN, the son of KELEJ

ARSLAN p.350) والأصح هو "سليمان".

◆◆◆◆ والدته : توجهت أم الملك الأفضل وتوجه معها من حماة القاضي زين الدين بن الهندي إلى الملك

العادل.(النجوم الزاهرة ج ٣ ص ١٠٤).

وفى هذه السنة نفسها أخرج الملك العادل الملك المنصور بن الملك العزيز من مصر

وأسكنه مدينة الرها مع أمه ♦ وإخوته وأخواته؛ لأنه كان يخشى أن ينصبه المصريون ملكاً.

بداية حكم المغول (التتار) (٥٤)

كان أول موطن للتتار قبل أن ينتشروا فى البلاد الخارجية هو واد فسيح فى الجزء الشمالي الشرقى من العالم. وكان طول الوادى وعرضه يمتد مسيرة ثمانية شهور، وعلى الجانب الشرقى من أرضهم تمتد دولة الخطاى الصينية، وإلى الغرب بلاد الأويغور التركية، وإلى الشمال البلاد المسماة: "سلنجاه"، وإلى الجنوب الهند. وقبل مجىء جنكيز خان - أول ملوكهم - كانوا بلا رئيس وكانوا يدفعون الجزية لملك الخطاى الصينى. وكانوا يلبسون جلود الكلاب والذئب، ويأكلون لحوم الفئران والحيوانات القذرة والجيف، كما كانوا يشربون لبن الخيل، وكانت علامة عظمة الأمير بينهم أن ركاب خيله من حديد بينما ركاب الآخرين من خشب.

وفى سنة ١٥١٤ يونانية (١٢٠٣ ميلادية) وسنة ٥٩٩ هجرية (١٢٠٢ ميلادية) بينما كان أونك خان _ الذى هو يوحنا الملك المسيحي ملكا على قبيلة من الهون البربر المسماة: كرايت (٥٥) _ ذهب جنكيز خان ليعمل فى خدمته، وبمجرد أن لاحظ أونك خان ♦♦ (٥٦) ذكاءه الخارق وتقدمه يوما بعد

♦ مع أمه : توجد كلمة "أمه" (ص ١٢٥ عمود ٢ سطر ٢٦) فى النسخة السريانية. أما فى الترجمة الإنجليزية (he made him to live in the city of EDESSA with his brothers and sisters) (p.352) نجد أن BUDGE قد أغفل كلمة أمه فى ترجمته الإنجليزية.

♦ ♦ أونك خان : فى النسخة السريانية الكلمة مكتوبة خطأ (أونوك) (ص ١٢٥ عمود ١ سطر ٣٧) والصحيح (أونك) بدون حرف "الواو" بعد حرف "النون" وذلك كما كتبه فى نفس الصفحة ونفس العمود سطر ٢٦) ولقد ذكر أن "أونك خان هو الذى لجأ إلى حنكيزخان وليس حنكيزخان هو الذى لجأ إليه" (جامع التواريخ مجلد ٢ جزء ١ ص ١٣٢).

يوم شعر بالغيرة منه وأراد بالخديعة أن يقبض عليه ويقتله. وعندما علم شابان من أتباع أونك خان بالخيانة أبلغا جنكيزخان؛ وعلى الفور اتفق جنكيزخان مع رجاله، وفي المساء خرجوا من خيامهم واختبأوا في مكان آمن. وفي الصباح هاجم أونك خان خيام التتار فلم يجد أحدا بها، ثم وثب أتباع جنكيزخان على الملك، وقابل كل منهم الآخر في معركة على جانب بحيرة كانت تسمى بالجيونا، وانتصر فريق جنكيزخان وانهزم فريق أونك خان. والتقى الجمعان مرات عديدة حتى أُبِيد بيت أونك خان بأكمله، وقتل هو وأسرت زوجاته وبناته. ولقد كرم جنكيزخان الشابين* اللذين أبلغاه وسن لهما قانونا يحقق لهما بمقتضاه ألا يؤسر منهما أو من أبنائهما أحد، وسمح لهما بالدخول على الملوك دون استئذان، وألا يعاقبوا مهما ارتكبوا من حماقات، ورفع منزلة سائر الرجال الذين كانوا معه في هذه الحرب وجعلهم نبلاء. ولأنه كان معه رجال من الجنس المغولي المسمى: الأويرات^(٥٧)، ولأنهم أظهروا مهارة في التمرينات البدنية وحاربوا بشجاعة _ فقد كرمهم جنكيزخان وسن لهم قانونا بمقتضاه تختار من بناتهم زوجات لأبناء الملوك من نسل جنكيزخان. وظل هذا القانون ساريا بينهم حتى يومنا هذا. وتجب الإشارة إلى أنه _ ودون سبب _ احتقر الملك يوحنا الكرايتي، ولكن حدث هذا بعد إعراضه عن المسيحية، واتخاذه زوجة له من قبيلة أحد الشعوب الصينية التي كانت تدعى قراخطاي^(٥٨)، وترك ديانة آبائه وعبد آلهة آخرين؛ ولذلك أخذ منه الرب المملكة، وأعطاه لمن هو أفضل منه، وامتلأ قلبه بالإيمان بالنسبة للرب. وفي ذلك الوقت في منتصف الشتاء وفي أشد درجات

◆ الشابين : منحهما جنكيزخان لقب "ترخان" (طرخان) وهو لقب كان يطلق على أشرف الجسد وكان هؤلاء يعفون من دفع الضرائب ولهم الحق في الاستيلاء على الغنائم التي يحصلون عليها في الحروب ويباح لهم دخول بلاط الخان دون استئذان ويقدمون في الحفلات ويتناول كل منهم كأسا من الشراب من يد الخان نفسه. (الصيد: المغول في التاريخ ص ٣٦٠)

الصقيع والبرد في البلدة ظهر رجل من التتار ظل عاريا منتقلا في الجبال والمرتفعات وذلك لأيام كثيرة، ثم جاء وقال: "لقد اعتكفت طويلا وناجيت ربي وقال لي: لقد وهبت كل الأرض إلى تموجين^(٥٩) ولأبنائه، ولقد أسميته "جنكيزخان"؛ لأن اسمه القديم كان تموجين، ولقد أطلق التتار على هذا الرجل اسم: توبوت تانجري .

أبناء جنكيزخان

كان لجنكيزخان كثير من الأبناء والبنات، ولكن أبناء الملكة المفضلة يوسنجين بيكي[♦] كانوا ينعمون بالمنزلة والمرتبة العظيمة بين أبنائه، وكان لها أربعة أولاد: الأول توشى (جوجى)، والثاني جغاتاي، والثالث أوكتاي، والرابع تولى.

ولقد عين جنكيزخان توشى للإشراف على أمور الصيد لشغفه به، وقد كرم باقى الصيادين. وجعل جغاتاي مشرفا على تنفيذ القانون المعروف عندهم باسم: الياسا^{♦♦(٦٠)} (الياسا). وسلم لأوكتاي إدارة المملكة. وعهد إلى أصغر أبنائه تولى بقيادة القوات المحاربة . وحدد لكل واحد منهم مكانا لإقامته. أما أخوه الذى يدعى: أوتكين تومان وبقيه أبناء عمومته وأقربائه فقد أرسلهم جميعا إلى أرض الخطاى.

♦ يوسنجين بيكي : ورد هذا الاسم في (الهمدان:جامع التواريخ ج ١ ص ٥٦٢) "بورته فوجين"، ويقول BLOCHET إن: "يوسنجين تعنى باللغة المغولية "المرأة الحسنة". ويبدو أن "يوسنجين" كان لقباً لها.

♦♦ الياسا (الياسا) : نجد هذه الكلمة مكتوبة خطأ في المتن السرياني فقد كتبت بإضافة حرف "دال" في أولها (دياسا) (ص ١٢٦ عامود ١ سطر ١٨)، وكذلك كتبها المترجم في النص الإنجليزي (DYASA p. 353)

القوانين التي سنّها جنكيزخان

لم يكن للمغول أى نصيب من الدراية بالكتابة أو بالأدب؛ ولذا فقد أمر جنكيزخان كتاب الأويغور بسد هذا النقص، فقاموا بتعليم كتبهم لأولاد التتار، كما قاموا بكتابة لغة المغول^(٦١) بالحروف الأويغورية، تماما كما فعل المصريون بالحروف اليونانية، والفرس بالحروف العربية. وتم تدوين القوانين الآتية التي سنّها جنكيزخان:

١- يجب على المغول حين يفكرون فى غزو مدينة جديدة أن يكتبوا خطابات لا تتضمن تهديدا أو وعيدا أو تفاخرا بكثرة ما لديهم من عدة وعدد، بل يطلبون منهم الاستسلام والإذعان؛ لأنهم إذا حدث ذلك فسيكونون آمنين. فإذا آثرتم العصيان وأبيتم الاستسلام فإن الله وحده هو العليم بما سيحدث لكم. وقولهم هذا ثم فعلهم دليل على ثقهم فى الله، وبهذه الثقة أحرزوا ما أحرزوه من انتصارات. وسيكون ذلك دأبهم دائما .

٢- فلْيُعْظَم المغول الأتقياء ورجال الدين، وليتسامحوا مع الكتاب والنساخ والحكماء على اختلاف جنسياتهم، ولينزلوا صارم العقاب بالظالمين والأشرار. ونظرا لما وجده المغول من توافق فى العادات والتقاليد مع المسيحيين فقد عاملوهم فى بداية حكمهم بمزيد من الإعزاز والتكريم، بيّداً أنهم سرعان ما أعرضوا عن الإعزاز والتكريم نظرا لتحول هذه الشعوب المسيحية إلى الإسلام، واستحكم العداء بينهم .

٣- ونصت "الياصا" على أن تذكر أسماء ملوكهم ونبلائهم عارية من أى ألقاب، خلافا لما كان متبعا عند المسلمين، وأن يستثنى من ذلك ملك المغول وحده؛ فقد أضيف إلى اسمه لقب: "خان"^(٦٢) " فقط أو: " قآن" ، على أن يظل ينادى من قبل إخوته وأقاربه باسمه مجردا.

٤- لقد أولى المغول الصيد عناية فائقة، فإذا فرغوا من قتالهم مع الأعداء كانوا يهرعون إلى مناطق الصيد وخطباته للتدريب، ويعلمون أبناءهم

صيد الحيوانات البرية المتوحشة تمهيدا لما يمكن أن يقابله من شدائد وصعاب فى أثناء المعارك.

٥ - يجب ألا يقل سن المحارب عن العشرين عاما، وأن يقسم هؤلاء المحاربون إلى: عشرات ومئات وآلاف وعشرات آلاف، على أن يكون على رأس كل منها قائد من بينهم يتولى إدارتها.

٦ - كل شعب المغول سوف يقدم لملوكه كل عام هدايا، من الأموال والخيل وقطعان الماشية والأغنام والألبان والمنسوجات الصوفية.

٧ - إذا تمرد واحد من تلك المجموعات على أفراد مجموعته ولجأ إلى جماعة أخرى-يكون جزاؤه القتل، وكذلك قائد الجماعة التى انضم إليها.

٨ - كل مجموعة تتكون من عشرين ألف رجل مكلفة بإعداد الجياد اللازمة للرسل، وذلك على جانبى الطريق.

٩ - الرجل الذى يموت _ وليس له وريث _ فإن جميع أمواله وممتلكاته تؤول إلى زوجته أثناء مرضه، ولا يُعطى للملك شىء منه .

وتشتمل "الياصا" على كثير من القوانين، ذكرنا بعضها فقط خشية الإطالة.

نشأة عبادة المغول للصور

لم يكن للمغول قديما أدب أو دين خاص بهم، ولكنهم عرفوا إليها واحدا خالقا للكون، واعتبر بعضهم السماء إلهًا. استمروا كذلك حتى حكموا شعب الأويغور التركى ووجدوا بينهم بعض السحرة الذين يدعون: "قمايا"^(٦٣). ولقد سمعنا الكثيرين يقولون عنهم: سمعنا صوت الشياطين يتحدثون إليهم من خلال فتحات الخيام. وكانت محادثتهم السرية مع الشياطين لا تتم إلا بعد شذوذهم مع آخرين؛ لأن عددا كبيرا منهم كانوا رجالا كالنساء. وكان هؤلاء الرجال الملوثون يعتقدون بالقوة على بعض الرجال لتحقيق بعض

الأعمال السحرية وإنجازها؛ ولهذا سالمهم المغول في بداية الأمر. وبعد ذلك سمع جنكيزخان أن الصينيين _ أي: الخطاي _ كانوا سادة الحكمة؛ فبعث إليهم رسلا طالبا منهم قسسا وواعدا بإكرامهم، كما أمر جنكيزخان بإجراء مناظرة حول الدين المسيحي مع "القمايا". وعندما تكلم القسس وقرأوا أجزاء من كتابهم الذي أسموه: "تاوم" بلغهم هزيمة السحرة، وهزموا ولم يتمكنوا من الرد لأنهم كانوا مجردين من المعرفة. ومنذ ذلك الحين ارتفع شأن القسس بين المغول وأمروا أن يصنعوا صوراً ويطبّعوا نسخاً منها، كما كانوا يصنعون في بلادهم، ويقدموا الذبائح والقرابين تبعاً لتقاليدهم. وعلى الرغم من أنهم كرموا القسس تكريماً عظيماً فإنهم لم يرفضوا السحرة، وبقي الجانبان يقوم كل واحد بعمله لا يتعرض أى منهما للآخر بالإهانة أو الاستهزاء، والآن في كتاب القساوسة المسمى: "تاوم" بالإضافة إلى حكم وأمثال عبدة الأوثان التي تشبه أقوال القديس جريجوريوس تيولوجوس _ توجد قوانين جيدة، مثل: حذر الاضطهاد، أو الايذاء الجسدي؛ وألا تقابل الشر بالشر ولكن تقابله بالخير، وألا يقتل الإنسان أى مخلوق آخر حتى ولو كان قملة أو بعوضة، لقد اعترفوا بانتقال الأرواح من جسد إلى جسد؛ فاعتقدوا أن أرواح الرجال العادلين والصادقين والخيرين عندما يموتون تهاجر إلى أجسام الملوك والنبلاء، وتتناسخ أرواح الأشرار وأهل السوء والمقاتلين، وتظهر في الجيف والزواحف والطيور. وعندما يوضع أمام هؤلاء الرجال ليأكلوه فإنهم يسألون الذى أتى به: هل قتلت هذه الحيوانات من أجلنا أو اشتريتها من السوق؟ فإن قال: (قتلتها) من أجلكم فإنهم لا يلمسونها.

السبب في غزو المغول لبلاد الفرس والمناطق الأخرى التي في غربها وتدميرها

لم تكن للمغول مساكن ثابتة، ولأنهم يحتاجون للملابس والأسرة التي تأتيهم من المدن أعطى جنكيز خان كلمة سلام للتجار الذين جاءوا إليهم من كل جهة، وأمر بعدم إيذائهم هم وحراس الطرق الذين يدعون:

"قراقجيان" (٦٤) ثم حدث أن ثلاثة من رجال مدينة بخارى أحضروا ملابس وأحمالاً من الأقمشة الفاخرة وأشياء أخرى كانوا يعلمون حاجة المغول إليها، وحملوها وذهبوا إلى المعسكر الكبير*، وأمر جنكيزخان رجاله بالاستفسار عن أسعارها. فطلب أحد التجار - ويدعى: أحمد - فى بضاعة قيمتها عشرة دنانير ثلاثة أوزان من الفضة، كل زنة تساوى ما قيمته سبعمائة "زوزا". فغضب جنكيزخان وقال: "ربما ظن هذا الرجل أننا لم نر بضاعة مثل هذه من قبل". وأشار إلى خزنة بيت المال فأحضروا ملابس مطرزة بالذهب وعرضوها أمام هؤلاء التجار، وأمر جنكيزخان بحبس هذا التاجر وأن تكتب قائمة بكل ما كان معه، وأحضروا زميليه الآخرين ونظر إليهما وسألتهما عن أسعار ما معهما، ولكنهما لم يحددا ثمنا وقالا: "لقد أحضرنا هذه البضائع للخان". فأعجبت هذه الكلمات الخان، وأمر أن يعطى لهما على كل لباس مذهب وزنة ذهبية، أى: سبعمائة مثقال، وعلى كل قطعتين من أقمشة قطنية وزنة فضية واحدة، وعطف _ أيضا _ على زميلهما وأعطاهما كما أعطى الآخرين. ولقد أمر الخان ملكاته وأبناءه وبناته أن يعطوا ذهباً لعبيدهم، وأن يرسلوهم مع هؤلاء التجار الثلاثة لإحضار ما يحتاجونه من أشياء، ففعلوا ذلك. واجتمع حوالى أربعمائة تاجر، وأرسل معهم رسولا إلى السلطان محمد (٦٥) فى فارس لإبلاغه بما يلى: "نحن أمرنا من الآن فصاعداً أن يكون هناك سلام بين كل ممالك الأرض، ويذهب التجار ويأتون دون خوف ويعيش الأغنياء والفقراء فى سلام ويحمدون الله". وعندما ذهب الرسول ومعه التجار ووصلوا إلى أترامدينة الفرس _ أرسل صاحب المدينة وأخبر السلطان بما هو معهم، فطمع السلطان فيما معهم من أمتعة، فأمر إينال جوق بقتلهم جميعاً سرا. ولكن حدث أن هرب أحدهم نتيجة للإرادة الإلهية، فذهب وأخبر جنكيزخان بما وقع، فامتلاً بالغضب وذهب بمفرده وتسلق رأس الجبل، وكشف رأسه ووضعها فى التراب، وبقي هناك لمدة ثلاثة أيام دون طعام أو

◆ المعسكر الكبير : ويطلق عليه " قراقورم " .

شراب ونظر إلى السماء وقال: "يا رب، يا خالق الكون، أنت تعلم ماذا كان هدفي وأنه كان بنية طيبة، وها هو ذا عدوى قد بدأ وأراد الشر، وأنا أطمع الآن أن تجازيه وفقا لأعماله". ومنذ ذلك الوقت بدأ في إرسال مجموعات من الجند إلى بلاد الفرس؛ ليهدموا المدن بحد السيف كما سيأتي فيما بعد.

أسباب استيلاء الفرنجة على القسطنطينية من اليونان

في سنة ٦٠٠ هجرية (١٥١٥ يونانية) في شهر نيسان (أبريل) أخذ الفرنجة القسطنطينية من اليونان، ووصلوا بمملكتهم (اليونان) إلى النهاية؛ لأن ملك اليونان [♦] أخذت أخت ملك فرنسا زوجا له وأنجبت منه ولدا. وكان لملك اليونان شقيق قد تار عليه، فسلموا عينيه وقتلوه في السجن. حينئذ هرب ابن القتيل إلى خاله ملك فرنسا الذي غضب وجمع القوات وجاء وعسكر عند القسطنطينية. ولأن أبناء المدينة لم يكونوا راضين عن فعلة الطاغية مع أخيه أشعلوا النيران في المدينة؛ فانشغل المحاربون الذين كانوا على الأسوار، وهنا تسلق الفرنجة ودخلوا المدينة وهرب الطاغية، وعلى الفور نصب الفرنجة شابا صغيرا على عرش المملكة^(٦٦) حاكما اسميا فقط، بينما كان الحكم الفعلي في أيديهم وبدأوا يغالون في فرض الضرائب على المواطنين، ونهبوا ثروات الكنائس وأخذوا الصلبان وأغطية الكتب المقدسة والذهب والفضة التي كانت على الأيقونات. وعندما رأى أبناء المدينة أنهم منهوبون دون رحمة من الفرنجة أسرعوا إلى الطفل ابن ملك اليونان (السابق) وقتلوه، وطردهوا _ أيضا _ الفرنجة من المدينة وأغلقوا الأبواب في وجوههم، وبقي الفرنجة في الخارج؛ يقاتلون. وطالت الحرب وضعف الذين في الخارج وأرسلوا يطلبون مساعدة من السلطان ركن الدين صاحب قونية، ولكنه لم يستطع تقديم العون لهم. وكان بعض التجار من الفرنجة يعيشون في

♦ ملك اليونان : كان وقتئذ ابن لاوون.

القسطنطينية^(٦٧) ، وقد بلغ عددهم حوالي ثلاثين ألفا. ونظرا لكبر حجم المدينة فإنهم كانوا غير ظاهرين بها فأشعلوا فيها النيران مرتين، وأحرقوا ما يقرب من ربعها، وفتحوا الأبواب وخرج الفرنجة إلى الخارج واستلوا سيوفهم، وقتلوا عددا كبيرا من اليونان. وهاجم الفرنجة الكثيرين من الذين اجتمعوا في كنيسة "أيا صوفيا الكبرى"، وخرج البطريرك ورؤساء الكهنة والقسس لمقابلتهم حاملين الصليبان والأناجيل، وألقوا بأنفسهم أمامهم وصرخوا متضرعين إليهم ليرحموا الباقين من السكان. ولكن الفرنجة احتقروهم وقتلوا الكهنة مع الشعب ونهبوا الكنيسة.

وكان للفرنجة ثلاثة ملوك: كان الأول العجوز الضريع دوقس البنادقة، وكانت لديه بواخر وسفن جاءت بها كل قوات الفرنجة. وكان الثاني الماركيس^(٦٨) رئيس الإفرنسيس. وكان ثالثهم يدعى: (كنداقلند)^(٦٩) جوندوفرى. ولقد أجروا قرعة لمن تؤول مملكة القسطنطينية، ووقعت على جوندوفرى وحكمها. وحكم البندقى جزر كريت ورودس وباقي الجزر، وأعطوا الماركيس البلاد التي تقع شرقى الخليج من طريق البحر التى تمر على بنطس^(٧٠) ولاذيق ونبقية^(٧١) مع فيلادلف وغيرها، ولكن اليونان قاوموا ولم يستسلموا للفرنجة؛ فحكمهم بطريرك يوناني يدعى: لشكرى^(٧٢)، وفى الوقت نفسه عندما كان نور الدين أرسلان شاه صاحب الموصل على وفاق مع ابن عمه قطب الدين محمد بن زنكي صاحب سنجار قام الملك العادل وأوقع بينهما؛ وعلى ذلك ذهب نور الدين إلى نصيبين التى كانت لابن عمه وشن عليها حربا، وكان على وشك الاستيلاء عليها، وعندئذ وصل إليه خبر من الموصل يفيد أنه مظفر الدين كوكبورى بن زين الدين على كوجك صاحب إربل _ دخل نينوى ودمرها وأحرق زرعها؛ فترك نور الدين نصيبين وجاء إلى بلد^(٧٣)، وعندما سمع أن مظفر الدين ذهب إلى إربل توجه إلى تليعفر^(٧٤) وأخذها بمعركة؛ عندئذ جاء الملك الأشرف بن العادل الذى كان آنذاك فى حران إلى رأس العين، واتفق مع مظفر الدين صاحب إربل، ومع صاحب آمد وقلعة كيفا، ومع صاحب الجزيرة، ومع صاحب دارا، على

أن لا يسمحوا لنور الدين أن يأخذ شيئاً من أملاك صاحب سنجار. وجاءوا جميعاً إلى نصيبين، ومن هناك جاءوا إلى باعربايا، وذهب نور الدين إلى كفر زمار ومن هناك إلى بوشرة. وعندما عسكروا ليستريحوا بعد ما أصابهم من إنهاك تقابلت قوات الأشرف ومن كانوا معه في معركة مع نور الدين. وانكسر جانب نور الدين انكساراً فظيعاً، وهرب نور الدين ومعه أربعة أشخاص إلى الموصل، ودخل أتباع الأشرف مدينة الموصل وخربوها وأحرقوها، وخاصة مدينة بلد التي أمضوا فيها تدميراً وتخريباً. وقيل: إن امرأة كانت تطهو بعض الأطعمة وعندما سمعت بالتخريب خلعت أسورتين من ذراعها[♦] وخبأتهما في النار وهربت، عندئذ دخل أحد الفرسان إلى المنزل وطلب شيئاً ليأكله فلم يجد بالبيت شيئاً سوى بيضة واحدة فأخذها وجاء إلى الموقد ليشويها، وعندما أشعل النيران وجد الأسورتين بها، وكانت هذه أحدى عظمة.

وظل الجنود يخربون في المدينة لعدة أيام، وكان الرسل يجيئون ويذهبون بينهم. وأعاد نور الدين تليعفر لابن عمه وحل السلام، وبعد ذلك تفرق الجنود في خلال السنة التي أخذ فيها الفرنجة القسطنطينية، وأصبحوا أقوىاء جداً، وذهبوا إلى مدينة فينيقيا وخربوها كما خربوا الأردن وقتلوا الكثير من العرب، وجاءوا إلى حماة فخرج إليهم ناصر الدين بن تقي الدين بن شاهنشاه بن أيوب، وقابلهم في معركة ولكنه هزم هزيمة نكراء، وهرب وخرج المواطنون العرب ليحاربوا مع الفرنجة وقد قتلوا جميعاً. عندئذ أرسل إليهم الملك العادل وسلم لهم الناصرة^(٧٥)، وقسم كل ما أنتجته الأرض من غلات بين الفرنجة والعرب وحل السلام. وبعد قليل خرج فرنجة آخرون إلى أرض مصر، وأحدثوا بها الكثير من التخريب والتدمير ثم رجعوا.

♦ ذراعها : قام BUDGE بترجمة هذه الكلمة إلى "ثوبها" (from her dress p.359)، وهي ترجمة

خطأ لأن هذه الكلمة معناها الصحيح هو "ذراعها"، وفقاً لما جاء في النص السرياني (ص ١٢٨ عامود ١

سطر ٢٢) وأيضاً وفقاً للمعنى الطبيعي .

وفى العام نفسه أخذ السلطان ركن الدين صاحب ملطية وقونية، واستولى على أنكورية_ وهى أنقرة_ من أخيه، بعد أن حاربها سنوات لأنها كانت قوية جدا. وأخرج منها أخاه وولديه وأعطى لهم قلعة فى الأطراف الخارجية، وبينما هم ذاهبون أرسل خلفهم قوة أخيه ركن الدين كما لو كانوا قطاع طرق وقتلوهم. وبعد خمسة أيام من موت أخيه وأبنائه أصابه مرض القولون ومات على الفور، وجاء بدلا منه ابنه الصغير الذى يدعى قلسج أرسلان لقد قيل عن السلطان ركن الدين هذا: إنه كان فطنا وحكيما فى تصرفاته، وذا ولع بمعتقدات الفلاسفة الأجانب، واتبعها وإن لم يعلن ذلك. وفى العام نفسه _ أيضا _ وقع زلزال عنيف وهدم حائط صور، وأماكن أخرى فى مصر وفلسطين وبين النهرين والموصل، وأيضا فى جزر قبرص وصقلية.

وفى سنة ٦٠١ هجرية وقع انقسام بين نبلاء بيت الروم وأحد أمراء أيوج _ وهى مدينة كبيرة للتركان كانت تقع على حدود بلاد اليونان _ فاستدعى غياث الدين كيخسرو* الذى كان هاربا لليونان، واجتمعت له قوات كبيرة وذهبوا وعسكروا عند قونية، وخرجت القوات التى كانت داخل قونية وقابلهم فى معركة، وهزم جند أمير أيوج وولوا الأدبار. وعندئذ ضاقت أمام غياث الدين الأرض بما رحبت ولم يعلم ماذا يفعل وإلى أين يمضى، واحتتمى فى قرية صغيرة كانت قريبة من قونية، وكانت تسمى أبكرم^(٧٦) عندما سمع أبناء أقسرا أسفوا لهم وطردهوا صاحبهم، ونادوا باسم غياث الدين كيخسرو، واغتاز أبناء قونية من أبناء أقسرا، وأمسكوا _ أيضا _ بنبلائهم وهتفوا قائلين: "يعيش السلطان غياث الدين كيخسرو"، وتوجهوا إليه فى قونية، وأخذ قلسج أرسلان ابن أخيه الطفل وحبسه ومن كانوا معه. وفى وقت قصير كانت كل البلاد قد دانت له، وجاء إليه من الرها قيصر شاه الذى كان قد هرب من

◆ كيخسرو : فى النسخة السريانية مكتوبة (كيخسروب) (ص ١٢٨ عمود ٢ سطر ٣٧) وهذا خطأ. والصحيح هو (كيخسرو) دون حرف "الباء" فى النهاية.

وجه أخيه ركن الدين عندما أخذ ملطية منه، ولم يبق غياث الدين عنده ولكنه أعطاه ذهباً كثيراً وأرسله مرة أخرى إلى الرها. وعندما ذهب السلطان غياث الدين إلى قيصرية جاء إليه الملك الأفضل بن صلاح الدين صاحب سميساط وأيضاً نظام الدين صاحب قلعة زياد وخضعوا لسلطانه؛ فعلا شأنه.

وفي السنة نفسها ذهب نصر الدين محمود بن محمد بن قرا أرسلان صاحب آمد إلى الملك الأشرف بن العادل، وطلب منه أن يذهب معه ويأخذ قلعة زياد كما وعده، وعندما جمع الأشرف قوات سوريا والموصل وسنجار والجزيرة هاجم قلعة زياد وأخذ المدينة، وبدأ في شن هجوم على القلعة، فأرسل صاحب قلعة زياد إلى السلطان غياث الدين وطلب العون، فأرسل له السلطان ستة آلاف فارس مع الملك الأفضل صاحب سميساط، وعندما وصلوا إلى سميساط أسرع الأشرف وصاحب آمد بالانتقال من خرتبرت^(٧٧) وذهبوا وعسكروا عند بحيرة سمين^(٧٨)، التي بها قلعتان: واحدة لصاحب آمد، والأخرى لصاحب قلعة زياد، وشنوا حرباً على صاحب القلعة واستولوا عليها وأنزلوا بها حامية. وعندما جاءت قوات السلطان إلى خرتبرت اتجه صاحب آمد إلى آمد، وتوجهت قوات السلطان إلى بيت الروم.

وفي هذه السنة _ سنة ١٥١٦ يونانية _ خرج الأيبيريون إلى بلدة أنزبيجان^(٧٩)، فارتكبوا جرائم كثيرة وأنزلوا بها خراباً كبيراً، ومن هناك جاءوا إلى بادة خلاط وأحدثوا تخريباً عظيماً، ثم اتجهوا إلى بلدة أرجيش^(٨٠) ونهبوا وأحرقوا، ثم عسكروا عند قلعة بيت خلاط وأرزن الروم. عندئذ ذهب صاحب خلاط إلى ابن قلع أرسلان صاحب أرزن الروم وأخذ منه قوة، وجاءوا وقابلوا الأيبيريون، وقتل في المعركة زخاري الصغير رئيس قوة أيبيرس، وانسحب الأيبيريون وعادوا إلى بلدهم .

وفي العام نفسه في بغداد رزقت سيدة بطفل له رأسان وأربعة أرجل وأربعة أيدي، ولكنه توفي في اليوم نفسه. وأيضاً توجه عربيان ضريران في بغداد ليلاً إلى أحد المساجد فقابلا رجلاً ضريراً آخر وقتلاه لأنهما ظنا أنه قد

يوجد معه دنانير. وعندما بزغ النهار خافا وهربا إلى الموصل، فقابلهما أحد الجنود _ وكان متوجها لأداء إحدى المهام _ وقال بطريقة ساخرة: "هذان الرجلان الضريران قتلا هذا الرجل الضرير فقط لأن الرجل الضرير لا يستطيع قتل آخر إلا إذا كان ضريرا". وعندما سمع أحدهما كلمات الجندي جلس على الأرض وقال: "أقسم بالله أنى لست القاتل، بل القاتل الفعلى هو هذا الرجل" وقال الرجل الآخر: "لا، بل أنت الذى قتلته". فقبض الجندي على الاثنين وأخذهما للصاحب واعترفا بأن أحدهما أمسكه والثانى خنقه بوسادة، وقتل الاثنان.

وفى سنة ٦٠٢ هجرية خرجت جماعة كردية من جبال مديا كانت تسمى: تيراهايا؛ أحدثوا بكثير من المدن تخريبا وتدميرا، وتجمعت قوات من الفرس وقابلوهم فى معركة وقتل منهم الكثير. لم يدخل هؤلاء الجيليون فى دين المسلمين، ولكنهم اعتنقوا الوثنية القديمة والمجوسية التى كانت لديهم، وعندما يقع مسلم فى أيديهم يقتلونه بعد تعذيب أليم، وعندما تولد لأحدهم بنت يقف على باب بيته وينادى: من يتزوجها؟ وإذا أقبل أحد الرجال للزواج منها يتركها لتعيش ولا يقتلها؛ ولهذا السبب فإن النساء قليلات بينهم، وكانت السيدة الواحدة تصبح زوجة لأبناء البيت جميعا، وإذا تزوجها أحدهم يترك علامة على الباب حتى إذا ما رآها رجل آخر لا يدخل حتى يخرج فيدخل. وبالنسبة للأبناء فإن أكبرهم يدعى باسم أبيه.

وفى سنة ٦٠٣ هجرية جاء الأيبيريون مرة أخرى إلى خلاط وسلبوا وأحرقوا وقتلوا وذهبوا. وأخذ غياث الدين كيخسرو أنطاليا[♦]، وهى مدينة على شاطئ البحر فى اليوم الثالث من الشهر الثامن^{♦♦}؛ فإن غياث الدين قد أرسل إليهم قوة منذ عام، ولكن اليونانيين المقيمين بها استتجدوا بفرنجية

♦ أنطاليا : هو بلد كبير من مشاهير بلاد الروم وهو حصن للروم على شاطئ البحر . ولكن يوجد هناك خلاف فقد ذكر فى النسخة السريانية أن هذا البلد هو "إيطاليا". ولكن الترجمة الإنجليزية وضحت وقالت إنها "أنطاليا"، وذلك هو الصحيح بالنسبة للموقع. (الحموى:معجم البلدان ج ١ ص ٢٧٠). كما ورد فى أبى الفداء : المختصر فى أخبار البشر ج ٣ ص ١٠٨ "هى أنطاليا وليست إيطاليا أو أنطاكية".
♦♦ الشهر الثامن:هو الموافق لشهر شعبان فى الشهور العربية.

قبرص القريبة من أنطاليا لمساعدتهم؛ عندئذ أبعده السلطان قواته عن المدينة واتخذوا من الجبال مخابأ لهم، وأخذوا يلقون القبض على كل من يخرج منها، وبذلك ظل الفرنجة مُحاصرين لفترة طويلة، وبعد ذلك أرسلوا إلى السلطان وسلموا له المدينة. واشترك الأتراك واليونان في حرب مع الفرنجة، واسترد السلطان قلعته وأسر الفرنجة الذين كانوا بها، وقبض على خوناس. وفي تلك السنة اشتدت قوة محمد بن بكتمر صاحب خلاط، وانتقم من صهره هزار دينارى الذى كان قد قتل أباه. ونظرا لحدائثة سنة فقد انخرط فى حياة اللهو والمجون فكرهه شعب خلاط، وثار عليه، كذلك، أمير من عبيد شهرمان يدعى: بلبان؛ أعلن العصيان عليه فى منازل كرد^(٨١)، وعندئذ أرسل بعض رجال خلاط إلى ناصر الدين أرتق بن الغازى بن ألبى بن تيمور تاش بن الغازى بن أرتق صاحب ماردين وقالوا له: "هذا ابن خال والدك لأمجال له للعيش بيننا تعال إذن لنسلم لك خلاط". وعندما ذهب صاحب ماردين ومعه قوات من الأتراك والمعديين اتحد أهالى خلاط لمواجهة خطر هؤلاء القوم الجياع، خشية قيامهم بأعمال السلب والنهب واستعدوا للحرب، وأرسل بلبان إلى صاحب ماردين، وقال له: "إن أهل خلاط خائفون من المعديين الذين معك، لذلك أرى أن نرحل من خلاط وسأتولى تدبير أمورك". وعندما استدار ورجع أرسل بلبان مهددا صاحب ماردين طالبا منه الانسحاب وإلا فسيتجه إليه ويحتل أرضه؛ فاستجاب لمطلبه نظرا لقلته عدد الذين كانوا معه، ووجد أن بلده قد نهبت من الملك الأشرف. دخل الأشرف دنيسر^(٨٢) وجمع منها ثروة عظيمة، وتركها وذهب إلى حران. عندئذ جمع بلبان قوة وجاء إلى خلاط ولم يتمكن من الاستيلاء عليها بالقوة ولكنه عندما أغدق الخيرات على شعب خلاط أقسم لهم أنه لن يمس أى فرد منهم بسوء ولو كان صغيرا، فصدقوا قوله وخدعوا به، فدخل وحبس ابن بكتمر فى إحدى القلاع فأصبح أكثر قوة. وكان الملك الأوحده نجم الدين أيوب بن العادل قد استولى من قبل على قلعة موش^(٨٣) ومدينتها، وذهب وعسكر عند خلاط. خرج بلبان وأغلق

المضايق وقتل كثيرين من الذين كانوا، معه وهرب نجم الدين بن العادل مع عدد قليل من الرجال والجرحى إلى ميافرقاط .

وفي هذا العام نفسه أخذ الأبيريون مدينة فارس من مملكة ماط بعد عدة سنوات وذلك، بعد أن أحكموا الحصار حولها ومنعوا المؤن من الوصول إليها .

وفي سنة ٦٠٤ هجرية أرسل الملك الأوحدي إلى والده الملك العادل طالبا العون والمساعدة للاستيلاء على خلاط، فأرسل إليه الملك الأشرف قوة كبيرة وجاء إلى ضواحي خلاط. وخرج بلبان* وتقابل معهم ولكنه عجز عن مواصلة الحرب وفرّ من أمامهم، ودخل خلاط وأرسل رسولا إلى مغيث السدين بن قلع أرسلان صاحب أوزن الروم وطلب مساعدته. وجاء بنفسه وخرج أمامه بلبان، وقابل الاثنين: الملك الأوحدي وأخاه في معركة، فانهزما واضطرا إلى الفرار ثم ذهبوا وعسكرا عند موش. وكانا على وشك الاستيلاء عليها عندما قام قلع أرسلان بخداع بلبان وقتله بحجة أنه هو الذي يحكم خلاطاً. وعندما ذهب إلى خلاط أغلق أهلها الأبواب في وجهه وغادرها ومن معه إلى منازل كرد، ولما يئس من البقاء فيها تركها عائداً إلى موطنه، وأرسل أهل خلاط إلى الملك الأوحدي وأحضره وسلموها له. أما الحكام العرب فلم يرضوا بحكم ابن العادل وإمارته عليهم لخوفهم من والده؛ فشنوا هجمات متتالية على مدينة خلاط وعلى أيبيريا بصفة خاصة، كما تمرد بعض أمراء خلاط على الأوحدي واستولوا على حصن وان^(٨٤)، أكثر قلاع المدينة تحصينا، وحكموا أيضا أرجيش. وبعد اضطرابات كثيرة تمكن الأوحدي من استرداد وان، فأرسل الأشرف في طلب أخيه، وكان يثير الرعب عند أهل خلاط الذين سلموها إلى أحد أفراد بيت العادل، وعندما خرج الأوحدي متوجهاً إلى منازل كرد ذهب رؤساء الخلاطيين وطاردوا رؤساء العصابات الذين يدعون.

♦ بلبان : هو "سيف الدين بلبان" ولكنه كتب في الترجمة الإنجليزية "بلدان" وهذا خطأ . وبلبان هو أحد عبید "شاهرمن" (ابن واصل: مفرج الكروب ص ١٧٥).

منجادا بكبير، وشنوا حربا على القلعة؛ فدخل أبناء جانب الأوحى وطردوهم من المدينة وشنوا حربا على القلعة. وعندما سمع الأوحى بذلك جاء وعسكر عند خلاط مع قوات من بين النهريين. ووقع انقسام بين الأهالى تغلب عليه الأوحى، وقتل وأسر الكثيرين منهم وأرسلهم إلى ميافرقاط، وضمعت قوة رؤساء القبائل لأن رغبتهم فى إقامة الحكومات قد تحطمت.

وفى هذا العام نفسه توفى السلطان غياث الدين كيخسرو، وحكم ابنه عز الدين كيكوس، وقبض على أخيه علاء الدين كيقباز وسجنه فى قلعة ماسارا التى تقع تحت دير القديس هارون^(٨٥) للجبل المقدس القريب من مليتين.

وفى هذا العام خرج الفرنجة من طرابلس وعسكروا فى حمص وخربوها، ولم يكن أسد الدين شيركوه بن محمد بن شيركوه الكبير يملك قوة كبيرة لدفعهم. وحجز القبرصيون _أيضا_ سفنا كثيرة للعرب وأسروها، وعندما سمع العادل بذلك خرج من مصر مع قوات كبيرة وتجمع الفرنجة.

وفى هذه السنة _أيضا_ توفى علاء الدين بن قراسنقر صاحب مراغة، وحكم بعده ابنه الأصغر وتوفى هو الآخر بعد قليل. وجاء نصرت الدين أبو بكر بن بهلوان صاحب تبريز وحكم مراغة، وكل الممتلكات ما عدا قلعة رواندان^(٨٦) التى ثار عليها الطواشى مربى الغلام الذى مات.

وفى سنة ٦٠٥ هجرية خرج عدد كبير من شعب الكرج وجاءوا إلى خلاط، وذهبوا إلى مدينة أرجيش وحاصروها ونهبوها وقتلوا شيوخها وأطفالها، وأسروا النساء والأولاد والبنات وهدموها وتركوها خرابا. كان نجم الدين الأوحى فى خلاط، ولم يستطع المشاركة فى القتال لكثرة عددهم، ونظرا لانعدام الثقة عندهم فى أهل خلاط لما كان بينهم من ثأر، فقد ظن أنه إذا خرج فسيثور عليه أهل خلاط ويسلموها إلى الأيبريين.

وفى هذا العام نفسه وقع زلزال عنيف فى نيسابور وخرج كل سكانها إلى السهل، وظلوا هناك أياما كثيرة إلى أن هدأت ثورة الزلزال فعادوا ثانية. وقد شمل الزلزال كذلك منطقة خراسان بدرجة أقل حدة من نيسابور.

وفى سنة ٦٠٦ هجرية كانت هناك صداقة بين الملك العادل وبين نور الدين أرسلان شاه صاحب الموصل. وقد زوج نور الدين ابنته إلى أحد أبناء العادل، واتفقا على أن يتولى العادل حكم سنجان بدلا من قطب الدين^(٨٧) صاحبها. ويتولى نور الدين أمر جزيرة قاردو^(٨٨) بدلا من ابن سنجان شاه صاحبها، واستعد العادل وجاء وأخذ الخابورا ونصيبين التى حكمها صاحب سنجان، فلما سمع نور الدين ذلك أسف وأخذ يهذى، ثم هدا وأخذ يتدبر الأمر. واستقر رأيه على أنه لو أخذ سنجان والجزيرة فإنه لن يعطيه الجزيرة بل أنه سيأخذ منه الموصل أيضا. وعندما تشاور نور الدين مع رؤسائه ألقوا باللوم عليه لإحجامه عن إفصاح القول والاتفاق الذى أبرمه مع العادل، وقالوا له: "لم يعد لك من سبيل سوى المضى فيما اتفقت عليه معه وإلا سيخترع لك سببا ويقف ضدك كالذى يدوس على القسم". وبينما تتصارع الأفكار وبدأ نور الدين فى تجهيز قوة لإرسالها عوناً للعادل _ ذهب إليه ليلا رسول من مظفر الدين كوكبورى^(٨٩) صاحب إربل، ووعد أن يجمع قواته ويحضر إليه ويتحدا، وألا يسمحا بسيطرة العادل على تلك البلاد. وفرح نور الدين فرحا كبيرا وأرسل له مؤكدا على الوفاء بالعهد والالتزام به. وفى هذه الليلة ذهب رسول وأخبر مظفر الدين، فجمع قواته وجاء مسرعا ونصب معسكره خارج الموصل، وبعث برسول إلى الخليفة طالبا توجيه اللوم للعادل لما أبداه من عناد، وبعث برسول إلى الملك الظاهر بن صلاح الدين صاحب حلب وإلى السلطان عز الدين كيكوس فوعده بالمساعدة. وفى الوقت نفسه لم يحارب من كان مع العادل من رجال بضاوة ضد سنجان، وخاصة أسد الدين^(٩٠) صاحب حمص الذى كان يرسل المؤن والأغنام إلى المدينة. وبينما كان صاحب سنجان يستعد لحصار المدينة ازدادت قوته، وجاء رسول الخليفة الناصر إلى العادل ولامه وكان على وفاق تام. وأعلن الخليفة موافقته على أن

تبقى له الخابورا ونصيبين؛ فترك الموصل ومضى إلى سوريا. وفي الوقت نفسه كان مظفر الدين صاحب إربل في الموصل وزوج ابنتيه إلى ولدي نور الدين: عز الدين مسعود وعماد الدين زكي. حينئذ آزر مظفر الدين بكل ما أوتى من قوة لدعم بيت العادل. ولكن صاحب سنجار أرسل ابنه؛ إليه مستعظفا إياه بالبقاء إلى جانبه حتى يترك له سنجار. فكتب مظفر الدين إلى العادل بذلك، وهو على ثقة لأنه كان على يقين أنه لو طلب منه نصف أملاكه لن يرفض طلبه. وعندما لم يهتم العادل بهذا الطلب غضب وانضم إلى نور الدين بعد الخصام الشديد الذي كان بينهما.

وفي هذه السنة توفي فخر الدين الرازي^(٩١) عن ثلاث وستين سنة قمرية، وكان رجلا خيرا ومفكرا كبيرا عند العرب، كما كان له _ لما ألفه من كتب كثيرة _ أثر كبير فيما أصاب العرب من رقي فكري، ولاتزال كتبه حتى اليوم منبعاً فياضاً. وأعتقد أن هذا الرجل يشبه إلى حد كبير أورجين وما أحدثه من تأثير ثقافي في كثير من رجال الكنيسة، الذين كانت أفكارهم ومؤلفاتهم سبباً كبيراً فيما أحرزوه من شهرة وثروة، ثم انقلبوا عليه وعتوه كافرين. وقد حدث هذا بعينه مع فخر الدين الرازي الذي اتهمه العرب بالكفر وعدوه واحداً من أتباع أرسطو.

وفي سنة ٦٠٧ هجرية (١٢١٠ ميلادية) توفي محمد بن حسن رئيس فرقة الإسماعيلية، وقد سلك هذا الرجل مسلك والده (الحسن الصباح) الذي تابع الفلاسفة في كل ما يقولونه، وأحدث انقلاباً في أسس العقيدة العربية الإسلامية. وفي أيامه قتل كثير من الحكام الذين لم يدفعوا ما طلبه من أموال عن طريق أتباعه الذين استخدمهم في قتل ذوى السلطان، وبعد تنفيذهم لما كلفوا به كانوا يقتلون؛ وبذلك كانوا يرضون النزعة الشريرة لصاحبهم ويسلمون أرواحهم للموت، وتوفي بعد أن أمضى ستة وأربعين عاماً في جبروت وقوة، وقد خلفه من بعده ابنه جلال الدين حسين^(٩٢) الذي تظاهر في بداية حكمه باعتناق دين المسلمين، فكان يصوم ويصلي، كما أرسل وأخبر

خليفة بغداد والسلطان محمد خوارزم شاه وحكاما عربا آخرين _ بأنه قد أدار وجهه عن طريق أبيه الشرير واتخذ طريق الإسلام، فصدقوه وفرحوا به وأغدقوا عليه الكثير من الهبات والعطايا.

وفى هذا العام نفسه توفى _ أيضا _ نور الدين أرسلان شاه بن مسعود بن مودود بن زنكى بن آقسنقر^(٩٣) صاحب الموصل، وكان رجلا عادلا قادرا، وكان مهابا من كل أبناء مملكته، وأيضا من الملوك الآخرين المعاصرين له. وعندما اقترب موعد مماته جعل نبلاؤه يقسمون على طاعة الملك القاهر عز الدين مسعود ابنه الأكبر، وكذلك لابنه الأصغر عماد الدين زنكى^(٩٤) وأعطاهما قلعتين، هما: عقر الحميدية وشوش^(٩٥) وممتلكاتهما، كما عين بدر الدين لؤلؤا^(٩٦) نائبا له. وقد كان رجلا عركته الأحداث والتجارب وصهرته الأحداث والخطوب، فكان جديرا بالمملكة. وعندما اشتد مرضه قال له الأطباء: " إنه يجب أن ينزل ويستحم في عين دير القديس زينا * التي على ضفاف دجلة "، فأنزله بدر الدين في مركب إلى الموصل، ولكنه توفى قبل أن يصل، وكان معها مملوكان فقط. وحمله بدر الدين مع هذين الرجلين وأحضره ليلا إلى القصر دون أن يشعر أحد، وعندما بزغ النهار استمر بدر الدين في إدارة العمل كالمعتاد، وبعد تسع ساعات أعلن وفاة الملك. وفي المساء أعد المقبرة في المدفن الذي كان قد بناه لنفسه أمام قصره، وتولى الملك من بعده ابنه الأكبر المعروف بالملك القاهر، وتسلم بدر الدين صولجان إدارة المملكة.

وفى سنة ٦٠٨ هجرية و ٦٠٩ هجرية (١٢١١ ميلادية و ١٢١٢ ميلادية) لم يحدث ما يستحق الذكر.

وفى سنة ٦١٠ هجرية (١٢١٣ ميلادية) توفى موهادب طبيب بغداد الذى عرف باسم: ابن هوبل^(٩٧) فى الموصل، وكان أشهر أطباء عصره، كما

♦ دير القديس زينا : ورد فى (ابن واصل:مفرج الكروب ص ٢٠٢) "أنه نزل ليستحم فى "عين القيارة".

كان تلميذا لأبى البركات^(٩٨) الطبيب اليهودى المشهور فى بغداد. وانتقل هذا الرجل من بغداد إلى الموصل، ومن هناك لأذربيجان ثم إلى خلاط. وقد جمع ثروة كبيرة فى فترة خدمته مع شاهرمن. وعندما أصيب الملك بأحد الأمراض أخذت منه عينة من البول طبقا للتقاليد، فقال له أحد العبيد: "لماذا لا تذوقه أيها الطبيب؟" ولكنه لم يرد عليه. ولما انتهى الطبيب وخرج ناداه وقال له سرا: "هل هناك رجل آخر كالمك مثلا أو أحد رفاقه علمك أن تقول لى أن أدوق البول؟ أو أنك قلت هذا من عندك؟" وأجاب العبد: "لا، ولكن سمعت الناس يقولون: إنه يوجد طعم للبول الذى يعطى معلومات تماما مثل اللون والرائحة والتكوينات". فقال الطبيب: "هو كذلك ولكن ليس فى كل الأمراض، واعلم أنك سببت لى ألما بهذا الكلام، لأنه لو كان الملك قد سمع هذا الكلام لاعتقد أنني لا أؤدى واجبى العلاجى كما يجب". ومنذ ذلك الوقت شعر الطبيب بالإهانة فى نفسه ولم يستطع أن يمكث هناك كثيرا، وأعطى مبلغا كبيرا من المال لهذا العبد وطلب منه ألا يقول مثل ذلك مرة أخرى. فكان يعتذر عن أداء عمله فى بعض الأحيان، ثم صدر أمر وغادر خلاطاً، فتوجه إلى الموصل وأقام بها حتى وافته المنية. وقد أصيب بالعمى فى أيامه الأخيرة. وجاء إليه الكثيرون ليتعلموا منه الطب مباشرة وعمره خمسة وتسعون عاما، وكتب كتابا عظيما فى الطب أسماه "المختار"، ولقد قرأه الكثيرون واستفادوا منه حتى يومنا هذا.

وفى هذه السنة نفسها سنة ٦١٠ هجرية (١٢١٣ ميلادية) تمنى جنكيزخان أن يذهب بنفسه إلى مملكة فارس، وعندما وصل إلى بلاد الترك الأويغور^(٩٩) ذهب كل الأفراد الذين كانوا هناك مع قواتهم إلى خدمته؛ من بيش باليغ، ومن صاحب المسمى إيدى قوت^(١٠٠) وجيشه، ومن الفلاحين ومن المالق^(١٠١)، ومن الأمير سفتاق^(١٠٢) سكنات تيبين وفرسانه... وكثيرين غيرهم. عندئذ أرسل جنكيزخان توشى ابنه الأكبر وخمسين ألف جندى إلى منطقة خوقند^(١٠٣)، وأرسل ابنيه الآخرين: جغاتاى وأوكتاى لاستكشاف مدينة أترار^(١٠٤)، وتوجه بنفسه إلى مدينة بخارى، وأمر الموكلين أترار بالاستماتة

فى القتال، وحينئذ بدأ الحرب بقسوة، وصمدت أمامهم هذه المدينة لمدة خمسة شهور. وكان السلطان محمد قد ترك بها خمسة آلاف[♦] فارس كانوا بقيادة "غاير خان"، وعشرة آلاف فارس آخرين كان رئيسهم قراجا خاص حاجب. وفى إحدى الليالى عندما رأى قراجا أنه ليس لديهم قوة التتار أخذ أنصاره وخرج من بوابة دروازة الصوفى إلى المغول، وحرسوه حتى الصباح وحملوه حتى ابنى الخان. وعندما عرفوا (المغول) منه المعلومات عن المدينة ومحاربتها قالوا له: "بالطريقة نفسها التي خدعت بها سيدك كان لا بد أن نخدعك بها؛ فلسنا فى حاجة إليك"، وأمروا بقتله. فقتل هو والذين كانوا معه .

وفى اليوم نفسه تولى التتار حكم المدينة، وطردوا كل السكان رجالا ونساء، ونهبوا الخزائن. وكان غايرخان مع عشرين ألفاً من رجاله، على أسطح المنازل العالية وفى دروب المدينة وعلى أبراج الحوائط _ قد ثاروا، وساروا على أقدامهم خمسين خمسين إلى التتار ويقتلون ثم يقتلون حتى بقى اثنان فقط مع غاير خان على سطح القصر. وتجمع ضدهم كثير من التتار وتعب الكثير حتى قتلوا الاثنين وبقى هو وحده . ولما كان قد استخدم جميع سهامه استعمل الأطفال وأمهاتهم الحجارة والطوب من الحوائط وحاربوا بها التتار. ولأن الخان أمر أن لا يقتل غاير خان فى الحرب بل يؤسر أسرا _ تعبوا وتصرفوا بحذر حتى أخذوه. وبعد أن رآه جنكيزخان أمر بقتله فى المكان المسمى: كوك سراى، أى: القصر الأخضر.

وفى سنة ٦١١ هجرية (١٢١٤ ميلادية) حكم السلطان عز الدين كيكائوس سينوب^(١٠٥)، الواقعة على شاطئ بحر بنطس، وقتل صاحبها كير ألكس^(١٠٦)

♦ خمسة آلاف : ذكر ابن العبرى فى (تاريخ مختصر الدول ص) ٢٣ خمسة آلاف بينما ذكر المترجم الانجليزى

وفى سنة ٦١٢ هجرية (سنة ١٢١٥ ميلادية) استرد أنطاليا* من الروم مرة ثانية .

وفى سنة ٦١٣ هجرية (سن ١٢١٦ ميلادية) توفى الملك الظاهر غازى ابن صلاح الدين يوسف بن أيوب صاحب حلب، وأمر أن يقوم بدلا منه ابنه الأصغر الملك العزيز محمد الذى كان لا يتجاوز عمره سنتين وبضعة أشهر. وكان له _أيضا_ ابنٌ ثانٍ أكبر منه. ولكن لأن والدته الطفل الصغير كانت بنت الملك العادل لذلك عينه ملكا حتى لا يعامله أخوه بقسوة. أما الظاهر فقد عين شهاب الدين طغرل الطواشى الطيب ليكون نائبا وأتابكا لابنه الأصغر. وعاش أبناء حلب تحت حكم ابنه الأصغر فى سعادة تامة. وكل الأشياء التى أخذها أبوه الظاهر غصبا فى أثناء حياته أرجعها لأصحابها بعد مماته.

وفى سنة ١٥٢١ يونانية (١٢١٧ ميلادية - ٦١٤ هجرية) أرسل بابا^(١٠٧) الروم إلى جميع ملوك الفرنجة وأمرهم بتنفيذ أمر الله، وهو أن يجمعوا قواتهم ويخرجوا ويحرروا أورشليم المدينة المقدسة من أيدي العرب*. وتجمع كثير من الشعوب وخرجوا إلى عكا. وعندما سمع العادل بذلك اتجه مسرعا من مصر إلى أورشليم وخرج الفرنجة من عكا وعسكروا عند البحر فى المكان المسمى: مغارة اللصوص. وكان العادل يتمنى أن يسبقهم ويعسكر هناك. وعندما لم يتمكن من ذلك عسكر عند بيسان واقترب الفرنجة واشتبكوا معا. وحين رأى (العادل) أن قوات الفرنجة تفوقه عتادا وعددا ذهب وعسكر فى ضواحي دمشق حتى يكتمل تجمعهم.

◆ أنطاليا : ذكر ابن واصل فى كتابه (مفرج الكروب ج ٢ ص ٢٣٣) أن السلطان عز الدين كيكافوس استرد إنطاكية من الروم مرة ثانية، ولكن فى النسخة السريانية ذكرت "أنطاليا".

◆ أيدي العرب : لقد وضع ابن واصل فى (مفرج الكروب ص ٢٥٤) أن الملوك الفرنج قرروا أن يحرروا القدس من أيدي المسلمين.

وجاء الفرنجة واستولوا على كل شيء وجدوه من بيسان حتى بانياس، وقتلوا وأسروا، ورجعوا إلى مرج عكا محملين بالأسلاب والغنائم. لقد قيل: إن العادل في أثناء رجوعه من بيسان^(١٠٨) رأى رجلا يسير حاملا أحمالا ثقيلة وجلس لحظة ليستريح فاقترب منه بمفرده وقال له: "لماذا تقتل نفسك أيها العجوز؟ لا تسرع". فأجاب العجوز: "أذهب إلى السلطان وقل له: تمهل. إذا لم يسرع هو نفسه لما كنت قد أسرعت ولم أكن قد خرجت من منزلي". وخرج العادل وتركه وذهب. وفي هذا الوقت توفي برنس بيموند وترك ابنا يدعى: روفين، أنجبت له بنت روفين ملك أرمينيا. ورغم أن المملكة كانت تحت حكمه وسيطرته سيطرة تامة فقد اغتصب عمه الملك لنفسه. عندئذ غضب لاون ملك أرمينيا شقيق روفين الأرمني؛ لأن ابن بنت أخ روفين إفرنجي، وجاء إلى إنطاكية وجعل شعبها يقسم له يمين الولاء. عندئذ استقر له الأمر والحكم فامتأ بالكبرياء وتمنى أن يأخذ لاون الذي جعله ملكا حتى يستطيع أن يملك قليقيا أيضا. وعندما علم الأخوان بالمؤامرة أخبروا لاون وهرب دون أن يلحقه الأذى .

وفي سنة ٦١٥ هجرية (سنة ١٢١٨ ميلادية) أبحر الفرنجة وذهبوا إلى دمياط ونزلوا إلى المنطقة المسماة: جيزة* وكان النيل حائلا بين الفرنجة ودمياط. وبنى العرب برجا عاليا في وسط النيل حتى يستطيع المحاربون الذين به أن يمنعوا الفرنجة من دخول دمياط. وبعد أن شن الفرنجة الحرب على البرج لمدة أربعة أشهر أخذوه وقتلوا من بداخله من الرجال وقطعوا السلاسل التي على النيل. وكان هناك الملك الكامل بن العادل الذي عسكر على الضفة الأخرى من دمياط . وعندما رأى أن الفرنجة كسروا السلاسل التي على النيل أقام جسرا كبيرا بدلا من السلاسل فحرب الفرنجة الجسر

◆ جيزة : والمقصود بالجيزة هنا هو "جيزة دمياط" أي برها الغربي لأن كلمة الجيزة في اللغة هي الناحية . ولقد ورد في (مفرج الكروب ص ٢٥٨) "ونزلوا على بر الجيزة وبينهم وبين نهر دمياط بحر النيل" . أما الترجمة الإنجليزية فقد ورد فيها بدلا من "الجيزة" كلمة "البيزة" ووضعت بين قوسين كلمة "جيزة".

أيضا. وفي هذا المكان أحدث الكامل ثقباً بالكثير من السفن فأغرقها؛ وبذلك لم تستطع السفن الكبيرة الإبحار فوق السفن الغارقة، حينئذ حفر الفرنجة قناة كبيرة وعميقة في الضفة الأخرى فأحدثوا فيضانا على الضفة النهر، واندفعت سيل كبير من النيل من خلاله، وعبرت سفنهم فوق السفن الغارقة واقتربوا من سور دمياط وبدأوا في القتال من النهر. ولأن الكامل وقواته كانوا على مقربة منهم وكل شيء كانوا يطلبونه كان يدخل المدينة عن طريق البر _ فلم يهتم أهل دمياط بالفرنجة. ثم كانت إرادة الرب في أن وصل خبر وفاة العادل في دمشق إلى ابنه الكامل. ولأن الأمير ابن المشطوب وبقيّة أمراء الهكارية الأكراد أرادوا أن ينصبوا الملك الفائز^(١٠٩) شقيق الكامل ملكا على مصر، لذلك جمع الكامل قواته واتجه إلى مصر قاصدا دمياط . وازدادت قوة الفرنجة، واتجهوا إلى البلد وحملوا الكنوز الباقية من خيام العرب وعسكروا عند دمياط وبدأوا في مهاجمتها من البحر ومن البر. وقد كان أهل دمياط ينتظرون مساعدة العرب لهم فلذلك حاربوا بجدارة. واستمر الفرنجة في مهاجمة المدينة لمدة تسعة شهور. وعندما نفذ صبر العرب الذين في الداخل ويئسوا من المساعدة؛ ذلك لأن الكامل لم يستطع التقدم إلى أكثر من مصر خوفا من الخيانة حينئذ استسلموا للفرنجة وسلموا لهم المدينة دون مقاومة. وعندما أخذ الفرنجة دمياط أعلنوا أن من يريد من العرب الخروج بحاجاته فليخرج ومن يريد البقاء فليبق، فلم يخرج الكثيرون. وعندما رأى الكامل شجاعة الفرنجة خاف منهم جدا وأرسل قوات هدمت حائط أورشليم حتى لا يصبح هناك مكان يحتمي به الفرنجة عند أخذها. في هذا الوقت كان روفين الفرنجي صاحب إنطاكية قد ظلم بشدة من عمه البرنس عويرا صاحب طرابلس، فلم يساعده الملك لاون لأنه كان قد حاول أن يعاقبه بالشر بدلا من الخير. فترك إنطاكية وجاء هنرى جوان ملك الفرنجة في دمياط وعاش معه حتى بعد أن توفي الملك لاون .

وفى هذه السنة أصاب العرب رعب شديد، ليس فقط من قبل الفرنجة الآتين من الغرب ولكن أيضاً من التتار الذين ظهروا من الشرق ووصلوا إلى همدان: وأذربيجان وأران^(١١٠)، واقترفوا فى فارس أعمالاً وحشية.

وفى العام نفسه فى اليوم السابع والعشرين من الشهر الثالث* توفى الملك القاهر عز الدين مسعود بن نور الدين صاحب الموصل بعد أن حكم سبع سنوات وتسعة أشهر. ولقد عاش فى حالة خوف مستمر من الموت. وكان دائماً يحاول أن يسعد نفسه كما لو كان يخطف الأشياء التي تسعده من يد الموت. وحكم بدلاً منه ابنه الأكبر نور الدين أرسلان شاه، وكان صبياً عمره عشر سنوات**، وكان قد سمي على اسم جده. وعندما توفى الملك القاهر عين بدر الدين لؤلؤ نائبا لابنه مثلما كان نائبا له نفسه. وتصرف بدر الدين بنبل وأرسل إلى الخليفة الناصر وأصدر أمرا بتولي الشاب الملك. كما أرسل إلى ملوك البلاد الأخرى بذلك وساد السلام. وأخذ مملكة الموصل دون مشاكل رغم وجود من يسعون خلف الملك الشاب ويطمعون فى الحكم، مثل عماد الدين عمه صاحب العقير^(١١١) وأعمام أبيه، إلا أن بدر الدين منعهم جميعا بإرادته، وأكثر من عطفه على النبلاء ورؤساء المدينة والمنطقة وأحبوه كلهم. وأرسل عم الشاب عماد الدين صاحب العقير إلى مظفر الدين كوكبرى ابن زين الدين صاحب إربل وقال له: "إن بدر الدين أراد أن يوقع بيننا ويأخذ المملكة لنفسه". حينئذ ساعد مظفر الدين صاحب العقير وذهب

◆ الشهر الثالث: هو شهر ربيع الأول فى الشهور العربية.

◆◆ عشر سنوات: لقد ورد فى النص السريانى أن "نور الدين أرسلان شاه" عندما تولى الحكم كان صبياً يبلغ من العمر "عشرين عاماً" (ص ١٣٢ عامود ١ سطر ١٢) فإن عادة الصبى لا يكون عمره عشرين عاماً ولكن، الصحيح هو ما ورد فى الترجمة الإنجليزية أنه كان عمره "عشر سنين". (and his son NUR AD DIN ARSLAN SHAH his eldest son reigned in his stead he was a boy ten years old or a youth aged twenty years p. 371) ولكن من الواضح أيضاً أن "BUDGE" المترجم لم يكن متأكداً تماماً من كلامه حيث إنه وضع هو الآخر "عشرين عاماً" بين قوسين.

وأخذ قلعة العمادية^(١١٢). وجمع بدر الدين القوات وذهب إلى العمادية ليشن حرباً عليها وليأسر عماد الدين.

ولأن موسم الشتاء كان قد بدأ وهبط الثلج الكثيف فوق الجبال فقد غادر بدر الدين ورجع إلى الموصل، وازدادت قوة عماد الدين وأرسل إلى بقية قلاع الهكارية^(١١٣) والزوزان^(١١٤) وحكمها . وفي السنة نفسها أراد السلطان عز الدين كيكافوس صاحب بلاد الروم أن يحكم حلب لأنه رأى أنه ينقصها صاحب، وأنّ الذي يحكمها طفل رضيع. وقد أشار عليه نبلاؤه أن قتل هذا الطفل يمكن أن يتم بسهولة إذا أخذت معك الملك الأفضل بن صلاح الدين صاحب سميساط، وتدعى الغيرة عليه لأن إخوته ظلموه، وأنك ستعيد له ملك أبيه لأنه الابن الأكبر لصلاح الدين. وأرسل السلطان عز الدين إلى الملك الأفضل وأحضره من سميساط، وأعطى له ذهباً وملابساً وجياداً كثيرة وسلاحاً، وجعله مستعداً للذهاب معه إلى سوريا على شرط أن تكون حلب ملكاً للملك الأفضل وكل بلد يأخذونه من حوزة الملك الأشرف، وما بين النهرين يكون للسلطان عز الدين. فجمع القوات وذهب أولاً إلى عين تباب وأخذها وتسلمها الملك الأفضل، ومن هناك إلى تل باشرو وأخذها كذلك، وحاصرها السلطان عز الدين ولم يعطها للملك الأفضل. وغضب الأفضل وندم الذين استسلموا. ومنذ ذلك الوقت أخفى الأفضل الخيانة في قلبه وبدأ في منع عز الدين من الذهاب إلى حلب، وقال: " لنذهب أولاً لأخذ منبج وأماكن أخرى وبعد ذلك نستطيع أخذ حلب التي ستبقى كالحمامة المنتوفة الريش". وعندما ذهباً إلى منبج أرسل شهاب الدين^(١١٥) الطواشي إلى الملك الأشرف للمجىء لمساعدة الطفل الصغير ♦ ابن أخته، وغضب الأشرف وجاء وقابل جنود بلاد الروم في منبج، وهزم الرومان في بداية اللقاء. ولم يكمل السلطان عز الدين الحرب ولكنه ترك منبج وعاد إلى بلده وذهب الأشرف إلى عين تباب وأخذها، وكذلك تل باشرو وأعطاهما مرة أخرى إلى صاحب حلب. أما

♦ الطفل الصغير : هو الملك العزيز.

هؤلاء الذين سلموا تل باشر للأشرف وذهبوا إلى بلادهم فقد أخذهم السلطان عز الدين وأحرقهم في أحد المنازل دون رحمة.

وفي السنة نفسها عندما احتل الفرنجة - كما أشرنا - دمياط توفي الملك العادل في اليوم السابع من الشهر السادس * من عام ٦١٥ هجرية (١٢١٨ ميلادية) عن خمسة وسبعين عاما في المكان المسمى: عالقين^(١١٦)، وحمل إلى دمشق ودفن في مقبرة كان قد بناها لنفسه . كان رجلا ذكيا جدا يخفى غضبه وبعد فترة ينتقم. وقد ترك الأبناء الآتين^(١١٧) الملك الكامل ناصر الدين * أبو المعالي صاحب مصر، والملك المعظم مظفر الدين عيسى صاحب دمشق وأورشليم ، والملك الأشرف شرف الدين موسى^(١١٨) صاحب الرها وحران وخلاط ، والملك المظفر شهاب الدين غازي صاحب ميفارقين ، والملك الحافظ^(١١٩) صاحب قلعة جابر، والملك العزيز عثمان^(١٢٠) صاحب بانياس، والملك الصالح إسماعيل^(١٢١) صاحب بصرى، والملك الفائز يعقوب ، والملك الأمجد^(١٢٢) عباس، والملك الأفضل * * * قطب الدين، والملك القاهر * * * تاج الدين إسحاق.

♦ الشهر السادس: هو شهر جمادى الآخرة .

♦ ناصر الدين : في النسخة السريانية كتب اسم "ناصر الدين" (نار الدين) (ص ١٣٣ عامود ١ سطر ٢٦) .

♦ ♦ ♦ المفضل قطب الدين : لقد ورد في النسخة السريانية أنه "الملك الأفضل"

(ص ١٣٣ عامود ١ سطر ٣٧) وكذلك الترجمة الانجليزية (MALIK AFDAL).

♦ ♦ ♦ الملك القاهر : في النسخة الإنجليزية ترجم "الملك الطاهر" (the young man

NUR-AD-DIN the son of MALIK TAHIR p.374) وهو غير صحيح لأن الطفل "نور

الدين" هو ابن الملك عز الدين مسعود، "الملقب بالقاهر. لما توفي نور الدين أرسلان شاه بن مسعود

صاحب الموصل في أواخر زجب سنة ٦٠٧ هجرية - استقر في الملك بالموصل بعده ولده "الملك القاهر

عز الدين مسعود بن أرسلان شاه بن مودود بن زنكي بن آقسنقر، وهو آخر ملوك البيت الأتابكي

بالموصل. وقام بتدبير ملكه بدر الدين لؤلؤ مملوك والده وتوفي في سنة ٦١٥ هجرية. وكانت مدة ملكه

سبع سنوات وتسعة أشهر (مفرج الكروب ص ٢٦١).

وفى السنة نفسها عندما رأى بدر الدين أن مظفر الدين صاحب إربل اتفق مع عماد الدين زنكي صاحب عقر على تخريب بلاد الموصل، وأن يصبح صاحب القلاع وأن أى تدخل لن يفيد معهما، وأنه لو حاول مقاومتها بنفسه فلن يمكنه ذلك _ طلب النجدة من الملك الأشرف صاحب بين النهرين وخلاط. ووعد أن يكون فى خدمته كأحد نبلائه. وفرح الأشرف بذلك وأرسل قوة إلى نصيبين لتكون تحت تصرف بدر الدين.

وفى سنة ٦١٦ هجرية (١٢١٩ ميلادية) نزل عماد الدين زنكى من قلعة العمادية إلى قلعة العقر حتى يستطيع حكم بلاد الوادى، فقد كان صاحباً لتلك المناطق قبل ذلك. وعندما سمع بدر الدين أرسل قوة لتحمى البلدة. عندئذ اجتمع هؤلاء القواد معاً وقرروا هزيمة عماد الدين زنكى فى العقر دون علم بدر الدين وساروا طوال الليل. وعندما بزغ صباح يوم السبت فى نهاية أول محرم من السنة الهجرية تقابلوا فى معركة تحت قلعة العقر. وهزم زنكى هزيمة نكراء، وهرب إلى إربل حيث مظفر الدين، وعاد رجال الموصل إلى أماكنهم. عندئذ جاء رسل من قبل الخليفة ناصر ومن الملك الأشرف وعاد الوفاق بينهما. وفى الأيام التى استمر فيها الصلح توفى الغلام الصغير نور الدين ابن الملك القاهر صاحب الموصل، ولم يره أحد ركباً جواده لمدة عشرة أيام وذلك بسبب مرضه. عندئذ أخذ بدر الدين أخاه وهو غلام لم يتجاوز السنة الثالثة من عمره، يدعى: ناصر الدين محمود^(١٢٣) وأجلسه مكان أخيه وجعل النبلاء يقسمون للغلام وأجلسه على جواده وأظهره للناس. وفرحت قلوب الجماهير لأنهم رأوا أن لهم ملكاً من الأتابكة لشدة حبهم لهذه المملكة. وعندما توفى نور الدين ظهر الغلام الصغير مكانه وتشاجر مظفر الدين وزنكى مرة أخرى مع رجال الموصل وبدأوا فى الإغارة على البلد. ولأن بدر الدين كان قد أرسل أغلب قوات الموصل إلى حلب إلى الملك الأشرف الذى تمنى أن يغزو ويخرب مدينة الفرنجة أرسل إلى أيبك أحد قواد الأشرف ليأتى إلى نصيبين. وعندما جاء رأى بدر الدين أن الذين جاءوا مع أيبك من عبيد الأشرف كانوا أكثر عدداً من الذين أرسلهم الأشرف إليه. ولكن أيبك

بدأ يعظم نفسه وأجبر بدر الدين أن يعبروا دجلة ويذهبوا وينهبوا بلدة إربل. وعندما سمع مظفر الدين بذلك جمع قواته وعبر الزاب^(١٢٤). وذهب بدر الدين وأبيك وعسكرًا على الجانبين الواحد قبل الآخر. وعندما انتصف الليل قام أبيك وذهب ليسحق قوة إربل، ولكن بدر الدين نصحه بعدم الذهاب حتى مطلع النهار، ولكنه لم يقبل وامتطى جواده وركب جماعته جيادهم فاضطر بدر الدين إلى أن يذهب معهم. وذهبوا وقابلوا مظفر الدين وهرب عز الدين أبيك عند الأشرف إلى الجانب الأيسر لصاحب إربل. ولقد هزم الجانب الأيمن لصاحب إربل الجانب الأيسر لبدر الدين. وبقي بدر الدين مع رجال قليلين في الوسط ولم يستطع أن يتحمل هجوم قلب جيش صاحب إربل. وهرب بدر الدين أمام مظفر الدين، وبخطوات سريعة جاء وعبر دجلة إلى الموصل وطارده مظفر الدين، وعسكر خلف قلعة نينوى وبقي هناك لمدة ثلاثة أيام. وعندما سمع أن بدر الدين يستعد لسحقهم ليلا هرب وذهب إلى إربل. وبمروره بنينوى لم يؤذ أحدا إلا بعض الرجال من شهرزور^(١٢٥) كانوا معه قاموا بخطف عروس حديثة من قرية بيت سحرايا، فثار أهلها وأنقذوا العروس وقتلوا أيضا بعض الأكراد منهم. وعرف مظفر الدين بذلك فغضب بشدة لأنه قد قيل له: "هؤلاء الفلاحون قد فضحوك ويصيحون: يعيش العصى الذهبية بدر الدين". وأرسل قوة إلى المدينة هاجمت هؤلاء القرويين الذين يحتمون في الكنيسة، وقتلت منهم حوالي ثلاثمائة نفس وغادرت القوة المدينة، وبمرورها ببيراطلى قامت بقطع يد شاب بحد السيف. وبعد هذه الحوادث تراسل الاثنان وساد بينهما السلام. وفي السنة نفسها عندما رأى هؤلاء الذين كانوا في قلعة الكواشى^(١٢٦) أن بقية القلاع وقعت تحت سيطرة عماد الدين زنكى أيضا أرسلوا إليه وسلموا له الكواشى، وأخرجوا من هناك هؤلاء الذين كانوا في بيت بدر الدين. وعندما رأى بدر الدين أن مظفر الدين لم يحترم وعده ولم يكف عن حث زنكى على الشجار معه أرسل إلى الملك الأشرف وطلب منه أن يأتي بنفسه ليساعده ويجعل صاحب إربل يكف عنه؛ لأن أعداء الأشرف في ذلك الوقت كانوا كثيرين: السلطان كيكوس من

بيت الروم، مع صاحب آمد وقلعة كيفا، وصاحب ماردين، وثار ضده الأمير ابن المشطوب والأمير عز الدين حامدى ولم يستطع الأشرف أن يحضر لمشاهدة بدر الدين إلا بعد فترة.

وفى الشهر الحادى عشر * سنة ٦١٦ هجرية (١٢١٩ ميلادية) سنة ١٥٣١ يونانية (١٢٢٠ ميلادية) كانون الثانى (يناير) توفى السلطان عز الدين كيكافوس بن كيكافوس بن قلعج أرسلان^(١٢٧) صاحب بيت الروم. فجمع بدر الدين قواته حتى يستطيع أن يذهب مرة أخرى ويشن حربا ضد الأشرف فيما بين النهرين. وعندما وصل إلى ملطية اشتد عليه مرض الصدر وبسببه رجع وتوفى، فأرسل النبلاء واستدعوا علاء الدين كيقباز^(١٢٨) الذى كان سجينا فى قلعة المنشار^(١٢٩) التى توجد أعلى جبل البريق ونصبوه ملكا عليهم. قال البعض: إن السلطان عز الدين نفسه قبل أن يموت أرسل وأخرجه من السجن وجعل النبلاء يقسمون أمامه لأنه لم يكن له ولد يصلح للملكة. ولقد رأى السلطان علاء الدين كيقباز فى بداية ملكه أن أعداءه كثيرون؛ فقد كان اليونان والأرمن يحيطونه، وأيضا عمه صاحب أرزن الروم، فأنشأ صداقة مع الملك الأشرف وأراد أن يزوجه أخته، وبالفعل تم له ذلك بعد ثلاث سنوات.

وفى السنة نفسها، _أى: سنة ٦٦٨ بتقويم الأرمن _ توفى لاون ملك قيليقية، الذى كان رجلا محاربا وشجاعا فى الصيد. وكانت له بنت واحدة تدعى: زابيل. ولقد حصل سيرادان بالى صاحب القلاع الساحلية على موافقة بنت الملك وموافقة المملكة لمدة سنتين تقريبا إلى أن قتله الإسماعيلية^(١٣٠).

وفى سنة ٦١٧ هجرية (١٢٢٠ ميلادية) فى الشهر الأول * ذهب جنكيزخان بنفسه، وعسكر عند مدينة بخارى التى كانت مركزا إسلاميا مهما فى كل بلاد ما وراء نهر الجيخون، وعسكر عند باب القلعة. كما جاءت أقوام

◆ الشهر الحادى عشر: هو شهر ذو القعدة فى الشهور العربية

◆ الشهر الاول: هو شهر محرم

كثيرة من المغول يفوقون الجراد والنمل في العدد، وكذلك جاءت خلفه بعض قواته وعسكروا حول المدينة المنكوبة. وكان به حوالي عشرين ألف فارس. وعندما أبصر القائدان العظيمان سونج خان وكشلي خان هذا العدد الكبير من جنود التتار فقدوا الأمل في كسب الحرب، وعند غروب الشمس خرجا هاربين من المدينة ومعهما جنودهم . وعندما وصلوا إلى ضفتي الجيخون سقطت عليهم دورية الطرق المغولية، وفرقتهم كلهم بحد السيف. وحينما رأى الأهالي أنه ليس هناك من يقف في وجه المغول فتحوا أبواب المدينة وذهبوا لخدمة جنكيزخان، فعطف عليهم ولم يقتل أحدا ولكن دخل المدينة ليراهما. وعندما وصل إلى باب المسجد الكبير سأل عما إذا كان هذا هو مكان صاحب فقال له الشيوخ العرب: "لا إنه بيت الله". ونزل جنكيزخان من فوق جواده ودخل وجلس أمام المحراب، وصعد تولى^(١٣١) ابنه الأصغر درجات المنبر وأمر جنكيزخان قائلاً: "جياى جائعة والسهل خال من الأعشاب". وذهب نبلاء المدينة وفتحوا الأجران ومخازن القمح والشعير، وحملوه على أكتافهم ووضعوه غذاءً للجياى وجلسوا أمامهم يراقبونهم. وأحضروا أيضاً أواني النبيذ وسقوا التتار، كما أحضروا مطربين ومطربات وأخريات يرقصن وكُنَّ في الحقيقة يرقصن بكل قلوبهن . ونادى جنكيزخان على نبلاء المدينة وقال لهم: "إننا لا نريد أن نرى ثروتكم الظاهرة ولكننا نريد أن تحضروا تلك المخبأة في قلب الأرض وتعطوها لنا وستعيشون". حينئذ قالوا: "طلبكم سيلبى". فذهبوا وأحضروا الثروة التي فاقت العدد. وحملوها إليهم.

ولأن الكثير من المحاربين كانوا مختبئين في المدينة فقد أشعلوا بها النيران وأحرقوها بما فيها من خيرات، وهرب الذين في الخارج إلى البلاد الأخرى. سئل بعض الرجال من بخارى كيف كانوا يعاملونه عند مجيئه إلى خراسان؟ فأجاب: "لماذا ترهقوننى بمثل هذه الأسئلة؟ لقد جاء التتار وقتلوا وحفروا وأحرقوا وهدموا وذهبوا. فمن كانت له أذنان للسمع فليسمع".

فى هذه السنة — كما قلنا — تمرد ابن المشطوب على الأشرف، وذهب إلى نصيبين حتى يعبر منها إلى إربل إلى مظفر الدين، وخرج وأشتبك معه صاحب نصيبين وهزم وتشتت الذين كانوا معه. وهرب ابن المشطوب مع قليل من الرجال وعبر إلى بلدة سنجار. وسمع بذلك فاروق شاه بن زكى بن مودود بن زكى فأرسل قوة أخذته واحتفظت به أسيرا. ولأن فاروق شاه صاحب سنجار كان مواليا للأشرف فقد خدعه ابن المشطوب وأقسم له بالإيمان أن يشتركوا معاً فى القتال حتى يخلصوا الموصل من أيدي بدر الدين وتصبح له. عندئذ أخلى صاحب سنجار سبيل ابن المشطوب وأعطى له قوة من الفرسان، وجاء وخرّب بيت عربايا. وسمع بدر الدين بذلك فأرسل قوات، وهزم ابن المشطوب الذي هرب وذهب إلى قلعة تليعفر لأنها كانت لصاحب سنجار. وعندما سمع بدر الدين خرج بنفسه وذهب باحثاً عن قلعة تليعفر حتى أخذها وأسر ابن المشطوب^(١٣٢)، وأرسله إلى الملك الأشرف فحبسه فى حران ♦ إلى أن توفى. عندئذ أعطى الملك الأشرف حانى وجبل جور لصاحب آمد ووعد أنه سيأخذ أيضاً مدينة دارا ويعطيها له. ولأنه انفصل عن صاحب ماردين فقد ازداد قوة، وجاء إلى دنيسر وحكم كل بلدة ماردين، وحبس صاحب ماردين فى القلعة ومنع عنه الطعام. عندئذ جاء صاحب آمد إلى الأشرف وتوسط بينهما وتم الصلح؛ فأعطى صاحب ماردين رأس العين وثلاثين ألف دينار للأشرف ومؤنا من بلدة شبختان لصاحب آمد. وانتقل الأشرف إلى نصيبين وخاف منه صاحب سنجار، وبينما هما فى الطريق أرسل إليه رسولا وسلم سنجار للأشرف، وأخذ بدلا منها الرقعة، وخرج وذهب مع إخوانه وأبناء بيته وجميع ممتلكاته. وعندما أخذ الأشرف سنجار دفع أمامه قوات إلى الموصل حتى يستطيع أن يأتى ويمر إلى إربل.

♦ حبسه فى حران : قيل أن الملك الأشرف قد قيد ابن المشطوب ووضع فى حب بمدينة حران حتى مات سنة

٦١٩ هجرية. (أبو الفداء: المختصر فى أخبار البشر ج ٣ ص ١٢٥).

واعتاد أن يحضر كل يوم عددا كبيرا من الفرسان، ثم يحضر بعدهم جميعا إلى الموصل .

وفى اليوم الثالث من الشهر الخامس ♦ من هذه السنة وصل إليه رسل الخليفة وصاحب إربل، واعدوا أن يسلموا بدر الدين جميع القلاع التي كان زكى قد أخذها وأن يسود السلام. ولكن الأشرف لم يقبل وانتقل من الموصل وعبر دجلة، وذهب وعسكر عند السلامية^(١٣٣)، قرية بجوار نهر الزاب. وحدث أن مظفر الدين كان قد عسكر على جانب شط الزاب؛ لأن ناصر الدين صاحب آمد كان أيضا مع الأشرف، وكان يحمل حبا خفيا لمظفر الدين. وكان ينصح الملك الأشرف أن يعلن السلام ويرجع بشرف، وقال له أيضا: "إذا انتصرت فستغضب الخليفة وسيذمك كل العرب، وإذا هزمت فستحصل أنت ومن معك على سمعة قبيحة إلى الأبد". واقتنع الأشرف ووافق على السلام. وأخذ الأشرف صاحب عقار رهينة لعماد الدين زكى حتى يسلمه القلاع التي كان قد أخذها ورجع وذهب إلى سنجار. وذهب البعض ليأخذوا منه القلاع ويعيدوه إلى أنصار بدر الدين، باستثناء قلعة واحدة كانت على حدود الهكارية لم يتمكنوا من أخذها لأن الباقين منهم ثاروا ورفضوا تسليمها. رمى مظفر الدين زكى بنفسه على شهاب الدين غازى شقيق الأشرف. واقتنع الأشرف بالوقوف في جانبه وتركه بدون تسليم القلاع، وتضايق بدر الدين ولكنه لم يستطع مقاومة رغبة الأشرف. وفى هذا الوقت علم بدر الدين سرا أن الأشرف ينوى أخذ تليعفر منه لأنها كانت منذ القدم لسنجار؛ لذلك أرسل وسلم له تليعفر. وكانت سنجار وتليعفر للأشرف. عندئذ حكم الأشرف جميع قلاع الهكارية والزوزانا وبدأ فى إساءة معاملة من بداخلهما. وأتقل عليهم بهدايا إجبارية. وحينئذ أسف الذين شاهدوا ذلك وأرادوا تسليمها لبدر الدين ولكنهم خشوا المعارضة التي أظهروها. فسمع

♦ اليوم الثالث من الشهر الخامس: أى يوم الثلاثاء من شهر جمادى الأولى

بدر الدين بذلك وأرسل غيره بالأقسام والعهود بعدم الإساءة إليهم، بل على العكس سيعاملهم معاملة حسنة وسيعتبر إساءتهم ذات فائدة لأنها حررتهم من الأشرف، ووافق أصحاب قلعة العمادية على أن يسلموها. ولأنه لم يستطع أن يأخذ شيئاً دون أمره أو إذنه أرسل إلى الأشرف وطلب أمراً، ولكن الأشرف رفض طلبه حتى يعطيه بدر الدين قلعة الحدث^(١٣٤) التي على جانب نصيبين وفي طريق ما بين النهريين. وبعد ذلك أخذ بدر الدين العمادية وكافأ الذين سلموها له بمكافأة كبيرة أكثر مما وعدهم. ولما سمع ذلك أبناء القلاع الأخرى سلموا قلاعهم أيضاً. وكان أمراً مثيراً أن حشوداً من القوات تجمعت من سوريا وما بين النهريين وأرمينيا وأماكن أخرى، ولكنه لم يتمكن من أخذ تلك القلاع. أما بدر الدين فبفضل ذكائه فقط تمكن من حكمهم؛ لأنه من الأجدد الإيمان بالله عن الإيمان بالحكم.

وفي هذه السنة مات الملك المنصور^(١٣٥) ناصر الدين محمد بن الملك المظفر تقي الدين عمر بن شاهنشاه بن أيوب صاحب حماة عن خمسين عاماً، وأمر ابنه الأكبر - الذي كان في مصر عند عمه الملك الكامل ويُدعى: الملك مظفر تقي الدين - أن يحكم بدلاً منه. فاستدعى النبلاء ابناً آخر من دمشق يدعى: الملك الناصر قلع أرسلان^(١٣٦)، وسلموا له حماة.

وفي سنة ٦١٨ هجرية ذهب الملك المعظم صاحب دمشق، والملك الأشرف صاحب ماردين، وقوة من حلب، والملك الناصر صاحب حماة، والملك مجاهد صاحب حمص لمساعدة الملك الكامل، فذهبوا جميعاً وعسكروا عند دمياط، وأرهبوا سكان المدينة وقطعوا الطرق على الفرنجة. وخاف الفرنجة ووافقوا على أن يحاصروا دمياط مع كل الأسرى العرب في عكا، وسمح لهم العرب بالخروج والذهاب إلى بلادهم بسلام. وأخذ الكامل بعض الفرنجة معه رهائن حتى يتم استرداد دمياط والأسرى، واتفق على السلام لمدة ثمانية أعوام بين العرب وبين لجاد حليف بابا روما؛ لأنه كان على رأس قوات الفرنجة، ومع جوان صاحب عكا، وأخذ العرب دمياط مرة

أخرى. وذهب جهد الفرنجة هباء لأنه قبل أن تأتي المساعدة للملك الكامل كان قد أرسل للفرنجة وأجرى معهم اتصالات بشأن السلام، وعرض أن يعطى لهم أورشليم وعسقلان^(١٣٧) وطبرية وصيدا وجبلة واللاذقية فقط بعد ترك دمياط ورحيلهم عن مصر وكل أقاليمها. ولكن الفرنجة رفضوا وطلبوا قلعة الكرك* وثلاثمائة ألف دينار تعويضا عن هدم أسوار أورشليم التي خربها الكامل.

وبسبب هذا أثقل على الكامل فأرسل طالبا مساعدة إخوته وأبناء دينه وأخذوها منه دون مقابل. وخسر نصف محصول حمص الذي تعود على أخذه من العرب. وفقد الإسبتارية^(١٣٨) الجزية التي كانوا يأخذونها من بارين^(١٣٩). ولقد ظلت دمياط مع الفرنجة في هذه المرة سنة وعشرة شهور وأربعة وعشرين يوما. وفي هذا الوقت ألقى الإسماعيليون بأنفسهم فوق سيرادان صاحب مملكة أرمينيا، في الطريق الضيق الذي يؤدي إلى كنيسة القديس برصوم في مدينة سيس وقتلوه، وحكم بدلا منه بالي بارون القسطنطينية ابن البارون باسيل* خال الملك لاون. وعندما سمع روفين أن الملك لاون قد توفي لفوره وأن الحاكم سيرادان قد قتل أيضا أخذ ابنة الملك روفين الكبير، وأبحروا وخرجوا إلى ميناء قلعة كورسيكا حتى يستطيع أن يملك قيليقية، حينئذ لم يعط صاحب هذه القلعة المسمى: البارون بهرام.

♦ الكرك: لقد ورد في النص السرياني أن الفرنجة طلبوا الكرك فقط (ص ١٣٥ عامود ١ سطر ١٩) وكذلك الترجمة الإنجليزية "الكرك" فقط (they demanded also the fortress KARAK p. 379) ولكن ورد في (المختصر في أخبار البشر ج ٣ ص ١٢٩) "لقد طلب الفرنجة الكرك والشوبك". والكرك اسم لقلعة حصينة جدا في طرف الشام من نواحي البلقاء في جبالها (النجوم الزاهرة ج ٦ ص ١٤).

♦ ♦ باسيل: في النسخة السريانية كُتب الاسم خطأ. فهو مكتوب (باسج) (ص ١٣٥ عامود ١ سطر ٢٥) بدلا من (باسل). أما في الترجمة الإنجليزية فقد ترجم BUDGE الاسم صحيحا (BARON BASIL p.380). ويبدو من هذا أنه ربما قد كان على دراية كافية بمجده الشخصية، بحيث إنه لم يقع في الخطأ.

طريقا للعبور لحكام شكاد، بل هده إذا لم يزوجه بأمه فسيمسكه ويقتله. حينئذ اضطرب وحاول إقناع أمه بهذا الموضوع. فلما سمعت ذلك انزعجت وعلا صوتها بالشتائم والسباب لبهرام. وأوضح لها الرجال والنساء الأحرار أن من مصلحة ابنها أن تهب نفسها حتى ولو كان للنار. وتحت الضغط وافقت وهي تصرخ في الوقت نفسه: هذه معاشره إجبارية، وليس زواجا قانونيا. وعندما تزوجها بهرام زاد في تكريمها وكرس نفسه لخدمتها وخدمة ابنها وعسكر عند طرسوس^(١٤٠) وأخذها، ومن هناك ذهب إلى أذنة^(١٤١) واستولى عليها، أيضا، وذهب إلى المصيصة^(١٤٢). وعندما عسكر بالي بارون القسطنطينية حشد قوة وذهب إليهم وضربهم. وعندما فروا من أمامه طاردهم وأسره في بلدة طرسوس هناك، فأمسكهم وأهلكهم كلهم أمام بهرام وروفين وأمه بنت روفين الكبير. ومنذ ذلك الوقت انتظر بالي أن يتحدث إليه نبلاء أرمينيا، بخصوص أخذ بنت الملك لاون لأحد أبنائه ويصبح ملكا لأنه كان له خمسة أبناء. وعندما لم يحدث ذلك غضب في نفسه ودبر لهم ترتيبا، وأرسلوا وأحضروا فيليب بن البرنس عويرا وأعطوا له زابيل بنت الملك لاون، ونصبه ملكا على قيليقية وحكمهم حوالي سنتين أو أكثر. ولكن حكمه كان فاسدا لأنه كان همه سحق كل نبلاء أرمينيا وتعيين الفرنجة في أماكنهم. وبدأ في إهمال الأرمينيين، وبدلا من تسميتهم: فالح أسماهم: فلاح، ولم يسمح لهم بالأكل على مائدته. وكانوا يأتون إلى بابه عشرات المرات فكان يسمح لهم بصعوبة أن يدخلوا مرة واحدة في حضوره، ولذلك إزداد كره الأرمينيين له. وعندما لم يتحملوا طغيانه اجتمعوا لدى بالي بارون القسطنطينية وهمسوا له أن يدبر خطة ليهربوا منه؛ لأنهم ندموا بشدة على جعله ملكا عليهم. وبعد أن طمأنهم أعد بالي بعض الكشافة ورجال الصيد ودخلوا على فيليب ليلا وهو نائم على سريره وجذبه من فوق صدر الملكة. وبدأت في البكاء وجرحت وجهها بأظافرها وصرخت قائلة: "سيدي.. سيدي." لأنها كانت مشبعة بحبه. ولكنهم لم يستجيبوا لها ولم يستمعوا إلى صوتها وقيده بالأغلال، وأخذوه إلى نل حمدون حيث أمسكوه وأرسلوه إلى مدينة سيس وهناك سجن سنتين. وعندئذ لم يشأ البرنس والده أن يغضب الأرمينيين _ على الرغم من أنه كان

رجلا قويا_ كى لا يؤذوا ابنه فى غضبهم، ولكنه اكتفى ببعث الرسل إليهم طالبا أن يخلوا سبيله ولم يطلب منهم المملكة. ولما تعب من إرسال الرسل جاء بنفسه إلى تل حمدون وأرسل إليهم ليسلموه ابنه؛ حينئذ استجابوا لطلبه وأخذوه وذهبوا إلى قلعة تسمى: عمودا، وأمروا البرنس أن يذهب ويأخذ ابنه. وعندما أراد أن يأخذه قيل له: "على الرغم من أنك ستأخذه فإنه لن يعيش؛" لأنهم سقوه سما ولن يستطيع أن يعيش أكثر من عشرة أيام، وهو ما حدث فعلا، فعاد وهو يسب ويهدد. وبعد عدة أيام توفى فيليب، ولا أحد يعرف أين دفنوه. عندما سمعت الملكة بوفاة فقدت الأمل وتركت قبليقية وذهبت إلى قلعة سلوقيا على شاطئ البحر، وطلبت الحماية من الإخوان أصحاب القلعة فاستجابوا لها بعناية وحرص، وجاءت إليها أمها أيضا من قبرص، إنها من الفرنجة فهي بنت ملك قبرص. عندما أعطوا ابنتها زوجة لفيليب أرادوا أيضا أن يعطوها زوجة لجوفرى صاحب كيفا فى سراوند، الذى هو ابن بارون سنباط شقيق* البارون قسطنطين بالى. وعندما رفضت طردوها من بلدها وذهبت إلى قبرص. وفى هذا الوقت رجعت إلى ابنتها وبقيت الأميرتان معا فى سلوقية حتى أحضرهما بالى بارون القسطنطينية بالقوة.

◆ شقيق: فى الترجمة الانجليزية كان يساور BUDGE بعض الشك فكتب "شقيق" ثم وضع كلمة "ابن" بين

قوسين **who was the son of BARON SUNBAT the brother**

BARON CONSTANTINE PALI (son ?) (ابن (p.381) البارون قسطنطين). ولكن الصحيح

"شقيق" كما ورد فى النص السريان (ص ١٣٦ عامود ٢ سطر ٢١).

استيلاء التتار على سمرقند^(١٤٣)

وفى هذه السنة سنة ٦١٨ هجرية (١٢٢١ ميلادية) بعد أن أخذ التتار مدينة بخارى^(١٤٤)، جاءوا وعسكروا عند سمرقند المدينة الكبيرة التى نشأت بها قرى كثيرة محاطة بحدائق رائعة. وترك السلطان محمد مائة وعشرة آلاف مقاتل لحراستها. وعندما سمع جنكيزخان عن مناعتها بفضل هؤلاء المحاربين ذهب بنفسه لمهاجمتها، وحاصرها المغول وهاجموا الأبراج وقذفوها فاشتعلت الحرائق. وفى اليوم الثانى خرجت القوات التى كانت فى الداخل سيرا على الأقدام أمام التتار. وحاربوا حربا شعواء وقتلوا عددا كبيرا من التتار، وخطفوا آخرين أحياء وأخذوهم إلى المدينة ونكلوا بهم وقتلوهم بطريقة وحشية. ولقد ذعر المواطنون جدا عندما رأوا ذلك وقالوا لبعضهم البعض: إذا لم نأخذ حذرنا من الانتقام سنؤخذ قطعا من التتار. واجتمعوا وبحثوا الأمر وأرسلوا رجالا إلى جنكيزخان ووعدوه أن يفتحوا الأبواب ليلا ويسلموا المدينة. وفرح جنكيزخان بذلك وأعطى عهد ضمان لحياتهم. وعندما حل المساء اجتمع قاضى المدينة وشخص آخر هو شيخ الإسلام وجماهير غفيرة وفتحوا أبواب المدينة ودخلها المغول وهرب محاربو المدينة واختبأوا فى القلعة. وبدأ التتار فى أخذ الأسرى وفى النهب. وأخذوا رجال المدينة ونساءها: مائة مائة إلى خارج المدينة وأجلسوهم فى جماعات ما عدا الخمسين ألف الذين كانوا قد هربوا مع القاضى ومع شيخ الإسلام^(١٤٥) فإنهم لم يخرجوا. وعندما حل الظلام خرج التتار وقتلوا كل الذين كانوا قد هربوا إلى خارج المدينة ولم يتركوا حيا إلا الأبناء والبنات الذين كانوا دون العشرين. حينئذ قام أحد الحكام الموجودين بالقلعة بعمل فائق فى الشجاعة؛ فلقد أخذ حوالى ألف رجل وتخلل قوات التتار وعبر بينهم، وهربوا دون أن يؤذوا أحدا وذهب هذا الصاحب إلى خراسان عند السلطان محمد.

استيلاء التتار على خوارزم^(١٤٦)

أخيرا بعد أن استراح جنكيزخان باستيلائه على سمرقند أرسل ابنيه: جغاتاي وأوكتاي إلى خوارزم. وخوارزم اسم إقليم واسم مدينة كبيرة في إقليم جرجانية^(١٤٧). وقد كانت عادة التتار أن يتقدم الجيش بعض الرجال، فعندما وصلوا إلى بوابة المدينة ظن المواطنون أن هؤلاء الرجال قلة فخرج حشد كبير من الفرسان والمشاة من المدينة ليقابلوا هؤلاء التتار. وعندما وصلوا إلى كرمة أحد الرجال الذي يدعى: كورم، وكانت على بعد ميل من المدينة، انقضت عليهم قوات المغول وقتلوهم جميعا. ولقد هلك حوالي مائة ألف، وجاء التتار منتصرين وجعلوا أنفسهم بسهولة أسياد المدينة وخربوها وقضوا على مَنْ بقي من الأهالي. وكان السلطان محمد* قد غادر البلاد مرة أخرى وذهب إلى بلدة خراسان. وكان هناك دائما يستشير نبلاءه أين السبيل، وكيف نستطيع إنقاذ أنفسنا من أيدي العدو الطاغى؟ فقالوا: "لا أمل في البلاد التي خلف نهر جيحون، أما في خراسان التي في ضواحي القلعة فمن الواجب أن تستعد القوات لمحاربتهم ونتوقع مجيئهم". وقال السلطان: "لم يبق لنا قلب لمحاربتهم وإذا قدموا علينا فلا يوجد أمامنا إلا الفرار من أمامهم إلى الهند". ولكن ابن جلال الدين خوارزم شاه لم يوافق على الفرار، وصمم على الحرب حتى يموتوا في المعركة. ولكن والده عنفه على هذا الرأي، وبدأ يأكل ويشرب مثل شخص ينتظر الموت، ويسعد نفسه بمباهج الدنيا بطريقة من يرغب في إشباع نفسه بملذاتها. وبينما هو في انشغاله ذلك سمع أن التتار عبروا مياه الجيحون، فترك خراسان وهرب إلى همذان وأرسل زوجته وأبناءه الصغار إلى قلعة بالان. وعندما وصل التتار إلى همذان هرب السلطان إلى الجبال المواجهة لماندران، وعندما طاردوه هناك هرب وخرج إلى إحدى جزر هر كند^(١٤٨)، وبقي هناك حتى وصلت الأخبار أن التتار

◆ السلطان محمد: هو علاء الدين محمد بن تكش. (تاريخ مختصر الدول ص ٢٣٣).

حكما القلعة التي تقيم بها عائلته وأخذوا زوجاته وأبناءه وبناته أسرى، وأنهم قتلوا الذكور وأرسلوا الإناث إلى قراقورم. عندئذ أصيب بحزن شديد ومرض بمرض خطير، ورحل عن العالم في الجزيرة وهناك دفنوه. وبعد فترة نقل إلى قلعة تسمى: أردهن^(١٤٩). وعندما سمع جلال الدين بن سلطان محمد بوفاة والده سافر في ليلة واحدة تسعون ألف فارس. وعندما سمع جنكيزخان أن جلال الدين خوارزم شاه أقوى من والده أرسل إليه قوة كبيرة العدد من المغول، وسمع جلال الدين وجاء لمقابلتهم. وعند مقابلته للتتار أمر أتباعه أن يستعدوا، فأخذ كل واحد جواده بيده محتقرين الموت، وقام كثير من المغول بقذف السهام حتى المساء. وهذه الليلة أمضى كل من الفريقين المحاربين طيلة الليل في أماكنهم. وفي اليوم الثاني عندما رأى التتار شجاعة الخوارزميين ♦ أداروا وجوههم للفرار، فطاردتهم الخوارزميون وقتل حوالي خمسمائة من أبطال التتار.

عندما سمع جنكيزخان ذلك وصل كالبرق بقوة كبيرة لا يمكن حصرها، وبمجرد أن رآهم جلال الدين عرف أنه لا يضارعه في القوة؛ ولذلك أدار وجهه ناحية الشرق ليعبر نهر الجيخون وأرسل لتجهيز السفن. وسمع جنكيزخان ذلك فأرسل قوة كبيرة أمامه احتلت طريقه، ولم يبق له أمل آخر إلا القتال حتى آخر نفس. وبدأ القتال بين الجانبين وكسر الجناح الأيمن للخوارزميين كما كسر أيضا الجانب الأيسر للمغول، وبقي جلال الدين خوارزم شاه في النصف مع سبعمائة فارس فقط، وكان يقفز كالذئب من جانب إلى آخر ويقذف بقتلى التتار. وازداد خطر المغول أكثر وأكثر وأحاطوه من كل جانب، فقبض على أحد أمراء خوارزم وكان ابن خال جلال الدين، ولما لم يبق له أمل آخر نزل من فوق جواده وقتل أهل بيته وأولاده وبكى بحزن وأسى ثم تركهم وركب حصانه وقال للفرسان من أتباعه: "الذي

♦ الخوارزميين : لقد ذكر BUDGE في ترجمته الإنجليزية أنهم ليسوا الخوارزميين ولكن "خوارزم شاه"

.THE TATARS saw the hayery of KHAWARAZM SHAH p.384)

يحبني يبقى معي في حياتي وفي مماتي" . امتطى جواده هو وفرقة التتار وبينما هو يسير ألقى بنفسه في الماء. وعندما رأى جنكيزخان ذلك أسرع إلى شاطئ النهر ونظر واندعش، وأراد بعض المغول أن يقذفوا بأنفسهم في المياه ويطاردوه. ولكن ملك الملوك لم يسمح لهم ووضع يده على فمه وقال لأبنائه: "إنه من الضروري أن يعيش مثل هذا الرجل لينجب أبناء". وقال لنبلائه: "إن من كان مثله لا بد أن يدعى رجلا، لأن أعماله تدعو إلى الإعجاب، كما أنه رجل ذو فهم ولا يمكن أن يأتي من نسله رجل خامل". وتمكن جلال الدين من الخروج من المياه بسيفه ورمحه ودرعه وبقي مع ستة من الفرسان الذين استطاعوا أن يعبروا بحد السيف. وبقي هناك على ضفتي نهر جيحون لمدة يومين حتى جمعوا خمسين فارسا آخر واتجهوا إلى الهند، كما لحق به حوالي مائة فارس. وقد أرسلوا شخصا أمامهم للاستطلاع، فذهب وتجلس على البلد وأخبرهم أن هناك حوالي ألفين من قوات الهند في مكان ما. وذهب الخوارزميون ♦ وأسروهم وقتلوهم جميعا، وأخذوا جيادهم وزاد عددهم وأصبحوا نحو خمسمائة فارس. واجتمع من الهند حوالي خمسة آلاف جندي وجاءوا وقابلوهم وانهزم الهنود مرة أخرى. وعندما سمع باقي الخوارزميين والهاربين والمختبئين في أماكن مختلفة جاءوا إليه، وكانوا ما يقرب من ثلاثة آلاف. وعندما رأى ملوك الهند أنه ليس لديهم قوة كالخوارزميين أقاموا صداقة مع خوارزم شاه وأرسلوا له هدايا كثيرة. لكنهم لم يتمكنوا من العيش في تلك البلاد بسبب الحر كما بدأوا يمرضون وسمعوا أيضا أن التتار تركوا خراسان ♦♦ وعبروا الجيحون إلى الشرق _ أخذ جلال الدين كل الذين

♦ الخوارزميون: في النسخة السريانية ذكر أن الذين ذهبوا هم الخوارزميون، وهذا صحيح لأننا نلاحظ أن الأفعال جاءت في صيغة الجمع (ص 137 عامود 1 سطر 19). أما النص الانجليزي: (ذهب خوارزم شاه) (KHAWARAZM SHAH went p. 384).

♦♦ خراسان : لقد ذكر BUDGE في ترجمته أن التتار تركوا خوارزم، لكن هذا ليس صحيحا لأن التتار تركوا خراسان and they heard also that the TATARS had left KHAWARAZM and crossed the GIHON to the EAST) وذلك يطابق ما ورد في المتن السرياني (ص 137 عامود 1 سطر 32) (أبو الفداء: المختصر في أخبار البشر ج 3 ص 128).

كانوا معه وخرجوا من الهند وجاءوا إلى شيراز^(١٥٠) وأرسل إليه أتابك سعد صاحب شيراز أموالا كثيرة وعبيدا وجواري، ومن هناك ذهبوا إلى أصفهان. في سنة ٦٢٠ هجرية (١٢٢٣ ميلادية) أخذ السلطان علاء الدين قلعة حصينة على شاطئ بحر أدريانوس وأطلق عليها اسم: "علايا"^(١٥١).

مقتل أمين الدولة في بغداد

في هذه السنة (٦٢٠ هجرية) في اليوم الثامن والعشرين من الشهر الخامس العربي[♦] في الليلة الخامسة قتل الطبيب المشهور المعروف بخصاله الحميدة: أمين الدولة أبو الكرم سعد بن توما البغدادي^(١٥٢) أحد يعاقبتنا. كان ماهرا في فن العلاج وصادقا في أعماله وكان متفهما متحررا للعقل، يعطى المحتاجين ويجيب على أسئلتهم ويلبي حاجتهم. وكان هذا الرجل محبوبا ومكرما من الخليفة الناصر، ووصل إلى مكانة عالية حتى إن كل إدارة المملكة وأبناءه وبناته وزوجاته كانوا تحت رعايته؛ لأن الخليفة الناصر كان قد ضعف بصره في الأيام الأخيرة ولم يستطع أن يرى ويكتب أسراراً إلى الوزير. وحدث أن سيدة في بغداد تدعى ست نسيم^(١٥٣) كانت تكتب بخط لا يمكن تمييزه عن خط الخليفة فأحضرها الناصر وأوضح لها أسرارها وكل شيء أراد كتابته أمرها أن تكتبه. وعندما وصلت الرسائل إلى الوزير ظن أنها مكتوبة بأصابع الناصر؛ لأنه كان يخفي ضعف بصره عن الوزير. وظل الأمر هكذا لبعض الوقت، فقام أحد الطواشي، ويدعى تاج الدين رشيق، وتصادق مع هذه السيدة فكانوا يكتبون وينقلون كل ما يريدون باسم الخليفة إلى الوزير. وفي أحد الأيام كتب الوزير مؤيد الدين بن قسيمة إلى الخليفة بشأن موضوع ما، فجاء إليه الرد مضطربا وغير منظم. وعندما شك في ذلك

♦ الشهر الخامس العربي: هو شهر جمادى الأولى

أخذه إلى أمين الدولة ♦ المشهور، وسأله سرا عن هذا، وكشف له ضعف
بصر الخليفة وأن هناك امرأة تكتب هذه الرسائل وتقلد خط الخليفة، وأن
الطواشي رشيقيًا كان شريكا معها، وأنهما كانا يكتبان كل ما يريدان بدون علم
الخليفة. ومنذ ذلك الوقت أصبح الوزير مهملا في تنفيذ الأوامر التي تطلب
منه. وظنت المرأة والطواشي أن أمين الدولة قد أذاع سرهما لأنه كان الوحيد
الذي يعرفه دون باقي الذين كانوا يستطيعون مقابلة الوزير؛ لذلك أقنعوا
أخوين كانا معروفين بأنهما ولدى قمر الدين بالقضاء على أمين الدولة. وبقيها
في انتظار الطبيب في إحدى الليالي عند مغادرته لقصر الخليفة ذاهبا إلى
منزله وانقضا عليه وطعناه بخنجرين، وعندما رأهما صرخ قائلا: "امسكوهما
لأنهما كذا.. وكذا.. وكذا..". وسمعه هذان الرجلان الشريران ورجعا مرة
أخرى وقتلاه طعنا، أيضا، الرجل الذي كان يحمل له المصباح. وفي الحال
وقعت المدينة وكذلك قصر الخليفة في حالة رعب، وحمل الرجل القتل ونقل
إلى منزله ودفن هناك. وبعد ستة شهور حملوه إلى دير القديس توما^(١٥٤)
ودفنوه مع آبائه. وقبض على القاتلين المتهمين في الليلة نفسها التي قتل فيها
الطبيب المشهور، وصلبوهما ♦♦ في الموقع نفسه الذي قد قتلاه فيه. ولقد
ترك أبناء مكرمين: شمس الدولة، وفخر الدولة، وتاج الدولة. ووصل
الثلاثة إلى مكانة عظيمة، وكان أعظمهم شأنًا شمس الدولة.

في هذه السنة سنة ٦١٨ هجرية (١٢٢١ ميلادية) توفي جلال الدين
حسن رئيس الإسماعيلية وجاء بعده ابنه علاء الدين محمد ♦♦♦^(٢٢١)، وكان
ابن تسع سنوات. كان هذا الغلام قد نشأ مع صبية صغار من مثل عمره
يقومون برعى الغنم والإبل والجمال. وقد أوكل إدارة شئون ملكه للنساء.

♦ أمين الدولة : في النسخة السريانية هذا الاسم مكتوب بعدة طرق وكلها خطأ (ص ٧ 137 عامود ٢
سطر ٦)/ و(ص ٧ 134 عامود ٢ سطر ١١)/(ص ١٣٨ عامود سطر ١٠).

♦♦ صلبوهما : قبل صلبيهما شقوا بطونهما.

♦♦♦ علاء الدين محمد : هو ابن جلال الدين حسن (النجوم الزاهرة ج ٦ ص ٦٢٢)

وبعد أن حكم لمدة خمس سنوات قام أحد الأطباء الذين كانوا معه ففتح وريدا وسحب منه كمية هائلة من الدم دون أى مرض يستلزم ذلك. ولذلك سيطر عليه السحر الأسود، وبدأ فى تصور تصورات مخيفة. وظن فى نفسه الألوهية. ولأن عقول الخاضعين له كانت مختلة فقد صدقوا كل ما قاله لهم ولم يؤنبه أحد. بل إن كل من سبه أو لعنه كان يموت موتة سيئة شريرة. وبسبب خوف الرجال الحكماء الذين كانوا فى خدمته فإنهم عظموه كما لو كان إلها. وكان علاء الدين يكره دائما التزين فى ملبسه، وكان يرتدى ملابس مصنوعة من الصوف وعمرقوبا زرقاء وكان يعيش دائما مع الغنم. ولقد قيل: إنه فى يوم ما بينما كان يجلس على حافة جبل عال مع رسل من قرى أخرى محيطة إذ بإشارة من حاجبيه قذف خمسون من الرجال الذين كانوا معه بأنفسهم من فوق قمة الجبل وماتوا. وهكذا سيطر الخوف منه على كل ملوك الأرض وانحنوا تحت نير الخراج الذى كانوا يعطونه له، وكانوا يرسلونه مع خيرات بلادهم.

وفى سنة ٦٢١ هجرية (١٢٢٤ ميلادية) توفى فى سميساط الملك الأفضل بن صلاح الدين بن أيوب^(١٥٥) صاحبها. وكان محبا للآداب، شغوفاً بالمنطق، ميالا للشعر. ولكن حركته كانت ضعيفة كما كان ينقصه التفكير الراجح الذى هو من ضروريات الملك؛ لذلك حرم من مملكة أبيه، وبدلا من أن يأخذ المملكة الكبيرة أخذ ضد رغبته جزءا صغيرا.

وفى سنة ٦٢٢ هجرية (١٢٢٥ ميلادية) توفى الخليفة الناصر أبو العباس أحمد^(١٥٦) عن سبعين عاما فى ليلة غروب عيد الفطر. وكان يقظا جدا وحريصا، كما كان يغير مكانه ويخرج ويتجول فى أسواق بغداد. كان همه أن يعرف كل صغيرة وكبيرة من الخيط إلى الإبرة، وكان يظهر نفسه من وقت لآخر فى لباس الأتراك، وأحيانا فى لباس الفرس، وأحيانا فى لباس التجار وبسبب هذا هلك الكثيرون. وعندما كان يشعر بأن أى شخص قد عرفه فإنه كان يرسل ويقتله دون رحمة، فهو رغم هذا لم يكن يخفى نفسه

لأنه اعتاد أن يسير مع رجال مشهورين يشاركونه سره؛ ولهذا السبب كان الرجال يهربون من أمامه عند مروره. أكثر من هذا كان الرجل يخشى أن يتحدث إلى زوجته سرا في منتصف الليل خشية أن يكون في المنزل أو على السطح، أو لأنه سوف يظهر عندهم متسلقا السطح، وعلى حوائط مساكن الرجال. فكان شغوبا لسماع تفاصيل ودقائق الأحداث التي حدثت، ليس فقط في بلاده ولكن، أيضا، في ممالك الملوك الآخرين. لقد قيل: إن خاتون بنت السلطان قلع أرسلان، التي كانت تدعى خلاطية، جاءت إلى بغداد في طريقها للصلاة في مكة، وأنهم أخبروه عن جمالها فأرسل لها سيدات قصره ليخطبوا لها، ولكنها اعتذرت بأن لها زوجًا ولا ترغب في الخطوبة، وغادرت البلاد ذاهبة إلى مكة. ولكن لشدة خوفها منه قررت أن تعود إلى بلدها عن طريق سوريا. وعرف الخليفة الناصر أنها تستعد لذلك فأرسل خلفها جماعة من الفرسان كما لو كانوا ذاهبين للصلاة. وعندما أرادت الذهاب من طريق آخر أحضروها مرة أخرى إلى بغداد بالقوة. وبمجرد أن وصلت بلغها خبر وفاة زوجها. كيف إذن مات؟ الله وحده يعلم!! فأرسل وأحضرها إلى قصره واتخذها زوجة وأحبها كثيرا. وعندما رغبت في أن يكون لها قصر كالذي كان لها في خلاط وحديقة عرف منها التفاصيل، واستدعى الوزير ليلا وأعطاه رسما للقصر والحديقة، وخرج بعدها وجهاز مائتي مهندس وألفى عامل، ووفر الحجارة بمقادير كافية وظلوا طوال اليوم كل واحد في جانب، وأخذوا الأبواب المطبقة التي بنيت من الأبواب الأخرى للقصر، ووضعوها في البوابات الجديدة التي كانت على نفس مقاس الأبواب المغلقة المطبقة، وأيضا نزعوا من الأرض الأشجار التي كانت مزروعة هناك وزرعوها في الحديقة التي حرثوها. وعندما حل الظلام كان كل العمل قد أنجز وبسطت السجاجيد والمفروشات وكل شيء قد جهز وممرت عليه سيدة خلاط. وبعد سنوات ماتت وحزن عليها حزنا شديدا، وأمر بهدم القصر والحديقة وتركهما خرابا. وفي المكان نفسه بنى لها مقبرة يؤمها الرجال المؤمنون في أيامنا هذه، وكانت توزع فيها النذور والصدقات

وبعد الناصر حكم الظاهر^(١٥٧) ابنه لمدة تسعة شهور. كانوا يدعونه في حياة أبيه: وارث الملك. ولقد خاف الناصر أبوه فألغى تعيينه وحبسه وأعلن ابنه الصغير المسمى الأمير علي^(١٥٨) ملكا. ومات الأمير علي في أيام أبيه وترك أطفالا صغارا، وحزن عليه والده حزنا شديدا لا حد له؛ حتى إنه أرسل إلى جميع الملوك وأخبرهم بأن لا يرسل أحد منهم إليه رسولا أو خطاب عزاء. وجلس وحده في بيت مظلم أياما كثيرة، وحزن كل شعب بغداد أيضا. وفي كل عائلة جلست جماعة من النساء وأخذن في النحيب، وخرجن إلى أسواق بغداد مرتديات الخيش ووجوههن مطلية بالسواد مطلقين أصوات حزن ونحيب عالية، واستمر هذا لأيام كثيرة. ولقد صدر أمر أن كل من تريد البكاء فلتبك في بيتها ولا تخرج النساء مرة أخرى. وعندما توفي الخليفة الناصر أحضر النبلاء ابنه الظاهر من سجنه لحبهم له ولطييبته، وأقسموا له وأجلسوه على عرش أبيه. وعند تنصيبه قال: "كيف يستطيع المرء أن يفتح خانا بعد الساعة التاسعة مساء؟ لقد ناهزت الخمسين عاما". وعندما تولى منصبه أظهر العدل والبذخ واليسر، وأعاد الأموال التي كانت قد أخذت إلى أصحابها لأن والده كان بخيلا، ونزع الخوف من الناس وقمع الظالمين، وبنى جسرا آخر في بغداد على دجلة، فأصبح بها جسران وكانت قبل ذلك ولمدة مائتي سنة لا يوجد بها سوى جسر واحد.

وفي هذه السنة خرج الملك المعظم^(١٥٩) صاحب دمشق ونهب بلدة حماة، وسمع أخوه الملك الأشرف وأرسل إليه ووبخه على هذا وتشاجر معه. وأرسل إليه شهاب الدين غازي الأخ الآخر، وكان صاحب خلاط وميفارقين وجعله يثور على الأشرف. وخرج الأشرف وذهب إلى خلاط وأخذها من أخيه في معركة دارت بينهما. وعندما أسر أخاه لم يقتله ولكنه ترك له ميفارقين وأرسله إلى هناك. في هذا الوقت أرسل البارون قسطنطين بالي إلى القديس أغناطيوس بطريركنا، إلى القديس قسطنطين كاثوليكي (الأرمن)، وإلى بنت الملك، لاون أن تخرج من سلوقية ليحل السلام ويتمكنوا من إقامة

اتفاق لصالح المجموعة المسيحية، لأنه بسبب الانقسام كان السلطان علاء الدين سيد بيت الروم صاحباً لكثير من قلاع سلوقية. وذهب هذان المقدسان وناشداها وطلبا منها الخروج من سلوقية، ولكنها رفضت طلبهما بل وأهانتهما وأسمتهما: أعوان القتلة وسافكي الدم البريء. ولما لم تكن هناك وسيلة للاعتذار لها تركاها وعادا يجران أنيال فشلها. حينئذ ذهب بالي إلى هناك وطلب من القديسين أن يعطوها له بالقوة. فأجابوا: إن منازلنا وقلاعنا ملجأ للمسيحيين ولا يستطيع تسليم ملكة لجأت لحمانا. حينئذ عمل بالي خطة واشترى منهم بالذهب القلعة بكل ما فيها وأخرجهم منها، وأصبح هو السيد والصاحب. فأمسك بذراع الملكة وأخرجها وأحضرها بالقوة إلى طرسوس، وجمع البطارقة والقساوسة والرهبان وتوجوها مع ابنه حاتم. وأعلن هيثوم ملكا على سلوقية في اليوم الأول من أسبوع عيد الفصح، في اليوم الرابع عشر من حزيران (يونيو) سنة ١٥٣٧ يونانية (١٢٢٦ ميلادية) وبقيت الملكة زابيل لمدة عشر سنوات دون أن تسمح للملك حاتم أن يقترب منها، وبعد ذلك تصالحت معه وأنجبت له بنين وبنات.

وفي سنة ٦٢٣ هجرية (١٢٢٦ ميلادية) توفي الخليفة الظاهر في اليوم الرابع عشر من الشهر السابع*. وبعد الظاهر (حكم) ابنه المستنصر^(١٦٠) لمدة سبعة عشر عاما. وقد بدأ حكمه بطريقة متفتحة، فكان يركب ويدخل ويخرج ولا يختفى عن أحد. وأظهر عدالة أوسع من عدالة والده. وبدأ في توزيع الصدقات بسخاء، وجدد كثيرا من المباني. وبنى مدرسة سميت باسمه^(١٦١) ولا يوجد لها نظير في العالم، ورتب فيها أربعة من المدرسين؛ في كل مذهب مدرسا وثلثمائة فقيه. وكان يعطي معلم القانون ما يكفيه يوما بيوم وبنى لهم حماما خاصا لا يسمح بدخوله للغرباء، وعين لهم أيضا طبيبا خاصا كان يعالجهم عند مرضهم.

◆ الشهر السابع : هو الموافق لشهر رجب.

وفاة جنكيزخان

في سنة ٦٢٤ هجرية (سنة ١٢٢٦ ميلادية) عندما عاد جنكيزخان من بلاد خراسان إلى الشرق أعد نفسه للذهاب لغزو بلاد تنكوت التي على حدود الهند. وفي أثناء رحلته أصابه مرض خطير بسبب عفونة الجو. وعندما فقد الأمل في مساعدة الأطباء أرسل ونادي على أبنائه: جغاتاي وأوكتاي، وتولى وكلكان، وجورختاي، وأوردجار، وقال لهم: "إنني على وشك الرحيل، ومن كل الوجوه ومن الطبيعي أن أرى أن أحدا بمفرده لا يستطيع أن يحتفظ بملكي دون أن يهتز. هذا ما أتمناه كما قلت لكم مرات كثيرة: أوكتاي سيجلس على كرسي العرش مكاني لأنني أثق في فهمه وتنظيمه والآن يا أبنائي ما رأيكم؟". عندئذ ركعوا كلهم على ركبهم وقالوا: "والدنا وسيدنا، كلنا عبيدك ونستمع لكل ما تأمر به وتوجهنا". بعد ذلك اشتد مرضه ورحل عن العالم في اليوم الرابع من شهر رمضان في هذا العام*. حينئذ أرسل الحاضرون بعضهم إلى البعض واستدعوا كل الأبناء والأقارب من سهول القفجاق: (١٦٢) "الابن الأكبر توشي"، وأيضا هاردو* وبياتو وسيبان وتنكوت (١٦٣) وبركة وبركجار وبوقاتييمور وأقناس شغاتاي. ومن الجنوب استدعوا أوكتاي الذي أوصى له بالملك. ومن الشرق استدعوا عمهم أوتكين بلكتاي نوين الجتاي نوين وتولى، وبقية الإخوان الصغار الذين كانوا في معسكر جنكيزخان. وبقوا كذلك سنتين على الأقل حتى اكتملت المجموعة، وأجلسوا أوكتاي على كرسي الملك كما هو متبع .

◆ في هذا العام : كانت مدة ملك جنكيزخان خمسا وعشرين سنة. قال "دي كوين" في تاريخه: إنه ملك اثنتين وعشرين سنة، وعاش ستا وستين عاما، وتوفي في الرابع من رمضان سنة ٦٢٤ هجرية. (ابن العبري: تاريخ مختصر الدول ص ٢٤٤).

◆ ◆ هاردو : هو أحد أبناء جنكيزخان ولكنه جاء في المتن السرياني تحت اسم "هررو" (ص ٧ 139 عامود ٢ سطر ٢٤) وهذا خطأ. أما الترجمة الإنجليزية فقد ذكرت الاسم صحيحا وهو "هاردو" (HARDU p.391)، ولكن لعدم التأكد فقد كتب BUDGE اسم آخر بين قوسين وهو "هرو" (HARRU).

وفى هذه السنة توفى الملك المعظم ابن العادل صاحب دمشق وأورشليم. كان هذا الرجل مرعبا ومخيفا، وكان يتصور أنه قادر على حكم وإخضاع كل البلاد، وعين المعديين الذين نهبوا بلاد الآخرين، خاصة بلدة حمص وحماة. وقام بعده الملك الناصر صلاح الدين داود^(١٦٤)، وحمل أعمامه الاثنان: الملك العزيز والملك الصالح السروج أمامه .

وفى سنة ٦٢٥ هجرية (١٢٢٧ ميلادية) خرج الملك الكامل من مصر ليأخذ دمشق من ابن أخيه. وعندما جاء إلى السامرة^(١٦٥) خرج الإمبراطور^(١٦٦) ملك أرمينيا^(١٦٧) الكبير إلى يافا ومنع الكامل من أخذ دمشق، وجاء إليه أخوه الأشرف والملك المجاهد صاحب حمص، وذهبوا وعسكروا* عند تل العجول وأرسلوا رسلا إلى الإمبراطور ليعرفوا سبب مجيئه، وأجاب الإمبراطور أنه قد خرج لحماية بيت الرب أورشليم. وسلم العرب مدينة أورشليم فقط للفرنجة دون البلدان المحيطة وحل السلام. وفى هذه السنة مات حسنون^(١٦٨) الطبيب الرهاوى. وقد دخل هذا الرجل بيت الروم، وعالج سيف الدين أمير أخور واختيار الدين حسن، ومن هناك خرج إلى ديار بكر وعالج أبناء شاهرمن وهزار دينارى الذين جاءوا بعدهم، ثم أبناء العادل الذى حكم هناك، وأخيرا رجع إلى الرها. وعندما سمع أن طغرل الطواشى _ الذى كان صديقه منذ أن عالج اختيار الدين _ قد أصبح راعيا ومستشارا لمملكة حلب ذهب إليه. ولكن الطواشى الذى كان ناقص التقدير لم يكرم وفادته بالدرجة التى يستحقها، وعندما انتبه إلى سوء تصرفه أجاب: "لقد أهملته لأنه مسيحي". وظل حسنون الطبيب فى حلب وتآلم وحزن كثيرا. وعندما أراد أن يعود إلى الرها أصابته حمى شديدة صاحبها مخص ودوستاريا فى الأمعاء ومات فى حلب، ودفن فى دير القديسة بربارا^(١٦٩) التى

◆ عسكروا: كان ذلك فى شهر رمضان

ما زالت قائمة هناك. كان رجلا وسيما مفتول العضلات، وكان عليما بفن الشفاء وتفاصيل الفلسفة. لقد قيل عنه: إنه كان يقرأ باستمرار كتاب اللوكري^(١٧٠)، وكان حديثه ممتعا، ويحفظ قصصا كثيرة عن الملوك القدامى والحكماء ولهؤلاء الذين اعتاد رؤيتهم في أيامه.

وفي زمنه _أيضا_ عرف جبرائيل^(١٧١) الطبيب المشهور في الرها، الذي كتب كتبا كثيرة بالسريانية عن فن الشفاء وعن الفلسفة.

وفي سنة ٦٢٦ هجرية (١٢٢٧ ميلادية) عندما عسكر الملك الكامل وأخوه الأشرف معا في تل العجول^(١٧٢) _اتفقا على أن يأخذا دمشق والبلاد المحيطة من الملك الناصر داود بن المعظم أخيهم، وتصبح مدينة دمشق من مرتفعات بيك للأشرف، ومن بيك حتى غزة للكامل، ويعطى الأشرف إلى الملك الناصر بعض الأماكن في الشرق بدلا من دمشق، ووافقهما الملك الناصر. وعندما ذهب إلى دمشق ليأخذ ثروته ومحتويات منزله ويخرج مرة أخرى ندم ورفض أن يسلم المدينة. وأخذ الأشرف قواته وبعض قوات الكامل _أيضا_ وذهب وعسكر عند دمشق وحاصرها، وعندما لم يتمكن من أخذها أرسل واستدعى الكامل أخاه. وجاء الكامل وشن حربا شعواء على دمشق، وأخذها في أول الشهر الثامن[♦] وسلمها للأشرف، وأعطى الأشرف أخاه الكامل: الرها وحران، والرقعة، وسروج، ورأس العين، ومعونر، وجوملين، بدلا من دمشق. وترك للناصر بن المعظم صاحب دمشق: قلعة الكرك، والبلقاء، وأورشليم، والسامرة. وأرسل الكامل قوات مع الملك المظفر تقي الدين إلى حمص ليأخذها من أخيه الملك الناصر قليج أرسلان.[♦] حينئذ نزل

♦ الشهر الثامن : هو الموافق لشهر شعبان

♦ الناصر قليج أرسلان : كانت مدة ملكه لحماة تسع سنوات .

سرا من القلعة وذهب إلى الكامل ووعدته بكميات من الذهب حتى لا يطرده من حماة. ورفض الكامل وقال الناصر له: "إذا أجبرتني على أخذ حماة مني أقسم لي أن لا تعطيها أخي تقي الدين". وأقسم الكامل وأرسل رجاله ليتسلموا المدينة. فعارض أبناء المدينة والقلعة وقالوا: "لا يحكمنا أحد غير ملكنا" وبدأوا في القتال بشدة. حينئذ أرسل لهم الكامل قائلاً: "ها هو ملككم تقي الدين معكم سلموا له". وفرح المواطنون فرحاً كبيراً وسلموا لتقي الدين ودخل وصعد القلعة. وبعد بضعة أيام سافر إلى حران عند الكامل الذي ذهب لرؤية البلاد التي أعطيت له، وكرمه جداً هو وأخوه. وأعطى له ابنته (زوجة) وألبسوه كل ما كان معهم من ملابس التشريفة، وأرسلوه من جديد إلى حماة. ولقد قال له بعض الوشاة: إن تقي الدين لن ينزل مرة أخرى من قلعة حماة ولن تراه. وعندما ذهب كرمه الكامل كثيراً. وفي السنة نفسها أصبح السلطان علاء الدين صاحباً على مدينتي أرزنجان وكاماخ.

تنصيب الخان على مملكة المغول بعد جنكيز خان والده

في سنة ٦٢٦ هجرية * (١٢٢٨ ميلادية) اجتمع كل أمراء ونبلاء المغول وأكلوا وشربوا لمدة ثلاثة أيام، وبعد ذلك قالوا لأوكتاي: "إن أمر جنكيزخان قد صدر بأن تحكم أنت بدلا منه". وأجابهم بلهجة الواثق المقتدر: "على الرغم من أن والدنا أمر بذلك فإن لي أخا أكبر مني، وأيضا أعمامي فهم أنسب مني لهذا المنصب. وبالإضافة إلى هذا فإن أخانا "تولي" هو أيضا ابن للمعسكر الكبير وقد كان دائما مشغولا في خدمة أبينا، وهو مثقف أكثر مني في القانون، ومتمرس في إدارة شئون المملكة. إذا كان يعجبكم فليجلس على العرش". فصرخوا جميعا: من غير الممكن مخالفة أمر والدنا المبارك، ولسوف يكون ما أمر به. وكشفوا رؤوسهم وألقوا بأحزمتهم فوق أكتافهم، وأخذ جغاتاي يد أوكتاي^(١٧٣) اليمنى وأوتكين يده اليسرى، وأجلساه على العرش ذي الوسائد الأربع، والذي يشير إلى أركان الدنيا الأربعة. وأطلقوا عليه اسم: خان. وقدم تولي الأخ الأصغر الكأس للخان ليشرب منه؛ لأن أوكتاي قد قال أمام الجميع: إن تولي يصلح ملكا. وركع على ركبتيه وأظهر له ولاءه الكبير، وفعل ذلك باقي الإخوة الذين كانوا في الداخل. وضرب النبلاء الذين كانوا خارج الخيام الأرض بركبهم تسع مرات وسجدوا للخان. أما الذين في داخل الخيام فخرجوا منها وانحنوا ثلاث مرات إلى أسفل في اتجاه الشمس تبعا لتقاليدهم. وعندما استقر الخان على العرش فتح الخزائن وفحص ثروات والده، ووزع الهدايا على إخوته وأعمامه، وعلى باقي النبلاء؛ كل على حسب درجته ومنصبه. واختار النبلاء أيضا من بناتهم أربعين فتاة عذراء جميلات كالقمر، وزينوهن بجواهر غالية وسلاسل وحلى مرصعة بالأحجار الثمينة، وقدموهن للخان، وكان السرور يعم الجميع.

◆ سنة ٦٢٠ : جاء هذا التاريخ خطأ، والصحيح هو ٦٢٦ هجرية؛ وذلك وفقا لتسلسل الأحداث والتواريخ. كما أن هذا هو تاريخ تولية ابن جنكيزخان الملك.

بعد ذلك أصدر الخان قانونا ينص على أن جميع القوانين والأوامر التي وضعها جنكيزخان يجب أن تنفذ ومن لا ينفذها يقتل. ولأن جلال الدين خوارزم شاه كان في ذلك الوقت يقفز كالوعل فوق كل بلاد خراسان فقد قام بإرسال الخان جورماغون نوين مع ثلاثين ألف فارس لهذا الجزء، وسنتاي مع قوات كبيرة إلى منطقة القفجاق والبلغار، وعددا آخر كبيرا إلى الهند، وذهب هو بنفسه مع إخوانه وأصدقائه إلى الصين .

وفي سنة ٦٢٧ هجرية (١٢٢٩ ميلادية) أخذ الملك الأشرف بعلبك من صاحبها الملك الأمجد، وذهب إلى دمشق وأقام في قصر أبيه* بعد أن أخذ معه كل شيء وجدته في خزانة بعلبك.

وفي بداية السنة نزل خوارزم شاه جلال الدين منكبرتي^(١٧٤) بن خوارزم شاه محمد إلى خلاط، وشن عليها حربا شعواء. وكان يقيم بها إخوان الملك الأشرف تقي الدين عباس ومجير الدين يعقوب. وقبل ذلك _ منذ خمس سنوات _ أراد جلال الدين خوارزم شاه أن يحكم بلاد سنجار، وجاء إلى دقوقا حيث دمر وأحرق وقتل بحد السيف. ومن هناك ذهب إلى مرج في شهرزور، وأرسل له مظفر الدين صاحب إربل هدايا عديدة وعقد معه صلحا.

وفي هذه السنة جاء إلى خلاط وأقام عليها عشرين منجنيقا في جهة البحيرة، واشتعلت الحرب. وكانت المجاعة قاسية على أهل خلاط؛ حتى إنهم أكلوا لحم الكلاب والحمير، واشتروا ليتر اللحم بواحدة سورية أي ست ليتر بابلوني بدينار مصري. حينئذ جمع السلطان علاء الدين كيقباز عشرين ألف رجل وجاء إلى ملطية، وأرسل عشرة آلاف إلى أرزنجان واحتفظ بعشرة آلاف عنده، ثم أرسل قوة إلى الأشرف وأبلغه أن يذهب بنفسه ويقابل خوارزم شاه عند خلاط، وإذا أراد الله سيسقى جياده من مياه الجيحون في

◆ قصر أبيه : أقام الأمجد بدمشق في قصر أبيه الذي يسمى: "دار السعادة".

فارس. وأرسل أيضا رسولا إلى خوارزم شاه وقال له: "بما أنك سلطان فإنه لا يحق لك أن تعمل عملا غير قانوني"؛ ولذلك حرك الرب جيوش التتار من الشرق ضد أبيك بسبب خيانتته، ونزل بيت أيوب وهو منزل عظيم ومبارك. وبعد ذلك خرج مع ألف فارس راكبين مع الإخوة وأبناء الإخوة وأبناء الأعمام وأبنائهم. لا تظن أنني عدوهم ولكنني صديقهم وأنني شخص يحارب في صفهم لأنه توجد بيننا صلوات، وأيضا عمى كان قريبا لهم. وكان الأجدد بك أن تنشئ صداقة معهم حتى نصبح نحن وهم أعداء لأعدائك.

ولكن خوارزم شاه كان عنيدا وأجاب: إنه من المستحيل ترك خلاط، وشن حربا عليها. بعد ذلك خدعه بعض الرجال من بيت وان، وسلموه المدينة وأصبح رجال خوارزم حكامها. وهرب شقيق الأشرف، ولكن حسام الدين القيمرى^(١٧٥) زوج بنت الأشرف من ناحية أخت الأم وعزالدين أبيك صاحب خلاط اختبأوا في قلعة خلاط، وبعد عدة أيام أخذوا عهدا لحياتهم وسلما القلعة. حينئذ أخذ خوارزم شاه خلاط ولم يحبس شقيق الأشرف، وكانا في خدمته سائرين معه يشتركان معه كل يوم في الرياضة في الملعب. وعندما سمع الأشرف ذلك خاف وقام سريعا، ووصل إلى أبلستين واجتمع عنده بعض القوات. وخرج أيضا السلطان علاء الدين بقواته، واجتمعوا كلهم في آق شهر. وعندما سمع خوارزم شاه ذلك ذهب مع قواته لمقابلتهم وكانوا أربعين ألفا، ووجدوا ما يقرب من أربعة آلاف فارس من بيت الروم متفرقين عن أتباعهم فقتلوهم جميعهم. واقتربوا مرة أخرى وتقابل الجنود في معركة في يوم الجمعة، وكان النصر للملك الأشرف، وأمضوا طيلة الليل يقتلون. ويقتلون، وعندما حل نهار السبت توقفت الحرب وهزم الخوارزميون هزيمة نكراء، وقتل منهم خلق كثير، ولم يستطع أحد إحصاء عددهم إلا الله، وانهم مثلهم وأسر أيضا بعض القواد المشهورين. وقد هرب الكثير منهم إلى طرابيزون وإلى بلاد أيبيريا، وسقط ما يقرب من ألف وخمسمائة من فوق صخرة مرتفعة ليلا وماتوا. وقعت هذه الأحداث في شهر آب (أغسطس) في ١٥٤١ يونانية (١٢٣٠ ميلادية)، (٦٢٨ هجرية) لأن صاحب أرزن الروم -

كان ابن عم السلطان علاء الدين وكان زوج ابنته — قد قام بخيانة السلطان وأنشأ صداقة مع الخوارزميين وذهب إلى الحرب قبلهم، وأسر هو أيضا. وذهب السلطان مع الأشرف إلى أرزن الروم وشنوا عليها حربا شعواء، وأقسم أهالي البلدة للسلطان أنهم لن يقتلوا صاحبهم الذي أسروه ثم سلموا له المدينة. وكانت بها شقيقة صاحب أرزن الروم الذي تمنى السلطان لمدة طويلة أن يتخذها زوجة له، ولم يكن أخوها يسمح له بذلك. ولما تزوجها السلطان فرح بها أكثر من النصر الذي أحرزه. ولكن بعد قليل عندما طلبت من السلطان أن يخلص أخاها من الأسر ثار عليها وقتلها واستدعى أخاها وأغرقه في البحر.

وبعد انكسار الخوارزميين ذهب الأشرف إلى خلاط ليصلح الدمار الذي حل بها ويعيد بناءها. وأرسل معه السلطان ألف فارس وكثيرا من الهدايا ثم عاد إلى بلده. حينئذ أخذ جلال خوارزم شاه أهل بيته وذهب وأقام في مدينة خوى^(١٧٦) في بلدة أنزبجان، وقد أرسل تقي الدين شقيق الأشرف مكبلا بالأغلال هدية للخليفة في بغداد فأطلق الخليفة سراحه وأرسله مكرما إلى الأشرف. فأرسل الأشرف رسولا إلى خوارزم شاه قال له: "إنك جنت وخربت بلادنا وقتلت ونهبت ونحن لم نحدث بك أذى، وإذا كنت تريد أن تنتقم منا بسبب حاجب خرب جزءا من أرضك فانظر لقد قتل في الحرب ولقى جزاء أعماله، ونحن نطلب منك أن تترك المدينة التي أخذتها بالقوة وتتسامح معنا." عندئذ عامله خوارزم شاه باحتقار ولم يبرم معه صلحا، وترك الأشرف وذهب إلى بين النهرين. وكان الكامل في مصر وبقي مجير الدين يعقوب شقيق الأشرف في السجن عند خوارزم شاه .

وفي هذه السنة أرسل الأخوة البؤساء والإسبتاريون وطلبوا من صاحب حماة آلاف الدنانير التي كان يرسلها جزية. وعندما سخر منهم ولم يدفع جمعوا خمسمائة من الفرسان وألفين وسبعمائة من المشاة وجاءوا ليأخذوا بلدة حماة . وخرج تقي الدين وقابلهم في معركة وهزمهم .

وفى سنة ١٥٤٢ يونانية، سنة ٦٢٩ هجرية (١٢٣١ ميلادية) طارد التتار الخوارزميين وهرب خوارزم شاه إلى سوريا، ولحقوا به فى بلدة آمد^(١٧٧) وهزموا القوات التى كانت معه، وهرب هو وحده من التتار[♦] وصعد إلى أحد جبال صوفيا^(١٧٨) وهناك لم يعرفه الأكراد وقتلوه. وقد قال البعض: إن الذى قُتل هو حارس ملابسه وسلاحه، أما هو فقد هرب مرتديا ملابس الحارس الذى قُتل وكانت منسوجة من الصوف، وتجول فى البلاد سرا. حينئذ غزا جماعة من التتار قلعة زياد، وذهبوا حتى الفرات إلى أعلى حدود ملطية وعبروا سهل هنزيط^(١٧٩). أما الأهالى فبسبب خوفهم هربوا إلى الأماكن والمدن والقلاع التى لم تصب ولم يحدث بها خراب كبير. وعاد هؤلاء التتار وحكموا أذربيجان وشهر زور وأخضعوا الأيريين. وسمع مظفر الدين ذلك فخاف وطلب مساعدة من الخليفة، فأرسل إليه جمال الدين قشتمر قوة كبيرة ممن بقى من الخوارزميين، وكانوا حوالى عشرة آلاف كانوا قد لجأوا إلى السلطان علاء الدين صاحب بيت الروم، وأعطيت لهم أماكن لإقامتهم، وظلوا تحت رعايته حتى توفى.

فى هذا الوقت بعد أن ورث تولى خان بن جنكيزخان مملكة المغول أخذ قوة كبيرة وذهب إلى بلاد الصين الخارجية الخطاى. وفى البداية عسكروا عند مدينة "حرجا بنو يقسين"^(١٨٠) على شط نهر قراموران^(١٨١) الكبير، وكان بها عشرة آلاف محارب وشنوا عليها حربا لمدة أربعين يوما. ولقد هرب الذين فى الداخل، وذهب بعض نبلاء المدينة وتسلموا عهدا لحياتهم من الخان، وركب هؤلاء المحاربون السفن وهربوا إلى النهر. وحكم الخان المدينة ولم يتعرض لأحد بالأذى، ومن هناك بدأ التغلغل فى البلاد، حينئذ جمع ملك الخطاى _ الذى يدعى: التون خان الملك الذهبى _ قواته

♦ هرب هو وحده من التتار : لم يكن هو وحده الذى هرب؛ فقد ورد فى كتاب المغول "كان السلطان نفسه ضمن من لاذوا بالفرار فتعقبه خمسة عشر من فرسان المغول وأدركه اثنان منهم فقتلها. أما الفرسان الباقون فقد عادوا من حيث أتوا بعد أن يئسوا من الإلحاق به. (العرينى: المغول ص ٧٢).

وكانت حوالى مائة ألف محارب وأرسلهم لمقابلة التتار. وعندما جاءوا حاصروا التتار محاصرة الخاتم للإصبع؛ لأنهم كانوا محاربين بارعين. وعندما رأى الخان قوتهم لجأ إلى خطة أخرى؛ فأمر السحرة وأهل التعاويذ الذين معه أن يأتوا بحجر المطر، وعندما ألقوا به ومارسوا سحرهم لمدة ثلاثة أيام وليالى بدأت تسقط على الخطاى سيول قوية من الأمطار ورياح شديدة البرودة، وذلك فى أيام تموز (يوليو). عندئذ هاجم التتار الخطاى مهاجمة الذئاب لقطيع الأغنام وهزموهم هزيمة ساحقة، وهرب التون خان إلى مملكته وجمع زوجاته وأطفاله وإخوانه وأهل بيته جميعهم فى قصره، وأمر خدمه فجمعوا كميات هائلة من الأخشاب وأشعلوا فيها النيران فاحترق هو وكل أهله. وجاءت قوات المغول ونهبوا مدينة نامكينك^(١٨٢) ومدنا أخرى كثيرة وقتلوا فيها الكثيرين، وأسروا عددا لا يحصى من الأبناء والبنات. ولذلك عاد الخان من هناك مسرورا للغاية، وصعد إلى جبال قراقورم وبنى مدينة أسماها أردو باليق^(١٨٣)، أى: مدينة الخيام، المعروفة فى أيامنا هذه بمدينة قراقورم. وأحضر صناعا وسكانا من بلاد الخطاى ومن بلاد العرب* وأسكنهم بها. وبينما كان الخان سعيدا بالنصر الذى أحرزه مات أخوه الصغير تولى^(١٨٤) الذى أحبه كثيرا. فحزن عليه حزنا شديدا، وأمر زوجة أخيه الراحل _سرقوتتى بيكى^(١٨٥) ابنة شقيق الملك يوحنا*^(١٨٦)_ أن تدير أملاكه. كان لهذه الملكة أربعة أبناء أكبرهم؛ مونككا الذى أصبح بالتدريج خانا، والثانى: قوبلاى، والثالث: هولاكو، والرابع: أريق بوكا. ولقد دربت أبناءها تدريبا جيدا، حتى إن جميع الأمراء حسدوها على قوة تنظيمها. وكانت مسيحية مخلصنة وصادقة مثل هيلينا، وقد قال فيها بعض الشعراء " إذا كان لى أن أرى بين أجناس النساء امرأة أخرى كهذه لابد أن أقول: إن هذا الجنس من النساء أعلى من جنس الرجال". وفى هذا الوقت توفى توشى

◆ بلاد العرب : أى تركستان وبلاد الفرس

◆◆ يوحنا : هو أونك خان".

الابن الأكبر لجنكيزخان، وترك سبعة أبناء أكبرهم: تمسل، وهاردو، وباتو، وسيقان، وبتكوت، وبركة، وبركجار. وقد اختار من بينهم الخان باتو وسلم له البلدان الشمالية، وهى بلاد: الصقالية واللان والروس والبلغار، وكان عرشه عند نهر كبير يسمى: أتل^(١٨٧). وبينما كان باتو ذاهبا فى طريقه الشمالى من بلاد أيبيريا إلى بلاد البلغار وسقوتاي _ أهلك شعوبها بحد السيف وأباد ملكهم . وكان الخان قد أمر بوجود قطع الأذن اليمنى لكل بلغارى وروسى يقتل. وعندما أحصوا الأذان وجد مع التتار مائتين وسبعين ألف أذن.

استمرت قوة الخان فى الازدياد واستعد لمهاجمة القسطنطينية من جهة البلغار. وسمع ملوك الفرنجة بذلك، واجتمعوا وقابلوا باتو وهزموه فولى الأدبار، ولم يذهب بعد ذلك أحد من التتار إلى بلاد الفرنجة. ولكن ابن باتو _المسمى سرتاق^(١٨٨)_ أقام فى سهل القفجاق، وكان يحب الديانة المسيحية، وتعمد وتعلم القراءة والكتابة وعين راهبا. ولقد مات فى طريقه لخدمة مونككا خان، كما سنرى.

وفى سنة ١٥٤٣ يونانية (١٢٣٢ ميلادية) هجم التتار مرة أخرى وضربوا بعض البلاد وعادوا إلى فارس. وعندما رأى السلطان علاء الدين أنه لا يماثلهم فى القوة قرر دفع الجزية لهم، وأنشأ معهم صداقة. وبعد أن تخلص السلطان علاء الدين من القلعة من جهة التتار أخذ خلاط من الأشرف، وأخذ أيضا قلاعا كثيرة من أرمينيا مع بلدة سرمن رأى^(١٨٩). وأخذ الكامل صاحب مصر آمد من صاحبها، وأعطى له قرى ليقوم فيها .

♦ هاردو : ورد هذا الاسم فى المخطوطة السريانية بطريقتين . فقد كتب "هررو" (ص ١٣٩ عامود ٢ سطر ٢٤)، وهنا كتب "هردو" (ص ١٤٢ عامود ٢ سطر ٢٤) أما الترجمة الإنجليزية فقد كانت صحيحة وكتب الاسم "هاردو" (HARDU P.398)

♦ ♦ سيقان : هو ابن من أبناء "توشى" السبع. ورد هذا الاسم فى الترجمة الإنجليزية " سيبان". (ابن العبرى: تاريخ مختصر الدول ص ٢٤٤).

وفى سنة ٦٣٠ هجرية توفى الطبيب موهوب المسمى دخوار
الدمشقى، وكان هذا الرجل فى بدء حياته يجلس على سور السوق، وكان
يشفى المرضى بالمال، ثم دخل بعد ذلك فى خدمة أحد أبناء العادل وأذى
الكثير من زملائه الأطباء وأوقفهم عن العمل. وكان ذا لسان مخادع ومغتاب
مختل منحل الخلق. وفى أواخر أيامه أصيب بمرض خطير فى لسانه الذى
أذى به زملاءه، ولقد حرم من الكلام وأصيب بالصمم، واشتد عليه المرض
حتى انتهى به إلى الموت. ولأنه ربما لم يكن له وريث لذلك كتب وصية
تنص على أن يكون منزله مدرسة لتدريب لهؤلاء الذين يريدون تعلم وتدارس
فن الطب، ووضع، أيضا، جميع كتبه هناك. وبسبب نفسيته الشريرة فإنه
حرم على غير المسلمين، سواء اليهود أو المسيحيين، أن يتعلموا فى هذه
المدرسة. وقد احترمت هذه الوصية "حتى اليوم" فى دمشق. أما طالبو تعلم
الطب من اليهود أو المسيحيين فانهم يتعلمونه خارج حدود تلك المدرسة .

وفى هذه السنة فى الشهر التاسع سنة ٦٣٠ هجرية (١٢٣٢ ميلادية)
توفى مظفر الدين كوكبرى بن زين الدين على كجك^(٢٥٥) صاحب إربل،
ونقل إلى مدينة مكة ودفن هناك. وأرسل الخليفة قواته إلى إربل مع ظاهر
الدين أبى على عارض الجأش وقائد القوات بهاء الدين بونجوش[♦]. وعندما
رفض أهل إربل أن يستسلموا أرسل شرف الدين شرابى وشن عليها حربا
وأحرق باب عمقاوا. ودخل البابليون إربل ونهبوها وحكموها هى وقلاعها،
وكان بها: شمس الدين باتكين، وعارض الجأش، وشريف يدعى أبا المعالى
محمد بن نصرى بن صلايا، ومشرف بن صدقة .

♦ بهاء الدين بونجوش : فى النسخة السريانية "بوزجوش"، بدلا من حرف "النون" كتب حرف "الزأى".

بداية مملكة بدر الدين لؤلؤ صاحب الموصل

في سنة ٥٤٤ يونانية (١٢٣٢ - ١٢٣٣ ميلادية) (٦٣١ هجرية) كتبت وثيقة ملكية لبدر الدين صاحب الموصل من الخليفة، ونصب سلطانا لأن الصبي الصغير ناصر الدين محمود بن القاهر بن نور الدين كان قد مات لتوه. أما أبناء العادل فقد زينوا كثيرا للسلطان علاء الدين أن يأخذ خلاط منهم، وحشد جمعا كبيرا من مصر حتى ألبيرة. واجتمع أيضا مع المصريين؛ صاحب قلعة زياد، وصاحب ماردين، وصاحب الموصل، والملك الأفضل بن صلاح الدين صاحب سميساط، وعدد كبير من المعديين والتغالبية. وحشد السلطان أيضا جمعا كبيرا من الفرنجة واليونان والأرمن والأيبيريين والخوارزميين وأكثر من مائة ألف كلهم من الرجال المقاتلين.♦♦

وفي سنة ١٥٤٥ يونانية (١٢٣٤ ميلادية) ٦٣٢ هجرية أخذهم وذهب إلى بلدة أبلستين♦♦♦(١٩٠) حيث كان المصريون والذين معهم مستعدين للذهاب. وقد بعث أبناء العادل بالجواسيس وعلموا أنهم لا يتحملون قوة السلطان، فذهبوا وأخذوا قلعة منصور ودمروا كل بلاده. حينئذ تشتت تجمعهم ورجعوا إلى بلادهم، وجاء السلطان إلى ملطية مع قوة كبيرة كانت معه، ومن هناك عبر الفرات وذهب وعسكر عند قلعة زياد، واستولى بسرعة على المدينة

♦ ناصر الدين محمود بن القاهر بن نورالدين : في المخطوطة السريانية كلمة "قرة" غير واضحة (نصف الكلمة الأول غير واضح) (ص ١٤٣ عامود ١ سطر ٣٢٠). ولكن في النسخة الإنجليزية (the young the son of ، NASIR AD-DIN MAHMUD the son of KAHIR(KRAH),man .NUR-AD-DIN p.399)

♦♦ رجال مقاتلين : كلمة "مقاتل" في اللغة السريانية تحمل أيضا معنى "صياد". فقام BUDGE بترجمتها على أنهم صيادون وهذا خطأ والأوقع أن تكون: "مقاتلين".

♦♦♦ أبلستين : وردت هذه الكلمة في الترجمة الإنجليزية على أنها "فلسطين"، ولكن الأصح أن تكون "أبلستين". وهي مدينة مشهورة، وتسمى أيضا "أبلستان". تقع شرقي قيسارية بين جبل طوروس والقسم العلوي من نهر جيحان. (الشرق الاسلامي ص ٨١).

ونهبها. حينئذ جاء صاحبها مع ستة آلاف فارس من مصر لمساعدته، فخرجوا وذهبوا إلى قلعة المدينة وأقام عليهم السلطان آلات الحرب وطلبوا الأمان لما لاقوه من بؤس الحرب، والجوع والعطش. وأرسل السلطان هؤلاء المصريين_ الذين كان رئيسهم شمس الدين صواب كبير طواشي الكامل وصاحب قلعة زياد_ مكرمين إلى مصر مع كل ثروته، وأرسل زوجاته إلى شاطئ البحر. وبعد أن عاش هناك ثلاث سنوات قتله سرا وبني قلعة المدينة وعمرها، وأرسل مرة أخرى قوات إلى سميساط وخراب البلاد، ولكنه لم يستطع أخذ المدينة. وبسبب مجيء الشتاء ترك السلطان المدينة وذهب إلى أنطاليا_ مدينة على شاطئ البحر_ ليمضي بها الشتاء كعادته. وعندما حل الصيف جمع السلطان قواته من عامة الشعب حوالي مائة ألف فارس*، وعددا كبيرا من المشاة وجهزهم للذهاب إلى مدينة آمد، ثم جاءه خبر أن الكامل كان حزينا للخيانة التي لحقته من ابنه الذي كان يحكم في الجنوب. حينئذ شك السلطان في مقدرته على الاستيلاء على آمد لمناعتها وقوتها؛ ولذا أوقف مسيرته وأرسل قوات إلى مدينة الرها في شهر حزيران (يونيو) في سنة ١٥٤٦ يونانية (١٢٣٥ ميلادية)، (٦٣٣ هجرية) وشن عليها حربا شعواء. وقد حارب أهل الرها الذين في الداخل من فوق الأسوار بجدارة . وفي هذه الأيام ذهبت جماعة من قوات بيت الروم إلى سيبابارك فأخذوها وذهبوا إلى قالونيقوس_ وهي الرقة_ وأخذوا مفاتيحها، وسلموها للسلطان في ملطية، فاستقبلهم وأعادهم مكرمين. ولكن أهل الرها كانوا في منتهى الجرأة؛ فرفعوا أصواتهم يسبون السلطان ويسخرون منه، ولهذا اغتاض السلطان وذهب بنفسه إليها. حينئذ حاربت قوات بيت الروم بكل قواها ومهارتها،

◆ مائة ألف فارس : ورد في النص السرياني "مائة ألف فارس" (ص١٤٣ عمود ١ سطر ١). أما الترجمة

الإنجليزية فذكرت "مائة فارس" (the sultan collected his troops from among various

peoples)،(p.400 about one hundred horsemen ولا يعقل أن يكون الجيش مكونا من

مائة فارس فقط.

واستولت على الرها عن طريق الفتحات والسلام، وصعدت على السلام التي أقاموها على الأسوار أعداد لا تحصى كانوا ينزلون وينهبون قصور النبلاء. وعبر الرجال والنساء وسرقوا زينة المعابد والأواني الكنسية المقدسة العتيقة التي بها. وجرّدوا الرجال والنساء من ثيابهم، وطردوهم خارج المدينة على أكوام الروث الموجودة بين الخيام المصنوعة من الجلد، حيث احترقت جلودهم من شدة الحرارة في أيام تموز (يوليو)، وأرسلوا قائد القوات والمحاربين الذين وجدوا بالمدينة_ وعددهم حوالي ألفين أرسلوهم عرايا إلى المدن الداخلية في بيت الروم.

وفي الرها وجدت كميات كبيرة من الذهب والفضة والسروج والدروع، ومعدات حرب كان الكامل قد تركها هناك عند عودته من أبلستين. ولقد حصن السلطان الرها من جديد، وترك بها وبحران كذلك محاربين ومهندسين ونجارين ورجع إلى بيت الروم.

وعندما سمع الكامل بالكارثة التي حلت على الرها خرج من مصر مع قوة كبيرة وجاء إلى الرها بعد أربعة شهور من رحيل القوات من بيت الروم. وفي صدام عنيف هدم البرج العظيم لقلعة الرها، وأركب النبلاء والمحاربين والفنيين على جمال، وأرسلهم إلى مصر.

وفي هذا العام نفسه حدث نقص كبير في الحبوب في بيت الروم وبين النهرين، وجفت الكروم والأشجار من شدة البرد الذي حدث من شهر تشرين الثاني (نوفمبر) إلى اكتمال قمر شهر شباط (فبراير)، فتجمد نهر الفرات الكبير ولم يسقط المطر على الزرع الجديد.

وفي سنة ١٥٤٧ يونانية (١٢٣٦ ميلادية) أرسل السلطان علاء الدين قوات كبيرة إلى آمد، وشنوا عليها حربا لمدة أربعة شهور. ولكنهم لم يتمكنوا من أخذها، فنهبوا وخرّبوا ضواحيها وعادوا.

وفى سنة ٦٣٣ هجرية (١٢٣٥ ميلادية) ذهب الملك الناصر داود بن المعظم بن العادل صاحب الكرك إلى بغداد؛ ليشكو للخليفة ♦ أعمامه: الكامل والأشرف لأخذهما دمشق منه .

وفى العام نفسه، أيضا، ذهب ركن الدين الملك الصالح إسماعيل بن بدر الدين صاحب الموصل إلى بغداد لخدمة الخليفة. وفى أثناء ذلك وصل التتار إلى إربل، ومن هناك جاءوا إلى نينوى وعسكروا عند نهر قرية كرمليس، وهرب أبناؤها وذهبوا إلى الكنيسة الموجودة بها واستولى التتار عليها. وجلس اثنان من النبلاء على بابى الكنيسة: واحد منهما أطلق سراح كل من يخرج من بابه، أما الثاني فقد أباد بحد السيف الرجال والنساء والأطفال الذين يخرجون من بابه. ومن هناك ذهبوا إلى بلدة سنجار، وهاجموا على حين غرة معسكر التجار الكبير الذين كانوا ذاهبين إلى سوريا وقتلوا جميعا.

وفى سنة ١٥٤٨ يونانية (١٢٣٧ ميلادية) (٦٣٣ هجرية) جمع السلطان علاء الدين شعوبا مختلفة من: المعديين، والخوارزميين، والهون، واليونان، والفرنجة، والأرمن، والأيبيريين، وجهزهم للذهاب إلى آمد. واقترب عيد الفطر عند المسلمين وأقام السلطان احتفالا كبيرا لنبلائه. وبينما هم يأكلون ويشربون ويستمتعون بكل أنواع الغناء، وكان السلطان جالسا على عرشه العالى سعيدا للغاية ومستمتعا بما يرى _شعر بألم فى أمعائه فذهب إلى الحمام وبدأ ينزف دما بكميات كبيرة. واستمر يتألم بشدة يوما وليلة ثم فارق الحياة فى اليوم الثانى فى بداية شهر حزيران (يونيو) فى سنة ١٥٤٨ يونانية (١٢٣٧ ميلادية) ٦٣٤ هجرية (١٢٣٦ ميلادية)، فى بداية شهر شوال الشهر التاسع ♦♦ فى هذا العام أيضا توفى الملك العزيز^(١٩١) صاحب حلب وحكم بعده ابنه الملك الناصر صلاح الدين ♦♦ الذى قتله التتار فى أيامنا هذه .

♦ يشكو للخليفة : كان الخليفة وقتئذ هو "الخليفة المستنصر" .

♦♦ شوال الشهر التاسع : ذكر أن "شهر شوال" هو الشهر التاسع وهذا خطأ. فشهر "شوال" هو الشهر العاشر .

♦♦♦ الملك الناصر صلاح الدين ابن الملك العزيز : لقد ورد فى الترجمة الإنجليزية أن الذى قتل الملك الناصر هم "العرب"، وهذا خطأ وفيه بجنى على العرب من قبل المترجم .

وفى السنة نفسها توفى الملك محسن بن صلاح الدين الكبير فى حلب.
وفى الشهر العاشر من السنة نفسها جاء التتار مرة أخرى إلى إربل،
وعسكروا عند نهر الزاب المنخفض. وهرب أبناء إربل عرايا إلى القلعة،
وسيطر التتار على منازل المدينة ونهبوها، ثم أحرقوا منازل كثيرة وهاجموا
القلعة لمدة أربعين يوما وقد أخذوا الكثير من الذهب ورحلوا.

وكان السلطان علاء الدين كيقباز فريدا بين ملوك عصره؛ كان متزنا
عاقلا عفيفا ذا بأس شديد، كما كان مترفعا عن كل النقائص التى تعود ملوك
العرب أن يلوثوا أنفسهم بها، كان قاسيا على المخطئين عادلا فى حكمه. وقد
دانت له بلاد كبيرة ومدن تفوق العد والحصر؛ ولذلك بعد نفوذه وامتدت
سيطرته.

وفى الساعة التى توفى فيها ظهيرة اليوم المذكور اجتمع النبلاء،
وأخذوا ابنه الكبير المسمى، غياث الدين كيخسرو، وأحضروه إلى مدينة
قيصرية وباعوه وأجلسوه على كرسى كيقباز والده ونصبوه سلطانا. وكانت
فرحة لكل الشعب، وأمر بالإفراج عن كل المساجين الموجودين فى مملكته،
كما تحرر الذين كانوا فى مصر بموت الذى كان قد أسرهم. ولقد قيل: إن
عدد الذين تحرروا من ذلهم بلغ اثنى عشر ألفا. وتمنى السلطان الجديد أن
يقبض على رؤساء الخوارزميين خشية أن يثوروا، وقبض على أحد رؤسائهم
ويدعى: غايرخان، وهرب الباقون عندما سمعوا بذلك، وخرجوا من بيت
الروم، وأحدثوا الخراب والتدمير فى كل مكان مروا به. وجاءوا إلى ملطية
وأسروا سيف الدولة السوباشى وقتلوا ببرمير سوباشى خرتبرت، وخرّبوا
بلدة سميساط وعبروا إلى السيداء ومكثوا بها ثلاث سنوات نهبوا خلالها
المدن. ثم ذهبوا وخدموا عند شاب صغير يدعى: الملك الناصر صاحب
حلب، وأعطاهم الرها وحران والمدن الأخرى فى بين النهرين والأرض
الباقية منهم. حينئذ استقدم السلطان الجديد غياث الدين بنت ملك أيريا
وتزوجها وأحبها كثيرا. وترك نفسه لعقوبة الطفولة، وبدأ فى شغل نفسه فى

الولائم والتسلى بالطيور والحيوانات، وترك إدارة المملكة فى أيدى عبده. وكان كل واحد منهم يتصرف كما يبدو له، وكانت الملكة الأيبيرية قد جاءت من بلدها فى هيئتها المسيحية، ومعها أحد الكاثوليك ورجال الدين وكهنة الكنائس. وكان معها _أيضا_ شقيقها داود الصغير الذى كان ملك أيبيريا الداخلية. وبعد فترة تركت الديانة المسيحية وأصبحت مسلمة. أما أخوها داود والكاثوليكى فقد سجنا فى إحدى القلاع وظلا بها حتى وصل التتار، واستولوا على القلعة التى أسرا فيها وأطلقوا سراحهما.

وفى بداية سنة ٦٣٥ هجرية توفى الملك الأشرف عيسى بن العادل^(١٩٢) بن أيوب فى دمشق عند بلوغه الستين من عمره. ولم يكن هناك حد لسخائه، وكان يحب الملذات[♦] والترف كثيرا .

وفى هذه السنة نفسها سنة ١٥٤٩ يونانية (١٢٣٨ ميلادية) عاد التتار مرة أخرى وجاءوا إلى بلدة إربل، ونهبوا وخربوا ووصلوا حتى حدود بغداد إلى الموقع المسمى، زنكاباذ، ونهبوها هى وكثير غيرها. ووصلوا إلى سرمن رأى وقتلوا أهاليها، وخرجت قوات بغداد وقام على رأسهم مجاهد الدين الدوايدار^(١٩٣) ورئيس النبلاء شرف الدين إقبال الشرابى. وقابلوا التتار فى معركة وجعلوهم يولون الأدبار. ولخوفهم من رجوعهم مرة أخرى أقاموا مجانيق على أسوار بغداد. وفى السنة نفسها هرب الملك الفائز يعقوب من أخيه الملك الكامل إلى بغداد، وتمنى أن يدخل فى خدمة الخليفة . وبعد قليل توفى الملك الكامل بن العادل^(١٩٤) صاحب مصر ودفن فى دمشق، وكان

♦ كان يحب الملذات : جاء فى النص السريانى "أنه كان يحب الملذات"، (ص 144 عامود ١ سطر ٢٨)

أما فى الترجمة الإنجليزية "أنه كان يحب اللحوم كثيرا والولائم الفاخرة". (he was a great lover of dainty meats and luxurious repasts p. 404).

رجلا حذرا ومخيفا وعاش سبعين عاما ♦. وجاء بعده أبنة الملك العادل (١٩٥) الذي سمي باسم جده في مصر، وحكم سوريا الملك الصالح شقيق الكامل، وزادت قوته بين الخوارزميين وأضاف لهم الخابوراء. وأراد ابن أخيه الملك الناصر داود _ الذي كان في الوقت نفسه سيد الكرك _ أن يحكمها، ولكن الزمن لم يساعده. كان مثقفا جدا وتمكننا من دراسة الفلسفة، وقيل: إنه كان يذهب إلى شمس الدين ♦♦ الفيلسوف الدمشقي، وكان يسير قبله بمسافة كبيرة وهناك يترك العبيد الذين كانوا في خدمته. وكان يحمل كتبه تحت ذراعه ♦♦♦ ويذهب إلى الفيلسوف ويقرأ، ولم يكن يسمح له أن يقف له.

وفي السنة نفسها انقض الإسماعيليون على بدر الدين صاحب الموصل ولكنه لم يصب بأذى.

وفي الشهر الحادي عشر ♦♦♦♦ من هذه السنة عاد التتار مرة أخرى إلى حدود بغداد، ووصلوا إلى مكان يسمى: خانقين (١٩٦). وخرجت قوات بغداد وقابلوهم وانهزم البابليون، ولم يهرب منهم إلا ثلاثة فقط من النبلاء والباقيون قتلوا بحد السيف. وأخذ التتار غنائم كثيرة ورحلوا.

♦ سبعين عاما : لقد ذكر أن الملك الكامل عاش سبعين عاما وذلك كما ورد في النص السرياني (ص ٧ 144 عامود ٢ سطر ٩) وكذلك الترجمة الانجليزية (he lived seventy years p.404) والصحيح انه عاش ستين عاما فقط. (النجوم الزاهرة ج ٦ ص ٢٢٧).

♦♦ شمس الدين : هو شمس الدين يوسف بن قزأوغلي: (النجوم الزاهرة ج ٦ ص ٣٠٣).

♦♦♦ تحت ذراعه : ورد في النص السرياني "أنه يحمل كتبه تحت ذراعه" (ص ٧ 144 عامود ٢ سطر ٢٥) ولكن ترجمها BUDGE إلى "كان يمل كتبه تحت معطفه

(he would carry his book under his cloak p. 404). الأوقع أن يحمل كتبه تحت "ذراعه"

♦♦♦♦ الشهر الحادي عشر: هو شهر ذو القعدة في الشهور العربية.

وفى سنة ١٥٥٠ يونانية (١٢٣٩ ميلادية) (٦٣٦ هجرية
١٢٣٨ ميلادية) فاض نهر الفرات وخرّب منازل كثيرة فى بغداد. وغرقت
سفينتان وحوالي خمسين شخصا.

وفى السنة التالية لم يحدث شىء يذكر فى البلاد المجاورة .

وفى سنة ١٥٥١ يونانية (١٢٤٠ ميلادية) فى شهر حزيران (يونيو)
جاء التتار، ونهبوا المدن من بلاد أيبيريا حتى حدود أرزن الروم. وتجمعت
قوات بيت الروم وذهبوا إلى أرمينيا حتى يمنعوا التتار من دخول بيت الروم.
وعندما سمع التتار بالتجمع انسحبوا ورجعوا إلى بلاد سقيتيا، وظل أصحاب
بيت الروم هناك حتى الشتاء وعادوا إلى بلادهم .

وفى هذه السنة نفسها ذهب تاج بولغارى مؤلف تابريقى رسولا من
بيت الروم إلى بغداد، ومات بها بالغا من العمر تسعين عاما.

وفى سنة ١٥٥٢ يونانية (سنة ١٢٤١ ميلادية) سنة ٦٣٨ هجرية
(١٢٤٠ ميلادية) فى شهر تشرين ظهرت هرطقة شيطانية وفتنة دينية عند
العرب؛ فقد ظهر فى بلدة أماسيا^(١٩٧) رجل تركمانى زاهد يدعى: بابا، ولقد
أطلق على نفسه لقب رسول، أى: مرسل، وادعى أنه رسول حقيقى من عند
الله حقيقة وأن محمدا كاذب وليس رسولا ♦. ولقد تابعه كثير من التركمان
وآمنوا بسبب التخيلات التى أدخلها عليهم. وأرسل أحد تلاميذه _ويدعى:
الشيخ إسحاق_ إلى بلدة حصن منصور التى كانت على حدود بلاد الروم؛
حتى يستطيع أن يعلم من هناك ويعود. وعندما جاء أمر كثيرين بحب سيده
وأعد له أدوات (حرب وتبعه جميع الفلاحين والتركمان) ♦♦. وقد باع جميع
التركمان حميرهم وثيرانهم وأغنامهم واشتروا جيادا وركبوها، وبدأوا فى

♦ أن محمد كاذب وليس رسولا : وهو ما يقصد به " وناقل الكفر ليس بكافر

♦♦ "فقرة بين قوسين" : هذه الفقرة غير موجودة فى المتن السريانى ولكن المترجم الإنجليزى أضافها من

عنده ربما يكون من باب زيادة إيضاح المعنى.

نهب بلاد حصن منصور، وكركر، (١٩٨) وكاختين (١٩٩). وقتلوا كل من لا يعترف بلسانه أن البابا رسول من عند الله ونبي. عندئذ جمع رئيس أهل ملطية قواته _حوالي خمسمائة فارس_ وأخذ لمساعدته بعض الذين عملوا في دير القديس برصوما واختارهم بعناية، وخمسة من المشاة يقذفون بالسهام. وذهبوا وقابلوا التركمان، وهزم أبناء بيت الروم ولم يهرب من أبناء الدير إلا القليل . حينئذ اشتد ساعد التركمان وانضمت لهم أعداد كثيرة، وذهبوا إلى بلدة أبلستين، وحاربوا القوات هناك. ووجدوا صعوبة في الذهاب إلى أماسيا ليقابلوا الذي آمنوا به. عندئذ دبر نبلاء بيت الروم كميناً للشيخ البابا وأمسكوه وخنقوه. وعندما ذهب إسحاق تلميذه مع أبناء المؤمنين به ولم يجدوه _أذاعوا أنه ذاهب ليحضر الملائكة لمساعدتهم، وشنوا حرباً شعواء على أماسيا. واجتمع من بيت الروم حوالي ستين ألف فارس ولم يتمكنوا من مهاجمة معسكر الستة آلاف عربي، فاغتاظ ألف فارس من الفرنجة كانوا في خدمة السلطان وصرخوا بأسنانهم ورسوموا الصليب على وجوههم، وذهبوا إلى هؤلاء العرب وشتتوهم. حينئذ تابعهم العرب وحاصروا التركمان كالدائرة وقتلواهم كلهم بحد السيف، ولم يبق منهم رجل أو امرأة أو طفل أو حيوان يوجد فيه نفس. وهكذا أخمدت تلك الهرطقة.

وفي هذه السنة تجمعت قوات بيت الروم وأقاموا على رأسهم سنان سوباشي قلعة زياد، الذي عين بدلاً من ببرمير الذي قتل. وذهبوا وعسكروا عند آمد التي كان صاحبها ابن الكامل في مصر. وأبرم الذين كانوا من بيت الروم معاهدة مع الحراس ووعدهم بالفضة وسلموا له المدينة. وذهب _أيضاً_ رجال حلب مع رجال بيت الروم لمساعدتهم. وعندما أخذوا آمد تمنوا أن يذهبوا _أيضاً_ إلى ميافرقين ويأخذوها. ولكن الملك الغازي صاحبها شقيق الكامل أرسل واستدعى الخوارزميين من بين النهرين لمساعدته وتقوى ولم ينهزم من أعدائه، خاصة أن أهل الجبل قد توقفوا عن القتال لأنه كان شقيق ملكتهم والدة الملك الظاهر والد الملك الناصر صاحب حلب. كان سنان قد أخذ آمد وصدر إليه أمر من السلطان أن يذهب إلى

أرزن الروم ويحكم هناك، ويقف أمام ثورة التتار. وبمجرد أن ذهب جاء جورماغون نوبن^(٢٠٠) بقوة كبيرة من التتار، وفي أيام قليلة استولوا على تلك البلدة المحصنة، وخرّبوا وقتلوا بحد السيف كل الأهالي الرجال والنساء ما عدا الصبيان والبنات اللاتقين للاستعباد، وقتلوا أيضا سنان وغلّامنه وتركوا البلده خرابا ورحلوا.

وفي نهاية سنة ١٥٥٣ يونانية (١٢٤٢ ميلادية) خرج التتار مرة أخرى ووصلوا حتى بلدة قلعة زياد، ونهبوا كل ما وجدوه ورجعوا إلى فارس.

وفي سنة ١٥٥٤ يونانية ١٢٤٣ ميلادية (٦٤١ هجرية) جمع السلطان غياث الدين قوات كبيرة، واستأجر الفرسان من حلب، ومن اليونانيين، ومن الفرنجة، ومن معد، كما وعد صاحب حمص والملك الغازي صاحب ميافرقين بالحضور. ولكنهم خدعوا السلطان ولم يأتوا. ولقد جاء البارون قسطنطين والد ملك الأرمن هيثوم إلى السلطان عند قيصرية، حيث استقبل بترحاب كبير وجمع هدايا كثيرة. ووعد أن يذهب ويجمع قواته من الأرمن ويأتي لمساعدة السلطان. وسار السلطان في جهة سبسطيا، وجاء أيضا التتار وذهبوا إلى أرزنجان، وأسرع السلطان وذهب لمقابلتهم، وقابلته قوات التتار في مكان يسمى كوساذاغ (كوسه طاغ)^(٢٠١)، أي: طور مصنطا (الجبل الأقرع). وفي بداية القتال أداروا وجوههم لغير المدربين ولم يتمكنوا من مواصلة القتال أمام التتار، ثم هربوا في ساعة واحدة وتركوا السلطان وحده. وكان السلطان مبهوتا، فأخذ زوجته وأبناءه وذهب واحتفى في مدينة أنقوره. عندئذ رأى التتار أنهم قد هربوا دون أن يضربوا وتركوا خيامهم باقية، فظنوا أن هناك خيانة في وسطهم وأنهم كالذين يدبرون كمينًا، فاخترأوا. وعندما انتظروا يوما أرسلوا جواسيس وتأكدوا أن هذا الهرب ليس خدعة، فزاروا كالنمور وذهبوا لخيامهم ونهبوا كل ما وجدوه، وانتشروا في بلاد بيت الروم.

وجاءوا إلى سبسطيا ♦ (٢٠٢) واستسلم شعبها، وأحضروا ذهباً كثيراً وسلموا بأرواحهم من القتل، وأبنائهم وبناتهم من العبودية. ودخل التتار المدينة ونهبوا الخزائن الملكية، وسلبوا كل شيء أعجبهم، وأحرقوا أدوات الحرب وخرّبوا سورها. ثم ذهب رئيس آخر إلى قيصرية، ورفض أبنائها تسليمها؛ لذلك تجمعوا عندها واخترقوا حوائطها بالمنجنيق، ودخلوها ونهبوا الخزائن الملكية وأحرقوا المنازل والمباني، وعذبوا النبلاء والرجال الأحرار وطعنوهم كلهم بالسيف، وسلبوا منهم كل أموالهم. وبعد ذلك قتلوا عشرة آلاف وحملوا البنات والأولاد إلى الأسر. ولما سمعت والدة السلطان غياث الدين بالخراب أخذت ابنتها شقيقة السلطان وعبيدها وجواربها وثرواتها، وذهبت إلى بلدة قيليقية ولجأت إلى البارون قسطنطين والد الملك حاتم، الذي أقنع، أيضاً، السلطان بالحضور لمساعدته. ولقد تلكأ حتى يرى نهاية الموضوع.

عندما سمع التتار أن والدة السلطان كانت هناك أرسلوا رسولا إلى بالي والد الملك يطالب بأخذ والدة السلطان. ولقد قال البعض إن بالي لكي يعجب التتار أرسل قائلاً لهم: "إن فلاناً معي. أرسلوا وسأسلمه لكم". وبمجرد عودة الرسول سلموها لأيدي التتار. ولقد ظهر هذا العمل البغيض والقبيح أمام جميع الملوك كشيء لا يستحب حدوثه. ولقد أخذت الملكة أسيرة وما زالت حتى يومنا هذا لم تحرر بعد.

وفي هذا الوقت ذهب التركمان من بلاد أبلستين إلى ديرنا العتيق المسمى: دير قرير، وقتلوا به خمسة عشر راهباً معظمهم مدرسون، ومعهم رهبان وخدم كنيسة. وعندما شرعوا في الهروب أدركهم التتار وقتلوهم بحد السيف. حينئذ انتقم العدل منهم بعد ثلاثة أيام فقتلوا بالطريقة نفسها. وعندما انتشر في ملطية خبر هزيمة السلطان ذهب سوباشي رشيد الدين مع بقية

♦ سبسطيا : الصحيح "سيواس وليس سبسطيا(تاريخ مختصر الدول ٢٥٢).

أبناء القصر ♦ إلى الخزائن الملكية ليلا، واقتسموا الذهب والفضة التي وجدوها فيما بينهم . وفتحوا الأبواب وهربوا إلى حلب، وكذلك هرب من المدينة المشاهير من نبلائها، وخاصة المسيحيين الذين كانت لهم القدرة على الهرب. وعندما وصلوا إلى جبل يسمى: بيت الحوز^(٢٠٣) على بعد يوم واحد من المدينة: أدركتهم مجموعته من التتار وأهلكوا معظمهم، وأخذوا الأبناء والبنات أسرى، وهرب القليل منهم. وذهبوا إلى المدينة عراة وحفاة.

وعندما رأى أهالي المدينة _ اللصوص والنساجون وآخرون_ أن الحكام والرؤساء قد غادروا المدينة وهربوا تجمع العرب والمسيحيون معا عند مطر ابوليط^(٢٠٤) رئيس أساقفة ملطية القديس ديونسيوس^(٢٠٥)، أي: عنجور الذي أصبح بعد ذلك بطريركا، وطلبوا منه أن يحمى المدينة لأنه كان رجلا حذرا ومجتهدا. وأقسم العرب والمسيحيون الواحد للآخر، وأخذوا يدورون حول السور يحرسونه . وفى الصباح جلسوا عند باب المدينة؛ لأنه لم يكن هناك سوى باب واحد يمكنهم فتحه، وهو إما البوابة الرئيسية أو بوابة القصر. وظلت المدينة فى حالة اضطراب ما يقرب من شهرين حتى ذهب التتار من بيت معد، وساعد الرب الرومان. ولم يحضر إلى ملطية إلا هؤلاء الذين تصادف أن كانوا فى طريق الهرب إلى بيت الحوز. عندئذ عسكر التتار فى طريق عودتهم عند أرزنجان وطلبوا من حكامها ذهابا، ولم يقتنعوا بما أخذوا بل غضبوا وأقاموا عليها المنجنيق، وأسقطوا حوائطها بسرعة، ودخلوا ونهبوها وقتلوا أهاليها وخربوها. لذلك أرسل السلطان غياث الدين إلى التتار طالبا السلام، راضيا بمنحهم ذهابا وجيادا وعبيدا.

وفى هذه السنة سنة ٦٤٠ هجرية (١٢٤٢ ميلادية) توفى الخليفة المستنصر، وحكم بعده ابنه المستعصم، لمدة ستة عشر عاما_ الذى كان له تفكير طفولى، ولم يكن قادرا على التمييز بين الخير والشر، كما كان يقضى

♦ أبناء القصر: جاء فى النص السريانى "أنهم أبناء القصر" (ص ١٤٦ عامود ٢ سطر ٨) . أما الترجمة

الإنجليزية "أنهم ضباط القصر (the officers of the palace p408)

كل وقته فى اللعب مع الحمام والتسلية مع الطيور . وعندما قيل له: إن التتار يستعدون للاستيلاء على بغداد، كما فعلوا فى المدن الأخرى الشهيرة فى فارس التى استولوا عليها وخربوها، كان جوابه: "هذا هو ملكنا وإذا لم نعظم الإذن لن يدخلوا". وهكذا أنهى الله مملكة العباسيين فى أيام هذا العاهل.

وفى سنة ١٥٥٥ يونانية سنة ٦٤١ هجرية (١٢٤٤ ميلادية) نزل أحد رؤساء التتار ويدعى: نساور نوين_ إلى بلدة ميافرقاط وماردين والرها، وعبر الفرات ووصل إلى مكان يسمى حيلان^(٢٠٦) على باب حلب، ولكنه لم يقرب من المدينة لأن جياد القوات التى كانت معه جرحت فى أرجلها، لجفاف الأرض ولشدة الحرارة، فعادوا إلى بلادهم. ونزلوا فى أحد أيام الصيف. وبعد أخذ هذه البلاد أرسل نساور إلى صاحب حلب وطلب منه ذهباً، فأعطاه كل شىء طلبه، ثم عاد من هناك وعسكر عند ملطية وأباد المحاصيل والكروم ومناحل العسل. وكان التتار يقتلون كل من يجدونه خارج المدينة، فأرسلوا وهددوا صاحب المدينة رشيد الدين لأنه عاد من حلب. وجمع صاحب المدينة ثروة عظيمة وزواى ودنانير وجواهر وأوان ذهبية وفضية تقدر بأربعين ألف دينار ذهبى، وسلب_أيضاً_ أواني المذبح المقدسة، وأخذ من الكنيسة الكبيرة كؤسا ومباخر وقناديل وصناديق مقدسة، وأعطاهما إلى التتار الذين أخذوا كل هذا وذهبوا إلى فارس. وبعد ذهابهم كانت هناك مجاعة كبيرة وأمراض فى ملطية وضواحيها، وملئت الأرض بالمساكين الذين كانوا يموتون كالحوانات فى الأسواق. كما حاول كثير من الأهالي أن يبيعوا أبناءهم وبناتهم كالعبيد ومع ذلك فلا يشتريهم أحد. وفى هذا الوقت اشتهر عيسى الطبيب الرهاوى فى ملطية وكان تلميذ حسنون الطبيب. وقد جاء من ملطية إلى قيليقية وكان فى خدمة الملك، وبنى أساس كنيسة رائعة باسم القديس برصوما.

وفى سنة ١٥٥٦ يونانية ٦٤٢ هجرية (١٢٤٥ ميلادية) ذهب التتار إلى بغداد، ولم يتمكنوا من أخذها (لأن عددا كبيرا من الناس قد وقفوا أمامهم)♦ وأرجعهم خائبين.

وفى هذا العام نفسه اغتاز السلطان غياث الدين وأرسل قوات كبيرة لتخريب قلعة قليقية، لأنهم سلموا أمه وأخته للتتار. وذهب أبناء بيت الروم وعسكروا عند بلدة طرسوس وشنوا عليها حربا شعواء . وكان هناك بالي والد الملك حاتم مع الكندسطليل^(٢٠٧) ابنه الكبير، وأيضا قاوموا الذين كانوا فى الخارج بسبب عدد الفرنجة الكبير الذى كان معهم. ولقد أغرقت سيول المطر الذين كانوا فى الخارج، وأصبحوا فى حالة سيئة ولم يتمكنوا من الذهاب إلى بلد آخر أو إحضار طعام لهم أو لجيادهم بسبب الوحل الكثيف الموجود هناك والذى كان عميقا لدرجة أنه ابتلع حصانا وراكبه. وبينما هم فى هذه الحالة وصل إليهم خبر موت السلطان، وكانت لهم فترة راحة فخرجوا من المدينة قبل أن يسمع الزمن هذا الخبر.

وبعدها توفى السلطان غياث الدين فى موسم الخريف فى بداية سنة ١٥٥٧ يونانية (٦٤٤ هجرية) (١٢٤٦ ميلادية)، وكان له ثلاثة أبناء صغار♦♦: عز الدين^(٢٨٠)، وركن الدين، وعلاء الدين. ولقد أقسم النبلاء لعز الدين الابن الأكبر ونصبوه سلطان كيكافوس. حينئذ جاء رسل المغول وطلبوا من السلطان عز الدين أن يحضر ويسجد للخان، ولكنه اعتذر متعللا أن اليونان والأرمن سيخطفونه ويأخذون بلده إذا استدار لأنهم أعداؤه. لذلك أرسل ركن الدين أخاه وسيطا، واعدا أنه سيذهب بنفسه فى أى مرة أخرى.

♦ هذه الفقرة غير موجودة فى النسخة السريانية ولكن المترجم وضعها زيادة فى إيضاح المعنى.

♦♦ ثلاثة أبناء صغار : عز الدين أمه رومية ابنة قسيس، وركن الدين أمه أيضا رومية، وعلاء الدين أمه كرجية.

♦ تتويج كيوك خان بدلا من الخان أبيه ♦

فى ذلك الوقت كان الخان مريضا^(٢٠٨)، فأرسل رسلا ليحضروا كيوك حتى يستطيع أن يجيء ويتسلم مملكته إذا وقع عليه الاختيار. واستعد للحضور ووصل إلى الضواحي ولكن الخان انتقل من عالمه قبل أن يصل إليه ابنه. كانت الملكة زوجة الخان التى هي والدة كيوك وتدعى توراكيينا_ حكيمة جدا وفطنة. ولذلك أمر جغاتاي وباقي أبناء الملك أن تحكم الملكة حتى يتم تشاورهم مع بعضهم. وتبادلوا الرسل واجتمعوا كلهم فى أيام الربيع؛ من الشرق: كوتان وأوتجكين^(٢٠٩) شقيق جنكيزخان والقان، ومن الغرب: كرامورى وبيدار وتوركان أبناء جغاتاي، ومن الشمال لم يستطع باتو الحضور بنفسه فأرسل أربعة من إخوته: من تركستان الأمير مسعود بيك، ومن خراسان الأمير أرغون، ومن بيت الروم السلطان ركن الدين، ومن قبايقية الملك حاتم، ومن أيبيريا (كرجستان) داود الكبير وداود الصغير، ومن سوريا صاحب حلب، ومن بغداد فخر الدين قاضى القضاة ورسل من الفرنجة، وأيضا رسل من علاء الدين صاحب الموت، أى: صاحب الإسماعيليين الذين يحملون الخناجر. وكان للخان ثلاثة أبناء صالحين للملك: كيوك، وكوتان، وسيرامون الطفل الصغير. ولقد اختارت أمهم الملكة توراكيينا كيوك ووافقها أبناء الملوك والنبلاء. ولكن كيوك تبعاً للتقاليد قدم اعتذاراً وقدم عنه فلانا... وفلانا، وقال: إنهم أصلح. فأخذوه بالقوة وأجلسوه على كرسى الملك وانحنوا على ركبهم تسع مرات وسجدوا، وأخذوا كأساً

♦ بدلا من الخان أبيه : هنا يوجد اختلاف؛ فالنص السرياني يقول إن (كيوك خان حكم بدلا من الخان أبيه الذى هو أوكتاي بن جنكيزخان) (ص ١٤٧ عامود ١ سطر ٢٤)، بينما الترجمة الإنجليزية تنص على أنه (جاء بدلا من الخان أخيه) (**concerning the enthronement of GHOYUK KHAN in the palace of the KHAN his brother p.410** . ولكنى أرجح النص السرياني، لأن كيوك خان لم يكن لديه أخ واحد ولكن أكثر من واحد ولم يشار إلى أيهم هو الذى تولى الحكم. ثانيا: لأن الأب هو الذى كان خانا وليس أحد الأبناء. فالعنوان ينص على إنه جاء بعد الخان أى الأب.

وسقوه. وعندما استقر على كرسيه بدأ يحكم باقتدار لأنه كان مستتيراً وعاقلاً. ولقد حكم كثيراً من البلاد، مثل: بيت الروم وأيبيريا وأشور وسوريا وقيليقية، وسلم حكمهم إلى أحد الرؤساء ويدعى إيلجيكثاي، وأرسل الأمير الكبير يلواج إلى بلاد الخطاي، وأعطى فارس للأمير مسعود، وخراسان وهمذان وأذربيجان وشروان^(٢١٠) واللور^(٢١١) وكرمان^(٢١٢) حتى الهند فسلمهم للأمير أرغون، وأمر أن يكون السلطان ركن الدين سلطاناً على بيت الروم، وأرسل الملك حاتم مكرما وكذلك الأيبيريون والفرنجة. كما أرسل إلى الخليفة تهديداً بالثورة، وطرد الإسماعيليين الذين شيعتهم السخرية وعبارات السباب. ولأن قداق^(٢١٣) المسيحي كان يعمل منذ البداية في خدمته فقد أصبح مستشاراً له وصديقاً. وكان كيوك خان نفسه مسيحياً، وفي أيامه ارتفع شأن المسيحيين وامتأ معسكره بقديسين وكهنة وقساوسة.

في هذا الوقت كانت هناك سيدة عربية تدعى: فاطمة خاتون^(٢١٤)، وكانت صديقة عربية ومحبوبة من توراكيينا خاتون والدة كيوك خان؛ فقد قالوا إنها ستعمل لك وإخوتك سحراً. فأرسل وطلبها من أمه، ولما لم تعطها له أخذها منها بالقوة وقتلها. وبسبب ذلك كانت هناك قطيعة بينه وبين أمه. وبعد قليل ماتت أمه. أما فاطمة فتركوها لعدة أيام عارية دون أكل أو شرب، وعذبوها حتى إنها اعترفت بأنها ساحرة، ثم خاطوا فيها وموضع عفتها وأدخلوها في كيس وألقوا بها في الماء وغرقت. وقتلوا أيضاً كل إخوانها الذين اجتمعوا حولها؛ لأنه في مدة قصيرة كانت قد سيطرت على المملكة الكبيرة من خلال نفوذها على الملكة توراكيينا. وبعد ذلك بمدة قصيرة قام كيوك خان ليذهب إلى البلاد الغربية، ووصل إلى مكان^(٢١٥) على بعد سبعة أيام سفر من مدينة بيش باليغ حيث ماتت. وأراد بعض نبلاء بيت الروم أن يملك ركن الدين الابن الأوسط لغياث الدين، وعندما شعر الوزير شمس الدين الأصفهاني بكل هذا أخذهم وقتلهم وعظم في نظر نفسه. واتخذ والدة السلطان عز الدين زوجة له وأنجب منها ولداً. وكان هذا العمل المتكبر سيئاً في نظر كل الناس، وأعد الذهب والملابس الملكية والجياد مع الابن الأوسط ركن

الدين وأرسل رهينة إلى التتار - كما قلنا - لكي يسود السلام. وعندما وصل الطفل إلى كيوك خان شكا أحد نبلاء ركن الدين وهو بهاء الدين الترجمان ♦ اغتاب الوزير إلى الخان قائلاً: "لقد قتل النبلاء وأخذ زوجة السلطان الذي توفى وأقام سلطاناً جديداً بدون أمركم". حينئذ أصدر الخان أمره: "ينزل عز الدين من على كرسيه، ويملك ركن الدين الذي رأى وجهها، ويصبح بهاء الدين ترجمان وزيره وينتهي شمس الدين". وعندما أداروا ظهورهم للمجىء سمع الوزير وارتعد، وأرسل إلى رشيد الدين سوباش من ملطية الذي كان آنذاك أميراً ثرياً صاحب ذهب وأحجار كريمة، وأمره أن يذهب إلى الخان ويؤكد له حكمه. وعندما وصل إلى أرزنجان سمع أن ركن الدين سلطان وبهاء الدين ترجمان كانا على وشك الوصول. وبسبب خوفه أخذ الثروة التي كانت معه إلى قلعة قماح، وهرب مع قليل من الأمراء إلى حلب. ثم وصل بهاء الدين ومعه ألفى مغولي، وأعلن ركن الدين سلطاناً على: أرزنجان وسبسطيا وقيصرية وملطية وقلعة زياد وآمد، وأعلنت قوانين جديدة وأوامر في كل مكان، وألغيت تلك التي سنها عز الدين. وأرسل أيضاً الترجمان رسولا إلى حلب، وقبض على رشيد الدين الذي كان قد هرب من هناك وحبسه في قلعة تسمى هايج. ولم ينج من الموت من كل الذين سجنوا في هذه القلعة أحد إلا هذا الرجل الذي عفي عنه فيما بعد؛ لأنه كان هناك باب في حائط هذه القلعة على صخرة عالية جدا وخلف هذا الباب كان يوجد مكان صغير ما لم يجلس فيه المرء فإنه بصعوبة شديدة يمكنه أن يجد مكانا يقف فيه. وعندما كان يصدر حكم الإعدام على أحد النبلاء المكرمين، ولم يكونوا يريدون أن يمدوا يدهم عليه ويقتلوه، فإنهم يأخذونه ويجعلونه يقف على هذا اللوح ويغلقون الباب في وجهه. وعندما يقف لمدة

♦ بهاء الدين ترجمان : أحد نبلاء ركن الدين بن غياث الدين . جاء في النص السرياني "بهاء الدين ترجمان"

(ص 147 عامود ٢ سطر ١٣). أما الترجمة الإنجليزية: "بهاء الدين ترجمان" (BAHA-AD-DIN

TARJAN p.412) الصحيح فهو "ترجمان".

يوم أو يومين فانه كان يغلبه النوم ويسقط ويموت. كل هذه التنقلات بين التتار تمت فى خلال ثلاث سنوات.

وفى سنة ١٥٦٠ يونانية (١٢٤٩ ميلادية) عندما وصل بهاء الدين ومعه التتار خاف شمس الدين الوزير الأصفهانى، وأراد أن يأخذ السلطان عز الدين ويذهب ويثور فى إحدى القلاع البحرية. وكان فى قونية أحد النبلاء كان عبدا للسلطان علاء الدين يدعى: جلال الدين قرطاي، وكان رجلا راهبا ممتعا عن أكل اللحوم وشرب الخمر والنساء، وكان طيبا ورحيما. وعندما شعر أن الوزير مستعد أن يأخذ عز الدين ويهرب أرسل وأبقاه فى بيته وقيده، فأسرع وأخبر بهاء الدين الذى أرسل، واستدعى التتار الذين جاءوا وعذبوا شمس الدين الأصفهانى، حتى إنه أظهر لهم الثروات الطائلة ثم قتلوه . ولقد كان رجلا مثقفا وذكيا، وعندما شعر أنهم يعدون لقتله رثى نفسه باللغة الفارسية فى جمل باكية مليئة بالحزن والأسى والمهابة. وعندما قتل أصبح جلال الدين قائدا للسلطان عز الدين. وقد قسمت البلاد بين الأخوين، وآلت قونية وأقسرا وأنقرة وأنطاكية _ أى المدن الغربية _ إلى عز الدين، والشرقية * لركن الدين. ولكن نبلاء ركن الدين لم يتوقفوا عن الشجار وأرادوا أن يسمى ركن الدين فقط بالسلطان ويخلعوا عز الدين. لذلك دبر قرطاي خطة وأرسل لهم قائلا: "رغبتكم ستنفذ وسيكون ركن الدين هو السلطان الكبير تبعا لأمر الخان الذى معكم. ولكن تعالوا إلى أقسرا فخذوه، وليحضر، أيضا، عز الدين وكل ما يعطيه له أخوه يجب أن يقبله" وخذع هؤلاء وأخذوا ركن الدين وجاءوا إلى أقسرا وخرج عز الدين من قونية ليذهب إلى أقسرا. واختبأت القوات المعدية وجاءوا من الجانب الآخر، وضربوا وهزموا رجال ركن الدين، وأخذوا _ أيضا _ بهاء الدين أتاك، كما

♦ الشرقية : هى بلاد: قيسارية وسيواس وملطية وأرزنجان وأرزن الروم وغيرها من الولايات الشرقية (تاريخ

مختصر الدول ص ٢٥٨).

أخذ عز الدين أخاه ركن الدين فلم يؤذه ولكنه أخذه إلى قونية وجلس الإخوة الثلاثة على كرسي الملك وصكت النقود بأسمائهم الثلاثة.

وفي سنة ١٥٦١ يونانية (٦٤٨ هجرية) (١٢٥٠ ميلادية) خرج ريدافرانس^(٢١٦) _أحد ملوك الفرنجة الداخليين_ مع حشود كبيرة من الفرسان والمشاة والسفن، وأبحروا دون جهد في سفن كبيرة مليئة بالفضة والذهب والأسلحة والمؤن . واهتزت الأرض عند سماعهم خبر ركوبهم البحر، وقد وصلت أخبار استعدادهم للخروج إلى مصر؛ إذ كان الملك الصالح بن الكامل قد خلف أخاه الأصغر العادل الذي توفي وخلفه الصالح. وكان الملك الصالح هذا يقاتل لأخذهما من سيدها الملك الأشرف، وهو من نسل أسد الدين شيركوه عم صلاح الدين العظيم، والذي كان يحكم _أيضا_ تل باشر^(٢١٧). عندما سمع الصالح خبر الفرنجة ترك حمص ووصل بخطوات سريعة إلى مصر وذهب وعسكر في مكان يسمى: المنصورة ممتلئ بالأشجار الكثيفة. وأصدر نداء باللغة العربية، واجتمع لديه عرب من الإسكندرية ومن قوص^(٢١٨) ومن أسوان. وعندما رأى شعب مدينة دمياط أن الفرنجة متجهون نحوهم أصابهم الفرع وأخلوا المدينة دون حرب من كل ما بها، وأخذوا عائلتهم وكل ممتلكاتهم وذهبوا إلى مصر. أما نبلاء دمياط فقد ذهبوا إلى السلطان فسألهم الملك الصالح عما إذا كان الفرنجة قد آذوهم بالحرب فأجابوا: "لا، ولكن نخشى من أن الذي حدث مرة في عكا يحدث لنا؛ حيث قتلهم الفرنجة ولم يعجبهم أحد". وثار الصالح عليهم وعلق أربعة وستين [♦] نبيلاً على اثنين وثلاثين صليباً، علقوا كل اثنين معاً كما هم بملابسهم وأحذيتهم . ثم مات الصالح^(٢١٩) بعد عدة أيام من صلبهم على أثر قرحة خبيثة انفجرت في فخذه (فقطعوا ساقه وهو حي). وأرسل نبلاء مصر وأحضروا الملك المعظم بن صالح^(٢٢٠) الذي كان آنذاك في حصن كيفا^(٢٢١) ونصبوه بدلاً من أبيه. وكان

♦ أربعة وستون : ذكر ابن العبري في كتابه "تاريخ مختصر الدول" ص ٢٥٩ (أمر بصلبهم وكانوا أربعة وخمسين أميراً).

قائده هو فكر الدين عثمان ابن شيخ الشيوخ الوزير العظيم. وعندما اقترب الفرنجة من سور دمياط لم يسمعا أصوات الحراس ولم يشاهدوا أى شخص فى الأبراج، فتعجبوا وأرسلوا رجالا توغلوا فى داخل الميناء ولم يقابلوا شخصا واحدا فعرفوا أنهم هربوا. فاقتربوا من المدينة ودخلوها بسعادة وفرحة كبيرة. وكان هذا اليوم يوافق يوم الجمعة، كما أنهم لم يشاهدوا رجلا واحدا يتبول على الحائط، وكانت السفن تزودهم بالمؤن من البحر، ولكن عقليتهم الضعيفة لم تجعلهم يصبروا حتى يتعرفوا على طبيعة البلد وعلى ممرات الطرق والأنهار، بل أسرعوا وعبروا القناة من النيل وساروا بعيدا عن الماء إلى جهة مصر فى طريق ليس به ماء، وعبرت بعض قوات العرب خلفهم وآخرون أمامهم وأصبحوا مانعا بينهم وبين الماء. وظلوا بينهم، فأصبحوا يعانون من شدة الجوع والعطش مع جيادهم. وتشجع العرب وقضوا عليهم وقتلوا معظمهم وأسروا الملوك والنبلاء وحملوهم إلى المعظم. أما ريدافرانس فقد اعتقله الملك المعظم وحبسه عنده حيث عسكر. ونصح العبيد الصغار الملك المعظم، وكانوا فى مثل عمره، وقالوا له: "إذا قتلت هذا الملك الإفرنجي لن تنتهي طيلة حياتك من الحرب مع الفرنجة؛ لأن ملوكهم كثيرون وأقوياء فى شدتهم. ولكن دع هذا الملك يقسم لمائة وعشرين سنة من اليوم أنه لن يرفع هو وإخوته وأبناءؤه وأبناء أبنائه سيفا مرة أخرى فى وجه العرب وائركه حرا ودعه يذهب مع زملائه فى الدين شاكرين صنعك. وهكذا ستستريح وتعيش فى سلام، ولن يكون ضروريا أن توزع الثروة التى جمعها أبوك على القوات". فاستجاب المعظم لنصيحتهم، وأحضر ريدافرانس إليه ليلا وجعله يقسم كما يريد، وأعطاه هدايا كثيرة ثم صرفه. ولقد قيل: إنه فى أثناء أسر ملك فرنسا جاء إليه خبر أن زوجة الملك قد أنجبت طفلا فى دمياط، وسمع المعظم فأرسل لها هدايا بعشرة آلاف أحمرا وأهداها، كذلك مهدا من الذهب مع ملابس ملكية. وبمجرد أن رأى عبيد والد المعظم أنه قد أطلق ريدافرانس غضبوا وأرسلوا سفنا فى البحر لتلحق به. وعندما لم يتمكنوا سلوا سيوفهم وذهبوا إلى المعظم، ولكنه هرب من أمامهم وصعد إلى

برج من الخشب كان ملكا له، وأشعلوا النيران في البرج. فلما رأى نفسه وسط النيران ألقى بنفسه في البحر وغرق ولم يعثر أبدا على جثته. حينئذ أحضر ريدافرانس كل أسرته من دمياط وجاء إلى عكا ومكث بها فترة وبنى قيصرية فيليب ومدنا أخرى ثم تركها وذهب إلى بلده. وعندما قتل المعظم حكم مصر أحد عبيد أبيه، رجل يدعى، عز الدين التركمانى^(٢٢٢)، وتزوج من سيدة تركية تدعى شجرة الدر^(٢٢٣). وبعد فترة حكم قصيرة عندما كان ذاهبا إلى الحمام ليستحم أرسلت شجرة الدر * بعض جواربها الصغار وأغرقوا (عز الدين)؛ وذلك لأنها شعرت أنه يريد هلاكها. وبعد التركمانى ظهر في مصر عبده التركي الذى يدعى قطز^(٢٢٤)، وسمى بالملك المظفر. ولقد قتل شجرة الدر وألقى بجثتها إلى الكلاب * * مدعيا أنه ينتقم لسيدته. ولكن الحقيقة كانت لخوفه من أن تقتله، ولولا ذلك ما كان قد قتلها؛ لأنها كانت مشهورة بجمالها كامرأة وبتصرفاتها التى غلبت عليها الرجولة. وفى أثناء ذلك عندما رأى الملك الناصر صاحب حلب أن العبيد يحكمون فى مصر ويتسلون بقتل الواحد تلو الآخر جمع قواته وذهب إلى دمشق، وحكمها بهدوء وسلام دون قتال.

◆ شجرة الدر : فى النسخة السريانية كلمة "شجرة الدر" غير واضحة فكتبت "شجرة الدرر" (ص ١٤٩ عامود ١ سطر ٣٥) ولكن BUDGE تمكن من كتابتها كتابة سليمة "شجرة الدر" (SHAJARATH AD-DUR P.416).

◆ ◆ إلى الكلاب : هذه الكلمة غير واضحة فى النسخة السريانية (ص ١٤٩ عامود ١ سطر ٣٦) وقد تمكن BUDGE من ترجمتها (cast her body to the dogs pretending thas he was avenging his lord p.416). يقول ابن العبرى ص ٢٦٠ فى كتاب "مختصر تاريخ الدول" (قتلوا ورموها فى الخندق فأكلتها الكلاب).

تولية مونككا خان عرش المغول

فى أثناء تنقل باتو بن توشى بن جنكيزخان من خيمته التى فى بلدة سقسين وبلغاريا للذهاب لرؤية كيوك خان_ وصل إلى المكان المسمى: الأقماق بالقرب من مدينة قيااليق فسمع خبر وفاة كيوك خان. وبالرغم من ذلك بقى فى مكانه وأرسل رسلا إلى كل أبناء الملوك وأقامهم جميعا بالقرب منه. أما الذين لم يتمكنوا من الحضور فقد أرسلوا مكاتيب وقالوا: "إن باتو أكبرنا جميعا سنؤيد كل ما يفعله ونقبله". وفى البداية مكث أبناء كيوك خان مع أمهم الملكة أوغول غانميش خاتون^(٢٢٥) يومين فقط بعد أن جاءوا إلى باتو، وتركوه وذهبوا إلى تيمور نوين قائلين له: "عندما يجتمع أبناء الملوك الكبار والصغار ويتفقون توافق أنت أيضا باسمنا". وعندما اكتمل عددهم جميعا فوضوا الانتخاب إلى باتو قائلين: إذا أراد أن يكون فسيكون، وإن رفض فإننا سنكون أتباع من يختاره لنا. حينئذ قال باتو باستثناء مونككا: أنا لا أرى أحدا منا كفوًا لإدارة مملكة كبيرة إدارة جيدة"، وقال جميعهم: إنه كفوٌ ومناسب"، ولكن مونككا الرجل الحكيم أظهر علامات الاعتذار، ولكنهم أخذوه بالقوة وأجلسوه على العرش. وركع باتو وسجد مع كل أبناء الملوك وسجدوا له على ركبهم، وأخذ باتو الكأس كالعادة وشربه عندما دانت له المملكة .

فى سنة ٦٤٩ هجرية (١٢٥١ ميلادية) فى اليوم التاسع من الشهر الرابع بدأت الملكة الصادقة الحكيمة سرقوتتى بيكى والدة منكو خان، فى عمل صداقات مع كل الرؤساء والنبلاء بواسطة الهدايا، وكسبت الثوار بالوعود والمعاملة الطيبة. وفى أثناء انتظار مجيء أبناء كيوك خان ووالدته أوغول غانميش جاء أحد الرجال الذين يدرّبون الأسود لتسلية الأمراء، وقال: "كنت فى الخارج أصطاد بعض الأسود، وذهبت فى رحلة لمدة ثلاثة أيام

♦ الشهر الرابع: حوشهر ربيع الثانى.

أبحث عنهم، ووصلت إلى بيت أبناء كيوك خان الذين كانوا حاضرين إلى هنا فرأيت العجلة مكسورة وشابا جالسا بجانبها يحاول إصلاحها فناداني لمساعدته. وعندما اقتربت رأيت أن عجلته مليئة بالعتاد وأدوات الحرب. فسألت الشاب قائلاً: "ما هذا؟" فقال لي بدهشة: "بما أنك من جانبنا ألا تعرف ما هذا؟! كل العجلات التي معنا بالية. وعندما تركته جئت لأخبركم لكي تعلموا". حينئذ أرسل مونككاخان رئيساً يدعى منكسار مع ألفى فارس؛ لمقابلة أبناء كيوك خان، وقال لهم: "قبل أن تتعاملوا مع رجال صغار يجب أن تحضروا إلى مونككاخان وتروونه ثم تأتي قواتكم." ولم يستطيعوا إجابته بمثل عنفه. وعندما جاءوا بعد ثلاثة أيام من الأكل والشرب والراحة كشف مونككاخان الموضوع وخجلوا ولم يتمكنوا من الاعتذار. حينئذ أمر وقتلوا كل النبلاء الذين لهم يد في الخديعة لتركهم لجغاتاي نوين، الذي كان كيوك خان قد جعله صاحباً على الغرب، وقذف بكل الذين كانوا معه على الأرض. فأرسل وأحضر كاداك نوين على عربة، وبعد أن اعترف بذنوبه قتل بطريقة مؤلمة. كذلك كان الحال بالنسبة لزوجة كيوك خان التي حكم عليها بالإعدام. أما ابناؤهما فاحتراما للنسب الملكي لم يقتلهم، ولكنه أمر أن يقيم كل واحد في مكانه المعين مع بعض الرجال الموكلين بالإشراف عليهم، واستقر الملك لمونككاخان. وفتح أخوه قويلاي بلاد الخطاي، وأرسل أخاه الآخر هولاكو إلى بلاد الغرب، وأبقى الأخ الأصغر أريق بوكا بجانبه. وسن قانوناً لبلاد الخطاي ينص على أن يدفع كل مقتدر جزية سنوية تقدر بخمسة عشرة ديناراً ذهبياً، والفقير ديناراً واحداً، ولبيت الفرس كل مقتدر عشرة دنانير، والفقير ديناراً واحداً. وعن البهائم أمر بأخذ رأس من كل مائة رأس، ومن يملك أقل من مائة لا يؤخذ منه، ويحرر من الأذى كل الأسرى والمحبوسين. وأمر بإعفاء الكهنة والمسيحيين والمطارنة والرهبان وأهل العلم والكتاب من المسلمين من دفع الضرائب، وخلافاً لهذا حرم اليهود فقط من تلك الإعفاءات. وقال بعض الشعراء في هذا: "أيها اليهود فقط من تلك يوجد لك نصيب، وفضلاً عن العار أيها الرجل البائس لا يوجد لك رفيق".

وفى هذه السنة سنة ١٥٦٢ يونانية (١٢٥١ ميلادية) وقع انقسام بين العبيد والأتراك فى مصر. فجمع الناصر صاحب دمشق قوة كبيرة وذهب إلى غزة حتى يتجه منها لحكم مصر، وعندما سمع الأتراك بذلك جمع الذين لا يحبونه قواتهم، وأحضروا أيضا كثيرا من الفرنجة الذين كانوا أسرى عندهم وأركبهم جيادا وذهبوا لمقابلة الملك الناصر على جانب غزة، ولكنهم بصعوبة شديدة تمكنوا من هزيمته، فهرب مع قلة من الرجال إلى دمشق .

وفى هذه السنة فى كانون الثانى (يناير) توفيت زابيل الملكة الصديقة بنت لاون الكبير. كانت زوجة الملك حاتم بن قسطنطين والدة الملك لاون الصغير لقيلىقية لا أحد يستطيع أن يصف طيبة هذه السيدة وإحسانها وشفقتها. كانت تذهب حافية إلى الأديرة والكنائس، وكانت تقف للصلاة ولا تتوقف عن البكاء فليرحمها الله مع القديسات.

وبمرور سنة ١٥٦٣ يونانية (١٢٥٢ ميلادية) ذهب الملك حاتم ملك قيليقية لخدمة مونكا خان الكبير، واشترك فى طقوس اليوم الخامس وذهب فى يوم الجمعة الحزين. ولأنه خاف من نبلاء بيت الروم أن يغدروا به أرسل قرارا بأنه سيرسل قبله رسولا إلى الخان، وعندما يتسلم الأمر فإنه سيذهب. وكذلك أرسل كتبا إلى صاحب بيت الروم بخصوص هذا الموضوع، وخرج هو بنفسه مع الرسول، وتكرر فى هيئة خادم وقاد حصانا بملابسه الممزقة القذرة، وسار راكبا فوق هذا الحيوان الحقيقى ومر بجميع بلاد بيت الروم ولم يعرفه أحد. ولكن فى أرزنجان عرفه شخص فى السوق وقال له: "هذا الملك حاتم. وعندما سمع الرسول ذلك استدار إلى الملك الذى كان يركب الحصان وصفعه على وجهه وصرخ فيه قائلا: "كان يمكنك أن تصبح ملكا فهم يشبهونك بالملك". وبذلك أزال الشكوك واستمر الملك يرتدى ملابس الفلاحين، حتى إذا وصل إلى حدود أيبيريا كشف هناك نفسه. وخلال هذه الفترة التى تقدر بحوالى ثلاث سنوات ونصف كان قد عاش خارج بلاده ثم عاد.

وفي هذه السنة سنة ٦٥٠ هجرية (١٢٥٢ ميلادية) بعد القوريلتاي الكبير نزع هولكو شقيق مونككا خان خيمته؛ ليحضر إلى تلك المدن الغربية الخارجية في بلاد الجغاتاي التي أرسلها كيوك خان. حينئذ أمر مونككا خان أن يذهب اثنان فقط من كل عشرة من القوات الشرقية والغربية ومن أبناء الملوك أرسل معه واحدا من أخويه يدعى سنتاي أوغول، ومن جانب باتو بلغاي بن سبقان وقوتار أوغول وقولي مع قوات كبيرة، ومن قبل جغاتاي تكودار، ومن ناحية جيحكان بيكي أخت الخان وبوقا تيمور مع قوات الأويرات، ومن بلاد الخطاي أحضروا ألف رجل مهرة في عمل آلات الحرب وقاذفات النفط. في مقدمة القوات أرسل كيد بوقا رئيس الخبازين وترك هولكو جومغار ابنه من الملكة الكبيرة مع أمه في مكانه في خدمة مونككاخان. وقام هذا الابن بعد فترة ليحضر إلى أبيه فمات في الطريق. وأخذ معه من بقية إخوته ابنه الأكبر أباقا، والابن الأصغر يشموط، ومن زوجات أبيه تولى خان أخذ دوقوزخاتون^(٢٢٦) الملكة المؤمنة المسيحية التي أعطيت لهولكو زوجة تبعا لتقاليد المغول وجاءت معه. ولقد رفعت من شأن المسيحية في كل الأرض وظلوا في الطريق حتى سنة ٦٥٠ هجرية (١٢٥٥ ميلادية) ووصلوا إلى فارس.

وفي هذا العام في شهر تموز (يوليو) هجمت قوات التتار فجأة على ملطية، وكانت بقيادة يساور الذي كان قد حضر إليها منذ ثماني سنوات ونهب القرى والحقول وأحرق المنازل والمخازن، وقتل كل من وجدته في طريقه وعسكر في الجهة الشمالية. ولقد ذهب بعض التتار في أثناء مرورهم ببلدة جوباس إلى دير مقرونا، وطلبوا ذهبا من الرهبان وكذلك طعاما وشرابا. ولكن بسذاجتهم البالغة لم يعطوهم أو يسلموهم شيئا، وظنوا أنهم سيمرون ويذهبون. وفعلا رحل التتار ولكنهم أخذوا معهم الكثيرين، ورجعوا وطلبوا مرة ثانية من الرهبان أن يعطوهم شيئا. وعندما رفض الرهبان شن عليهم التتار الحرب وأشعلوا النيران في برج الدير، وحملوا أحمالا كثيرة من عرقوبا، وشمعا وكميات كبيرة من الزيت الذي استعمل فيما بعد مادة

للإنارة. وأحرقوا كل الرهبان الكبار منهم والصغار، وحوالي ثلاثمائة نفس من المواطنين: رجالا ونساء .

وفي هذه السنة كتب هذا عنجور أسقف جوباس، الذي كان موجودا في دير القديس برصوما في سنندوس لانتخابات مار ديونسيوس بطريركا. ولم يكن هناك أحد إلا تلميذين: فرج من دومينيانيا، وقوما وثنى من لوزنايا. لقد ألقى فرج بنفسه من البرج أمام التتار ولم يؤذوه، ولكنه بعد قليل مات وأحرق قوما في النار. وكان أهرون الطبيب العجوز والد أسقف مدينة المرج^(٢٢٧) موجودا في المخزن مع برصوم ابنه الأصغر. وعندما هجم التتار لم يهرب إلى الدير مع باقى أهل تلك القرية، ولكنه تسلق الجانب الآخر للجبل وذهب واختبأ في مكان صخري حصين على شاطئ الفرات. وظل هناك مع ابنه الأصغر لمدة أربعين يوما حتى رحل التتار، ولم يفقدوا إلا بغلا واحدا غرق في النهر. وكان يوجد هاربون آخرون في المكان المسمى برعما، وكانوا يخرجون ليلا ويجهزون الطعام لهم ولحيواناتهم .

وفي سنة ٦٤٩ هجرية ♦ (سنة ١٢٤٩ ميلادية) حكم بدر الدين لؤلؤ صاحب الموصل مدينة قاردو؛ وذلك للأسباب الآتية:

عندما رأى الملك المعظم صاحب الجزيرة _الذى من نسل أبناء أتابك زنكى_ أن بدر الدين قد قوى ويملك جيشا وأنه قادر على النفع والإيذاء، أراد أن يعمل معه صداقة فأخذ بنت بدر الدين زوجة لابنه الملك مسعود. ومن عمل الشيطان كره مسعود بنت بدر الدين من كل قلبه. وكانت مرارة شديدة له وللمعظم أبيه، ونصحها ألا يكشف كرهه ولكنه لم يتمكن. وعندما بدأت الفتاة تشكو لبدر الدين أرسل وأخذها. وبعد فترة مات المعظم وحكم بدلا منه

♦ سنة ٦٤٧ وسنة ٦٤٩ : ورد في المتن السرياني أن السنة هي سنة ٦٤٩ هجرية (ص ٧١٥١ عامود ٢

سطرا ١) ، ولكن في الترجمة الإنجليزية ذكر BUDGE أنها سنة ٦٤٧ هجرية أي سنة ١٢٤٩ ميلادية

(the year six hundred and forty seven of the ARABS(A.D.1249) p.418.)

الملك مسعود ابنه. وبدأ بدر الدين بتكبيله بالطلبات حتى أرسل وقال له: "أريد حجز كذا كذا الموجود في عقد الفتاة المسماة كذا كذا والشيء الفلاني المملوك لفلانة". فأعطى له كل شيء، وفي النهاية أرسل له بدر الدين قائلاً: "أحقا بعت الجزيرة عندما كنا نعسكر في نصيبين؟! فأرسل له مسعود: "لا أستطيع لأنك أخذت كل شيء ملكي، حتى إنى أعطيت لك مملكتي". حينئذ جمع بدر الدين قواته وذهب وعسكر عند الجزيرة في اليوم الثالث من الشهر السادس*، في السنة المذكورة، في أيام نيسان (أبريل) وشن عليها حرباً. فأرسل مسعود يطلب عهداً لحياته. ولقد وعده بدر الدين أن يعطيه القلعة المسماة فرح، وأن يأخذ نساءه وعائلته ويرحل. واستسلم مسعود وأخرج منها الحراس والمحاربين. وأرسل بدر الدين أحد حواشيه وكبله بالحديد، وأحضره ليلاً من الجزيرة، وأجلسه في مركب مدعياً أنه مرسله إلى الموصل. وأمر الملاحين والعبيد الذين كانوا معه أن يغرقوه في نهر دجلة ويتركوه ويهربوا إلى سوريا، ويرسلوا خبراً "أن مسعود قد ألقى بنفسه في النهر وغرق، وأنا خائفون من صاحبنا بدر الدين أن يقتلنا بسبب إهمالنا وأنه فعل بنفسه ذلك". حينئذ أخذوه وفعلوا كما أمروا، وهربوا إلى سوريا، وانتشر الخبر. وبعد سنة عادوا مرة أخرى إلى الموصل. حينئذ ذهب بدر الدين إلى الجزيرة وحكمها في يوم الجمعة اليوم الحادي عشر للشهر السابع* للسنة المذكورة. هذه المدينة ليست من بناء اليونان ولكن من صنع شعب معد الذين أطلق عليهم اسم "أبناء عمر"؛ ولذلك أسموها باسمهم.

في هذا الوقت كان بعض التجار يعبرون نهر فارس الكبير المسمى جيحون كان معهم رجل مسكين يلبس ملابس الفقراء، فقال الرجل للمراكبي: "أنا السلطان جلال الدين خوارزمشاه". لقد قيل: إن الأكراد قد قتلوني في جبال آمد ولكن لم يكن أنا من قتل، بل كان حارس ملابسى، ومنذ عدة

◆ اليوم الثالث من الشهر السادس: أى يوم الثلاثاء من شهر جمادى الآخرة.

◆◆ الشهر السابع: هو الموافق لشهر رجب.

سنوات أتجول فى العالم وأنا سعيد". حينئذ خاف البحارة فأخذوه وسلموه إلى نبلاء المغول الذين كانوا على مقربة فعذبوه بقسوة، ولكنه لم يتراجع فى كلامه حتى مات وهو يقول: "إنه أنا".

وفى سنة ١٥٦٥ يونانية (١٢٥٤ ميلادية) بدأ الرسل يجيئون ويذهبون، طالبين من السلطان عز الدين فى قونية أن يذهب بنفسه ليظهر الولاء للخان الكبير، وإذا لم يذهب فإن القوات ستخرب بلاده. وعندما ضغطوا عليه من الداخل ومن الخارج جاء بالقوة حتى سبسطيا، حيث انغمس فى حياة اللهو وإشباع الرغبات. فكان كلما سمع عن زوجة أو ابنة أو ابن أحد النبلاء أو عامة الشعب فإنه كان يأخذها بالقوة ويدنسها. ولذلك كرهه النبلاء وتمنوا أن يحكمهم أخوه الأوسط ركن الدين بدلا منه. فلما سمع ذلك خاف واتجه مرة أخرى إلى قونية، وجهاز علاء الدين^(٢٢٨) أخاه الأصغر وأرسله لتقديم الولاء إلى الخان، وأرسل معه رسالة قال فيها: "لقد أرسلت أخى الصغبر علاء الدين وهو سلطان مثلى، أما أنا فلم أتمكن من الحضور بسبب وفاة جلال الدين قرطاي^(٢٢٩) الأتابك، وبسبب عدو يتحرك ضدى ولكن فى مرة أخرى سأحضر". وعندما ذهب الأخ الأصغر والنبلاء الذين كانوا معه مات فى الطريق نتيجة لخيانة نبلائه، وبقي عز الدين وركن الدين^(٢٣٠) فى قونية. وعندما سمع عز الدين بموت أخيه الصغبر تمنى أن يقتل الأوسط حتى يبقى هو وحده.

ولما شعر النبلاء بهذا قاموا بتهريب ركن الدين. لقد قيل إنهم ألبسوه ملابس قدرة لأبناء الشغالين، وحمل على رأسه صينية من اللحم المسلوق، وأخرجوه ليلا من القصر وأركبوه على حصان. وفى إحدى الليالى أوصلوه إلى قيصرية وأجلسوه على العرش، واجتمعت عنده قوات كثيرة. وأخذهم ركن الدين وجاء ليشن الحرب ضد أخيه عز الدين. وتقابلا وخرج عز الدين وقابله فى معركة وهزمه مرة أخرى وحبسه فى قلعة دوالوا.

وفى سنة ١٥٦١ يونانية ٦٥٣ هجرية (١٢٥٥ ميلادية) قتل علاء الدين رئيس الفرقة الإسماعيلية فى قلعة شيركوه، أي: الجبل الأسود، وحكم بعده ابنه ركن الدين، فأرسل له هولاکو قائلاً: "إذا كانت نواياك سليمة تجاهنا وتريد الصداقة والسلام خرب كل قلاعك واحضر إلينا بنفسك، وإلا فجهز نفسك للحرب". حينئذ أرسل ركن الدين مسرعاً وخرب خمس قلاع خالية من المؤن ولا تستطيع الصمود أمام التتار وكتب، إلى هولاکو: "لقد أديت جزءاً من طلبك، وشيئاً فشيئاً سأهدم باقي القلاع." ولكن هولاکو بدهائه عرف أن ركن الدين يريد كسب الوقت؛ لذلك أرسل كتبغاً إلى القلعة المسماة: شاهديز^(٢٣١). وبعد يومين تمكن من أخذها ومعها ثلاثة حصون أخرى. فأخذ ركن الدين أحد أبناء المساكين[♦] وألبسه ملابس الملوك وأرسله إلى الملك رهينة، ولكن هولاکو رغم أنه كان يعرف أنه ابن كاذب لركن الدين لم يظهر أنه يعرف ولكنه أرجعه مكرماً وقال: "إنك أنت الذى أطلب وليس أنت". فأرسل أخاه الحقيقى الذى يدعى شيروان شاه^(٢٣٢) مع ثلاثمائة فارس. وأخذ هولاکو الفرسان وأرسلهم إلى قزوین^(٢٣٣) وأرجع شقيق ركن الدين إليه وقال إن ركن الدين نفسه هو الذى يجب أن يأتى.

وفى ليلة ميلاد المسيح عندما تهيأ ركن الدين للحضور شهر عبيده خناجرهم عليه وقالوا: "إذا ذهبت فسنتلك". اكتب إلى ملك الملوك واطلب منه أن يحمى نفسه منهم، ويضع خطة ليحضر إليهم ويحيا لأنهم جميعاً على وشك أن يهلكوا بحد السيف." وقبل ركن الدين الأمر. وفى إحدى الليالى نزل مع أبنائه وأهل منزله فاستقبل بحفاوة من ملك الملوك وأرسل إلى مدينة قزوین مكرماً. أما الفرسان الثلاثمائة فقد قتلهم المغول سرا وحكموا أيضاً. قلعة ميمون در التى جاء منها ركن الدين وخربوها (وكان قد حدث ذلك أيضاً للقلعة الحصينة التى تسمى الموت^(٢٣٤)، وقلعة كرنكوه^(٢٣٥) التى تقع

♦ أحد أبناء المساكين: أخذ صبيا عمره سبع أو ثمانى سنوات وادعى أنه ولده. (تاريخ مختصر الدول ص

فى قلب الماء). وأخذ التتار الخمسين قلعة الأخرى المحيطة بها وخربوها وهدموها، وقتلوا كل الذين كانوا بداخلها. وبذلك رحم الله كل ملوك العرب والمسيحيين الذين عاشوا فى فزع ورعب من خطر الإسماعيليين حاملى الخناجر وسافكى الدم البرىء .

ولما رأى ركن الدين رحمة هولاکو نظر نحو مخلصه وقال له بجرأة: "إن الأيام التى أعيشها الآن قد أضفتها إلى بكرمك ولذلك فإنى أطلب منك أن تسمح لى أن أمضيها فى سعادة". وأمر هولاکو الخزنة أن يعطوه كمية من الذهب والفضة . ولما أخذها بدأ فى الأكل والشرب والترف، وأحب إحدى بنات المغول، فأمر هولاکو فأعطيت له زوجة. وفى أحد الأيام عندما كان يشرب الخمر قال لأحد عازفى القيثارة وغنّ هذه الأبيات باللغة الفارسية:

— لقد جئت إليك مريضا كما أذهب إلى الطبيب

— لقد جئت إليك يا ملك الملوك حتى أحصل على الحياة بمقابلتك

— لقد جئت إليك لأجني فاكهة الصحة من محصولك

— إن لم يكن لذلك فبأى أسباب كنت أستطيع الحضور إلى أرضك

وعندما سمع هولاکو تلك الأبيات فرح فرحا كبيرا، وكان الحب واضحا بعينه. بعد ذلك طلب ركن الدين تصریحا أن يذهب ليرى مونككا خان فعين له هولاکو رسولا وأرسله معه. وفى طريقه تشاجر مع الرسول وحدثت بينهما عداوة، وعندما وصلوا إلى معسكر مونككا خان الرسول وقتله، ووصل الأمر إلى أبعد من ذلك؛ فقد تقرر أن تقتل كل ذرية (نسل) الإسماعيليين^(٢٣٦): ذكورا وإناثا حيثما كانوا.

فى هذه السنة نفسها خرج "بايجو نويان"^(٢٣٧) رئيس جنود التتار إلى جهة أرزن الروم وأرسل رسولا إلى السلطان عز الدين فى شهر آب (أغسطس) ، وطلب منه مكانا لتمضية الشتاء؛ لأن هولاکو ملك الملوك شقيق مونككا خان إذا رغب أن يشتى فسيتجه إلى موجان كعادته كل عام. وحضر

مع بايجو حاتم، من خدمة الخان الكبير، ودخل بلده يوم الجمعة الأول من أيلول، وكانت فرحة للمسيحيين . ولكن السلطان لم يعط لباشو المكان، واحتقره لأنه سمع أن رئيسا آخر أكبر منه _وربما سيده_ قد طرده من بلده، ولذلك استعد للحرب معه. وعندما جاء بايجو قابله السلطان عز الدين بجانب مخازن السلطان بين قونية وأقسرا، وهُزم وهرب إلى بلاده الداخلية التي على حدود نيقية[♦]. لقد أخرج رئيس قوات بيت الروم يوتاش بلغاي أوغول الذي قتل هو أيضا في هذه الحرب أخرج بايجو نويان ركن الدين من السجن وملكه على بيت الروم .

وفي سنة ١٥٦٧ يونانية (١٢٥٦ ميلادية) أرسل عز الدين رسولا من قصره إلى هولاکو وشكى بايجو، قائلا إنه يبعده عن المملكة وعن إرث آبائه. فأرسل هولاکو يارليغ^(٢٣٨) ، وأمر أن تقسم البلاد بين الأخوين .

لذلك عندما بدأت سنة ١٥٦٨ يونانية (١٢٥٧ ميلادية) هرب عز الدين وجاء إلى قونية، وكان ركن الدين مع بايجو في مكان شتوى فى البلاد الداخلية فى بيتونيا على شاطئ البحر. ولأن عز الدين كان يخشى بايجو بدأ فى تجهيز قوة له وأرسل أحد عبيده _ويدعى طوجرحاب_ إلى ملطية ليرسل جنودا من الأكراد والمعديين والترکمان. وعندما ذهب إلى قلعة زياد أحضر له من هناك اثنين من النبلاء الأكراد: أحدهما شرف الدين أحمد بن بلاس، الذى أعطى له ملطية والآخر شرف الدين محمد ابن الشيخ عدى، وقد أعطى له قلعة زياد . وعندما جاء ابن بلاس لم يستقبل من الملطيين، لأنهم كانوا قد أقسموا الولاء لركن الدين، وبدأوا فى شن الحرب على المواطنين، وعاشوا فى قسوة بسبب طول الشتاء. وكانت هناك مجاعة، فارتفع قفيز القمح إلى مائة وعشرين عمله سلطانية. وعندما لم يتحمل أبناء ملطية ثاروا على ابن

♦ نيقية : فى النسخة السريانية حدود "نيقية" (ص ١٥٣ عامود ٢ سطر ٣٠) ، والنسخة الإنجليزية حدود"

نينوى" (frontier of NINEVEH P.424).

بلاس وقتلوا من رجاله حوالي ثلاثمائة رجل، فهرب وذهب إلى بلدة قلوذيا^(٢٣٩) وأحرق دير مازنيق^(٢٤٠) ودير ماراسيا في أول يوم من أسبوع أحد الشعانين، أول نيسان (أبريل). وأحدث خرابا عظيما في البلدة، وكذلك في بلدة جوباس. ومن هناك اتجه في طريق آمد حيث لحقه صاحب ميافرقاط وقتله. أما الآخر ابن الشيخ عدى الذي كان في قلعة زياد _ فبعد أن تحمل سكان القلعة كثيرا من التعذيب أخذ إخوته وزوجاته، واتجهوا في طريق قماح حتى يصل لمساعدة السلطان عز الدين، وهناك أدركته قوات أنكورك نوين وقتلته. وعندما سمع السلطان عز الدين بهذه النهاية السيئة التي حلت على الأكراد الذين جاءوا لمساعدته _ أرسل على بهادر رئيس القوات إلى ملطية. كان قصير القامة وضعيف البنية، ولكنه كان محاربا قويا ذا مهارة فائقة في شئون الحرب. وعندما جاء رحب به أهل ملطية وظهرت منه مساعدة لأبناء البلاد، وأعدت الطرق وفتحت الممرات، وحملوا القمح من كل مكان. في هذا الوقت امتلأت الجبال والمرتفعات والسهول المحيطة بملطية بالتركمان الأوجاريين الذين كانوا ينهبون في كل مكان. لقد أخذوا من قرية واحدة فقط في بلدة حصن منصور سبعة آلاف بقرة وحمار وأتان وخمسة وأربعين ألف غنم وماعز، وأخذوا _ أيضا _ دير مازنيق وماراسيا ومازديميط، ونهبوا منهم خيرات كثيرة، ولقد طاردهم على بهادر نفسه وأخيرا طردهم من البلد. أما رئيسهم الذي يدعى جوتى بك فقد قبض عليه وحبسه في قلعة المنشار. وعندما كان أبناء ملطية ينعمون بهذه الفترة من الهدوء خرج بايجو مع قواته من بلاد بيتينيا الداخلية، وخلال أيام شهر نيسان (أبريل) انتشروا في بلاد خلاط وكبادوقيا، وبدأوا في شن حرب على القلاع حتى سلموها لركن الدين ووصلوا إلى بلدة أبلستين وسفكوا دماء كل شعبها حوالي سبعة آلاف. أما الأولاد والبنات فقد أخذوهم أسرى. ووصلوا إلى ملطية في يوم السبت في بدر أيلول، وهرب بهادر إلى كاختين، وجعل بايجو أبناء ملطية يقسمون يمين الولاء في جانب ركن الدين. وقد أخذ منها دنانير كثيرة وترك بها فخر الدين

أياز أحد عبید رکن الدین، وانتقل هو بنفسه إلى قلعة زیاد؛ لأنه كان قد صدر له أمر من ملك الملوك هولاکو أن يحضر مسرعا إلى بغداد .

وفي بداية سنة ١٥٦١ يونانية ١٢٥٨ ميلادية في موسم الخريف وصل بايجو نويان إلى الموصل، ولم يؤذ هذا البلد كثيرا؛ لأن الملك الصالح بن بدرالدين صاحب الموصل في هذه الأيام كان قد جاء من خدمة هولاکو، وأعطيت له ترکان بنت جلال الدين خوارزمشاه زوجة وكانت معه في ملابس المغول. حينئذ هرب المواطنون جميعا إلى المدينة واختبأوا حتى عبر بايجو. أما على بهادر فبمجرد أن عبر بايجو نوين الفرات رجع عائدا إلى ملطية، أما المواطنون فبسبب قسمهم لركن الدين و_أيضا_ بسبب خوفهم من بايجو فقد أغلقوا أبواب المدينة في وجهه، فجمع قوات من الأجرأجایا وبدأ في شن الحرب عليها. وكانت المدينة في ضيق شديد بسبب الحرب والجوع، فقد بلغ ثمن قفيز الملح أربعمئة عملة بيضاء سلطانية، والقمح سبعين عملة. وعندما لم يتحمل الشعب الجوع والحصار ثاروا في إحدى الليالي، وفتحوا أبواب المدينة وأحضروا بهادر والأجرأجایة الذين كانوا معه. وفي الليل جعلوا النداء يرتفع على مآذن المساجد ونادوا بالسلام للعرب والمسيحيين، وشجعهم ألا يخافوا أن غضبه كان ضد النبلاء وليس المواطنين.

وفي صباح اليوم التالي أخذ عبد ركن الدين وحبسه وأركب شهاب عارض على حمار، وطاف به حول المدينة وسخر منه ثم قتله. وآخر يدعى الأيكد بشاسي ربط طرف حبل في عنقه والطرف الآخر في رقبة كلب، ودار به في المدينة ثم قتله. أما القس قالويان وأخوه باسيل ومانويل وابنه كيريوري الذين كانوا محامين كبارا _ فقد قتلوا بالطريقة نفسها. ومع هؤلاء الثلاثة قتل _أيضا_ أبناء شهاب الدين أيسو الذين كانوا أمراء أكراد. حينئذ توقف القتال ونعمت المدينة بالسلام قليلا. ولكن المجاعة ازدادت كثيرا بعد أن فتحت أبواب المدينة؛ لأنها كانت قد أصبحت صحراء جرداء ولا يأتي أي

شيء من مكان آخر بسبب قطاع الطرق التركمان. ولقد باع الكثيرون أبناءهم وبناتهم إلى الأجارايا، وآخرون أخذوا أحذيتهم القديمة وسلقوها وأكلوها. ووجدت سيدة تشوى ابنها، وعندما أدانوها أقسمت أنها لم تقتله بل إنها شوته بعد أن مات. ووجدت أيضا سيدات أمامهن جثة امرأة ميتة ويقطعن من لحمها شرائح ويشوينها ويأكلنها. وعندما أدرك بهادر أنه لن يستطيع الصمود أمام التتار ترك المدينة وهرب إلى السلطان عز الدين ومعه حسام جوبان وبرصوما ابن أندراوس الذى قتل وهم فى الطريق.

وفى أثناء تلك المجاعة ثار بعض شباب جوباس المسيحيين فى الجزيرة فى قرية عبرتا^(٢٤٢)، وخرجوا ونهبوا وقتلوا إخوانهم المسيحيين ودخلوا وأكلوا. وفى هذا الوقت مرض ثاونوروس بن قلاوين ملك نينوى فى بلدة نيقية. وعندما شعر بالموت نادى له أرسانيوس البطريرك وسلم له رعاية وتربية قلاوين ابنه لأنه صغير السن. وكان وقت ذلك تحت قيادة الصاحب ميخائيل الذى كان يدعى باليولوجوس. ولذلك خاف منه الملك ثاونوروس أن يقوم بثورة ويستولى على المملكة بالقوة. فعلا حدث ذلك؛ ولذلك أمر الصاحب ويدعى جادنيوس أن يذهب إلى تسالونيقي حيث كان ميخائيل، ويكبلونه بالحديد ويحضرونه إليه. عندئذ ذهب جادنيوس وقال لميخائيل: "أنا أعلم أنك ستصبح ملكا، ولكن سلم نفسك بدهاء ودعنى أكبلك بالحديد وتعال معى إلى الملك، وعندما يرى عمك سيعفو عنك ويكرمك". وفعل ميخائيل ذلك وذهب إلى الملك مكبلا بالأغلال. وعندما رأى الملك أنه لا يشتكى عفا عنه، وجعله شريكا مع البطريرك فى تدبير شئون الغلام. وبعد عدة أيام ترك هذه الحياة وتولى موزالون وزيره الذى كان ختن كيرايلونيا أخت الملك، فأخذه إلى دير مغنيسيا ووضعها هناك أياما فى قبر أبيه؛ حتى يجهز الأمر مع حماته أخت الملك الذى هيا له الفرصة ليصبح ملكا، ويقضى على النبلاء الذين لا يسلمون له. وعندما كشفت هذه الحيلة لميخائيل ولباقي النبلاء أمروا الفرنجة الذين كانوا جنودا معهم أن يذهبوا إلى الدير ويقطعوا موزالون حيثما كان بالسيوف. وعندما صعدوا إلى الكنيسة وجدوه هناك يصلى فقطعوه إربا

إربا. وصعد النبلاء وصرخوا بصوت مرتفع: "يعيش ملك اليونان ميخائيل باليولوجس، يعيش أوطوقراطور رومانيا ميخائيل باليولوجس". ومن هناك ذهب جميعهم إلى نيقية وأخذوا الطفل قالويان، وأرسلوه وحبسوه فى إحدى القلاع، وأيضا أرسلوا أرسانيوس البطريرك إلى المنفى فى دير فى إحدى جزر بحر بنطس .

وبعد قليل من حكم ميخائيل قرر أن يذهب إلى القسطنطينية لأنه سمع أنه توجد بها قوة صغيرة مع بجدوين ملك الفرنجة صاحبها. وفى أثناء رحلته أرسل وأخذ نيقيفورس مطرابوليط أفسوس. وجعله بطريركا لبلدة قاليفولى بدلا من أرسينيوس الذى كان قد نفى. وانتقل من هناك وذهب وعسكر عند القسطنطينية، ولم يتمكن من أخذها لأن أبناء المدينة والفلاحين والجنود قاوموا ببسالة على الأسوار وحاربوا بجدارة. وعندما رأى ميخائيل أنه لن ينجح تركها ورجع. وبعد فترة تشاجر البندقيون وهم التجار الفرنجة فى مدينة عكا مع الجنابيز، وانضم الفيزنايا إلى البندقيين، وعندما سمع البندقيون. الذين كانوا فى باقى البلاد أسرعوا بدون تأخر لمساعدة زملائهم، وخلت القسطنطينية منهم. وفكر ميخائيل فى حيلة أخرى وأمر رئيس قلعة من أتباعه أن يظهر العصيان ويرسل إلى بجدوين فى طلب قوة وتسلم له تلك القلعة. واستعد ميخائيل بسرعة وعسكر ضدها، ولقد تملق ميخائيل بعض المواطنين، وفى إحدى الليالى فتحوا له الأبواب القديمة وكانت لم تفتح منذ عهد قسطنطين الغازى. ودخل اليونانيون وهاجموها بالسيف، وبصعوبة تمكن بجدوين أن ينقذ نفسه وأهل منزله، وأخذوا زورقا صغيرا وهربوا إلى الفرنجة. وهكذا عادت القسطنطينية إلى حوزة اليونان بعد أن ظلت مع الفرنجة لفترة ثلاثة وخمسين عاما. لم يعش البطريرك نيقيفورس غير الشرعى طويلا، ولكنه مات سريعا وعين ميخائيل مكانه رومانوس بطريركا لمدينة أوريانابولس، وبمجرد أن عين اشترك فى إحدى الفضائح وطرد. حينئذ أرسل الملك ميخائيل وأحضر أرسانيوس البطريرك من المنفى، ووعده أن يخرج قلاوين ابن الملك من سجنه ويسلمه ملك أبيه، وأنه سيحمل

القسطنطينية التي أخذها بالسيف وحده. وصلى البطريرك من أجله، ورعاه
وجلس مرة أخرى على العرش. وبعد أن اطمأن ميخائيل البطريرك أضاف
مساوئ إلى مساوئه؛ فبدلاً من أن يخرج قلاوين من السجن وينصبه ملكاً
أرسل وفقاً عينه وجعله أعور. وعندما علم البطريرك بذلك تولى منصبه
بنفسه، ورجع إلى سجنه وأتى الملك برئيس دير يدعى يوسف[♦] وجعله
بطريركاً، وأصبح منذ ذلك اليوم رئيساً. ولقد ظهرت تلك السيئات في ملطية
في أيام الشتاء.

♦ يوسف : جاءت هذه الكلمة في المتن السرياني مكتوبة بزيادة حرف "الألف" في بداية الكلمة "أيوسف"
(ص ٧١٥٥ عامود ١٥ سطر ١١). أما BUDGE فلم يكن متأكداً من ترجمته فذكر كلمة "يوسف؟"
ووضع بجوارها علامة استفهام (p429 (whose name was JOSEPH ?))

الاستيلاء على بغداد

نزل ملك الملوك هولاءكو إلى بغداد، ووصل أيضا بايجو من بيت الروم، وخرجت قوات بغداد لمقابلة التتار. وكان يرأس الفاتحين أمير كردى يدعى: بركورر والدويدار* الصغير بن الخليفة. وبقي الجانبان أمام بعضهما البعض بدون حرب لمدة ثلاثة وعشرين يوما. وفي اليوم الرابع عشر الثامن من الشهر الأول للعرب سنة ٦٥٦ هجرية (١٢٥٨ ميلادية) _أى: سنة ١٥٦٩ يونانية_ اقترب أولا بايجو نوبين وقواته لمكان يسمى قبر أحمد من الناحية الغربية لبغداد، واقتربت قوات بغداد وتقابلوا وهُزم جانب بايجو نوبين وظفر أهل بغداد بالنصر. كان الأمير سليمان شاه^(٢٤٣) مع قواته على سور بغداد. وعندما حل المساء قال بركورر العجوز إلى الدويدار الصغير: "لقد أعطانا الرب النصر، وإنه من الواجب أن نذهب إلى منازلنا ونستريح ثم نخرج من جديد ونحارب." كان الشاب مغرورا فرفض أن يدخل، أمضوا طيلة الليل فى الخارج. ولأن أهل بغداد كانوا قد عسكروا على أرض منخفضة فذهب التتار وقطعوا جسرا فى مجرى الماء الكبير من دجلة. وفى منتصف الليل فاضت عليهم المياه وبدأوا فى الهرب من المياه، حاملين سهامهم ورماحهم وأغماد سيوفهم. وعندما بزغ النهار عاد التتار أتباع هولاءكو واستمرت المعركة حتى الساعة التاسعة من اليوم الخامس. وهُزمت قوات بغداد وأصبحوا لا حول لهم ولا قوة. وقد قتل بركورر وهرب الدويدار ودخل المدينة. حينئذ جاء بايجو نوبان وقواته وعسكروا فى غرب بغداد. أما هولاءكو* فقد عسكر فى الجهة الشرقية. وفى اليوم الثانى _أى: اليوم الثالث عشر من الشهر الأول_ شنوا حربا شعواء على المدينة ضد تاج قصر الخليفة. فقام الخليفة المستعصم البائس واستدعى: العلقمى^(٢٤٥) وزيره، ونجم

◆ الدويدار: هو مجاهد الدين أيبك (الصيد: المغول فى التاريخ ص ٢١٤)

◆ ◆ هولاءكو: إن هولاءكو قد ترك معسكراته فى "خانقين" وواصل سيره إلى بغداد ونزل فى الجبهة الشرقية

منها فى الحادى عشر من محرم سنة ٦٥٦ هجرية سنة ١٢٥٨ ميلادية (تاريخ مختصر الدول ص ٢٧١).

الدين عبد الجنى، وابن درنوش، ومار مكيكا الكاثوليكي^(٢٤٦)، وأمرهم أن يأخذوا كميات من الذهب وأملاكا ملكية وجيادا عربية ويخرجوا رسل التتار من السجون ويلبسوهم ويعطوهم هدايا كثيرة، ويذهبوا معهم إلى ملك الملوك ويطلبوا عهدا لحياة الخليفة ولأبنائه وبناته، ويعتذروا عن الذى حدث بسبب ناصحى السوء. فإذا أظهر عطايا وأعطاهم حياتهم سيصبحون عبيدا له ويدفعون له جزية. وعندما خرج هؤلاء إلى ملك الملوك ونقلوا رسالة الخليفة، قبض عليهم ملك الملوك ولم يسمح لهم أن يرجعوا إلى الخليفة واستمر فى الحرب. وتقب التتار ثقبا كبيرا فى برج العجمى ودخلوا المدينة فى يوم الجمعة اليوم الخامس والعشرين من الشهر الأول* وثار عليهم أبناء المدينة وأخرجوهم من جديد إلى الخارج. وفى اليوم الثامن _أى: يوم السبت_ هاجم التتار مرة أخرى واستولوا على كل الأسوار، وهرب أهل بغداد واختبأوا فى المنازل والسراديب التى تحت الأرض. وفى يوم السبت خرج أبناء الخليفة** إلى ملك الملوك، وبعد ساعة خرج الخليفة بنفسه إلى ملك الملوك. فأمر ملك الملوك بتكبير الخليفة بالحديد، وفرض عليه حراسة من حراس إحدى خيامه لمدة سبعة أيام حتى دخل ملك الملوك بنفسه إلى قصر الخليفة، وفحص الكنوز والأشياء الثمينة قديمها وحديثها التى كانت مخبأة والمخزونة، فكشف عنها كلها وأخرجها. فسحب المغول سيوفهم وقتلوا من أهل بغداد ما يقرب من عشرة آلاف رجل، وخاصة أهل أيبيريا فقد قتلوا الكثيرين. وجمع الكاثوليكي كل المسيحيين فى كنيسة سوق الثلاثاء حماية لهم ومحافطة عليهم، ولم يصب أحد من المسيحيين. ولقد أحضر العرب الأثرياء كميات كبيرة من ثرواتهم إلى الكاثوليكي أملا فى إنقاذ أنفسهم والمحافطة

◆ الشهر الأول : الشهر الأول هو شهر محرم.

◆◆ أبناء الخليفة : تذكر بعض الروايات أن الخليفة خرج بأبنائه الثلاثة، فقد رحل هولاء من بغداد. وفى أول مرحلة قبل الخليفة المستعصم (آخر الخلفاء العباسيين) وابنه الأوسط وابنه الكبير مع مجموعة أخرى. (تاريخ مختصر الدول ص ٢٧٢).

على أملاكهم ولكنهم قتلوا جميعهم. وبعد فترة وجيزة هدأت ثائرة ملك الملوك فأحضروا الخليفة وصاحبه أمامه وحكم عليه بالسجن حتى الموت. وعندئذ أوثقوه ووضعوه في جوال وخيطوه عليه وقتلوه بضربات أقدامهم^(٢٤٧). وقد حدث هذا لأن بعض العرب قد أفزع ملك الملوك وقالوا: "إذا أريق دم هذا الرجل على الأرض لن تسقط الأمطار مرة أخرى، وستفجر منه شواظ من النار".

هنا وصلت مملكة العباسيين إلى نهايتها وبدأت تتزعزع باقى ممالك العرب. وانتصرت مملكة المغول فى البلاد الخارجية وكذلك فى البلاد الداخلية. وفى طريق عودة التتار من بغداد جاءوا وعسكروا عند قلعة إربل^(٢٤٨). وعندما أراد صاحب بن صلايا^(٢٤٩) أن يسلمها تصدر له عدد كبير من الأكراد المقيمين داخلها، فاضطر إلى الهروب إلى التتار. ثم جاء بدر الدين لؤلؤ واشترى القلعة وكل من كان بها من التتار بسبعين ألف دينار، فرحل التتار وتسلم بدر الدين قلعة إربل ووضع عليها حراسة.

وبعد قليل حصل شرف الدين جلالى أمير كردى على أمر وأخذ القلعة من بدر الدين وطرد الحراس الذين كانوا هناك. أما جلالى فذهب مع قسوات التتار إلى الثوار الأكراد الذين كانوا فى "جولمرج"، فأرسل بدر الدين بعض الأكراد وقتلوه فى أثناء نومه فى خيمته. وقام بالحكم معتز شقيق صافى سليمان طبيب مسيحي كبير فى إربل. وبعد وفاته قام بدلا منه ابن تاج الدين عيسى رجل طيب ومؤمن. وفى أثناء ذلك حدثت مجاعة شديدة وطاعون فى كل بلاد: سنجار وأشور وبين النهرين وسوريا وبيت الروم. ولقد بيعت فى دمشق حمامة صغيرة لرجل مريض بائسى عشر نصراانيا.

بداية الأسرة الحادية عشرة التي انتقلت من ملوك العرب إلى ملوك الهون هولاكو ملك الملوك وشقيق مونكا خان الكبير

عندما قتل الخليفة المستعصم وعين ملك الملوك على بغداد على بهادر في أثناء تلك الحرب _ أرسل مسيحيو تكريت إلى الكاثوليكس، طالبين منه صاحباً لحمايتها، فأرسل لهم رجلاً ليرعاهم. ولكن عندما ذهب التتار قتلوا كل نبلاء العرب وسلبوا كل ممتلكاتهم. ولقد تمتع جميع مسيحي الكنيسة الخضراء التي عرفت باسم أجودامة^(٢٥٠)، التي كان العزب قد استولوا عليها بالحماية وظلوا دون ضرر منذ بداية الصوم حتى أحد الزعف، أي: اليوم السابع عشر من شهر آذار سنة ١٥٦٩ يونانية (١٢٥٨ ميلادية). فقام رجل عربي مكر يدعى بردورى فشكا المسيحيين إلى صاحبهم قائلاً: "إنهم قد أخفوا أكثر ثروات العرب التي قتل أصحابها ولم يعطوا لك شيئاً". وعندما سأل صاحب المسيحيين عن ذلك لم يتمكنوا من الإنكار، ولكنهم اعترفوا وأحضروا كل شيء أمامه. فأرسل وأخبر ملك الملوك وصدر حكم الموت على أهل تكريت البؤساء تبعاً لقوانين المغول. فأرسل واحداً من كبار قادته ومعه قوة من التتار وبدأوا في القبض على المسيحيين: عشرين عشرين، وساقوهم إلى القلعة مدعين أنهم سيهدمونها وقتلوهم. واستمروا في ذلك إلى أن قضوا عليهم، ولم يهرب إلا رجل وامرأة مسنان وأولادهم وبناتهم الذين تم أسرهم من قرية كرمة (بالقرب من تكريت)، مع بعض الرجال القلائل الذين ظلوا هناك في باقى الكنائس ليصلوا. ولقد قام بهرام^(٢٥١) المسيحي صاحب تكريت بقتل بردورى الواشى. وعندما سمع بدر الدين صاحب الموصل أن بغداد أخذت أرسل ابنه الملك الصالح مع ألف فارس تقريباً

لمساعدة ملك الملوك ولم يستقبله بترحاب وقال له: " إنك كنت تنتظر لمن يكون النصر ثم تنضم إليه، ولو كان الخليفة قد انتصر على لكنت قد ذهبت إليه ولم تأت إلي. "وعندما رجع الصالح إلى بدر الدين والده وأخبره ارتجف بدر الدين وقام وأخذ كميات من المال لا تحصى وذهب بنفسه إلى ملك الملوك ورجع بسلام. وبعد مرور هذا الحادث المرعب كانت له حرية الكلام فصعد على العرش بجانب ملك الملوك وأمسكه من أذنه، ووضع بيده قرطا من اللؤلؤ النفيس . فى هذا الوقت تولى الأشرف بن الملك الغازى بن العادل الكبير حكم ميافارقين، وكان يفكر فى العصيان بقلبه. وقام بصلب رجل كهل سرياني من بلدة بدليس^(٢٥٢) كان قد صدر إليه يارليغ من الخان، وطرد حكام المغول من عنده وقام وذهب إلى دمشق إلى الملك الناصر، طالبا منه العون ليقابل التتار فى معركة ويمنعهم من النزول فى سوريا، وإن أمكن طردهم بعيدا عن بغداد. ولكن الملك الناصر وعده وعودا جوفاء وعاد إلى بلده ميافارقين، وبمجرد وصوله أحاطته قوات التتار وكان على رأسهم يشموط^(٢٥٣) ابن ملك الملوك. وبنوا حولها أسوارا، وأقاموا أبراجا يحاربون من الخارج الذين فى الداخل حاربوا أمامهم بقوة أشد؛ ولذلك ظلت بدون هزيمة لمدة عامين. ولكن بعد سقوط بغداد احتلت القوات ميافارقين، وبدأت تصل رسل من قبل ملك الملوك إلى الملك الناصر طالبين منه الذهاب لخدمته. ولكن نبلاءه لم يوافقوا على ذهابه؛ فلذلك دبر خطة وأرسل ابنه الملك العزيز مع كنوز وهدايا كثيرة فى خريف سنة ١٥٧٠ يونانية (١٢٥٩ ميلادية)، وظل هناك طيلة الشتاء . وفى الربيع رجع إلى حلب بعد احتفال القيامة وقال لأبيه إن ملك الملوك قال لى: "لم نطلبك ولكن طلبنا أباك. إذا كان هناك فدعه يأتي بسلام وإذا لم يحضر فسندهب نحن إليه". وظل الملك الناصر لا يستطيع الحركة لأمرين: لا يستطيع البقاء خوفا من التتار، ولا يستطيع الذهاب خوفا من نبلائه وعبيده أن يثوروا عليه ويقتلوه فأصابه الذعر والخوف. وفى أثناء ذلك أرسل ملك الملوك إلى السلطان عز الدين وركن الدين أبناء بيت الروم، أرسل إليهما أن يحضرا لمساعدته. فذهب كلاهما وقوبلا

بالترحاب وأصدر ملك الملوك أمرا أن يتملك ركن الدين من قيصرية حتى حدود أرمينيا الكبرى. أما عز الدين فيتملك من أفسرا إلى شاطئ البحر عند حدود مملكة اليونان^(٢٥٤). وتصادق الأخوان مع ملك الملوك وذهبا معه حتى وصلا إلى ما بين النهرين، ومن هناك صعدا إلى بيت الروم. ومكث ركن الدين في سبسطيا، أما عز الدين فذهب واستقر في قونية. في هذا الوقت صعد السلطان عز الدين إلى دير برصوما. ووعده البطريك مار ديونسيوس بالخيرات.

وفي هذه السنة توفى بدر الدين^(٢٥٥) صاحب الموصل في العشرين من تموز وتولى ابنه الأكبر الملك الصالح إسماعيل حكم الموصل، كما حكم سنجار ابنه الأوسط علاء الدين * أما سيف الدين ابنه الأصغر فتولى حكم جزيرة قاردو.

وفي سنة ٦٥٨ هجرية (١٢٥٩ ميلادية) سنة ١٥٧١ يونانية (١٢٦٠ ميلادية) في موسم الخريف تحرك ملك الملوك مع قوة كبيرة مكونة من أربعمئة ألف فارس إلى بلاد ما بين النهرين، فعسكروا أولا عند حران فاستسلم مواطنوها دون مقاومة وعاشوا في سلام، وكذلك فعل أهالي الرها. أما أهالي سروج الذين لم يرسلوا طالبين ضمانا لحياتهم فقد قتلوا جميعا. أما ملك الملوك فقد أمر بمد جسور على الفرات في ملطية وفي قلعة الروم وفي

◆ علاء الدين : هو الابن الأوسط لبدر الدين، وقد حكم سنجار بعد وفاة والده ولكن جاء في المتن

السرياني أن ابن بدر الدين الأوسط هو جلال الدين (١٥٧ عامود ١ سطر ١٣)، ولكن الصحيح هو

"علاء الدين" هو الابن الأوسط، كما ورد في الترجمة الإنجليزية (his intermediate son whose

(name was ALA AD-DIN reigned in SINJAR p.435). كان لبدر الدين ثلاثة أبناء،

فبعد وفاته تولى ولده الملك الصالح إسماعيل "الموصل"، وولده علاء الدين "سنجار"، وولده سيف الدين

"الجزيرة" (تاريخ مختصر البشر ج ٣ ص ١٩٨).

البيرة وقرقيسون[♦]، وعبرت القوات إلى سوريا مع ملك الملوك ومعه توقيوز خاتون الملكة المؤمنة والمحبة للمسيحية. وكان في منبج كثير من القتلى ولقد أرسل مقاتلين ضد قلعة ألبيرة وقلعة نجم وقلعة جعبر والرقعة وبلش وقتل كل الذين كانوا بها.

وفي البداية عسكرت قوات قليلة العدد بالقرب من حلب وخرج الملك المعظم الكهل ابن صلاح الدين وتقابل معهم وهزمهم ودخل حلب. حينئذ قام التتار بالعبور وذهبوا وخرّبوا مدينة المعرة واتجهوا إلى حماة التي استسلمت بسهولة وكذلك حمص، فأخذ الملك الناصر زوجاته وأبناءه وعبيده وخرج من دمشق وهرب إلى صحراء الكرك وشوبك. أما التتار فقد توجهوا إلى دمشق حيث استسلم حكامها بسهولة ولم يؤذهم التتار، وعسكر ملك الملوك بنفسه ضد حلب وأمر ببناء حوائط خارج الأسوار الدائرية لحلب وشنوا عليها حربا شعواء. وبعد أيام ليست بكثيرة استولوا على الأسوار من ناحية باب العراق، ودخلوا حلب في أول يوم من أسبوع صوم نينوى^{♦♦} في شهر كانون الثاني (يناير) في السنة المذكورة، وكان القتلى في حلب كما في بغداد وأكثر. ولقد خربوا الجزء الخارجى من سور كنيسة حيث كان مواطنو بعلبك فذهبوا - أنا المطرابوليط^{♦♦♦} - ذهبوا لخدمة ملك الملوك وحبست في قلعة نجم. وظل أبناءنا المؤمنون من شعب حلب دون رئيس، وقد اجتمع أغلبهم في كنيسة اليونان وهاجمهم التتار وقتلوهم وأسروا عائلاتهم. ولقد ذهب ثوروس الأرمني ابن الأخ الأكبر القديس الكاثوليكي قسطنطين مع الراهب

♦ قرقيسون: ورد اسم هذا البلد في النص السرياني "قرقيسون" (ص ١٥٧ عامود ١ سطر ٢٧)، هذا صحيح.

أما الترجمة الإنجليزية فقد ورد اسم البلد "قرقيسيوم" ووضع بين قوسين "أسروان" (and at

P.435(CIRCESIUM(OSRHOENE)

♦♦ صوم نينوى: هذا اليوم يوافق يوم الأحد، الثالث والعشرين من كانون الثاني سنة ٦٥٨.

♦♦♦ أنا المطرابوليط: المقصود هنا هو المؤرخ "ابن العبري" كاتب النص؛ فقد كان في ذلك الوقت رئيس

أساقفة حلب. (المغول ص ٢٩٤).

كورك؛ ليحررا كل من يجدونه حيا وجمعوهم في كنيستنا. وعندما أخذنا المدينة شن التتار حربا على القلعة واستولوا عليها دون قتال. ومن هناك توجه ملك الملوك إلى قلعة الحارم^(٢٥٦)، وطلب من مواطنيها الاستسلام وأقسم لهم أنه لن يؤذيه فاجاب المواطنون: "على الرغم من أنك ملك فإنه ليس لك دين فبماذا نجعلك تقسم؟ إذا أقسم لنا فخر الدين^(٢٥٧) صاحب قلعة حلب أنه لن يؤذينا فسنترك المدينة". عندئذ أمر ملك الملوك فخر الدين بالرحيل ففعل وأقسم لهم وفتحوا أبواب القلعة ونزلوا، وأمر ملك الملوك بقتلهم فقتلهم جميعا رجالا ونساء وأولادا وبنات وحتى الأطفال الرضع، ولم ينج إلا حداد أرمني. كما قتلوا أيضا فخر الدين الذي كان قد أعلن خضوعه. ولقد قام أحد نبلاء حلب بالوشاية بولي الدين بن صفى الدين قائلا: "إنه هو الذى قتل أبى وإخوتى، وقال لهم سلموا المدينة حتى لا نموت بالسيف". وعندما اقترب من النهاية ترك ملك الملوك فى فلسطين صاحبها قبله يدعى كتبغا_ مع عشرة آلاف فارس أى تومان^(٢٥٨) و(التي هى ربوئا)، ورجع من حيث أتى. وعندما وصل إلى تل باشر علم أن التتار قد استولوا على ميفارقين، وأسروا الملك الأشرف صاحبها، وأحضروه إلى الخان الأعظم (ملك الملوك) الذى قتله. حينئذ حكم ميفارقين رجل يدعى عبد الله، وكان يعمل من قبل رئيسا لحظائر والد الأشرف. وقد حدثت بها مجاعة لم يسمع بمثها من قبل، حتى أهلكت كل شعبها ولم يبق سوى مائة نفس. وعلى الرغم من هذا كله لم يتمكنوا من الاستيلاء عليها إلا بعد مشقة بالغة. أما باردو_ أحد مواطني ميفارقين الذى نجا منها كما تتجو العصى المحترقة من اللهب المشتعل_ فقد قص على ما يلي: "فى أحد الأيام تاقت نفسى إلى أن أكل مع أفراد أسرتي قمحا مسلوقا مع لحم ثور. وبخمسائة زوزا نصرانية استطعت بصعوبة أن أهين قدرنا تكفينا". وعندما عبر ملك الملوك الفرات أمر صاحب

♦ باردو : هو اسم أحد مواطني " ميفارقين" وقد ورد فى النص السرياني "باردو" (ص ١٥٨ عامود ٢ سطر ٨) ولكن BUDGE ذكر انه "اردو" (ARDU p.437).

ماردين بالتوجه إليه، ولكن الصاحب رفض طلبه، كما أرسل إلى الملك المظفر ابنه لأنه هو وابن بدر الدين صاحب الموصل كانا في خدمته في حلب، وقال له: " اذهب وأقنع والدك أن يحضر ولا تسمح له أن يثور ويهلك". وعندما ذهب الشاب إلى أبيه لم يصغ إلى طلبه، بل أوثقه بوثاقه. فأرسل ملك الملوك قوات وعسكروا عند ماردين وبدأ في شن حرب عليها، ولولا إرسال الرب - جل اسمه - وباء هناك لما استطاعوا الاستيلاء عليها ولو بعد عدة سنوات. ووفقا لمشيئة الله هلك عدد كبير من الشعب الذي كان موجودا، كما مات أيضا السلطان. فجاء الملك المظفر ابنه وتسلق القلعة واستولى عليها، فكرمه ملك الملوك وقدره تقديرا كبيرا ودفع له أعظم الأجر ونصبه صاحبا. أما كتبغا فبحث عن المكان الذي اختبأ فيه الملك الناصر فوجده في الصحراء، فأرسل إليه قوة قبضت عليه وأسرته وأحضرتة إليه حيا، وأرسله كتبغا إلى ملك الملوك. وعندما ذهب إليه الملك الناصر استقبله بسرور وأكرمه، ووعدته أن يرجعه مرة أخرى إلى مملكته.

وفي هذه الأيام انتقل إلى خدمة ملك الملوك هولاكو: الربان سمعان الكبير، وطبيب ابن الربان يشوع الكبير من مواطني قلعة الروم^(٢٥٩)، وازداد ثراؤه كثيرا وأحبه كل أبناء الملوك والملكات. وكانت له قصور ملكية وحدائق وبساتين وأبراج في المروج. وبلغ دخله كل عام حوالي خمسة آلاف دينار، وذلك من بابل وأشور وقابادوقيا ومراغة. ولقد حصل باقي شعبنا على المساعدة منه، ورفعوا رؤوسهم وحظيت الكنيسة بالطمأنينة والحماية في كل مكان.

وعندما سمع قطز التركي الذي يحكم مصر أن ملك الملوك قد ذهب والملك الناصر قد أسر وأرسل إليه وأن كتبغا بقي وحده مع عشرة آلاف فارس في فلسطين - جمع القوات المصرية وخرج وقابل التتار في معركة في سهل بيشان أمام جبل الطاق، وهزم التتار وقتل كتبغا في الحرب، وحُمل

أبناؤه أسرى فى اليوم السابع والعشرين من الشهر التاسع العربى ♦ سنة ٦٥٨ هجرية (١٢٥٩ ميلادية). وعندما وصل هذا الخبر إلى ملك الملوك غضب و فكر أن ينتزع مملكة العرب من جذورها، فأمر بقتل الملك الناصر وأخيه الملك الظاهر وكل من كان معهم، وذلك فى اليوم الرابع من الأسبوع اليوم العشرين من الشهر العاشر العربى ♦♦ سنة ١٥٧١ يونانية (١٢٦٠ ميلادية) ، فى الساعة التاسعة فى أحد مضايق نوشهر، عندما كان القمر فى تتراجونون هرمس. ولم يهرب منهم إلا موحد المعمارى ♦♦♦ ، والفلكى الذى قال لى: " إن هذا الرجل عندما كان جالسا مع الملك الناصر فى خيمته نادانى بجواره وسألنى عن مكان مولده". وفى وقت الظهر جاء قائد مغولى ومعه ما يقرب من خمسين مغولى فخرج الملك الناصر لمقابلتهم . عندئذ قال له المغول: "يوجد اليوم جلسة شراب عند ملك الملوك ويأمر أن تأخذ أخاك وأبناءك وتذهب إلى هناك مع نبلائك". فقام الملك الناصر واصطحب معه أقاربه ومن النبلاء ما يقرب من عشرين شخصا وركبوا وذهبوا. وبعد قليل جاء إلينا فى خيامنا عشرون فارسا وقالوا: " يجب أن يحضر الفرسان والمحامون ولا يبقى إلا الخدم الذين ينصبون الخيام والطهارة والرعاة". وعندما ركبنا حملونا بين وديان عميقة وأجلسونا حيث عسكر نبلاء المغول والآخرى الواقفون أمامهم. وعندما اقتربنا وبدأوا يتحدثون معنا فجأة انتشر المغول خلفنا وأمسك كل واحد منهم واحدا منا، فأشرت على النبلاء بأننى فلكى وأعرف تحركات النجوم، فنادوا على وأجلسونى خلفهم. أما الباقون فقد أبعدهم قليلا وذبحوهم، كما قتلوا الملك الناصر وأخاه والنبلاء، ولم يتعرضوا لأبنائه

♦ الشهر التاسع العربى : هو شهر رمضان.

♦♦ الشهر العاشر العربى: هو الذى يوافق شهر شوال فى الشهور العربية.

♦♦♦ موحد المعمارى : لم يخلص منهم غير "محبى الدين المغربى بسبب أنه كان يقول إننى رجل أعرف

بعلم السماء والكواكب والتنجيم، ولى كلام أقوله لملك الأرض". (ابن العبرى: تاريخ مختصر الدول

ص ٢٨٠).

بالإيذاء. وما زالوا أسرى حتى يومنا هذا عندهم . ثم ذهبوا وأحضروا القلة
الباقية التي كانت في الخيام وقتلواهم.

تولى قوبيلاي قا آن مملكة المغول

في هذه الأيام ثار على المغول أحد عظماء ملوك الصين "الخطاي"،
والذي يدعى أيضا: مانزي. وحسب ما كان يقال فإن هذا الملك كان قويا
واسع النفوذ يحكم حوالي أربعمئة مدينة*؛ لذلك اضطر مونككاخان^(٢٦٠) أن
يجمع قوة تضاهي قوة هذا الملك الصيني. فذهب بنفسه لمحاربته وأخذ معه
أخاه الأصغر قوبلای، واتجه نحو بلاد الصين الداخلية، وترك مكانه أخاه
أريق بوقا، وكان أصغرهم جميعا. وحدث لسوء حظ مونككاخان في أثناء
اشتباكه مع الملك أن أصابه سهم في مقتل ففاضت روحه. فأخذ أخوه قوبلای
كل قوات المغول وخرج من البلاد الداخلية للصين، واستقر في البلاد
الخارجية في مدينة خان باليغ^(٢٦١) الكبيرة. لقد وافق النبلاء* أن يصبح
قوبلای خانا ولكن أخاه الأصغر أريق بوقا قال: "إنه من اللائق أن يكون
الملك لي، لأن مونككاخان كان قد سلم المملكة لي قبل ذهابه إلى الحرب،
وفي حياته أجلسني مكانه. وعلى أثر ذلك اندلعت معارك كبيرة بين الأخوين
دامت سبعة عشر عاما. وفي النهاية هُزم أريق بوقا الأخ الأصغر وأُسر

◆ أربعمئة مدينة : لقد ذكر هذا العدد في الترجمة الإنجليزية (p.439 four hundred towns . أما في

المتن السرياني فقد ذكر "أربع مدن" (ص ١٥٩ عامود ١ سطر ٢٥). وهذا الرقم لا يتفق مع المعنى فقد

قالوا أن هذا الملك كان قويا وواسع النفوذ . وقد ورد "أربعمئة" في ابن العبري ص ٢٨١ .

◆ ◆ النبلاء : ذكر "ابن العبري" في النسخة السريانية "أن نبلاءه هم الذين وافقوا" (ص ١٥٩ عامود ٢

سطر ٢). وفي الترجمة الإنجليزية (p.439 KHAN and his brothers agreed that he should be

: (ويقصد به إخوان "قوبلای خان" فقد وافقوا على تنصيبه خان) ولكن على ما يبدو إن رأى

"إخوانه" أهم من رأى نبلائه.

وأبطل ترديد اسمه، وبقي الملك خالصا لقبولاي خان الملك العادل الحكيم حبيب، المسيحيين الذي أكرم الكتاب والعلماء والأطباء من الشعب. وبعد مقتل قطز حكم كتبغا دمشق وحلب وكل سوريا، وعين في كل بلدة صاحبا يعاونه مستشارون في القانون، ونقل معسكره حتى يستطيع غزو مصر، وأعد القوات وخرج من جديد ليقابل قوات المصريين. وفي الطريق عندما وصل إلى ضواحي غزة هجم عليه بيبرس البندقدار الصغير أحد مماليك البندقدار الكبير فقتله وذهب إلى مصر وحكمها، ولقب بالملك الظاهر ركن الدين. وفي هذا الوقت لجأ إليه علاء الدين بن بدر الدين صاحب الموصل فمنحه حلب. وقد لقي مسيحيو السواحل معاناة شديدة من بندقدار واستمر حتى يومنا هذا؛ لأنه كان صاحب جميع قلاعهم ما عدا عكا وطرابلس وصور، فقد تركها لهم .

وفي سنة ١٥٧٢ يونانية (١٢٦١ ميلادية) وصل التتار إلى سوريا بقيادة الأمير قوبلاي نوين، الذي وصل إلى حمص واستولى عليها وقتل أهلها. ولما كان سكان سوريا قد هربوا إلى حلب فقد أمر نوين أن يطردوهم جميعا إلى خارج المدينة. وجلس أبناء المدينة جميعهم في جانب واحد ورجعوا إلى مواطنهم. وعندما فعلوا ذلك قتلهم كلهم ولم يبق على قيد الحياة إلا أبناء حلب فقط، الذين قال لهم: "لم هربتم من أمامنا مع أنكم أصدقاءنا؟". وبعد هذه الحادثة عاد الأمير قوبلاي نوين من سوريا وعبر الفرات، وجاء المصريون من جديد وحكموا كل سوريا.

وفي صيف هذا العام بعث علاء الدين بن بدر الدين صاحب سنجار الذي كان قد هرب إلى المصريين، وبعث برسالة إلى الملك الصالح شقيق صاحب الموصل، موضحا له قوة المصريين وأنه من الأجدر له أن يترك الموصل فورا، ويذهب إلى البندقدار ينتظر هزيمة التتار، فيصبح ملكا ليس فقط على أشور ولكن على الشرق كله.

وفى أحد الأيام عندما جلس ابن يونس^(٢٦٢) - أحد نبلاء بدر الدين - بجوار الملك الصالح ومدّ يده تحت السجادة وسحب من تحتها الرسالة التي وصلت إليه من أخيه، فقام وخرج وذهب إلى قريته بعشيقا^(٢٦٣) في نينوى. وبعد ذلك طلب الصالح الرسالة فلم يجدها، وعلم أن ابن يونس قد أخذها، فأرسل على الفور عبيد ليبحثا عنه. وعندما وصلا إليه علم أن الشر ينتظره، وأنه إذا سقط في قبضة الصالح فسيهلك، لذلك أعطى هدايا للعبيد وأحضر لهما بعض الخمر وقال: "كلوا واشربوا واستمتعوا هذه الليلة، وفى الصباح سنذهب معا إلى الموصل". وعندما شربا وسكرا قام ابن يونس ليلا وامتطى جواده وأخذ رجاله وجاء إلى برطلي^(٢٦٤) ، وقال للصاحب عبد الله بن كوشو: "تبه شعبك واهربوا جميعا؛ لأن الصالح يستعد لقتل المسحيين كلهم ثم يهرب إلى مصر". فقام كل من تمكن وهرب إلى إربل فى أيام عيد الخمسين. وفى الصباح قام العبيد فلم يجدوا ابن يونس، فظنوا أنه قد سبقهم إلى الموصل، فذهبوا إلى هناك وأخبروا الصالح. حينئذ خشى الصالح أن يلحق التتار بابن يونس ويستعينوا بالقوات ويأخذوه، فقام واصطحب ابنه علاء الملك وعبيده وهرب إلى سوريا فى شهر آيار ((مايو)) من العام نفسه. وفى طريقه انشق بعض عبيده عليه وتركوه ورجعوا إلى الموصل، كما قام أبناء الموصل مع ياسان الصاحب المغولى وتركان خاتون ♦ الخوارزمية، التى رفضت الذهاب معه. وأغلقوا جميعا الأبواب فى وجه الذين جاءوا. وظلوا لعدة أيام يشنون الحرب عليها. حينئذ خرج محيى الدين بن زبلاق مع شعب شهرسوى أى السوق الرابع فى الموصل، وفتحوا له باب المدينة. ودخل علم الدين سنجر والذين معه. أما ياسان فقد هرب مع زملائه وقامت تركان بالاحتماء فى القلعة. وعندما دخل الغزاة الموصل قاموا باضطهاد

♦ تركان خاتون : هى بنت السلطان جلال الدين خوارزمشاه. وقد كتب هذا الاسم خطأ فى النسخة السريانية فقد كتب (كوركان) (ص ١٦٠ عامود ١ سطر ٢). أما الترجمة الإنجليزية فقد ورد فيها هذا الاسم صحيحا (تركان) (TURKAN p.440).

المسيحيين اضطهادا شديدا ونهبوا منازلهم، وقتلوا كل من يتحول عن الإسلام. وقد تنكر للعقيدة كثير من العظماء والقسس والعامّة، ما عدا قليلين من بيت سويداء _أى وادى كوكى_ وكذلك نفيس الصائغ.

وعلى الفور هرب الملك الصالح إلى مدينة نينوى الخارجية ونزل الأكراد وقتلوا عددا كبيرا من المسيحيين، وأخذوا دير الراهبات فى بيت كودياد، وقتلوا به أعدادا كبيرة كانوا قد جاءوا إليه من كل البلاد ليحتموا به. وصعد هؤلاء الملاحين إلى دير مار متى^(٢٦٥)، حيث اجتمع آلاف من الفرسان والمشاة وشنوا حربا على الرهبان لمدة أربعة أشهر. واستعانوا بسلام وأرادوا أن يتسلقوها ليقفروا داخل الدير، ولكن الرهبان منعوهم وأحرقوا سلامهم. حينئذ قطع الأكراد كتلة ضخمة من الجبل الذى فوق الدير وقذفوه بها، ولكن هذه الكتلة انشقت إلى جزأين: قسم أحدث كسرا بالحائط واستقر داخله كالحجر الثمين فى الخاتم الذى لا يمكن انتزاعه، والقسم الثانى اخترق الحائط. ومن خلال هذا الثقب هجم الأكراد ليدخلوا منه. ولقد قاوم الرهبان والمواطنون المختبئون فيه بشدة وحاربوا بالحجارة والسهام، ومنعوهم من الدخول. وعلى الفور سدوا الثقب بالحجارة والجير.

وفى أثناء تلك المعارك فقد أبو نصر الأرشمندريت عينه وأصيب بعض الرجال بالسهام ولكنهم تماثلوا للشفاء. ولأن الرهبان قد تعبوا من الحرب فإنهم طلبوا السلام من الأكراد، وقبلوا أن يسلموهم كل اللوحات والستائر ومحتويات الكنيسة. وجمعوا، أيضا، من المواطنين ذهبا وفضة ومجوهرات. ولقد سمع الأكراد بخبر مجيء التتار فمالوا للصلح سريعا، وأخذوا كمية كبيرة من ممتلكات الدير مقدارها ألف دينار ذهبى ورحلوا. وفى هذا الوقت خرج بعض أهالى بيت سحرايا وآخرون من أهل نينوى الذين حبسوا فى دير حبشوشيتا، انتقلوا من هناك، واتجهوا إلى نهر الزاب وعبروه ليذهبوا إلى إربل. وقابلهم قوتلغ الأمير وقتلهم جميعا رجالا ونساء على السواء؛ بحجة أنهم قادمون من قبل العدو. وبمجرد أن ذهب علم الدين

سنجر إلى الموصل سمع أن التتار جاءوا من ناحية الجزيرة، فخرج وقابلهم وقتل في المعركة. وجاء جاسوس من قبل التتار وأخبرهم أن الملك الصالح سيحضر من جديد إلى الموصل. ولذلك تلكأ التتار ولم يحضروا إلى أن يصل إليها الصالح، ودخل المدينة. وعندما علم سيف الدين صاحب الجزيرة أن الصالح أخاه قد هرب إلى سوريا _ استعد هو أيضا للهرب، ولكن نورين^(٢٦٦) صاحب الموصل عرف ذلك وجاء وقبض عليه، وثار ضده كل شعب الجزيرة وأرادوا الفتك به، ولكنه نجا منهم وهرب بصعوبة. أما سيف الدين فقد جمع المسيحيين ووضعهم في السجن وطلب منهم فدية ألفي دينار ذهبي. ثم حل يوم الصعود، وكان المسيحيون لا يزلون في أسرهم فيئسوا من حياتهم. ولقد وزع سيف الدين كميات كبيرة من الذهب على قواته فاجتمع لديه ما يقرب من سبعين ألف كردي فأخذوه وحملوه إلى سوريا، وظلت الجزيرة دون صاحب. ولكن حدث أن هجم عليها اثنان من الكشافة: أحدهما يدعى عيزاز باس، والثاني محمد رئيس الحرس، ونصبا نفسيهما حكاما. فأطلقا سراح المساجين بعد أن أخذوا سبعمائة ديناراً، وقتلا اثنين فقط منهم كانوا يذهبون ويجيئون من عند التتار.

وفي هذا الوقت حشد عز الدين أيبك، صاحب العمادية، وعبد بدر الدين، حوالي ثلاثة آلاف رجل، وجاء ليحكما الجزيرة. وقابل عز الدين أيبك نورين صاحب آمد ثلاثمائة فارس على شاطئ نهر دبشا الذي ينحدر من جبل قاردو، واضطره للهرب من أمامه. وحدث أن جاء ذات يوم عبد الله صاحب ميفارقين ليأخذها ولكنه لم يتمكن .

وفي أواخر صيف هذا العام استعد السلطان عز الدين صاحب قونية للمثول أمام ملك الملوك؛ لأن الرسل حثوه على فعل ذلك. وعندما نصب خيامه خارج قونية _ استعدادا للرحيل _ جاءه جاسوس وقال له: "أليجاق نويان وصل إلى قيصرية ومعه ركن الدين أخوك وبروانة^(٢٦٧)، وإنهم على استعداد بمجرد رؤيتك لأسرك وحملك إلى ملك الملوك مكبلا بالأغلال". فخاف

عز الدين وأخذ أبناءه وأهل بيته وهجر خيمته المنصوبة، وهرب إلى ميخائيل ملك اليونان في القسطنطينية. أخذ أليجاق نويان ركن الدين ونصبه في قونية وأجلسه على عرش الملك وأصبح بروانه مساعده.

وفي هذه السنة جهز صاحب مصر رجلا أسمر كان قد وجدته من عائلة الخليفة، وأرسله مع قوة صغيرة للاستيلاء على بغداد؛ ليجلس على عرش آبائه. وأرسل - أيضا - إلى الملك الصالح صاحب الموصل أن يحضر إلى الموصل ويجلسه على عرشه لأنه كان قد انتشر خبر أن التتار قد وصلوا إلى النهاية، وقد محوا من على وجه الأرض بفضل الرب، وأن الطيور قد أعمتهم. قصة لا يصدقها حتى الأطفال. لقد خرج على بهادر مع قوته وهزم الخليفة الأسمر وقتله في ضواحي بغداد . وبمجرد أن ذهب الملك الصالح إلى الموصل في فجر اليوم الثالث من الأسبوع في اليوم السابع من شهر كانون الأول وصل المغول سريعا، وقام على رأسهم سمدغو^(٢٦٨) شاب مغولي مسيحي رائع . ولقد حاصروا المدينة في صباح اليوم الثالث عندما كان القمر في برج الأسد وبنوا خارجها سورا وبدأوا في شن حرب شعواء عليها استمرت حتى الصيف. وكانت هناك مجاعة شديدة في المدينة واشتد تعب الرجال من الحرب وكانوا منهكين من القتال، وبدأ سمدغو في طمأننتهم كما وعد الملك الصالح خيرا. فخرج إلى سمدغو بالطبل وعازفي القيثارة يعزفون على آلاتهم وبهلوانات يلعبون أمامهم. وبمجرد أن وصل أحاطه سمدغو بقوات المغول وذهبوا إلى المدينة، ونهبوا وقتلوا أهلها، وسقوا علاء المولى بن الصالح خمرا وأسكروه، وقيدوه بوتر القوس بشدة حتى اندفع داخله إلى أعلى وقطعه بالطول إلى جزأين، وعلقوه على جانبي مدخل باب المدينة. وقطعوا - أيضا - رأس محي الدين بن زبلاق وأخذوا الملك الصالح إلى المخيم وهناك قتلوه، وحكم ابن يونس من بلدة أمير الموصل . وبعد أن انتهى أمر الموصل ذهب سمدغو إلى الجزيرة وبنى أمامها سورا، وبدأ في شن الحرب عليها. وظل كذلك طيلة الشتاء حتى الصيف. حينئذ تقدم حنا نيشوع النسطوري أسقف الجزيرة الذي كان موجودا بالخارج، واعترف لملك الملوك أن لديه معلومات في علم الكيمياء، وأنه يستطيع أن يصنع له

أي كمية من الذهب. وتسلم من ملك الملوك أمرا ينص على حماية أبناء الجزيرة فوصل ودخل المدينة وثار عليه أبناء عيزاز باس ليقتلوه، ولكن الرؤساء منعوهم. فوعدهم أن يذهب ويحضر أمرا أقوى من ملك الملوك . فذهب وحصل على يارليغ ينص على تنصيب جمال الدين جولباخ - عبد سيف الدين صاحب الجزيرة - ملكا. أما عيزاز باس و محمد قائد الحرس فيصبحان قائدين للجيش. وكذلك يصبح القديس حنا نيشوع مستشارا ومنذوبا لوالده. وذهب إلى الجزيرة وأسعد قلوب أهاليها، وفتحوا الأبواب. ودخل سمدغو وفي ساعة واحدة أمر فهدم التتار أسوار المدينة، وتركوها وذهبوا وعسكروا في وادي شام^(٢٦٩) في مدينة إربل.

وفي بداية سنة ١٥٧٤ يونانية (١٢٦٣ ميلادية) أرسل سيف الدين صاحب الجزيرة أحد عبيده من مصر إلى جمال الدين جولباخ العبد الذي حكم الجزيرة، يطلب منه أن يرسل له الذهب الذي كان قد أخفاه. فأظهر جمال الدين الذهب وأعطاه لهذا العبد، فأخذه وذهب إلى عز الدين بن أيبك^(٢٧٠) في عمادية ليبلغه كلمة سيده فأخذه وأعطاه إلى سمدغو، فأرسل ونادى جمال الدين جولباخ الذي عنفه قائلا: "نحن جعلناك ملكنا، وجاء إليك جواسيس من مصر، فأخفيت عنا هذا الخبر". وعندما أنكر التهمة أظهر الجاسوس الذي جاء من مصر وأدان جولباخ وقتله. وبعد قليل ذهب إلى الجزيرة وقتل الصاحبين، وتولى القديس حنا نيشوع .

وفي سنة ١٥٧٥ يونانية (١٢٦٤ ميلادية) قام زكى الأربلى أحد معاونى بدر الدين صاحب الموصل، واتهم ابن يونس الذى كان يحكم الموصل بالخيانة، وشكاه إلى ملك الملوك قائلا "لقد سرق ذهب كثيرا من خزائن بدر الدين وأخفاه وأنه يريد أن يأخذه ويهرب إلى مصر. ولأنى أعرف سره فقد سقاني سما وأراد أن يقتلنى، ولولا الطبيب المسيحى الذى عالجنى ويدعى الموفق وهو من أبناء نصيبين لكنت الآن فى تعداد الأموات". فغضب ملك الملوك وأمرهم أن يضربوا ابن يونس، وفى أثناء خروجه سقطت ورقة من صدره ففتحوها وقرأوها وكان مكتوبا بها كلمات من القرآن: "سيكون لسانهم مقيدا بأفواههم والأغلال بأرجلهم والسلاسل فى

أعناقهم وسنفرح ونبتهج"-♦. وعندما سأل ملك الملوك ماذا تعنى هذه الكلمات أجاب أعداء ابن يونس: "أنها كلمات السحرة الذين يعملون معه ضدك". فأمر بقتل ابن يونس، وحكم بدلا منه زكى الأربلى ودعى باسم المغتاب لأنه أكل لحم ابن يونس أى : اغتابه وقتله.

وفى سنة ١٥٧٦ يونانية (١٢٦٥ ميلادية) فى بداية أيام الصوم اختفى من العالم ملك الملوك هولابكو^(٢٧١). كان حكيما عليما ذا فهم ومعرفة، يحب الحكماء والعلماء، كما أن أعماله العظيمة لم يكن لها نظير . وفى أحد أيام الصيف توفيت توفوز خاتون الملكة المؤمنة، فحل على المسيحيين حزن عميق بسبب رحيل هذين العظيمين اللذين نصرا الدين المسيحي.

تولى أباقا ♦ ♦ الحكم بعد هولابكو

فى الأيام التى فارق فيها هولابكو إيلخان هذه الحياة الفانية - اتفق أبناء الملوك معا وعظماؤهم على أن يتولى أباقا الابن الأكبر عرش أبيه؛ لأنهم رأوا أن الله قد أنعم عليه بالعقل والحكمة والرحمة. وعندما استتب له الحكم أحرز انتصارات متتالية على أعدائه، وظفر فى جميع حروبه وكان محبوبا من كل الشعوب التى كانت تحت حكمه.

♦ هذه ترجمة حرفية للنص السريانى وبالبحث فى المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم للأستاذ "محمد فؤاد عبد الباقي" وجدت أن أقرب الآيات لها هى التى وردت فى سورة "غافر" آية رقم ٧٠ إلى رقم ٧٥. {الذين كذبوا بالكتاب وبما أرسلنا به رسلنا فسوف يعلمون / إذ الأغلال فى أعناقهم والسلسل يسحبون/ فى الحميم ذم فى النار يسجرون/ ثم قيل لهم أين ما كنتم تشركون/ من دون الله قالوا ضلوا عنا بل لم نكن ندعوا من قبل شيئا كذلك يقبل الله الكافرين}.

♦ ♦ أباقا: وورد فى النص السريانى أن أباقا هو الابن الأكبر والأرشد "هولابكو"، وقد كتب اسم "هولابكو" سليما (ص161٧ عامود ٢ سطر ١٤). أما BUDGE فقد كتبه خطأ فكتب بدلا من "هولابكو" بالكاف "كتبه بالياء (after HULABU)، ABAKA was KING of KING p.445). ولد من "يسونجين خاتون" من قوم "سولدوس". ولقد تولى الحكم بعد وفاة هولابكو الذى توفى فى التاسع عشر من ربيع الآخر سنة ٦٦٣ هجرية _ ١٢٦٥ ميلادية (ابن العبرى : المختصر فى أخبار البشر ص ٢٨٥).

وفى سنة ١٥٧٦ يونانية جاء أفتمبوس اليوناني بطريك إنطاكية، وأحضر ابنة ميخائيل بالبولوجس إلى أباقا ملك الملوك، وذلك لأن هولاءكو — أباه — كان قد بعث رسولا منذ فترة وطلبها. وفى العام الذى أرسلت فيه وقبل وصولهم إلى قيصرية جاءهم خبر وفاة ملك الملوك هولاءكو، فلم يتمكنوا من العودة.

وفى هذا العام هرب عز الدين سلطان * من مدينة القسطنطينية فأرسل وأخبر بيت بركات بوجودهم فى البلدة المجاورة فأخذوه ورحلوا "ولا يزال حتى يومنا هذا".

وفى هذه السنة فى أيام الصيف صدر أمر إلى علاء الدين صاحب الديوان بحكم بغداد. وبعد قليل وصله خبر مذهب، وهو أن أخاه شمس الدين صاحب الديوان مسجون فى المعسكر. وعلى الفور قبض قرابوغا^(٢٧٢) صاحب بغداد على علاء الدين وحبسه فى قصره، وكان ذلك فى العشرين من آب (أغسطس). ثم أرسل وأخبر أخاه فصدر أمر بإرسال علاء الدين مكرما وكذلك اسحاق^(٢٧٣) الشاب الأرمني كاتب قرابوغا، ومعه رجل من معد وقال: " لقد جئت لأجعل علاء الدين يهرب ". وعندما وصلوا إلى المخيم ضرب الرجل المعدي واعترف قائلا: " لقد علمني إسحاق الكذب ". فقاموا بقتل إسحاق والمعدي. ومنذ ذلك الوقت اضطربت أحوال المسيحيين .

وفى سنة ١٥٧٧ يونانية (سنة ١٢٦٦ ميلادية) أرسل البندقدار صاحب مصر إلى الملك حاتم فى قيليقية، طالبا منه الخضوع ودفع الجزية حتى يفتح طريق سوريا. وسمح بنقل الطعام بين البلاد. ولشدة خوف الملك من التتار لم يتمكن من الرد عليه بالموافقة؛ ولذلك استعد البندقدار لغزو قيليقية.

عز الدين سلطان: ورد هذا الإسم فى النص السريانى مكتوب "عيزز الدين" (ص ١٦٢

عامود ١ سطر ٢) وهو خطأ والصحيح هو (عز الدين)

وعلى الفور أسرع الملك حاتم إلى نفجى رئيس التتار فى بيت الروم ليحضر لمساعدته، فأجابه: "أنا لا أستطيع الحضور بدون أمر ملك الملوك"، فأرسل رسولا إليه. وفى أثناء انتظاره للرد تدفقت قوات المصريين على قبايقية وذلك فى أثناء غياب الملك. حينئذ أسرع شقيق الملك الكندسطل واثنان من أبنائه وبعض النبلاء وقابلوا المصريين فى معركة على جانب حجر سرونند. فهزم الأرمن ووقع فى الأسر صاحب المقاطعة لاون الابن الأكبر للملك (حاتم) وذلك فى اليوم الأول من الأسبوع فى اليوم الرابع والعشرين من شهر آب (أغسطس) من العام نفسه، كما قتل بارون توروس الابن الأصغر للملك وهرب باقى النبلاء. وذهب المصريون وانتشروا فى كل بلدة قبايقية وقاموا بتخريبها، وقتلوا وأسروا الكثيرين وأشعلوا النيران فى سيس^(٢٧٤) وهدموا الكنيسة الكبيرة، بل جميع الكنائس ماعدا كنيستين فقط، هما: كنيسة أم الرب وكنيسة القديس برصوما^(٢٧٥) لعدم وجود خشب فى مبانيهما. كما خربوا أيضا المصيصة وأياس وأذنة، وأسروا رجالا ونساء بدون حصر. ولكنهم لم يصلوا إلى طرسوس. كما أشعلوا النيران فى دير فقسيماط^(٢٧٦) ولكنهم لم يدمروا كويخات لأنهم وجدوا بها قسيسا متواضعا يتحدث العربية ولذلك لم يؤذوه، لاهو ولا دير. وظلوا فى المدينة عشرين يوما بين نهب وحرق ثم غادروها. وبعد رحيلهم جاء الملك حاتم ومعه قوة من التتار من بيت الروم، وبدلا من تقديم المساعدة قاموا بالتخريب ونهبوا كل ما تبقى من المصريين. وبدأ الملك حاتم يقلق من أجل تخلص ابنه، فوعد المصريين بمنحهم ذهباً وحصونا فى سبيل منحه خلاص ابنه. فأجاب بندقدار^(٢٧٧) المصريين: "لا أطلب منك شيئا إلا صديقا أسيرا عند التتار يدعى، سنقر الأشقر^(٢٧٨)، ذا الشعر الأحمر. أطلبه منك لكى أنقذه فأرسله إلى وخذ ابنك".

وفي هذه السنة أراد ركن الدين صاحب بيت الروم أن يحطم بروانة ♦
لذى أجلسه على كرسى الملك، وكانت أعماله مع حكامه معروفة. وعندما
عرف بروانة بذلك أخبر نبلاء المغول فى أثناء وجود ركن الدين معهم،
وخذع رجلا كان على باب خيمته ودخلها وكان نائما فخنقه من عنقه بحبل،
وحملوه ودفنوه وأقاموا مكانه ابنه غياث الدين الذى يبلغ من العمر أربع
سنوات . وفى هذا العام حضر ناصر الدين بابا بأمر من المخيم، وقتل زكى
الأربلى وحكم الموصل.

وفى سنة ١٥٧٨ يونانية ٦٦٨ هجرية (١٢٦٧ ميلادية) جاء الملك
حاتم إلى الموصل، ومن هناك ذهب لخدمة أباقا ملك الملوك، وبكى أمامه
لأن ابنه أسير فى مصر، وطلب منه أن يسلمه سنقر ذا الشعر الأحمر ليفتدى
به ابنه، فأشفق عليه أباقا وقال له: "هو الآن ليس فى متناول يدي . اذهب
إلى بلدك وأنا سأحضره وأرسله لك". فترك الملك ورجع. فى هذا الوقت
أراد بروانة - وهو أحد منظمي مملكة بيت الروم - أن يتزوج بنت الملك
حاتم؛ فعقد اتفاقا مع برسبيج وهو قس أرمنى ورسول الملك إلى التتار،
فنصحه برسبيج بغباء وقال له: "عندما يكون الملك عابرا فى بلادك تعالى إلى
جواره وكرمه واطلب منه، فلن يرفض طلبك". وعندما رجع الملك من
المخيم وصل إلى خان قرخطا وظل هناك. فجاء إليه بروانة ومعه نبلاء بيت
الروم فقدم إلى الملك هدايا قيمة وثمانية وطلب يد ابنته. ولما كان الملك خائفا
أن يتكتلوا له على الطريق ويؤذوه فإنه لم يرفضه ، ولكنه وعده وأعطاه يده
اليمنى، ودخل بلده. وعندما بدأ بروانه فى طلبها أجاب الملك: "إنه لا يليق بنا
أن نقيم لها حفلا وأخوها فى الأسر". فانتظر بروانة حتى وصل أخوها ولم
تعد هناك موانع . ولكن حدث أن ماتت الابنة ومات القس برسبيج من شدة
الحزن.

♦ البروانة: هو معين الدين. (تاريخ مختصر الدول ص ٢٨٨).

وفى صيف هذا العام ١٥٧٨ يونانية (١٢٦٧ ميلادية) قبض على علم
الرياسة المحامى المصرى فى الموصل، وتوفى فى سجنه فى اليوم الثانى
من الأسبوع فى اليوم التاسع والعشرين من شهر أيلول (سبتمبر) .

فى سنة ١٥٧٩ يونانية (١٢٦٨ ميلادية) استدعى سنقر الأشقر من بلدة
سمرقند، وأرسل إلى الملك حاتم الذى أوفده إلى مصر.

فى هذا العام فى أيام الصوم الأربعينى ♦ أخذ القديس دنحا
الكاثوليكي^(٢٧٩) النسطورى أحد أبناء تكريت، الذى كان قد أسلم منذ عدة
سنوات - وأراد أن يعمده فى نهر دجلة. سمع شعب بغداد بذلك فثاروا ضد
علاء الدين صاحب الديوان، فأرسل النبلاء عدة مرات إلى الكاثوليكي
يطلبون ذلك الرجل . ولكن عندما رفض تسليمه ثار الشعب وأشعلوا النيران
فى مدخل باب القلية^(٢٨٠)، وتسلقوا الحوائط ليقتلوا الكاثوليكس. وسمع
صاحب الديوان ذلك فأرسل وأخذه إلى قصره وأنقذه من جهة البحر سرا.
فأرسل الكاثوليكس واشتكى إلى المعسكر، فجاءه الرسل وأخذوه وذهبوا به
إلى المعسكر. وعندما صرح بشكواه هناك لم يصغ أحد إليه، فترك المعسكر
وذهب إلى أربل وبدأ فى بناء كنيسة بالقلعة وعاش بها.

الاستيلاء على أنطاكية

فى شهر حزيران(يونيو) من عام ١٥٧٩ يونانية (١٢٦٨ ميلادية)
أرسل البندقدار- صاحب مصر - قوات إلى أنطاكية العظيمة فى سوريا،
وتم له الاستيلاء عليها بحد السيف، وذلك لعدم وجود قوة كافية لحمايتها،
علاوة على أن الذين كانوا بها لم يدركوا أنه من الأفضل لهم الاستسلام .

♦ الصوم الأربعينى : يبدأ هذا الصوم عادة أول مارس ويصام فيه حوالى سنة وخمسين يوما ويكون يوم

الإفطار هو يوم شم النسيم.

فذلك دخلها المصريون وقتلوا كل رجالها ، وخرّبوا أشهر كنائسها ، وأسروا النساء والأولاد والبنات ، وتركوها خرابا مهجورا حتى يومنا هذا

وفي صيف هذا العام قبض على القديس حنا نيشوع أسقف الجزيرة وصدر أمر بقتله . فعلا تم قتله ولكن ليس بالسيف؛ ففي أثناء نومه رفعوا حجرا كبيرا وضربوه على رأسه من خلف ظهره ، وقتلوه وفصلوا رأسه وعلقوها على باب مدينة الجزيرة. فكانت له تلك النهاية البشعة لأنه زج بنفسه في أعمال دنيوية وتمنى أن يكون ملكا. ولقد اتهم بمخازى كثيرة .

في هذا الوقت أرسل البندقدار المصرى لاون سيد الخراج ابن الملك حاتم مكرما إلى والده. فدخل الابن قيليقية في شهر تموز (يوليو) من العام نفسه، وأصبح الولد قرّة عين أبيه وكذلك المسيحيين. ولقد ذهب الملك حاتم ليقدم فروض الطاعة والولاء إلى ملك الملوك في بغداد، فشكره لخلص ابنه. ولقد صدر له أمر أن يقوم ابنه بتنظيم المملكة في الوقت الذي يعيش هو في سلام؛ وذلك نظرا لكبر سنه وضعفه. وأمر ملك الملوك أن يحكم المملكة بمجرد وصوله.

وفي سنة ١٥٨٠ يونانية ٦٧٠ هجرية (سنة ١٢٦٩ ميلادية) في اليوم السابع عشر من شهر نيسان (أبريل)، في الساعة الأولى من ليلة اليوم الرابع* من الأسبوع الثالث - حدث زلزال عنيف في قيليقية (بلاد الأرمن)، وهدم الحصن الحجري في سراوند، وكذلك عماوس صخرة حروعتا، ودير الأرمن الكبير، أي دير الملك بلوط . ولقد هلك في هذه الكارثة ما يقرب من ثمانية آلاف نفس**

وفي تموز ذهب لاون سيد الخراج ابن الملك؛ لتقديم فروض الطاعة لملك الملوك الذي استقبله بحفاوة . وتقرر له أن يتولى ملك أبيه.

♦ اليوم الرابع : هو يوم الأربعاء ؛ فإن أول الأسبوع يبدأ عندهم يوم الأحد.

♦ ♦ ما يقرب من ثمانية آلاف نفس : ذكر ابن العبري في كتابه " تاريخ مختصر الدول الدول " أنه " مات فيها مائة ألف نفر".

وفى سنة ١٥٨١ يونانية (١٢٧٠ ميلادية) خرج صاحب مصر بنفسه إلى فلسطين، وعسكر عند قلعة عقرد وأخذها بحد السيف، ومع ذلك لم يقتل أحد من الذين بها. وقد ترك الحرية لمن أراد البقاء، ومن أراد مغادرتها أرسله بسلام إلى طرابلس.

وفى سنة ١٥٨٢ يونانية (١٢٧١ ميلادية) فى الخريف توفى الملك حاتم المؤمن على إثر خراج خطير أصابه فى صدره. وفى هذا العام اجتمع فى طرسوس رؤساء الكهنة والنبلاء، وتوجوا ابنه لاون ونصبوه ملكا فى يوم عيد الغطاس ♦

وفى أيام الصوم هاجمت فرقة الإسماعيلية علاء الدين صاحب الديوان فى أثناء ركوبه جواده فى بغداد، وطعنوه بالسكاكين، ولكنهم لم يقتلوه، فقبض عليهم وقطعت أطرافهم. ولقد أذاع العرب أن هؤلاء (الإسماعيلية) مسيحيون وأنهم مرسلون من قبل الكاثوليكس. فقبض على الرهبان والقسس والرؤساء فى بغداد، وحبسوا - أيضا - الكاثوليكس، وكذلك رجاله بواسطة قوتلوباج أمير إربل. وطوال فترة الصوم ساد البلاد اضطراب عظيم، حتى شاء الرب فصدر أمر من المعسكر بالإفراج عنهم . ومنذ ذلك الوقت ذهب الكاثوليكس وعاش فى مدينة أشنة^(٢٨١) فى أذربيجان.

وفى سنة ١٥٨٣ يونانية (١٢٧٢ ميلادية) قام نبلاء اليونان فى قيليقية بخيانة الملك الجديد لاون . وعندما شعر الأهالى بهذه الخيانة قبضوا على البارون رئيسهم. فلما سمع أعوان البارون بذلك هربوا إلى إحدى القلاع، وأرسلوا إلى الروم ليحضروا لمساعدتهم ويتسلموا القلعة. ولكن الملك أسرع وذهب وعسكر عند القلعة. وقام الأرمن الموجودين هناك وقبضوا على النبلاء اليونان، وسلموهم إلى الملك فقتلهم جميعا.

♦ عيد الغطاس : هو عيد يحتفل به المسيحيون فى الكنيسة يوم ٦ يناير.

وكذلك قُتل بهرام في قلعة مدينة أنازربة (٢٨٢)؛ فعندما هرب هؤلاء الرجال إلى القلعة قام الملك بإرسال بطريك إنطاكية اليوناني، وأقسم لهم أنهم إذا استسلموا فإنه لن يؤذيهم. ولكن البطريرك عندما ذهب إليهم حذرهم من النزول والاستسلام وإلا فسيقتلهم الملك. وعند عودته قال للملك: "لم يستمعوا إلي ولم يستسلموا"، وشعر الملك بما حدث من البطريرك. وبعد قتله هؤلاء الرجال قبض على البطريرك، وأرسله إلى ملك القسطنطينية ليتولى الفصل بينه وبين البطريرك. وعندما سلم الملك البطريرك إلى الجنود لينقلوه إلى القسطنطينية أخذوه إلى مدينة أياس، ونصبوا له خيمة على شاطئ البحر. وعندما دخلوا إلى المدينة تركوه وذهبوا ليشتروا طعاما، وانشغلوا بشرب الخمر حتى المساء. فأرسل البطريرك إلى بعض الملاحين اليونان الذين كانوا يعيشون في الضواحي وجذبهم إلى جانبه، وبكى أمامهم وأظهر لهم كيف أنهم تركوه بجانب بحر الأرمن ولم يحملوه إلى القسطنطينية ليقتلوه. فتأثروا من أجله وحملوه إلى مراكبهم الصغيرة واتجهوا إلى بيت الروم إلى الأتراك.

في هذا الوقت تم زواج ابنة لاون ملك الأرمن من أحد جواريه إلى ابن بروانه، وذلك بدلا من أخته التي كان أبوه قد رفض أن يزوجها له. ومنذ ذلك الوقت سادت الصداقة بينهما.

وفي سنة ١٥٨٤ يونانية (١٢٧٣ ميلادية) في اليوم الثامن عشر من شهر كانون الثاني (يناير) ليلة اليوم الرابع من الأسبوع الرابع - حدث زلزال عنيف في مدينة أنزبيجان - وخاصة في مدينة تبريز (٢٨٣) - فتهدمت القصور والمساجد وسقطت رؤوس الأعمدة. أما كنيسةنا فقد حماها الرب لم تهتز ولم تتوقف فيها الشعائر. واجتمع بها اليونان والأرمن والنسطوريون وكل شعبنا. ونصب باقى العرب - وعددهم ما يقرب من عشرة آلاف -

◆ ليلة اليوم الرابع : ليلة يوم الأربعاء.

خيامهم فى الحدائق فى الخارج، وعاشوا فيها ما يقرب من شهرين وبعد ذلك رحلوا . ومات فى ذلك الزلزال مائتان وخمسون عربياً.

فى هذا الصيف هاجمت جماعة من اللصوص من سوريا من عين تاب^(٢٨٤) ومن البيرة - بلدة قلوديا من جهة الجبل. لقد عبروا البلد كالبرق ووصلوا حتى الحدود، فرجعوا وأسروا كل أهاليها من النساء والكثير من الشباب - وذهبوا فى اليوم نفسه ولم ينتظروا خوفاً من أن تأسرهم قوات المغول . وفى هذه الأيام كنا نستعد للذهاب إلى دير القديس برصوما؛ لأننا لم نكن نقدر الكارثة التى حلت . وما إن وصلنا إلى ضواحي البلدة حتى اكتشفنا أنها أصبحت كحديقة كروم أمامها الجليد. وبينما كنا جالسين فى دير سرجيس^(٢٨٥) جاء من الدير ما يقرب من خمسين راهباً مسلحاً، وأخذونا وصعدنا إلى الدير .

وفى سنة ١٥٨٥ يونانية (١٢٧٤ ميلادية) نزل ملك الملوك مع حشد كبير من القوات إلى بغداد؛ حيث كانت هناك مجاعة ونقص فى الغذاء كما ظهر - أيضاً - الجراد.

وفى أيام الصوم الأربعينى من هذا العام ضبط راهب نسطورى من دير ميخائيل^(٢٨٦) بجانب الموصل فى حالة زنا مع امرأة عربية، فاضطر إلى ترك دينه وأسلم . ولقد تألم المسيحيون كثيراً وحزنوا ولم يتحمل رهبان الدير، وكذلك عم هذا الراهب النسطورى الذى أسلم والذى كان هو نفسه قسا - لم يتحملوا هذا العار؛ فأرسلوا وأخبروا طرباش رئيس قوات المغول فجاء إلى الموصل وأمسك بالرجل الذى أسلم وتهيأ لقتله، فغضب شعب الموصل العربى، واجتمعت على باب القصر جموع غفيرة يحملون الشعلات والمصابيح وصبوا اللعنات على رأس المغول، وهددوا الطرباش بأنه إذا لم يطلق سراح الرجل الذى أسلم فسيقومون بقتله هو والذين معه. فخاف المغول وتركوه، فأخذهم العرب وأركبوه حصاناً وساروا به فى كل مدينة الموصل. وكان الحزن الأخير أشد من الحزن الأول.

وفى هذه الأيام عندما أراد مسيحيو مدينة إربل أن يحتفلوا بمهرجان الزعف أحد الشعانين ♦ ، وعرفوا أن العرب يستعدون لمنعهم - أرسلوا وطلبوا مساعدة النصارى المسيحيين القريبين منهم. وبمجرد أن وصلوا وضعوا صلبانا على أعمدة سيوفهم وسار مطرابوليط النسطوريين مع شعبه وأمامهم النصارى. ولما اقتربوا من القلعة تجمعت حشود العرب وحملوا أحجارا وقذفوا بها النصارى والمسيحيين، ففرقوا وهرب المسيحيون إلى أحد الجوانب. وظلوا لعدة أيام لا يجرأون على الخروج. ولقد أدى ذلك إلى حزن جميع مسيحي العالم.

وفى هذا العام مات الخواجة نصير الفيلسوف الفارسي (٢٨٧). لقد كان رجلا مشهورا وبارزا فى كل فروع العلم، ومتقفا خاصة فى النواحي الحسابية. لقد صنع أجهزة لمراقبة النجوم وكرات نحاسية كانت أبدع من تلك التى صنعها بطليموس فى الإسكندرية، كما حدد سير الكواكب. ولقد تجمع عنده كثير من حكماء البلاد المختلفة فى مراغة - مدينة بأذربيجان - كان يعطى راتبا للمدرسين والتلاميذ الذين كانوا معه؛ وذلك لأن جميع المساجد ومنازل العلم فى بغداد وأشور كانت تحت سيطرته. وفى ذلك الوقت ذهب إلى بغداد لزيارة أماكن مختلفة وتوفى هناك. لقد قال بعض الرجال: إنه كان كفيفا، ولقد كتب كثيرا من الكتب، مثل شرح المنطق والعلوم الطبيعية والإلهية، ونظم أيضا أوقليدس والمجسطى (٢٨٨) بدقة، وكان له - أيضا - معجم بالفارسية أوضح فيه معانى لكلمات أفلاطون وأرسطو على الفلسفة العملية، وكان متمسكا بآراء الفلاسفة الأوائل، وحارب بشدة الذين يعارضونها فى كتاباتهم.

فى سنة ١٥٨٦ يونانية (١٢٧٥ ميلادية) فى شهر كانون الثانى (يناير) دق بعض أشرار الموصل على باب صائغ يهودى فأجابهم: "ماذا تطلبون؟" قالوا له: "نحن جماعة فقيرة أتينا إليك لتعطينا مالا نشترى به طعاما". فقال

♦ أحد الشعانين : هو يوم الأحد الذى يسبق يوم شم النسيم، ويسمى - أيضا - بمهرجان الزعف.

لهم: "كم تطلبون؟" قالوا: "عشرين زوزا". فخاف وأعطى لهم كل ما يطلبون، واقترح عليهم أن يأخذوا الزوازي من فتحة فى الباب ولكنهم رفضوا وطلبوا منه فتحه. وبينما هم يتشاورون لمدة ساعة تقريبا كان زملاؤهم يتسلقون الأسوار إلى السطح، ونزلوا فى وسط المنزل وفتحوا الباب فدخل الباقون. وهناك قاموا بتعذيبه حتى كشف لهم كل ثروته. وعندما مدوا أيديهم لقتله ألقى امرأته بنفسها عليه وبدأت تستعطف اللصوص قائلة: "ارحموا شبية هذا الرجل واقتلوني بدلا منه". فأجابها قساة القلوب: "سنقتلكما أنتما الاثنين". وفعلا قتلوا زوجها، أما هى فطعنوها بالسكاكين وتركوها بين الحياة والموت ونهبوا ثروات ضخمة وذهبوا. وعندما حل الصباح جاء الأهالي ووجدوا اليهودي قد فارق الحياة، أما زوجته فكانت فى النزع الأخير ثم فارقت هى الأخرى الحياة ولكن بعد أن قصت عليهم ما حدث.

وفى هذا الوقت جاء بعض العرب المساكين من جهة سوريا إلى بلدة قيليقية وكان عددهم يبلغ الثلاثين ليتبركوا بزيارة قبر الخليفة المأمون الذى دفن فى طرسوس . وكان صاحب قيليقية يظن أن البندقار صاحب مصر جاء متخفيا بينهم ليتجسس على باقى الممالك، فقبض عليهم وأخذهم وحبسهم فى قلعة كبيرة . وعندما وصل الخبر إلى مصر بدأ الرسل فى الحضور لطلب هؤلاء الأسرى؛ وبذلك تأكد الشك. فرفض الملك لاون أن يحررهم، ولذلك اجتمعت قوة من المصريين وغزت قيليقية فى أيام الصوم العظيم.

وفى سنة ١٥٨٧ يونانية (١٢٧٥ ميلادية) انقض عليهم ما يقرب من خمسمائة فارس من الأرمن وجعلوهم يولون الأدبار . فتجمعت قوة كبيرة يقرب عددها من ثمانية آلاف رجل، وانقضوا على المدينة البائسة، ووصلوا أياس فى الصباح الباكر لليوم الثانى لسبت الأعاصيب ♦، اليوم الخامس والعشرين لشهر آذار (مارس). ولقد قتلوا الذين وجدوهم بها، وكان قد هرب إليها كثير من شعوب الجزيرة الصغيرة القريبة منهم ولكن بهروبهم من

♦ سبت الأعاصيب : هو سبت النور.

العرب المصريين لم يسلموا من قطاع الطرق الفرنجة، فقد جاءوا إليهم وسلبوا كل ممتلكاتهم، حتى إنهم حملوا عباءاتهم ولكنهم لم يقتلوهم . حينئذ جاء المصريون سريعا من أياس إلى المصيصة في اليوم الثالث وقتلوا الكثيرين وأحرقوهم، وعبروا الجسر وانتشروا في البلد، ولكن بعضهم اتجه إلى طرسوس . وفي عيد المسلمين الذي يوافق يوم السبت نادوا للصلاة في البرج، وانتشروا حتى سرقوسة^(٢٨٩) يقتلون ويخربون ويحرقون البعض الآخر. فاتجهوا إلى سيس ولكنهم لم يجدوا بها أحدا لأنهم كانوا قد اجتمعوا جميعا في القلعة فأحرقوها جزءا جزءا وقتل حوالي خمسة وعشرين راهبا في دير بقسيماط مع الربان سليمان وهو محارب عظيم وعجوز مندوب للبطريك مار أجناثيوس. وأحرقوا الدير كما أحرقوا دير كويخات والأديرة الأخرى للأرمن واليونان كما أنهم لم يتركوا الدير الصغير لبطريكنا في ضواحي سيس. حينئذ هرب البطريك إلى قلعة بهجا ومكث هناك حتى مرت الأزمة. ولقد ظل المصريون في البلدة حتى مر السبت الأبيض ♦ فخرجوا بغنائم كبيرة. ولقد زاد عدد القتلى حتى وصل ستين ألفا، وأخذوا عددا كبيرا من السيدات والأطفال عبيدا، وكان في المدينة ما يقرب من عشرة آلاف من التركمان، ولقد أحدثوا خسائر بالمسيحيين. وعندما خرج المصريون قتلهم الملك جميعا وسبى عائلاتهم ونهب كل ممتلكاتهم.

وفي نفس العام مات بيمند فرينس أمير طرابلس وحكم ابنه بدلا منه، فقام النبلاء باستدعاء سير هنري والد صاحب - قبرص وهو رجل مسن ذو فهم عظيم - فسلموه توجيه الشاب الصغير وإدارة المملكة.

وفي ذلك الوقت قام نزاع بين ابني الشيخ عدى، الذي اعتبره أكراد الموصل نبيا. لقد كانت زوجة أحدهما من المغول، فخاف الآخر وأخذ كل عائلته حوالي أربعمئة نفس مع كل الغنم والأبقار والحياد التي يملكونها وهرب إلى سوريا. ولكن المسيحيين كانوا يخشون أن يقوم بقتلهم ونهب

♦ السبت الأبيض : هو سبت النور.

ثروتهم، ولكن بعد مرور فترة من الزمن اطمأنوا. وحدث بعد رحيله أن جماعة من قطاع الطرق جاءت واستولت على بيت طكشور وهي قرية فى بلدة نينوى. واستبسل أهل القرية فى دفاعهم وقتلوا ما يقرب من عشرة لصوص، وقتل من أبناء القرية حوالي خمسة رجال وسبع بنات، وقاموا بأسر ثلاثة من الشباب.

وفى بداية سنة ١٥٨٧ يونانية (١٢٧٦ ميلادية) فى اليوم الخامس ♦ من الأسبوع، فى اليوم الثالث من شهر تشرين الأول (أكتوبر) - حدث زلزال عنيف فى أركسيفيا أى أرجيش فتهدمت الأسوار المنيعة وجميع مبانيها، وهلك عدد كبير من سكانها . وحدث الشئ نفسه فى مدينة خلاط. وفى الساعة التاسعة وقع زلزال فى هذه البلدة، وحدث بها تدمير عظيم ولكنه لم يكن بالاتساع نفسه الذى حدث فى أرجيش. وفى هذه الأيام انقض حوالى ثلاثمائة فارس من التركمان على قافلة تجار مسيحيين، كانت قد خرجت من قيليقية إلى الروم، وقتلوا ما يقرب من ثمانين من مشاهير التجار المسيحيين فى ضواحي مدينة هرقله^(٢٩٠)، وحملوا معهم الغنائم الكثيرة. وكان أحد التجار وهو من عائلة عيسى بن خضيرى، يحمل معه مائة وعشرين ألف دينار من عملة مدينة صور. ولم يهرب من القافلة إلا أربعة جمال عربية.

وفى شتاء هذا العام اجتمع سبعون ألفا من قوات المغول، وقصدوا قلعة البيرة^(٢٩١) للاستيلاء عليها، ولكنهم لم يتمكنوا من ذلك بسبب كثافة الثلج الذى سقط والبرد الشديد الذى حل على البلد. لقد خسر الكثيرون جيادهم ورجعوا سائرين على الأقدام بدون إحراز أى نصر، وكان على رأسهم أباتاي نسوين الكبير . وفى طريق عودته عندما وصل إلى أشور سقط طريح الفراش وذلك على إثر مرض شديد . وبعد عودتهم ازداد بأس التركمان وأصبحت لهم قوات عظيمة، وتابعهم حوالى ألف فارس من القوات المصرية وجاءوا من ناحية مرعش^(٢٩٢) متجهين إلى قيليقية المدينة الجبلية. وعندما شعر الملك

♦ اليوم الخامس : هو يوم الخميس.

لاون مرة أخرى بالخطر جمع قوات من الأرمن، وأقام على رأسهم عمه قائد الجيش (الكندسطل) بارون سنباط. وذهب بعض النبلاء لمقابلة الأتراك* على جانب مرعش يوم الجمعة، في اليوم الثالث من الصوم الأربعيني المقدس.

وفي هذا اليوم قُتل بارون سنباط وعم الملك وبعض النبلاء، وكذلك صاحب كيربيزة وثلاث عشرة آخرون من المشاهير وثلاثمائة فارس كما سقط كثير من الأتراك، وعاد الباقون بعد أن فشلوا في دخول المدينة.

وقبل هذه الحوادث - أي: في السبت الأول من هذا الصيام في اليوم الرابع*، من الأسبوع من اليوم التاسع عشر من شهر شباط (فبراير) في سنة ١٥٨٧ يونانية (١٢٧٦ ميلادية) - هبت ريح عاصفة على الموصل وإربل والمناطق المحيطة بهما. وكان الهواء محملا بكميات كبيرة من الرمال الحمراء حتى أصبح الجو مشبعا بها، ولم يستطع أحد أن يرى صديقه بين الساعة الثالثة والساعة التاسعة.

وحل الرعب على الشعب وظنوا أنهم سيقضى عليهم بعواصف أو بزلازل كمدينة أرجيش، فخرجوا وقضوا الليل خارج منازلهم في السهل. وعندما خفت حدة الرياح عادوا إلى منازلهم. ومن اليوم الأول من أسبوع الموتى الذي يسبق الصيام، حدث أن حمل الهواء رمالا كثيرة ولكنه لم يكن كالمرّة السابقة. وفي هذا الوقت قرر بيشار قائد قلعة زياد - وهو رجل سيئ محب لسفك الدماء يبلغ من العمر مائة عام - الهروب إلى المصريين لأنه

* الأتراك: ورد في النص السرياني كلمة "أتراك" (ص ١٦٦ عامود ١ سطر ٦). أما في الترجمة الإنجليزية: فقد استخدم BUDGE كلمة "تركمان" (TORKOMAN p.454). والتركمان هم جيل من الأتراك سماوا به لأنه آمن منهم مائتا ألف في شهر واحد فقالوا "ترك إيمان"، ثم خففت فقيل: "تركمان" (النجوم الزاهرة ج ٢ ص ١٤٩).

♦♦ اليوم الرابع: هو يوم الأربعاء.

كان يكره سر كيس أسقف الأرمن بمدينة أرزنجان، فقد كان رجلاً مسناً، ولقد كرم من ملوك الهون. وقد فكر في أن يقتله ويهرب فأخذ بعض رجاله الأحرار وذهب إلى بلدة أرزنجان^(٢٩٣). فقد سمع أن القديس يوجد في أحد الأديرة ويستعد للاحتفال بأحد الزعف (أحد الشعانين) فانتظره في الطريق، وعندما قام القديس في اليوم الثاني للسبت الحزين ليذهب إلى المدينة كان معه أيضاً ابنه العظيم المشهور. فقال لوالده القديس: "لماذا لا تدخل المدينة وأنا أريد أن أذهب وأشغل نفسي في بلدة كذا لأنهم يريدون أن أبارك لهم الكنيسة التي شيدها". فسمح له أبوه بالذهاب وعدم التأخر. وعندما ذهب جاء ثلاثة فرسان أتراك لمقابلة القديس وذهبوا لتقبيل يديه وقالوا له: "لقد جاء رسول وطلبك وطلب ابنك وذلك لقراءة اليارليغ (الأمر) الذي كان معه." فقال الرجل المقدس: "لقد ذهب ابني إلى القرية الفلانية أما أنا فلن أحضر". وبعد أن ابتعدوا قليلاً انقض عليهم حوالي مائتي فارس تركي وقتلوا القديس، كما قتلوا ثلاثين قديساً وراهباً وعبداء كانوا في رفقته، فقطعوا رأسه وأخذوها وذهبوا. وبعد ذلك استولوا على القرية وحاصروا الكنيسة التي كان بها ابن القديس. وعند دخول الكنيسة لم يجدوه بداخلها لأنه كان قد اختبأ في كوم من القش، ففرروا الرحيل، ولكن أحد الكفار الملاحين قال: "دعونا أولاً نحرق هذا الكوم ثم نرحل". وعندما أشعلوا النيران خرج منها الرجل وهو يكاد يلفظ أنفاسه، فقال له الأتراك: "أين والدك"؟ فأجابهم بأنه ذهب إلى المدينة. فقاموا بإلقاء رأسه أمامه فبمجرد أن رآها صرخ وألقى بنفسه على رأس أبيه، فقاموا بتقطيع جسمه عضواً عضواً. وبعد تلك الأحداث أخذ بيشار - ذلك الرجل الشرير - أبناءه وجميع جنوده وذهبوا جميعاً إلى صاحب مصر. ولقد خشي بروانه، قائد مملكة الروم، أن يظن المغول أنه متعاطف مع المصريين فقام وأخذ بنت السلطان ركن الدين وحملها لخدمة ملك الملوك وقال: "لقد سمعت أن المصريين يستعدون للمجيء لخطفها، ولذلك أسرع وأحضرتها". فشكره التتار على جميل صنعه ثم قال: إن ابن خطير^(٢٩٤) وهو أحد أمرائنا يريد أن يأخذ الشاب غياث الدين صاحب الروم ويهرب إلى مصر، لذلك أعطوني قوة

لكي أستطيع الذهاب وإحضاره سريعا . فذهب معه قونقرتاي^(٢٩٥) الأخ الأصغر لملك الملوك حيث وجدوا ابن خطير والسلطان الشاب مقيمين فى سهول أبلستين، ويحاولان الهرب إلى سوريا. وعندما قتل ابن خطير سلم السلطان لبروانه وأجلسه من جديد على العرش، وبذلك ازداد بروانه تقريبا من التتار. وقد أحبوه كثيرا بسبب إخلاصه وإظهاره حبه لهم.

فى هذا الوقت جاء علم الدين يعقوب وهو تاجر مسيحي كبير من بلدة برقوطة - وهى بلدة فى مدينة إربل - جاء من خدمة قوبلاى خان الكبير. ولقد توفى فى طريقه إلى بلدة خراسان، وكان يرافقه رسول يدعى يشموط كان رجلا عظيما ومكرما من الأويغور، وكان يسلك حياة النساك. لقد أخذ أبناءه وأحضرهم لخدمة أباقا ملك الملوك، فاستقبلهم ملك الملوك بترحاب. وولى مسعود الابن الأكبر على الموصل وإربل، وأصبح يشموط منظما لشئون الأمير.

وفى سنة ١٥٨٧ يونانية (١٢٧٦ ميلادية) توفى الملك مسعود، وهرب الابن الآخر للشيخ عدى من بلدة الموصل إلى مصر، وحمل معه المرآة المغولية التى أخذها من التتار .

وفى سنة ١٥٨٨ يونانية (١٢٧٦ ميلادية) قرر البندقدار صاحب مصر أن يذهب بنفسه إلى الرومان، وذلك لأن بيشار - الرجل المسن - كان قد هرب إليه مع بعض أمراء الروم، بعد أن شجعه على ذلك. وعندما شعر لاون ملك قىليقية بذلك، أرسل إلى رؤساء قوات التتار ليأخذوا حذرهم من المصريين الذين يستعدون لأسرهم. أما بروانه فبسبب كرهه لملك الأرمن ، ولأن قلبه لم يكن خالصا من ناحية التتار، فقد كذب عليهم. عندئذ لم يتحمل الملك لاون فجاء إلى ضواحي التتار فى قلعة دبابا، وكان كل يوم يرسل رسولا إلى التتار قائلا لهم: "انظروا واستيقظوا من غفوتكم، إن المصريين قد اقتربوا مع قوة كبيرة." ولقد كذب بروانه أيضا وقال للتتار: " لا فائدة من العمل الطيب لكم". وأرسل تقارير بخصوص المأكل والمشرب، ومن أجل

ذلك لم يصدق التتار كلام الملك لاون. وكان بروانه يقيم لهم كل يوم وليمة ويسكرهم.

ولكن حدث فى يوم الجمعة السادس عشر من شهر نيسان (أبريل) سنة ١٥٨٨ يونانية (١٢٧٧ ميلادية) أن انقض المصريون على المغول، وكانوا مخدرين وسكارى من شدة الخمر. وبصعوبة بالغة تمكن كل واحد منهم أن يمتطى جواده. ولما لم يكن فى قانونهم أن يهربوا قبل أن يقاتلوا العدو، فلذلك التقوا بالمصريين فهُزموا أمامهم. وفى أثناء تلك المعركة قتل اثنان من رؤساء نبلاء التتار أحدهما طوغو والثاني تودان^(٣٧٤) بهادر. وكان مع التتار ثلاثة آلاف من الأيبيريين، قتل منهم ألفان بعد أن أظهروا مقاومة عنيفة، وقتلوا كثيرا من المصريين، وهرب ألف أيبيرى، وسقط خمسة آلاف من المغول فى الحرب. وعندما رأى بروانه أن التتار قد هُزموا، أخذ السلطان وهرب إلى قلعة دوقيا. وذهب البندقدار صاحب مصر ونصب خيمته بجانب قيصرية^(٣٧٥) فى المكان المسمى كيقوباد، وظل هناك خمسة عشر يوما. ودخل قيصرية وجلس على كرسى السلطان، ولم يؤذ أحدا من الشعب ولم ينهب. ولكن أخذ جنوده كل شىء بثمنه حتى إنهم اشتروا التبن لجيادهم، وقد كان يقول: "إنني لم أحضر لأخرب البلد، ولكن لأحرر صاحبها من عبودية التتار". وعندما سمع أباقا ملك الملوك بالخبر جمع القوات المستعدة واتجه نحو بلد الروم. فلما سمع البندقدار أن الملك أباقا يستعد أسرع وغادر بلد الروم وأخذ معه السيدة العجوز والدة بروانه وكذلك ابنه الأكبر زوج بنت ملك الأرمن. قتل مسيحي مدينة الروم بحد السيف فقد قيل له إنه بهؤلاء يشتد ساعد التتار عند مرورهم إلى سوريا. وبمجرد أن وصل ملك الملوك إلى بلد الروم لم يجد أحدا من المصريين، ولكن بعض التركمان الهاربين إلى سوريا، فتابعهم، وقتلهم وأسر أهلهم. ولقد قتل التتار الكثير من المسيحيين وأسروهم ونهبوهم. حدث ذلك على الرغم من أن ملك الملوك كان قد أصدر أمرا بعدم إيذاء المسيحيين، لأنهم كانوا بمثابة الملجأ لكثير من التتار الفارين من المصريين وقد قاموا بإطعامهم. ولقد صدر أمر لبعض العظماء والرهبان

ينص على أن يذهبوا إلى المعسكرات لينقذوا الأسرى المسيحيين من بلد الروم، فعلوا ذلك. وعندما ذهب ملك الملوك إلى جبال كبادوقيا ووصل إلى أكشادربند رجع مرة أخرى. وعندما عاد بروانه إلى ملك الملوك لم ينقص من التكريم الذي كان له ولكنه أكثر منه، وأخذ معه لكي يستطيع أن يدبراً خطة بخصوص الرومان. ولكن حجم الجيش وقائده لم يكن بإمكانهما أن يواجهوا المصريين عند عودتهم. وعندما وصلوا إلى أرمينيا من الجبل المسمى الأتاغ^(٢٩٦) أقام بروانه احتفالاً كبيراً وسقوه كثيراً من لبن الخيل لأنه لا يشرب الخمر. وعندما خرج بروانه ليتبول أعطى ملك الملوك إشارة إلى حاملي السلاح، فقطعوه قطعاً قطعاً وذلك في اليوم الثاني من الأسبوع في اليوم الثاني من شهر آب (أغسطس) سنة ٦٧٥ هجرية (١٢٧١ ميلادية). ولقد قتل بالطريقة نفسها التي قتل بها السلطان ♦♦ ركن الدين. "إن القاتل يجب أن يقتل ودماءه تستباح" لقد تحققت تلك الكلمات. ولقد قيل إنهم بمجرد أن سحبوا عليه سيوفهم لم يرتجف ولم يفرع، بل أنزل على التتار سيلاً من اللعنات وقال: "أهذه مكافأتي منكم؟ أهذه مكافأة كل من أحبكم؟" وقبل أن يصل البندقدار إلى دمشق وصله حكم الرب في ضواحي حماة، وحلت نهايته فمات، وانتهت مؤامراته الشريرة. هذا الرجل كان يظن أنه عظيم جداً جداً وذلك في خلال فترة قصيرة. وقد قال كما قال فرعون ♦♦♦ من قديم الزمان: "أنا الذي صنعت نهر النيل وهو ملكي". لقد قيل إنه أصيب بسهم في وركه وأن النصل بقي فيه لعدة أيام، وذلك في أثناء حرب التتار. ولقد أمر الجراح

♦ اليوم الثاني : هو يوم الاثنين.

♦♦ السلطان : في النسخة السريانية "السلطان ركن الدين" (ص 167٧ عامود ٢ سطر ٢). أما في الترجمة الإنجليزية فلم يذكر أي ألقاب. (RUKN AD-DIN p.458).

♦♦♦ قال فرعون : "أنا الذي صنعت نهر النيل وهو ملكي". وقد جاء هذا المعنى في آية كريمة وهي: "ونادى فرعون في قومه قال يقوم أليس لي ملك مضر وهذه الأنهار تجري من تحتي أفلا تبصرون" (سورة الزخرف آية ٥١)

بنزعه، ولكن فاضت روحه بخروجه، وقام من بعده ابنه في مصر، وسلم إدارة سوريا كلها إلى صاحب حماة. وبعد ذلك ثبت أن موته لم يحدث هكذا، ولكن الذي حدث أن أمين الخزانة قام بخلط دواء سام مع لبن الخيل وسقاه له. فعندما شعر بالتعب أمر أمين الخزانة أن يشرب من اللبن أيضا، ومات كلاهما فوراً.

ولقد حدث خلال هذه الحرب شيء يستحق الذكر. لقد قيل إنه عند هزيمة التتار سقطت جثثهم على الأرض، فأمر البندقدار أخاه الصغير ابن خطير - الذي كان قد هرب إليه - أن يمر على القتلى من التتار ويرى من عظمائهم قد قتل حتى يستطيع أن يتفاخر أمام المصريين. وعندما وصل الرجل إلى مكان القتلى أدار وجوههم ليتعرف عليهم فوجد بين جثث التتار رجلا جريحا ساقطا على الأرض، ولكنه لم يكن ميتا وكان به بعض القوة ولكنه كان ينتظر حلول الظلام ليقوم ويهرب. وبمجرد أن رأى ابن خطير يفحص القتلى بعناية ظن أنه سيقتل الذين لم ينته أجلهم تماما. ولما كان قد سقط وسلاحه مربوط إليه، أخذ قوسه وسحب سهمها من جرابه، وصوبه بعناية تجاه ابن خطير، وأصابه في عينه واستقر رأس السهم في مخه. ولقد ظن الذين كانوا معه أن السهم قد طار إليه من السماء، فأخذوه وحملوه إلى البندقدار، ومات في هذه الساعة نفسها.

وفي اليوم الخامس* من الأسبوع، أي في اليوم السابع عشر من شهر حزيران (يونيو)، من العام نفسه نصب الأكراد الملاحين كميناً في جبل العقف، وأخذوا عشرة رهبان من دير مارمتي، وعذبوهم وقتلوا أحدهم وكان يدعى مصوتا وباعوا التسعة الآخرين بأربعة آلاف زوزاً.

وفي سنة ١٥٨٩ يونانية (١٢٧٨ ميلادية) بعث الملك ليون رسولا وأخذ ابنته التي كانت زوجة ابن بروانه لأن زوجها - كما قلنا - قد نقل إلى

♦ اليوم الخامس : هو يوم الخميس .

مصر. وفي هذا العام كان الشتاء شديدا والبرد قارسا في أذربيجان، وفي كل أرمينيا الكبرى حتى حدود سقينيا، وهلكت جياذ كل سكان الخيام وأبقارهم وأغنامهم، كما كان هناك نقص في الطعام. وكانت كل مناية من القمح - أي حمل حمار - تباع بأربعين دينارا في موغان^(٢٩٧).

وفي هذا الشتاء اتهم البابا الفارسي الذي قتل مسعود بن قوطي - من مملكة الموصل - والذي اغتابه قائلًا إنه يهدم مدينة الموصل ولا يعرف كيف يحكم. حينئذ أمر ملك الملوك بعض النبلاء بإحضار البابا إلى الموصل. وأقام البابا شهود زور ضد يشموط ومسعود، ورشوا القضاة وصدر الحكم زورا. فأدان التتار المسيحيين وعين البابا صاحبًا.

وفي هذا العام اجتمع حشد من التركمان والبدو ♦ والأكراد في سوريا أولا، ثم ذهبوا إلى قبليقية ووصلوا إلى تل حمدون^(٣٨٥) ♦♦ حيث أحدثوا خرابا عظيما ونهبوا أسلبا كثيرة، ثم رحلوا.

وفي سنة ١٥٩٠ يونانية (١٢٧٩ ميلادية) رأت الملكة الكبيرة قوتاي خاتون^(٢٩٨) أنه خلال تلك السنوات قد توقف حضور المسيحيين في عيد الغطاس ليباركوا مياه النهر، وذلك بسبب نزاعهم مع العرب. وكان البرد قارسا في ذلك الوقت فجاءت بنفسها إلى بلدة مراغة وأمرت أن يخرج المسيحيون معلقين الصلبان على رعوس رماحهم وفقا لتقاليدهم. وعندما خرجوا حلت بهم البركة الإلهية، وانخفضت شدة البرد وازدهرت الأعشاب وفرح المغول لتحسن حال جياذهم، وكذلك المسيحيون لنصرة دينهم.

♦ البدو: جاء في النص السرياني "البدو" (ص ١٦٨ عامود ٢ ص ٢٧). أما في الترجمة الإنجليزية "بدو الصحراء" (p.460 dwellers in the desert).

♦♦ تل حمدون: ورد في النص السرياني "تل حمدون" (ص ١٦٨ عامود ٢ ص ٣٠) وهو الأصح. أما في الترجمة الإنجليزية "حمدون" (they came as far as HAMDON p.460). وتل حمدون هو حصن من أجل حصون "سيس".

وفى هذا الشتاء ثارت بعض الجحافل، حوالي خمسة آلاف كانوا قد هربوا واختفوا عند حدود الهند، وجاءوا إلى بلدة شيراز وأحدثوا خرابا عظيما وقتلوا الكثيرين، ومع ذلك لم يتمكنوا من دخول المدينة، واصطدموا مع قوات الجيش التي تقدمت وهزمتهم. ولقد هرب منهم عدد قليل، ولكن بصعوبة شديدة، سرق لصوص شيراز ممتلكات الأغنياء، وعندما سمع ابن ملك الملوك بأعمال هؤلاء الثوار طاردهم، ولحق بهم، وقتل عددا كبيرا منهم بحد السيف.

وفى أيام الصيف كان فى خدمة الصاحب فى بغداد رجل داهية وجرىء قام بالكثير من الأعمال الشريرة، فدنس زوجات الرجال وسخر من مجلس المملكة العظيم، وضحك منه باستهزاء كما لو كان أضحوكة. وفى أحد الأيام فى أثناء انشغال الصاحب فى الصيد، قبض المجلس على هذا الرجل الطاغية وثبتوا صليبا على عربة وقيدوه عليها من يديه ورجليه وداروا به فى أسواق بغداد. وغرسوا إبرتين لخياطة الخيش فى لسانه، ووقف خلفه فى العربة شاب صغير ليهش الذباب من فوق وجه الرجل المعذب، وكانوا يضربونه بأيديهم قائلين: "هكذا يجازى الذين يسخرون من النبلاء". وعندما أحضروه عند شاطئ نهر دجلة قطعوا رأسه وعلقوها على الجسر ثم أحرقوا جثته. ففرع كثير من الأشرار لهلاك هذا الرجل. ثم ساروا به فى الشارع ليلا وكان يسير أمامه عدد كبير من المهرجين يدقون الطبول ويرقصون ساخرين منه.

وفى هذه السنة من يوم الجمعة اليوم التاسع عشر من شهر أيار (مايو) انقضت القوات المصرية على قلعة الروم حوالي تسعة آلاف فارس وأربعة آلاف من المشاة، وقام على رأس القوات المصرية أمير يدعى بيسرى^(٢٩٩) وعلى رأس القوات السورية حسام الدين العنتابى الذى عسكر عند نهر برزمان. وبعث إلى الكاثوليكس رسولين أحدهما عربي والثانى أرمني وقالوا له: "إن السلطان أمر أن تسلم هذه القلعة دون مقاومة ونأخذ رهبانك وتذهب إلى أورشليم، وسوف يمنحك قرى كافية لمعيشتكم، وإذا لم ترضوا بذلك

وأردتم الذهاب إلى قيليقية ففي هذه الحالة سننقلكم على بغالنا وجيادنا مكرمين. أما إذا قاومتكم ولم تستسلموا فإن الرب سيحاسبكم على دماء هؤلاء المسيحيين". فأجاب الكاثوليكي: "سأحارب حتى الموت فأنا لا أستطيع أن أكون مخلصاً للرب وللملك معا". لقد احتشد المصريون طوال الليل في الحدائق وقطعوا الأشجار وأقاموا السلام. وفي صباح يوم السبت شنوا حرباً شعواء على المدينة وهرب المحاربون الأرمن من عند السور الحديث الذي كانوا قد بنوه. ولقد نصبوا السلام ودخلوا المدينة البائسة ونهبوها وأشعلوا النيران في كل منازلها ولم يجدوا أحداً بالمدينة لأن كل أهلها كانوا قد هربوا إلى القلعة. وظل المصريون والسوريون بها لمدة خمسة أيام يخربون ويحرقون وينهبون، وبعد الخراب العظيم الذي أحدثوه غادروها بعد أن أكلوا حبوبها[♦] وقطعوا كرومها وأشجارها وكسروا أحجار الطواحين وأخرجوا الحمامات من منازل الاستحمام وحملوها إلى بروانة وفي أثناء الفترة التي عسكرت فيها القوات التركية عند قلعة الروم أرسل ابن قرمان آجاي^(٣٠٠) التركماني من بلاد الروم إلى صاحب مصر ليرسل له قوة لتمهد له الطريق أمامه وتقوده إلى سوريا، وذلك لخوفه من قوات التتار ومن ملك الأرمن. فأرسل صاحب مصر إلى الملك لاون أن يمهد الطريق أمام بيسرى حتى يذهب ويحضر ابن قرمان. ولقد وافق الملك على أن يمروا في حدود بلاده، وفعلوا ذلك وعبروا الجبال ووصلوا بالقرب من قيصرية وأخذوا ابن قرمان ورجعوا. وفي طريق عودتهم اتخذها الأمير بيسرى حجة ليثور ضد^{♦♦} سيده وجعل القوات المرافقة له تقسم له يمين الولاة. وذهبوا إلى بلدة قيليقية ومكثوا بها خمسة عشر يوماً مخربين وناهبين. وعسكروا عشرة أيام عند أنازربه وجعلوا المواطنين الذين كانوا قد هربوا إلى هناك يقاسون أشد

♦ أكلوا حبوبها: في النص السرياني وردت "أكلوا حبوبها" (ص ١٦٩ عامود ١ سطر ٢٦) أما النسخة

الإنجليزية "أكلوا مخزون حبوبها" (they ate it stores of grain p.461).

♦♦ ضد: هذه الكلمة مكتوبة في النص السرياني مرتين (ص ١٦٩ عامود ٢ سطر ١١ و١٢). في تصوري أنه

حدث ذلك لوجود الكلمة الأولى في آخر السطر والكلمة الثانية في أول السطر الثاني فحدث هذا الخطأ

من باب السهو من الناسخ.

أنواع العسف. ولو كانوا قد مكثوا هناك فترة أطول لكانوا قد استهلكوا كل المياه ولكن الرب أهلكهم. ولقد أحرقوا دير فقسيمات بأكمله وكذلك دير الربان قوما^(٣٠١) ولكنهم لم يصلوا إلى كويخات. وبمجرد أن وصلوا إلى سوريا انكشفت هذه الخطة لابن البندقدار صاحب مصر قد فخرج مسرعا من دمشق واتجه إلى مصر. وعندما بدأ في جمع القوات تفرق الذين كانوا مع بيسرى لخوفهم من السلطان فبقى وحده وذهب إلى أورشليم واحتمى فى رواق سليمان وحلق شعر رأسه وأظهر ندمه على حماقته. عندما رأى الابن الأكبر للبندقدار هذا الانقسام الذى حل بقواته صعد إلى قلعة الكرك واعتزل الملك. فاجتمع النبلاء معا وأقسموا يمين الولاء للأخ الأصغر وأجلسوه على كرسي الملك فى مصر. ولكنه لم يستمر بعد أن ثار ضده رجل يدعى ألبى^(٣٠٢) فأبعده وحكم هو مصر.

وفى هذا الصيف هرب ابن السلطان عز الدين صاحب بيت الروم من بلدة بركة^(٣٠٣) وجاء إلى أباقا الذى استقبله بترحاب. وعندما أراد منحه جزءا من بلاد الروم لم يسمح له النبلاء وقالوا: "إذا حدث ذلك فإن النزاع القائم بينه وبين عمه سيزداد" واتفقوا على أن يعطوه جزءا من دخل كل البلاد ولكن دون أن يسيطر عليها، فوافق على ذلك بالرغم من أنه ضد رغبته.

وفى سنة ١٥٩١ يونانية (١٢٨٠ ميلادية) قام يشموط الأمير الأويغورى ومسعود بن قوطى بالاقتراب من أباقا ملك الملوك، وأظهروا له أن القضاة الذين أرسلوا مع البابا الفارسي قد ظلموهما، وأن الحكم الذى صدر ضدهما كان عن طريق الرشوة. حينئذ أمر أباقا أن يصبح أخاه وزوج ابنته قضاة وأن يفصلا فى النزاع القائم بين الطرفين. وبعد شهر من البحث

♦ ألبى: هو نجم الدين بن ألبى بن حسام الدين بن تمرناش بن إيلغارى صاحب ماردىن وميافارقين. وكانت ولايته نيفا وثلاثين سنة وولى بعده ابنه نجم الدين ألبى (تاريخ مختصر الدول ص ٢٠٨). وقد ذكر النص السريان أنه "رجل" (ص 169v عامود ١ صطر ٩). أما الترجمة الإنجليزية "أمير" (AMIR whose name was ALPI p.462) وهو الأصح.

ظهر أن البابا مذنب، وكُشف أمر القضاة السابقين فاعترفوا بالرشوة التي أخذوها من البابا. وصدر أمر بقطع رأس البابا بالسيف وإحضاره إلى الموصل، وذلك في اليوم الخامس من الأسبوع في اليوم الثامن من شهر آب (أغسطس)، وسيطر الحكام المسيحيون مرة أخرى على الموصل وإربل وانتصروا بجدارة .

ولقد قُتل هناك أيضا رجل فارسي عظيم يدعى جلال الدين توران من بلدة خوتان؛ ذلك لأنه اتخذ جانب البابا كما أنه لم يكبح جرأته الوقحة. وحدث أن هرب أيضا خلال تلك الأيام بردو الأمير الكردي من بلده الموصل إلى سوريا مع كل أهله. وعلى الرغم من أن حراس الطرق من قوات المغول طاردوه فإنهم لم يدركوه. ولقد رفض سنقر الأشقر الذي كان موجودا في دمشق حكم ألبى لمصر، فجمع جيشا واشتبك معه في معركة، وعندما انتصر عليه ألبى هرب من أمامه وجاء إلى الرحبة^(٣٠٤) وقابل الأمير عيسى بدوى فتحالف الاثنان؛ فأرسل رسولا إلى أباقا ملك الملوك ليرسل قوات ضد ألبى. وعندما استجاب لهما، وذهبت القوات إلى سوريا خاف سنقر على نفسه منهما لعدم ثقته فيهما؛ فهرب واحتفى في قلعة صهيون^(٣٠٥). ووصل التتار إلى حلب وخرّبوا كل ما وقع تحت أيديهم بحد السيف، وأحرقوا المباني ثم عادوا. وكان نزولهم إلى سوريا في أيام الشتاء سنة ١٥٩٢ يونانية (١٢٨١ ميلادية) وكان على رأس القوات قونغرتاي الأخ الأصغر لأباقا ملك الملوك. وبعد عودة التتار من حلب، اجتمع سبعة آلاف فارس مصري، وذهبوا إلى قلعة مرقب^(٣٠٦) على شاطئ البحر وعسكروا بها. وعندما شعر الإخوة البؤساء حكام القلعة بمجيئهم خرج ليلا مائتا فارس وخمسائة من المشاة واختبئوا في ضواحي القلعة، ونزلوا من فوق جيادهم وبدأوا في نصب خيامهم، فانقضت عليهم قوة من الفرنجة وقضت على معظمهم بحد السيف، وهرب القليل منهم.

وفى صيف هذا العام شن فرسان بيت جلال الدين توران وبيت البابا حربا، وانقضوا على مسعود بن قوطى مدعين أنه قد سرق من خزينة جلال الدين مقدارا كبيرا من الذهب والأحجار الثمينة. وقبض على مسعود، أعطى عهدا مكتوبا بخمسين ربون (خمسمائة ألف) وذلك تحت ضغط التعذيب الشديد . وحكم على ابن عمه سوعيدات بالقتل بالسيف. ومن الموصل أخذ ابن سميना العربى الذى كان تحت رعاية مسعود، ومات من شدة التعذيب. وقُتل أيضا أبو بكر وهو أمير كردى من هكاريه، وكان نائرا منذ سنوات فى جبال آشور . وكان مسعود قد اتفق معه على السلام فحملوه إلى المخيم ومعه ثمانية من الأصدقاء فقتلوهم. أما الابن الأكبر للشيخ عدى الذى كان قد هرب إلى سوريا فقد ذهب إلى المخيم واعتذر عن هروبه ولكنه اتهم بالقتل . وأحضر مسعود إلى الموصل مع حرس مغولى ليعطيهم الذهب. وبعد أن بقى معهم لبضعة أيام هرب منهم ليلا.

وفى سنة ١٥٩٣ يونانية (١٢٨٢ ميلادية) فى موسم الخريف نزل حوالى خمسة ربون (خمسين ألف) من قوات المغول مرة أخرى إلى سوريا وقام على رأسهم مونككا تيمور الأخ الحبيب لملك الملوك .وقد حشد لاون ملك قيليقية قواته وذهب معه لمساعدته، واجتمعت أيضا القوات المصرية والسورية وقام على رأسهم السلطان ألبى وأيضا سنقر الأشقر لأن الاثنين كانا قد تصالحا مع بعضهما البعض. وتقابل التتار مع المصريين بين حماه وحمص فى اليوم الخامس من الأسبوع أى اليوم الثلاثين من تشرين الأول (أكتوبر) من هذه السنة نفسها وانتصر التتار على المصريين.

وعندما أوشك التتار على النصر الكامل انقض عليهم من الجانب الأيسر جماعة من البدو والتغلبة فظن التتار أن العدو يحاصرهم من الأمام ومن الخلف. وقد هرب أصحاب الميسرة مع أهل القلب. ولكن أصحاب الميمنة وهم من جنس التتار ويدعون أويرات مع خمسة آلاف (كرج) وكذلك ملك الأرمن مع جنوده فلم يشعروا بكمين العرب . فهزموا المصريين

الذين كانوا يقاومون بشدة' وطردهم حتى أبواب حمص وتركوا كثيرامن القتلى . ولما سمعوا بهروب أصدقائهم انسحبوا على الفور. وفي أثناء انسحابهم قابلوا القوات المصرية العائدة من مطاردة التتار الهاربين، فعاد بينهم القتال مرة أخرى' وكان كل فريق يخشى الفريق الآخر' فقاتل كل فريق بحماس' وتكتلوا في جماعات وعبر كل جانب لمنطقته. وقد جاء الجانب الأيمن للتتار محملا بغنائم كثيرة وعملات مصرية وبغال وآنية*. أما الجانب الأيسر فقد ألقوا حتى بملابسهم وكثيرون عادوا على أرجلهم ووصلوا منهكين من شدة الجوع والعطش. وقد رجع الجانب الأيمن للجيش المصرى ووسطه إلى دمشق وهم يحملون أسلحا كثيرة من التتار. ولقد نجى من الجانب الأيسر قليل من المصريين وكانوا مصابين بجروح شديدة، كما فقدوا كل شيء. ولولا عدم مجيء أباقا حتى شاطئ الفرات ورجوعه إلى بغداد لكانوا قد تركوا المصريين مقطعين إربا .

وفي شتاء هذا العام أصاب أهالى آشور وكل بلدة سنجار* قلق شديد وذلك بسبب عودة تلك القوات. وحدث أن اشتد البرد وسقطت ثلوج كثيفة أكثر من المعتاد في بلدة الموصل. وبعد أن تفرق المغول والمصريون تحالفت بعض القبائل الصحراوية والتركمان والأكراد، وقاموا بغزو بلدة قيليقية، ووصلوا حتى أياس وأحرقوها ونهبوها، ولم يجدوا بها أحدا من مواطنيها لأنهم جميعا كانوا قد هربوا عن طريق البحر واحتتموا بالقلعة

◆ آنية : في النص السرياني وردت كلمة "آنية" (ص170v عامود ١ سطر ٢٢) أم الترجمة الإنجليزية جاء بعد كلمة آنية كلمة "ملبوسات" (EGYPTIAN darics, and mules, and vessels, and apparel p.464).

◆ ◆ سنجار : في النسخة السريانية مكتوبة (سنجر)(ص170v عامود ١ سطر ٣٦). وهذا خطأ والصحيح هو(سنجر). وهذا الخطأ في تصوري ربما يكون خطأ في الكتابة فقط وذلك لتقارب حرف (الباء والجيم : ب ج) في اللغة السريانية وقد وردت كلمة "سنجار قبل (أوبعد) ذلك مكتوبة بشكل صحيح..

الجديدة التي كانت قد بنيت فى وسط البحر. وبعد أن خربوا كل ما وقع تحت أيديهم انصرفوا. وعاد آخرون ثلاث مرات واجتمع غيرهم للمرة الرابعة وقاموا بغزو البلدة فى يوم سبت نينوى سنة ١٥٩٣ يونانية (١٢٨٢ ميلادية) ووصلوا حتى تل حمدون وأخذوا غنائم كثيرة، وعند خروجهم أغلق الأرمن التحصينات والبوابات عليهم وأهلكوهم كلهم بحد السيف، وأخذوا أسلحتهم وسلخوا جلد رءوسهم، كما حملوا الحيوانات الدروع والرماح والسيوف، وكذلك أرسلوا الجماجم والشعر فيها إلى ملك الملوك . وبعد عدة أيام جمع حيدر صاحب قلعة ألبيرة قوة تقارب ألفى فارس واستولى على حصن زياد^(٣٠٧). وقد هرب كثير من المسيحيين واحتموا فى مسجد العرب الكبير ونجوا من الموت وآخرون ثاروا فى المكان المسمى الأسطونا^(٣٠٨)، ولكن اللصوص لم يتمكنوا من اختراقه لأنه كان منيعا كالسد . ولقد قام هؤلاء الملاحين بأسر أربعة آلاف امرأة وصبى وعبروا الفرات فى مواجهة ملطية ونهبوا البلدة، ووجدوا فى قرية عرقة كثيرا من أهاليها المسيحيين فأخذوهم أسرى وذهبوا إلى سوريا. وعندما جاء مونككاتيمور من سوريا ذهب إلى أباقا فى بغداد وكان أسفا وحزينا على الهزيمة التى حلت به، وواعد وتعهد أن يعود إلى سوريا مرة أخرى . وعندما رجع ووصل إلى الجزيرة فى قردو قام الصفى القرقوبى، ووشى بأصحاب الجزيرة، فجعلهم مونككا تيمور يقاسون كثيرا من الشدائد فكنتموا غضبهم ضده، وفى أحد الأيام عندما خرج من الحمام دبوا خطة وعملوا اتفاقا سريا مع أحد حاملي الأقداح فسقاه سما. وبعد أن انتشر السم فى جسمه انتقل من الجزيرة إلى نصيبين. وعندما علم أصحاب الجزيرة أن خيط حياة مونككا تيمور قد انقطع أخذوا الصفى القرقوبى وابنه وساقوهم عراة فى أسواق الجزيرة، وقتلوهم بطريقة وحشية. وانتقل أباقا ملك الملوك من بغداد وجاء إلى مدينة همذان.

وفى يوم أحد القيامة سنة ١٥٩٣ يونانية (١٢٨٢ ميلادية) ذهب إلى كنيسةها واحتفل بالعيد مع المسيحيين .وفى اليوم الثاني قام بهنام* - وهو أحد نبلاء الفرس - بعمل احتفال فى قصره تكريما له. وفى ليلة اليوم الثالث شعر بالقلق ولاحت له أشباح فى الجو. وفى صباح اليوم الرابع من السبت الأبيض فى اليوم الأول من نيسان (أبريل) اليوم العشرين من الشهر الحادى عشر* العربى فارق الحياة .وفى اليوم السادس والعشرين من نيسان(أبريل) الأحد اليوم السادس عشر من شهر محرم فارق الحياة أخوه مونككا تيمور فى مدينة الجزيرة .وبعد موت أباقا أرسل إليه النبلاء رسولا وقالوا له: "ليس هناك ما يدعو إلى ذهابك إلى سوريا" ، ولم يخبروه بموت أخيه. ومات هذان الأخوان ملوك الدنيا دون أن يدري أحدهما بموت أخيه.

وبعد عدة أيام جاء ما يقرب من ستة آلاف فارس من سوريا وعبروا الفرات ووصلوا حتى الجزيرة عند قاردو، وخرج مؤمن صاحب المدينة وقابلهم فانهزم، وأسر وأخذ سجيناً إلى مصر. وحل الفزع فى مدينة نينوى وهرب كل المواطنين إلى دير مارمتى، وكانوا فى اضطراب عظيم وحل عليهم الطاعون ، فمات ما يقرب من ثلاثين راهبا.

فى هذا الوقت هاجم مجد الملك - وهو كاتب فارسى - علاء الدين صاحب الديوان فى بغداد، وكشف سرقة واثمه بأخذ مبلغ كبير من خزائن الحكومة؛ فقبض على علاء الدين وجرده من كل ما يملك حتى إن أبناءه الصغار قد بيعوا للتجار، وبينما هو فى هذا العذاب، مات أباقا وحكم أحمد وقتل مجد الملك الكاتب الواشى ضد علاء الدين .

وفى العام نفسه وبعد فترة مات أيضا علاء الدين.

♦ بهنام : ورد فى النص السريان اسم "بهنام" (ص ١٧١ عامود ٢ سطر ٥) وهو اسم صحيح. أما فى الترجمة

الإنجليزية "بهرام" ((nobleman whose name was BIRHAM p.466 وهذا خطأ.

♦ ♦ الشهر الحادى عشر: هو شهر ذى القعدة

تولية تكودار الحكم بعد أباقا^(٣٠٩)

بعد أباقا حكم أخوه أحمد تكودار^(٣١٠). عندما فارق ملك الملوك الحياة اجتمع أبناء الملك مع النبلاء وأجمعوا على أن يقوم أحمد بن هولاکو^{♦♦} - الذى أنجبته له قوتاي خاتون الملكة العظيمة - على رأس المغول الذين كانوا فى الغرب، لأن الطريق كان له، ولأنه كان أكبر إخوته . وعندما جلس على عرش المملكة فى اليوم الأول^{♦♦♦} من الأسبوع فى اليوم الحادى والعشرين من حزيران (يونيو) سنة ١٥٩٣ يونانية (١٢٨٢ ميلادية) ٦٨١ هجرية أظهر رحمة قلبه وسخاء يده؛ ففتح خزينة والده وأخيه وأخرج كنوزا عظيمة من الفضة والذهب، ووزعها على إخوته، وعلى الأمراء القوات المغولية. ونظر إلى شعبه بعين الرحمة وخاصة رؤساء العقيدة المسيحية، وكتب لهم وثائق تحرر كل الكنائس والمنازل الدينية والقساوسة والرهبان من الضرائب فى كل المدن والمناطق. وأرسل رسولا إلى صاحب مصر وإلى الأتابك الكهل صاحب بيت الروم، وإلى قطب الدين قاضى مدينة سبسطية، وإلى شمس الدين بن تيتى وزير صاحب ماردين وقال للمصريين: "إنه وفقا لأمر الرب، ووفقا للقوانين التى سنها لنا أبونسا جنكيزخان، فإن مملكة المغول قد دانت لى. ولأن الرب قادنى إلى السلام فأنا أريد أن يحيا كل فرد حياة هادئة فى بلده، وتختفى الحروب والقتل والأسر من على وجه الأرض، لذلك إذا كان لك رأى نفسه فامدد يدك لتحقيق السلام والخضوع،

♦ تكودار : فى الترجمة الإنجليزية لا يوجد تكودار

♦♦ هولاکو: فى الترجمة الإنجليزية فقد ورد الاسم مكتوبا خطأ (HULABU p.467). فهناك تقارب بين شكل حرف (الباء والكاف) فى اللغة السريانية ومن هنا من الممكن أن يكون المترجم قد وقع فى الخطأ. ومن الواضح أن المترجم يجهل هذا الاسم وذلك لأن هذا الاسم تكرر أكثر من مرة فى النص وفى كل مرة كان يكتب بنفس الطريقة الخطأ.

♦♦♦ اليوم الأول : اليوم الأول هو يوم الأحد

أما إذا بقيتم في حالة التمرد هذه سيحاسبكم الرب على الدماء التي ستسفك". فوافق صاحب مصر على أن يكون هناك سلام، وأن ينزع السيف من بينهم، ولكن على شرط أن تكون مدينة الموصل تابعة لابن بدر الدين، وأن يعطى المغول مثلما سيعطيه الآخريين. وقبلت بغداد وسنجان العرض، وعندما عاد الرسل وأعلنوا ما قيل لهم مرة أخرى أرسل ملك الملوك الشيخ عبد الرحمن لتأكيد السلام. وفعلا ساد السلام في البلاد.

وفي ذلك الوقت فتحت الطرق، وتنتقل التجار بين بابل وأشور وفارس إلى سوريا، وأتى التجار المصريون إلى بلاد التتار ولم يؤذهم أحد. حينئذ استعد عبد الرحمن للذهاب إلى سوريا، فأخذ مبلغا كبيرا من خزينة المغول الملكية، وأحجارا ثمينة، ولآلئ باهرة، وذهبا وفضة، وأواني، وأثواب قماش منسوجة بالذهب. وترك الأتاغ وجاء إلى تبريز ومكث بها حوالي شهر وجمع لديه صناعات من كل فئة من الصياغ والنساجين وغيرهم فعملوا كل شئ بطريقة ملكية. ومن هناك جاء إلى الموصل فأحضر من بغداد عشرة آلاف قطعة ذهبية وذهب إلى ماردين وهناك جاء إليه رسول من السلطان ألبى صاحب مصر وقال له: "إن السلطان يرسل تحياته ويقول كل هذا الوقت وأنا جالس في دمشق في انتظار قدومك حتى أراك وأحقق طلبك وأذهب إلى مصر، لأن هذه الأرض لا تحتمل القوات الغفيرة التي معي لذا أرجوك ألا تتأخر". حينئذ أرسل عبد الرحمن وقال له: "أنا مستعد للحضور، ولكن أطلب منك عند حضوري إلى بلدك أن يدخلني أتباعك لمقابلتك مكرما، ولا يقدمونني ليلا كما فعلوا مع الرسل الذين سبقوني في الحضور إليك". فأرسل السلطان وقال له: "أنت رجل عظيم عندنا، وشرفك مختلف عن الرسل السابقين، لذلك فليطمئن قلبك، فأحضر وستال كل الرضا الذي تتمناه". عندئذ اطمأن قلب الشيخ عبد الرحمن فأحضر قوات التتار الذين يحرسون طرق آمد وساروا معه. حينئذ أرسل معه الملك المظفر صاحب ماردين رسولا من طرفه إلى شمس الدين ويدعى ابن تيتي، وهو رجل عظيم، ومشهور وأرسل قوات أخرى لتذهب في خدمة الشيخ حتى الفرات ثم تعود. وانتقل الشيخ من

ماردين فى شوال الشهر العاشر للعرب سنة ٦٨٢ هجرية (١٢٨٣ ميلادية) .
وعندما وصل إلى مدينة حران، جاء لمقابلته أحد الأمراء، وقد كان أحد عبید
صاحب مصر. وكان على هذا الأمير أن ينتظر الشيخ، وأن ينزل من فوق
جواده فيأتى على قدميه ليسلم عليه ويقبل يده وفقا للتقاليد. ولكن لم ينزل من
فوق جواده وصاح أمامه بالتحية وأرسل قائلاً للشيخ: "الآن ليس هناك حاجة
لمجيء التتار"، وأصدر إليهم أمراً بالرجوع، فأمر الشيخ قوات التتار بالعودة.
وعندما رحلوا أمسك الأمير الشيخ والذين معه، وخرجوا عن الطريق المؤدى
إلى البيرة. وقال: "لقد أعدنا لكم معسكراً فى مكان آخر". وعندما ذهبوا
ووصلوا إلى شواطئ الفرات قال الأمير: "لقد نصبنا لكم خياماً فى الجانب
الآخر". فأجاب الشيخ: "أينما تعسكرون نعسكر". أما رجال ماردين الذين
جاءوا لخدمة الشيخ، فقد عقدوا العزم على العودة من الفرات وفقاً لأمر
صاحبهم. ولكن الأمير التابع لصاحب مصر لم يتركهم وقال لهم: "إن سلطاننا
أمر أن تأتوا حتى حلب". وعلى الرغم من إعراضهم عن ذلك، فإنهم عبروا
الفرات وعسكر جميعهم هناك. وفى المساء أحضر الأمير كثيراً من الطعام
للشيخ ولكل الذين كانوا معه. وعندما أكلوا، واستراحوا وناموا لمدة ساعة أو
أكثر ركب الأمير والذين كانوا معه جيادهم، فأرسل إلى الشيخ قائلاً: "قم
واركب لنذهب". ولكن الشيخ غضب ورفض الطلب قائلاً: "لن أركب إلا فى
الصباح عند شروق الشمس" فأجاب الأمير: "لقد أمرت ألا أحملك إلا ليلاً
سواء رغبت أم لم ترغب". فغضب الشيخ وقال: "لن أسافر ليلاً حتى ولو
قتلتني". فقال الأمير: "بالنسبة للقتل فلن أقتلك ولكن سأحملك بالقوة، وأكبلك
بالأغلال". وعندما رأى الشيخ أنهم يريدون أن يهدروا كرامته استجاب
لطلبهم، فقام وركب جواده وسافروا طيلة الليل. وفى الصباح الباكر
انحرفوا عن الطريق وابتعدوا عن العمران، وعندما وصلوا ليلاً إلى حلب
عسكروا فى إحدى المدارس، وصدر قرار من ألبى صاحب مصر ينص
على أن كل ماردينى جاء لخدمة الشيخ يقبض مائتى زوزاً ثم يعود إلى
بلده، ويحضرون الشيخ ورفاقه والأمير المغولى الذى كان معه،

وشمس الدين رسول صاحب ماردين بعناية شديدة إلى دمشق ليلا. وبمجرد أن أصدر السلطان هذه الأوامر ذهب إلى مصر، ولم ينتظر مقابلة الشيخ. وعندما أحضروا الشيخ إلى دمشق ذهبوا إلى القلعة حيث سجنوه مع الأمير المغولي في أحد المنازل ورسول صاحب ماردين في منزل آخر، وكل زوج من خدمهم في منزل. وعينوا الشاب ابن الأمير المغولي، وشابا آخر (ابن مجد الملك) في خدمة الأمراء؛ فسارا معه حاملين سلاحه، وسنوا قانونا ينص على أن لا يسأل أحد صديقه بخصوص الشيخ عبد الرحمن، سواء أين هو أو كيف هو. وأخفيت أخباره حتى "يومنا هذا" أي لمدة سنة كاملة. وبعد رحيل الشيخ عبد الرحمن إلى سوريا، قيل لملك الملوك أحمد إن أخاه قونقرتاي قد تبادل الحديث مع أرغون بن أباقا، وقال له أن يستعد لأسرك ليلا في أثناء نومك في خيمتك ويقتلك. حينئذ ارتعد أحمد، وأسرع وكبل أخاه قونقرتاي بالأغلال وقتله. وعندما سمع أرغون بقتل عمه حزن عليه حزنا شديدا، وتحول قلبه عن أحمد. وعندما شعر أن قلب أرغون ليس صافيا معه أرسل إليه قائدا يدعى أليناق^(٣١١) مع قوة كبيرة. وعندما تقدم أليناق ووصل إلى خراسان بأرغون أسرع الفرار من أمامه. كان أليناق يؤمن براحة الجسد وكان لا يبالي بالأمور الحربية، فبدأ يأكل ويشرب ويسكر. وفي إحدى الليالي هاجم أرغون معسكر أليناق وقتل الكثيرين، وبصعوبة شديدة تمكن أليناق من النجاة من حد السيف ومعه بعض الأتباع. ولما سمع أحمد بالحظ السيئ الذي حل على أليناق أرسل إلى كل البلاد وجمع قوات المغول، والأكراد، واللور، والفرس، والأيبيريين، وذهب إلى أرغون^(٣١٢) في خراسان. وعندما رأى أرغون أنه عاجز أمام قوة أحمد صعد إلى إحدى القلاع الموجودة هناك مع ثلاثمائة من رجاله الممتازين، وبدأ عقله يضطرب لأنه محبوس في قلعة مما أضرب به لأنه قد قال إن كل من أغلق عليه فهو أسير ولم تطاوعه نفسه بالرجوع إلى طاعة السلطان أحمد، وبينما هو على هذا الحال قال أحد الأمراء ويدعى بوقا رجل الخزينة- والذي كان محبوبا جدا من أباقا والد أرغون - لأحمد: "إذا أعطيتني عهدا ألا تؤذى أرغون

أذهب وأحضره بين يديك". ووعده أحمد، وأقسم بما يستعظم المغول القسم به أنه إذا جاء إليه أرغون بمحض إرادته، فإنه لن يؤذيه إطلاقاً. حينئذ صعد الأمير بوقا مسرعاً إلى أرغون وأنزله من القلعة، وأحضره إلى أحمد الذي فرح به كثيراً، وأقام له احتفالاً لمدة ثلاثة أيام. وبعد الأيام الثلاثة جالت الأفكار السيئة في رأس أحمد فوضع حراساً على أرغون، فدعى أليناق ورفاقه وقال لهم: "إني ذاهب إلى والدتي قوتاي خاتون في أنزيبجان، فراقبوا أرغون حتى لا يهرب، وأحضروه إلى حيثما أكون". في الليلة التي أرادت أن ينتقل فيها كشف سره إلى بعض النبلاء وقال لهم: "إذا لم أقتل أرغون والأمراء الآخرين فلن يستقر لي الملك".

وفي صباح اليوم التالي انتقل وأمر أن يتلطفوا في إحضار أرغون إليه. عندما فهم الأمير بوقا هذا تلكأ في الذهاب مع أحمد، وبقي حتى المساء حيث ذهب إلى جميع الأمراء وأخبرهم بسر أحمد، وأنه يستعد لإيذائهم جميعاً. فغضب الأمراء بشدة وجاءوا ليلاً إلى حيث كان أرغون تحت الحراسة فأخرجوه، وألبسوه الدروع وأعطوه سلاحاً وأركبوه على حصان وذهبوا جميعاً إلى حيث كان أليناق نائماً، وقتلوه داخل خيمته، وقتلوا أيضاً النبلاء ورفاقه؛ فصاح الدعاء داخل خيام المغول: "الأمراء قتلوا أليناق والنبلاء ورفاقه. فكل من هو في موضع يلزم مكانه، ولا يتحرك ولا يخف". وعندما حل الصباح، أرسل المغول، وأحضروا بعض الرجال الذين يدعون القراونة والذين كانوا لا يريدون أحمد، وطاردوه ولحقوا به عند أمه فقبضوا عليه، وكمبوه بالأغلال ووضعوه تحت حراسة مشددة، ونهبوا خيام أمه وزوجاته. ولما وصل أرغون وباقي الأمراء اتفقوا أن يصبح أرغون على رأس المغول ويملك المملكة مكان أبيه أباقا ويعزل أحمد لأنه غير صالح للحكم. وفي أثناء اشتباك قوات التتار فيما بينهم، أرسل ألبى صاحب مصر حيدر القائد مع ثلاثة آلاف فارس إلى بلدة شبختان ليحضروا ابن شيكان القائد الأرمني الرياضي حيا إلى مصر في قفص؛ لأن العرب الذاهبين إلى سوريا كانوا يلاقون منه معاملة سيئة. وعندما عبروا الفرات، جاءوا

وعسكروا عند تينا القلعة الأرمينية .وفى أول أيام الحرب أصيب حيدر بسهم ومات، ففزعت قواته، وتركوا القلعة وهربوا إلى سوريا. وكان انتقاما عادلا من حيدر؛ ذلك الذى نهب المسيحيين وأفسد وخرّب مدينة ملطية وزياد. حدث ذلك فى صيف سنة ١٥٩٥ يونانية (١٢٨٤ ميلادية).

أرغون بن أباقا

بعد تكودار الملقب بأحمد، حكم أرغون بن أباقا — كما قلنا — وانتهى ملك أحمد في اليوم الرابع من الأسبوع، وفي اليوم الأول من الشهر الخامس ♦ العربي سنة ٦٨٣ هجرية (١٢٨٤ ميلادية) جلس أرغون ملك الملوك على عرش المملكة وهو الموافق لليوم السادس والعشرين من شهر تموز (يوليو) سنة ١٥٩٥ يونانية (١٢٨٤ ميلادية). ولقد استنكر كثير من النبلاء أن يبقى أحمد على قيد الحياة فقال أرغون: "أنا لن أشارك في قتله. إن والده قونقرتاي وأبناءه يعلمون جيدا أنهم إذا أرادوا قتله فعليهم أن يقوموا هم بهذه المهمة، وإذا لم يرغبوا فليتركوه وشأنه". وظل لعدة أيام تحت الحراسة ثم قتله أبناء قونقرتاي وأخذوا بثأر والدهم في اليوم الرابع من الأسبوع الثاني من الشهر السادس ♦ العربي السادس عشر من شهر آب (أغسطس).

في هذا العام استقر الملك لأرغون، وعين أميرا لكل بلد تابع له على رأس قوات بابل، ومازندران، وأشور، وخراسان وبيت الروم. ولقد أُرهب أرغون الكثيرين وخاصة في سوريا، حتى قيل إنه عندما وصل الخبر إلى سوريا ارتفع أجر الجمل الواحد للسفر من حلب إلى حماة إلى أربعمئة زوزا، وذلك لأن جميع الرجال كانوا يهربون إلى مصر.

وفي بداية حكم ملك الملوك أرغون نصب مسعود بن قوطي ملكا على الموصل، وبعد ذلك حكم جميع المقاطعات، وعمت السعادة كل المسيحيين؛ ولكن هذه السعادة سرعان ما انقلبت إلى حزن؛ لأنه في اليوم الذي جاء فيه أرغون إلى أحمد قام أبناء جلال الدين توران بقتل الأمير يشموط الراهب الأويغوري وذلك انتقاما لو والدهم.

♦ الشهر الخامس العربي : هو الموافق شهر جمادى الأولى.

♦ ♦ الشهر السادس العربي : هو الموافق شهر جمادى الآخرة.

قتل شمس الدين صاحب الديوان

كانت هناك اتصالات بين أرغون وأحمد بخصوص شمس الدين صاحب الديوان. لقد قيل لأرغون إن صاحب الديوان قد قتل والدك بالسم. فأرسل أرغون رسولا وطلبه من أحمد، ولكنه لم يسلمه له. فظن أرغون أنه قد لفق له تهمة، وأن أحمد سعيد بموت أباقا ملك الملوك، وذلك لكي يجلس مكانه وهذا ما حدث فعلا. فلما زال مجد أحمد وانتصر أرغون هرب شمس الدين إلى جبل ماداي^(٣١٣) ولجأ إلى طائفة من الأكراد تدعى اللور. فلما علم يوسف شاه^(٣١٤) رئيس اللور أن الحكم قد دان لأرغون، جاء لتقديم فروض الطاعة له. ولقد استقبل بترحاب لأنه كان قد وعد أن يقبض على صاحب الديوان ويحضره. ولذلك ذهب وقبض عليه وأحضره إلى أرغون رغم ما عرض عليه من هدايا. لقد طلب منه فدية قدرها مائة ربون من ذهب وذلك حتى لا يهرق دمه. فقال: "إذا أعدتم لي ممتلكاتي فسوف أستطيع أن أعطى أكثر من ذلك، وإلا فلن أستطيع." ولقد نصحه النبلاء قائلين: "اقترض هذا المبلغ وقدمه، وحينئذ سوف نسلم لك ممتلكاتك". فبدأ يقترض من إخوانه وأهل منزله وعبيده وأحاببه فجمع أربعين ربونا ثم قال: "إنني لا أستطيع أن أجهز شيئا أكثر من ذلك وافعلوا ما تريدون أن تفعلوه." حينئذ صدر أمر بقتله وعلقه المغول من يديه وقدميه إلى أعلى، وسحبوه على الأرض ثلاث مرات وضربوه بأحذيتهم حتى فصلت رأسه. وذلك في اليوم الثالث من الأسبوع في اليوم الخامس من شعبان سنة ٦٨٣ هجرية (١٢٨٤ ميلادية) السابع عشر من تشرين الأول (أكتوبر) سنة ١٥٩٦ يونانية (١٢٨٥ ميلادية). وكانت هذه هي النهاية السيئة لهذا الرجل المخيف المعذب. كانت كل مملكة مجوج رهن إشارته، وذلك لأنه كان عاقلا ومتفهما بطبيعته، وكان متبصرا في كثير من نواحي العلم والمعرفة. كان شقيقه علاء الدين صاحب بغداد الذي مات منذ عامين ميتة طبيعية في موغان وأحضرت جثته إلى مدينة تبريز حيث دفن هناك. كان ذا مهارة فائقة وله دراية في فن الشعر، وألف كتابا رائعا

بالفارسية عن تاريخ المملكة السلجوقية، والخوارزميين، والإسماعيلية، والمغول. وعن كتابه هذا أخذنا ما يوجد في كتابنا بخصوص هذا الموضوع.

وفي سنة ٦٨٣ هجرية (١٢٨٤ ميلادية) توفى السلطان غياث الدين بن ركن الدين صاحب الروم. كان قد خرج للذهاب إلى المخيم لمقابلة السلطان مسعود^(٣١٥) ابن عمه*، وعندما وصل إلى بلدة أرزنجان سقاه النبلاء سما قاتلا وذلك لشدة تذييره ولفساد حكمه. وفي فصل الشتاء اجتمعت الكواكب السبعة السيارة في مدار الجدى فى الأنابيازون. وقد اندهش العالم واستغرب لأنها كانت سنة الاتصال بين كرونوس وزيوس، وذلك فى المدار الفلكى لأكواريوس لأن اتصاليهما كان صيفا. وعندما سمع صاحب مصر أن المملكة قد انتقلت إلى أرغون وأن أحمد قد رحل ورحل السلام معه، أحضر الشيخ عبد الرحمن من سجنه فى القلعة، وأسكنه فى أحد مساجد دمشق، ومنحه دخلا يكفيه. فقد كان الشيخ عبد الرحمن - وهو من أصل يونانى - ابن أحد عبيد الخليفة المستعصم. وعندما احتلت بغداد نجا هو من القتل وجاء إلى الموصل ومكث فى السوق، وعمل بالنجارة ولقد تعلم هذه المهنة لشدة حبه لها. بعد ذلك ذهب إلى قلعة العمادية وهناك أخبر عز الدين صاحب القلعة أنه يستطيع أن يصنع أشياء رائعة، وأنه قد تعلم ذلك بواسطة الأرواح؛ فقدمه عز الدين إلى ملك الملوك أباقا. وفى أثناء تبادل الحديث مع الملك قال له: "خذنى إلى قلعة تلا حيث كنوزك، فهناك أستطيع أن أظهر لك مهارتى". وعندما انتقل إلى هناك بدأ يقيس الأرض هنا وهناك ووقف فى مكان ما وأمر أن يحفر فيه أما هو (الشيخ عبد الرحمن) فقد وقف بعيدا. وأثناء حفرهم وجدوا خاتما به علامة ثمينة ورائعة؛ فأخذوه إلى الملك لأنه قد ظهر صدق كلامه. ولما حدث هذا قال إنه يستطيع أن يطرد الجن ويفهم أسرار الشياطين. وكانت له شعبية بين أبناء الملوك، حتى إن كل حكام المملكة قد دانوا له خاصة فى المدة القصيرة التى حكم فيها أحمد. ولقد قيل إنه عندما قام

◆ ابن عمه : فى النسخة السريانية "ابن عمه" (ص 174v عامود ١ سطر ١٣). أما فى الترجمة الإنجليزية "ابن

أخيه" SULTAN MAS'UD his nephew

النتار بنهب خزائن الخليفة أخذوه أسيرا وأحضره معهم إلى قلعة تلاء، فدخل إلى القلعة حاملا ممتلكاته. أما الخاتم الذي وجدوه فقد كان هو الذي قام بدفنه في هذا المكان.

وفي كانون الثاني من هذا العام (١٢٨٤ ميلادية) أرسل أرغون ملك الملوك أمرا إلى كل البلاد قائلا: "إن أحمد قد خالف قوانين آبائنا، وسلك طريق الإسلام الذي لم يعرفه أهلكنا". فاتفق جميع الأمراء معا، وقاموا بطرده من المملكة وأرسلوه إلى الخان أبينا الكبير الذي سيصاحبه، وأجلسوه على كرسي الملك من جيحون حتى بلاد الفرنجة* فلتسعد قلوبكم وليهتم كل شخص بعمله. أما الأمراء والحكام فلن يضطهدوا أحدا، وإذا فعلوا ذلك فليحترسوا حتى لا يفتك بهم. لقد سمعت أنه في خلال تلك الفترة قد استدعى صاحب مصر الشيخ عبد الرحمن والذين كانوا معه، وأرسلهم من دمشق إلى قلعة صفد^(٣١٦) حيث حبسهم هناك، وانقطع الأمل في خروجهم.

وفي سنة ١٥٩٦ يونانية (١٢٨٥ ميلادية) في بلدة برطلي وضعت دجاجة بيضة كبيرة الحجم تشبه بيضة النعامة. وفي يوم السبت الحزين وفي برطلي وضعت دجاجة أخرى بيضة صغيرة كانت لها رقبة صغيرة منحنية وطويلة كثمرة الخيار، وأحضرها أمامنا حيث شاهدناها. وفي اليوم الأول ♦♦ من الأسبوع في اليوم التاسع والعشرين من شهر تموز (يوليو) في الفجر ♦♦♦ قامت عصابة سورية من الأكراد والأتراك وعرب الصحراء يقدر عددهم بحوالي ستمائة فارس وانقضت على بلدة إربل، حيث سلبوا وقتلوا كثيرا من مسيحي قرية عمقباد، ومن سور هجان وقرى أخرى، وخرج بهاء الدين الأمير ♦♦♦♦ الكردي من إربل وقابلهم، ولكنه هُزم أمامهم، فهرب

♦ الفرنجة : في النسخة السريانية "فرنجة" (ص ١٧٥ عامود ١ سطر ٥) أما في الترجمة الإنجليزية

"فرنكستان" (p.474) from the river GIHON to FRANKISTAN

♦♦ اليوم الأول: هو يوم الأحد

♦♦♦ في الفجر : في الترجمة الإنجليزية لا توجد كلمة "فجر".

♦♦♦♦ الأمير: في الترجمة الإنجليزية لا توجد كلمة "الأمير".

ودخل المدينة. ولقد أخذ هؤلاء اللصوص أسلابا كثيرة من النساء والأولاد والبنات والغنائم ثم رحلوا. وفي هذه الأيام وصلت عصابة من البدو الرحل إلى بلدة طورعبدین^(٣١٧) واقترفوا كثيرا من جرائم القتل في بلدة كلشات* وفي بيت منعم، وفي قراها، وسبيرينا، وحملوا غنائم كثيرة من بلاد ريشا ورحلوا.

وفي سنة ١٥٩٧ يونانية (١٢٨٦ ميلادية)♦♦ في اليوم السابع عشر من شهر حزيران (يونيو) اجتمع جماعة لصوص أكراد وتركماني وعرب بلغ عددهم حوالي أربعة آلاف فارس. وقال البعض إنه قد انضم إليهم حوالي ثلاثمائة فارس من عبيد مصر واتجهت أنظارهم إلى الموصل. وبعد أن خربوا الطرق التي في طريقهم، انقضوا على المدينة في صباح اليوم الثاني من الأسبوع في اليوم الثاني والعشرين من الشهر الثالث.♦♦♦

وفي سنة ٦٨٥ هجرية (١٢٨٥ ميلادية) قام الملك وباقي الفرسان الذين كانوا في البلدة وركبوا وخرجوا لمقابلتهم، ولكن عندما رأوا أن عددهم كبير، وأنهم لا يملكون قوة تضاهي قوتهم، رجعوا ودخلوا إلى المدينة وعبروا دجلة، وصعدوا إلى دير القديس متى، ومكثوا هناك لعدة أيام. وعندما دخل قطاع الطرق المدينة قابلهم المواطنون العرب بطعام إضافي ومياه باردة وفرحوا بهم فرحا كبيرا، وهلّوا مدعين أنهم يستعدون لإيذاء وسلب وقتل المسيحيين فقط. لذلك قام المسيحيون المجاورون لكنيسة تكريت^(٣١٨) بالرحيل مع نسائهم وأبنائهم وبناتهم، وكذلك ماشيتهم، وذهبوا واجتمعوا في

♦ كلشات : في النسخة السريانية "كلشات" (وعبدو قطلا ربا بكلشة قرية) ص ١٧٥ عامود ١ سطر ٣٧). أما في الترجمة الإنجليزية "كشلات". (they made a great great slaughter in the village

♦♦ سنة ١٢٨٦ : يعلق BUDGE هنا على هذا التاريخ ويقول إنه في هذا العام فارق ابن العبري الحياة وربما يكون شقيقه "برصوما" هو الذي أكمل ما بقي لنا من أحداث.

♦♦♦ الشهر الثالث: هو شهر ربيع الأول .

بيت ابن عم "النبي" الذي يدعى: نقيب العلويين؛ فربما احترم اللصوص هذا المبنى وبذلك ينجون من الذبح ونهب المدينة. أما باقي المسيحيين الذين لم يكن لهم مكان للهرب وفرصة للاحتباء في منزل النقيب، فقد ظلوا في منازلهم يبكون ويرتعدون وينعون أنفسهم ومصيرهم السيئ . ولقد تسلل الحظ السيئ والنحس من خلال الذين ذهبوا إلى (منزل النقيب) . فبمجرد أن رحل اللصوص وبدأوا يسألون عن المسيحيين صرخ العرب أبناء المدينة بصوت واحد: "إن كل المسيحيين في منزل النقيب". فازدادوا قوة، وذهب جميعهم إلى هناك ونصبوا السلاح وصعدوا إلى أعلى القصر، ونهبوا كل الأهالي الذين كانوا هناك كما أصيب أحد المسيحيين بسهم ومات . لقد قاموا بأعمال التعذيب ليس فقط ضد المسيحيين، ولكن أيضا بالنسبة للعرب، كما إنهم نكلوا بنسائهم وأبنائهم وبناتهم داخل المساجد، وذلك أمام أعينهم . وفي النهاية ذهبوا إلى حي اليهود حيث سرقوا منازلهم ونهبوا كل الأهالي. أما المسيحيون الذين ظلوا في منازلهم ولم يذهبوا إلى مكان آخر فلم يؤذوهم. ووصل الحال بهم أنهم شاهدوا اللصوص بأعينهم، ولكن بعض التجار المسيحيين، وكثيرا من العرب الذين جاءوا إلى المدينة، استقروا في خانات خارج المدينة، حيث لم يصل أحد من اللصوص هناك، وبسبب خوفهم خسروا كميات كبيرة من خيراتهم. فأحضروا كميات ضخمة من بضائعهم إلى داخل المدينة ووضعوها في سوق "البزار". وبما أن طعام ومؤون المواطنين كانت هناك، فلقد ظنوا أن الحراسة على هذا المكان سوف تكون صارمة. فلذلك تشاجروا وتعاركوا مع بعضهم البعض حتى يحضروا بضائعهم. والأكثر من هذا، فإن أبناء المدينة أنفسهم كانوا ينقلون من منازلهم إلى هذا المكان كل ممتلكاتهم من: ذهب ، وفضة ، وأثواب قماش ، وأشياء أخرى مختلفة. وبعد أن جمع كل ذلك جاء اللصوص واخترقوا أبواب السوق بسهولة، ودخلوا وأخذوا كل ما وجدوه هناك. وكان يقف على باب السوق كثير من شباب المدينة. وعند خروج اللصوص محمليين بالأسلاب، كان هؤلاء الشباب يقومون بخطفها ، والبعض الآخر كان يأخذ الجياد المربوطة

عند الباب ويهرب. وكان هؤلاء اللصوص طوال الليل من الصباح حتى المساء يتجولون في أسواق المدينة ويسوقون أعدادا لا حصر لها من البغال والحمير والثيران، كما أسروا ما يقرب من خمسمائة عبد وأمة معظمهم من العرب واليهود، كما وُجد عدد قليل من المسيحيين في منزل النقيب. ولكن حدث أن قُتل صائغ ماهر؛ وذلك لأنه أراد أن يخلص ابنه الصغير من أيديهم، فمزقوه بالسيف وبعد ثلاثة أيام مات. كما أنه كان هناك عشرة من اللصوص يتجولون بالمدينة سيرا على الأقدام، فدخلوا أحد الشوارع وكان مسدودا فقام المواطنون بترجمهم بالحجارة حتى قتلوهم. ولو كان المواطنون العرب يعلمون أن هؤلاء اللصوص هم إخوانهم في العقيدة وأنهم قد نكلوا بهم ونهبوا أموالهم دون رحمة، لكانوا قد قاموا بقتل عدد كبير منهم في شوارع المدينة الضيقة، وما كانوا مكنوهم منذ البداية من دخولها بسهولة. وبسبب هذه الخديعة فقد عضوا أصابعهم ندما.

وكان هؤلاء اللصوص ينقلون منهوباتهم إلى خارج المدينة، وظلوا هكذا حتى حل الظلام وظن المواطنون أن اللصوص سيستأنفون النهب في اليوم التالي ولكنهم قاموا بتحميل جيادهم بخيرات لا تحصى وانتقلوا بها ليلا. وعندما بزغ النهار لم يبق منهم شيء إلا آثار معسكرهم.

وفي سنة ١٥٩٩ يونانية (سنة ١٢٨٩ ميلادية) في اليوم الثامن والعشرين من شهر نيسان (إبريل) قام نزاع بين الأمراء والمغول المجاورين لهم، ولكن المغول كتموا غيظهم. وفي أثناء انتقالهم تأخر عن الركب ستة من الرجال، فذهبوا واختبأوا في طريق الموصل فقاموا بقتل اثني عشر شابا من مواطني كويدات؛ فخرج عليهم هؤلاء وقتلوهم كالبهائم في وضوح النهار والشمس في منتصف السماء. وبعد ساعة وصل عدد آخر من الموصل فوجدوا هؤلاء المساكين غارقين في دمائهم، وكان واحد منهم ما زال حيا، فحملوه وأحضره إلى البلدة، وقص عليهم كيف تمت الجريمة وأسماء القتلى "الكفار"، ولكن شاعت الأقدار أن يموت هو الآخر بعد ثلاثة أيام. وعندما

استقر الملك لأرغون بن أباقا ارتفع شأن بوقا أمين الخزانة الذي كان السبب في إنقاذ أرغون من أيدي أحمد كما أشرنا من قبل. ولقد ازدهرت أحواله وارتفع شأنه، وقوى في المملكة تدريجياً، حتى إن الأمراء والأميرات وأزواج البنات وزوجات الأبناء ورؤساء قوات المغول كانوا يقدمون له فروض الطاعة، ويقفون على بابه ويطلبون منه رواتبهم. وكانت كل الدواوين الملكية تؤول إليه، ولم يعترف بالملوك والحكام الذين حكموا البلاد التي كانت تحت لواء بيت مجوج، وذلك بدون أمر بوقا أو شارته الحمراء .

ولقد عين بوقا أخاه أروقا رئيساً على كل بلاد بابل، وأشور[♦]، وأذربيجان، وبين النهرين. ولقد كان هذا الرجل المخيف المرعب سيداً على قوات المغول والملوك والحكام والكتاب الذين كانوا في تلك البلاد. وقد حكم هذان الشقيقان المملكة المجوجية بقوة وعظمة، ولكنهما أهملتا شؤون المملكة وشغلا أنفسهما بجمع الثروة وكذلك الجياد والذهب والفضة والكنوز. ولكن أرغون عين أمراء آخرين لخدمته كانوا يركبون الجياد معه ويدخلون ويخرجون عليه ويأكلون ويشربون معه، وكانوا يخبرون ملك الملوك بكل ما كان يحدث في المخيم، وفي البلاد البعيدة والقريبة . ولقد تفاخر بوقا بقوته على النبلاء وأنه يستطيع أن ينفذ ما يريد وذلك بإرادته. لذلك قام الأمراء المناهضون له بتشويه صورته عند ملك الملوك، وكذلك كل ما كان يفعله بوقا . وفي النهاية ذهب ثلاثة^{♦♦} من أهل بغداد الكرام إلى المخيم الملكي، واتهموا أروقا وأوضحوا ما يقوم به من تخريب ومن معاملة سيئة، وأنه يقوم بجمع الأموال عن طريق التهديد. لذلك أمر ملك الملوك بحراسة هؤلاء الثلاثة بحذر، وذلك حتى يصل أروقا إلى المخيم، فأرسل بوقا قائلاً: "اقبض على هؤلاء الأشخاص واقطع رءوس الثلاثة بدون سؤال أو تحريات أو

♦ آشور : في النص السرياني وردت كلمة "آشور (ص ١٧٦ عامود ٢ سطر ٣) أما في الترجمة الإنجليزية لا يوجد

"آشور (and ADHORBIJAN p.478، all the countries of BABIL)

♦ ♦ الثلاثة : الثلاثة هم: أوردوقيا ، وملك شرف الدين ، وسعد الدولة

معلومات من القضاة. "حينئذ ظهر التكبر واضحا في المملكة، وكان هذا التصرف لمناوأة الأخوين بوقا وأروقا . ومنذ ذلك الوقت كان كل ما يقال عنهم يقبل دون تردد ودون أدنى شك. ولقد كان الأمراء فى أشد حالات الحزن على القتلى، ولكن بوقا قام بإسكات ضمائر النبلاء عن طريق الرشوة وتركهم وذهب. وبعد فترة قصيرة حضر سعد الدول اليهودى^(٣١٩)، وهو صهر صاحب بغداد الذى كان قد توفى حديثا فى تلك الأيام، وذهب إلى المخيم وقال أمام الأمراء: "إذا توقف ذهاب أروقا إلى بغداد سأحصل على ضعف الدخل الذى يأتى كل عام إلى المخيم". وعلى الفور صدر أمر أن لا يذهب أروقا إلى بغداد مرة ثانية، وأنه ليست له أى سلطة عليها. وسلمت الأمور إلى اليهودى.

وفى أيامنا هذه يوجد صاحب يهودى ومشرف على عرش بيت عباس فانظر كيف انحدر الإسلام، ومع ذلك لم يتوقف المسلمون عن شرورهم وطغيانهم. ومنذ ذلك الوقت كثرت الشكاوى ضد "أروقا"، ومن بينهم فارس يدعى "عبد المؤمن". ولقد ذهب - أيضا - إلى المخيم وأظهر أن أروقا، وأمراءه وضباطه، وكتابه قد خربوا المدينة وكل البلدان التى كانت تحت سلطان أروقا، وقال أيضا: "إننا لو علقناهم من أيديهم لسقط منهم مئات من الدنانير الذهبية". حينئذ سعد الأمراء بهذه القصص، واستجابوا لرغبة هذا الواشى وقالوا: "تمهل قليلا". عندما رأى بوقا أن الشكاوى ضده وضد أخيه قد استقبلت بسرور غضب وانسحب وتمارض ونام فى بيته. وعندما ذهب النبلاء لزيارته فى أثناء مرضه تأوه أمامهم وأبدى الندم على الأعمال الطيبة التى قدمها لأرغون فى أثناء حكم أحمد. وقال: "إن أرغون لم يكافئه بما فيه الكفاية". وبدأ فى التآمر سرا ضد أرغون، وكشف سره لبعض النبلاء، فاستقبلوا ذلك ببساطة لأنهم كانوا يعلمون أنه رجل واسع الدهاء، وأن أحمد قد قضى عليه. ولذلك انتصر أرغون لأنه كانت لديه خبرة واسعة فى هذا النوع من العمل، فشدد الحراسة على نفسه . ولقد فهم الأمراء الذين كانوا فى خدمة أرغون نية بوقا السيئة. ولما علم بوقا أن خديعته قد كشفت أصابه

الفرع والخوف، وارتعد وانتابه الذهول، ولم يعرف ماذا يفعل. فقام وركب جواده وهرب إلى معسكر خاتون الجاي الكبير حيث احتفى بها. وعندما سمع أرغون وباقي الأمراء أن بوقا قد رحل ركبوا هم أيضا جيادهم، وطارده فادركوه وقبضوا عليه وأحضروه. وباستجوابه اعترف بالخديعة وقال: " لا أريد أن أتهم ملك الملوك ولكن أتهم فقط هؤلاء الأمراء الذين يغتابوننى ويحقدون من شأني فى عين ملك الملوك". ولكن كلماته لم تقبل، فقتلوه وقطعوه إربا إربا.

وفى يوم الجمعة الرابع عشر من شهر كانون الثاني (يناير) سنة ١٦٠٠ يونانية ٦٨٨ هجرية (١٢٨٩ ميلادية) نهبوا بيته وممتلكاته وأثأته وقتلوا أبناءه وكل الذين كانوا موضع سره. وفى هذا اليوم قتل - أيضا - شمعون الراهب والطبيب والمحامى المسيحى الإربلى الذى يدعى: أبو الكرم، وقتل أيضا كثير من المغول الذين لا نعرفهم. كان أروقا آنذاك يمضى الشتاء فى بلده بالموصل، فأرسل على الفور من المخيم الملكى أميرا شجاعا يدعى بايتمش، وهو رجل قوى وصبور، كان منذ عدة أيام قد وصل من موغان أرسله إلى ضواحي آمد. وركبت القوات المغولية جيادها ، وحاصرت أروقا الذى كان لا يعلم شيئا عن أخبار أخيه إلا أنه يعيش ويأكل ويشرب؛ لأنها كانت الاحتفالات البيضاء للمغول . وعندما رأى أن قوات المغول وثيران بيشان^(٣٢٠) أحاطت به اندهش ولم يعرف ماذا يصنع، ولكنه ركب جواده وأخذ زوجته وأبناءه ولجأ إلى قلعة كشاف^(٣٢١) الصغيرة حتى بزغ النهار. وعلى الفور أرسل إلى بايتمش قائلا: " يبدو لى أنك لا تستطيع أن تقاوم". حينئذ أرسل أروقا قائلا: " أنا لم أحضر إلى هنا ثائرا أو متمردا، ولكنى لا أعرف ماذا حدث، ولماذا كل هذا التجمع العسكرى ضدى، أخبرونى لعننى أفهم؟! ". حينئذ اقترب بايتمش من باب القلعة وقال: " بوقا أخوك تأمر على الملك وصدى أمر بقتله، ولقد حضرنا لنقبض عليك، ونأخذك لخدمة ملك الملوك وسواء أبقيناك حيا أم قتلناك فإنه سيعرف". وعلى الفور فتح أروقا باب القلعة وخرج مع أهل منزله وقال: " إن أمر الملك على رأسى وعلى

عيني". عندئذ كبلوه بالأغلال وفرضوا عليه حراسة، وأرسلوه إلى المخيم حيث قتل. وقد قبض على أروقا في اليوم الثاني لصوم نينوى، أى فى آخر يوم من أيام شهر كانون الثاني (يناير) من العام نفسه، وبعد سبعة أيام قتل. إن كلمة المحامى الفارسى الذى كان قد وشى بأروقا، مدعيا أن العمالات المائة التى كان قد أخذها من الملوك والحكام والكتاب الذين كان قد تم تعيينهم عن طريق أروقا فى مختلف البلدان، والذين كانوا يتصرفون بفساد ويحكمون بظلم ويخربون المدن، قبلوا بسبب كره أروقا وصدر ضدهم حكم ظالم وتولى التصرف معهم الأمير بايتمش. ولقد عرف عبد المؤمن تهمهم، وكل ما وجه إليهم من مؤاخذات. وقد استخلص بايتمش منهم كل من كان متدينا، ومن لم يكن فى قلبه أى رحمة، ولم يعرف مسعود بن قوطى وإخوانه وأبناء بيته أحدا بخلاف بوقا فى المعسكر الملكى، واعتبروا خدمة الأمراء الآخرين دون فائدة، فلم يرغبوا فى التعامل مع الآخرين. ولأن سلطة بوقا على كل الأمراء كانت عالية ونهائية، فإنهم أهملوهم جميعا وقبلوا بوقا فقط. وعلى الرغم من أنهم كانوا موضع اللوم من الجميع فلقد أعطيت لهم هذه النصيحة، قائلين: إنه من الغباء أن نهمل الخدمة والخضوع والطاعة طهوؤلاء الأمراء الذين هم دائما فى الخدمة الملكية. وبالنسبة لنا فإن إرضاء واحد وإغضاب كثيرين عمل يتسم بالغباء؛ لأنه من الجائز أن يصبح الأمير الذى نضع فيه ثقتنا مغضوبا عليه، ولن يساعدكم الأمراء الآخرون. حينئذ قال مسعود _ الذى كان ضيق التفكير وغير عاقل فى تصرفاته _ : " لا أريد الحياة بدون بوقا وإذا مات بوقا سيكون الموت لى أفضل من الحياة". ولقد تحققت كلمته وفاضت روحه فى اليوم الذى قبض فيه على أروقا، وفرضوا حراسة مشددة على مسعود إلى أن وصل عبد المؤمن المحامى الفارسى. ولقد أثير الاضطهاد والغضب ضد المسيحيين والمكروهين، ولو أنه لا يحق لى قولها حدث ذلك بسبب ابتعاد الله عنهم . وبدأوا فى تعذيبهم بدون رحمة، وازدادوا فى تعذيب تاج الدين بن مختص صاحب إربل. لقد علقوا هذا الرجل من قدميه على ارتفاع ذراع من الأرض وضربوه على قدميه حتى فقد الوعى، ثم أنزلوه وضربوه على

صدره وظهره، ثم أشعلوا النيران فى محرقة وعلقوها على صدره . وظل متحملا هذا التعذيب حتى اضطروه إلى دفع ما يقرب من خمسين ألف دينار، وعندما لم يعد يتحمل غمسوه عدة مرات فى نهر دجلة وربما كان قد غرق أو هرب من الضرب والعذاب، ولكنهم لم يضربوا مسعود بن قوطى لشدة مرضه؛ خشية أن يموت وتضيع أمواله معه. كانوا يعطونه وعودا كاذبة قائلين إنه إذا أعطاهم عشرة ربون ذهبية سيبقى مكرما ولن يؤذيه أحد. حينئذ ظن مسعود أنه سيكون له بعض التكريم فقد كان بخيلا جدا. ولقد خاطبهم بكلمات قاسية، ورغم دهائه فقد أخذوا منه هذا المبلغ من المال سواء بالضرب أو بالتهديد واللعنات، وبعد ذلك حملوه معهم إلى إربل.

وفى اليوم الثانى من أسبوع الآلام اليوم الرابع من نيسان (إبريل) من العام نفسه قتلوه، ووضعوا قيودا خشبية على ابنه وحبسوه، وهرب أخوه شهاب الدين فبحثوا عنه بدقة ولكنهم لم يجدوه . وبسببه قام دببىس أحد مواطني بيت سحرايا بقتل شهاب الدين، وقد اختبأ عدة أيام فى البلدة ثم غادرها ورحل. وعندما سألوا "دببىس" عنه أنكر وأقسم أنه لم يره. ولما تأكدوا أن شهاب كان بينهم حملوا دببىس الشرير إلى الموصل، وقتلوه وقام الأهالي بـرجم جثته. وبعد قتله اتهم أهل الموصل شابا آخر وأعلنوا أنه قواد يعاشر النساء العرب، فقتلوه هو أيضا وسحبوا جثته فى شوارع المدينة، ووضعوا فوقها خشبا وأحرقوه بالنار، وأخذوا رأسه وسحبوه على أبواب الكنائس، وسخروا وحقروا من شأن المسيحيين. إن اللسان لا يستطيع أن يصف، ولا يستطيع القلم أن يكتب ويبين أنواع الاضطهاد والهوان الذى قاساه أهل الموصل خلال هذين الشهرين . "وإذن، فاستيقظ ولا تتم يا إلهي وانظر إلى دماء عبيدك التى سفكت بدون رحمة، واحزن على وعلى كنيستك وهى تتمزق من شدة الاضطهاد". وفى الأيام التى قتل فيها بوقا أرسل "بايتمش" إلى البلاد العربية، واتجهت قوات المغول كلها ليقبضوا على أروقا. وقد انزعج الذين كانوا فى سوريا وحل عليهم الفرع والخوف والرجفة، وظنوا أن المغول سيهاجمونهم؛ فزادوا من قوتهم وجمعوا أعدادا كبيرة واستعدوا

لمقابلتهم . وعندما اطمأنوا إلى أن المغول منهمكون فى أعمالهم ولا يبالون بالآخرين لم يفرحوا؛ وذلك لأن تجمعهم ذهب هباء، فذهبوا وعسكروا عند مدينة طرابلس على شاطئ البحر الأحمر، وشنوا عليها حربا شعواء، وأرسل الذين كانوا فى الداخل وطلبوا مساعدة إخوانهم الفرنجة الموجودين فى جزيرة قبرص، فأرسلت إليهم بعض القوات بواسطة سفن عن طريق البحر. وعندما وصلوا ازدادت قوة المواطنين، وقاموا على الأسوار وشنوا حربا عنيفة على الذين كانوا فى الخارج، وذلك لمدة ثلاثة شهور. وعندما انتصر الذين فى الخارج وثقبوا الجدار بالمجانيق ورأى المسيحيون أنهم مغلوبون على أمرهم من الذين فى الخارج - أبحر أغلبهم فى سفن وغادروا البلاد قاصدين قبرص. أما الباقون الذين ظلوا فى المدينة فقد هاجمهم العرب وسحبوا سيوفهم واختلطوا مع بعضهم وقتلوهم. وبسبب المذابح الكثيرة التى حدثت للعرب فيها قام العرب بحرق وتخريب المدينة البائسة بأكملها، ولم يتركوا بها برجا أو كنيسة لم يخربوه وأخذوا منها كميات لا تحصى من الغنائم، وأسروا أبناء وبنات بدون عدد، وقتلوا كهنة شمامسة ورهبانا وراهبات ليس لهم حصر وتركوها خرابا وذهبوا . حدث ذلك عندما كان القمر مكتملا فى شهر نيسان (إبريل) سنة ١٦٠٠ يونانية (١٢٨٩ ميلادية)

وفى هذا العام اجتمع - أيضا - لصوص من سوريا يقرب عددهم من ألفى فارس، جاءوا وعبروا حدود سنجار وبيت عربايا^(٤٢٢) ولكنهم لم يقوموا بأي تخريب أو نهب، حتى وصلوا إلى ضواحي بيشابور، مدينة على شاطئ نهر دجلة، ومكثوا هناك تلك الليلة، وقاموا ليلا وعبروا النهر وصوبوا نظرهم تجاه إستا^(٣٢٣)، مدينة كبيرة للنسطوريين، وانقضوا عليها فى الصباح الباكر من أول أيام الأسبوع اليوم الرابع عشر من شهر آب (أغسطس). لقد ظن أهل البلدة أن اللصوص قليلو العدد فلذلك خرجوا لمقابلتهم . ولكنهم بمجرد أن رأوا هذا العدد الهائل فروا إلى القرى فأختبا بعضهم فى الكنيسة، والبعض الآخر فى الحدائق والكروم لينجسوا بحياتهم.

ولكن هؤلاء اللصوص الملاعين انتشروا فى القرى السبع المحيطة بالمدينة. وقد أحدثوا خرابا كبيرا؛ فقتلوا ما يقرب من خمسمائة شخص وأسروا ما يقرب من الألف من النساء والبنين والبنات، كما نهبوا ثروات وأغناما ومواشى لا تحصى، وفى اليوم نفسه رجعوا من الطريق نفسه الذى جاءوا منه، وذهبوا بهدوء دون خوف حتى وصلوا إلى نهر خابور^(٣٢٤) الذى كان يمتد فوق جسر ضيق، بحيث أصبح مرورهم شبه مستحيل وذلك بسبب ثقل أحمالهم وعدد الأسرى الكبير الذى كانوا يجرونه بصعوبة. ووصل خبرهم إلى الأمير المغولى بالموصل، فقام المغول مسرعين واستعدوا وركبوا جيادهم وطاردهم وذهبوا، ولكنهم وجدوا أن أغلبيتهم قد عبر الجسر محملين بالغنائم. أما الذين لم يتمكنوا من العبور فقام المغول بقتلهم، وحرروا من الأسر حوالى ثلاثمائة من النساء والبنين والبنات، وأحضروهم وسلموهم جميعهم إلى ذويهم.

وفى هذا الصيف - أيضا - هاجم ما يقرب من ألفى فارس من لصوص سوريا بلاد ملطية وحصنها. سمع بهذا خربنده^(٣٢٥) الرئيس الموجود هناك فاستعد وجمع قواته وذهبوا لمقابلة اللصوص، ولكنهم هُزموا وقتل عدد كبير من الذين كانوا معه وأسر بعض أصدقائه، وهربوا إلى الدير الجديد الذى كان قد بناه فى بلدة الحصن فى المكان المسمى (حسنونا) بالآرامية. وبينما هم جالسون يبكون ويفكرون فى طريقة لإنقاذ أسراهم فى الحرب، تنبه جميعهم إلى أن كل ما حدث لهم فى البلدة كان بسبب المسيحيين. فقرروا أن يأخذوا منهم المال اللازم لفق أسرى الذين قبض عليهم بسببهم. فبدأوا فى تقدير كل ما يجب أن تدفعه كل بلدة ومدينة، وذلك وفقا لقدرة المكان. ولكن عملهم لم يتم، فقد تهدم المبنى الجديد عليهم، وبذلك انتهت حياتهم جميعا، إلا رجلا واحدا، هو حارس البوابة الذى سقط على ظهره عامود خشبي، فألقى به خارج المبنى، ولم ينج سواه أحد.

وفى بداية سنة ١٦٠١ يونانية (٦٨٩ هجرية) (١٢٩٠ ميلادية) أرسل علاء الميش المسيحي صاحب ميافارقين، والذي كان شديد الاضطهاد للمسيحيين، فقتل سرا صاحب موش الذى كان أرمني الجنسية. كما جعل رهبان مار قوما يتحملون مساوئ أخرى. ولكن أحد الرهبان الذين كانوا هناك ثار لنفسه وذهب إلى المخيم، ولما كان له مطلق الحرية فى الحديث مع ملك الملوك اتهم علاء الميش الذى ركب جواده. وفى أثناء مروره فوق نهر كورار أمسك الراهب بلجام الجواد وأقسم يمينا قائلاً: "لن أتركك حتى تأمر بقتل علاء الميشى". وعلى الفور أمر ملك الملوك بذلك وتم قتله. وفى تلك الأيام - أيضا - قام محام مصرى شجاع يدعى فرج الله، كان كاتباً فى الموصل، بنشر خيانة المحامي الفارسى عبد المؤمن الذى قتل مسعود بن قوطى بدون وجه حق. وعلى إثر ذلك لقي المسيحيون أشد أنواع العذاب، كما استولى منهم على مبالغ كبيرة، فأمر ملك الملوك أن يحقق فى موضوعه وأعلنت مصاحبة المحامي الفارسى وقتل، وبذلك انتقمت عدالة الرب سريعاً. ومنذ ذلك الوقت عرف ملك الملوك، وظهر له بوضوح خطأ ووقاحة العرب وكل شيء قاموا به كان عن طريق الغش، وعلى الفور أمر أن يعين سعد الدولة اليهودى صاحب بغداد رئيساً للكتاب - أى صاحب الديوان - فى كل أنحاء المملكة، كما أمر أن لا يعين أى صاحب أو كاتب عربى ولكن يعين فقط المسيحيين واليهود. وبذلك ازدادت كراهية العرب، واتضحت نواياهم السيئة.

ومنذ أن أصبح اليهودى صاحباً دانت له كل شئون تنظيم الدخل والضرائب. وقد عين ملك الملوك أخاه صاحباً بدلاً منه على بغداد، كما أرسل أخاه الآخر مع تاج الدين بن المختص القائد العسكرى إلى الموصل وإلى ماردين وإلى ديار بكر. وعند وصولهم إلى تلك البلاد فإن مبنزباج، وهو أمير كردى كان صاحباً لإربل لفترة طويلة، خاف منه وظن أنهم سيعذبونه بشدة. ولكنه على الفور بحث عن المخيم، وقال إنه إذا نظر إليه ملك الملوك يعين الرحمة سينزع منه كل نوع من أنواع الخوف. وعندما

ذهب هؤلاء الأمراء أرسلوا خلفه كثيرا من الوشاة. ولقد فكر ملك الملوك في قتله، ولكنه تركه في حاله . مجرد أمل مؤقت ولكنه كان قد أرسل من قبل سرا بعض الرسل ليقبضوا على أبنائه وأفراد أسرته وأصدقائه وأبناء مدينته حتى يبيدهم؛ إذ كان عليهم أن يقتلوا بأيديهم الأمير الذي هو عندهم. كانت هناك امرأة لديها معلومات عن هذا السر، فجاءت ليلا إلى الأمير الكردي وأخبرته بالأمر كله، حينئذ أخذ الكردي أحد عبيده دون تردد وامتطيا جواديهما وهربا من المخيم، ونجيا كما ينجو العصفور من الفخ. وصل هذا الرجل سريعا على جواده حتى إنه سبق الرسول، فوصل إلى منزله، وهربت أسرته واحتوى معها في الجبال والمرتفعات وأماكن موحشة كان من الصعب الوصول إليها. بعد ذلك وصل الرسول فدهش وتعجب . وكان ملك الملوك مشتتلا من الغيظ؛ ليس فقط لأن هذا الرجل قد أفلت من بين يديه، ولكنه كان منزعا لحصوله على معلومات من داخل المخيم . لقد تساءل عمن يكون قد أفشى بالسر داخل المخيم؟! فأرسل قوات لاستكشاف الجبال ومراقبة الطرق المؤدية للأكراد . ولأنه كان فصل الشتاء فقد كان الثلج يكسو الجبال التي يقيم بها الأكراد، ولهذا السبب لم تستطع قوات المغول أن تقطع الطرق، وأن تسيطر عليهم. لذلك رجعوا إلى السهل حيث كان الأكراد يقومون بالزراعة والفلاحة ويدفعون الجزية. فقام المغول بتخريب بلادهم وقتلهم ونهبوا وأحرقوا منازلهم وأجرانهم. كان هذا الشعب المسكين يعامل معاملة قاسية خاصة من رجال الجبال الذين كانوا مع المغول، وكانوا يدعون قياجا. كان هؤلاء المسيحيون يكرهون العرب بالطبيعة. ولقد آذوا الأكراد وارتكبوا فظائع لا توصف، وقتلوا الرجال دون رحمة، وسجنوا النساء بدون عدد وكذلك البنين والبنات. وأما الطعام فقد حملوا منه بقدر ما استطاعوا وأحرقوا ما تبقى. وقد اشتد كيد العرب ضد المسيحيين بسبب هؤلاء الجبليين، فقالوا : "لولا رجال الجبل لما عامل المغول الأكراد بطريقة سيئة؛ لأنه في أيامنا هذه

أصبح عدد كبير من المغول على دين هجرايا[♦]، وأنه لم يكن في نيتهم إيذاء المسلمين، لولا أن النبلاء أرغموهم على ذلك".

حل الصيف، فترك المغول بلاد الموصل وإربل ورحلوا. فنزل الأكراد قمم الجبال إلى السهل وتجمع عشرات الآلاف؛ فهرب المواطنون من أمامهم واحتموا في المدن والقلاع. ولقد ذهب كل أهالي بلدة إربل إلى القلعة، وعلى الفور حاصر الأكراد القلعة، ولكن العناية الإلهية أوقفت هجومهم الشديد، ولم ينتصروا انتصارا كاملا في مهاجمتهم القلعة. وفي كل مرة كانوا يجتمعون لشن حرب عليها، وكان يُقتل حوالي سبعة أو ثمانية منهم. وفي أثناء انشغالهم معهم لفترة سبعة عشر يوما جاء ما يقرب من مائتي رجل من الفرنجة بحرا من دجلة، ووصلوا إلى الموصل بأمر ملك الملوك كما لو كانوا ذاهبين إلى بابل لبناء سفن هناك ونزلوا بالبصرة، ومن هناك هاجموا المصريين عن طريق بنطس، وذهب بعض الفرنجة، ما يقرب من سبعمائة عن طريق البحر، وظلوا في بغداد طيلة الشتاء حتى تمت خطتهم. وهناك بعض القصص تستحق الذكر تدور حول فرنجة بغداد، ولكن حتى لا نقطع تسلسل قصتنا فسنبوئجلها على أن نقصها فيما بعد .

وعندما سمع الأكراد أن بعض الفرنجة قد وصلوا إلى الموصل ظنوا أنهم قد جاءوا من أجلهم، فتركوا القلعة وانتشروا في البلاد. وقد تخلص الذين كانوا في القلعة من الأكراد وأرادوا أن يذهبوا ويحضروا سكان بلدة صيدا إلى القلعة حتى لا يعانون من أي عذاب من ناحية الأكراد، ووفقا لما حدث فلو كانوا قد تركوهم في المكان الذي كانوا به لما أصابهم أي أذى، فنزل من القلعة ما يقرب من مائتي فارس من جبال قياجا، وذهبوا إلى صيدا. لم يكن قلقهم على أهل القرية ولكن من أجل مصلحتهم، وعندما وصلوا إلى هناك لم يتمكنوا من الاقتراب من الفلاحين وساروا أمامهم على أرجلهم، وبذلك تفرقوا

♦ الهجرايا : أى ديانة محمد وهى الديانة الإسلامية. وهم المراد بهم هم "أولاد هاجر" .

عن بعضهم وأصبحوا قوة بدون رئيس حتى اقتربوا من البلدة. حينئذ انقض عليهم الأكراد الذين كانوا ينتظرونهم ويراقبونهم، ورغم ذلك فقد قتل القليل منهم، ولكن أسر الكثير، ونهب الأكراد كل ما وجدوه معهم. ولما سمع لصوص سوريا أن الأكراد حاصروا قلعة إربل ظنوا أنهم سيحاصرون سوريا ويسرقون ويقتلون ويأسرون وينهبون؛ حينئذ جمعوا ما يقرب من ألفى رجل وجاءوا لمساعدة الأكراد، وعندما وصلوا لم يجدوا أحدا كما كانوا يعتقدون، ولكنهم لم يتمكنوا من الاقتراب من القلعة بسبب تمتع أهلها بالقوة واللياقة العسكرية. وأراد اللصوص السوريون أن يضعوهم موضع اختبار، فاقترب من باب القلعة ما يقرب من مائتين، فجاء الذين في الداخل وحاربوهم وأخذوا منهم عددا من الجياد ورجعوا وصعدوا إلى القلعة. وعندما رأى اللصوص أنهم لم يحصلوا على أى خير بمجيئهم، وأنهم لم يلتحموا مع الأكراد - رجعوا من الطريق الذى جاءوا منه ولم يغنموا شيئا. وتوقفت الحوادث فى اليوم الثالث من الأسبوع أى اليوم السابع والعشرين من شهر حزيران (يونيو).

وفى شهر تموز (يوليو) من هذا العام وصل إلى قلعة زياد راهب أرمني عادل من هؤلاء الذين يتجولون فى البلاد واعظين وداعين إلى التوبة والخشوع والاعتراف بالندم، حيث مكث بها ما يقرب من الشهر. لقد لاقى كلامه كثيرا من الاستحسان لدى المسيحيين الموجودين هناك، كما انجذب إليه بعض الشباب فبدأوا فى الاجتماع عنده لئلا يأكلون ويشربون ويتبادلون سير القديسين وتتويج الشهداء. وعندما وصلت أخبار قوة أحاديثه إلى العرب نبئت فيهم روح الحسد، فذهبوا ليلة الجمعة وأخذوا كلبا ميتا وعلقوه على باب المسجد الكبير. وعندما انشق النهار واجتمع العرب للذهاب إلى الصلاة رأوا الكلب الميت، فاشتعلوا غيظا وقالوا فى فم واحد: "هذا من صنع الراهب الأرمني والذين اجتمعوا عنده". فسحبوا سيوفهم وخنجرهم وذهبوا ليقبضوا على الراهب المسكين، وكانت معه قلة من المواطنين. وعندما شعر الأهالي بذلك هربوا واختبأوا جميعا خوفا من ثورة العرب، فأمسك هؤلاء الأشرار

بالراهب وذهبوا إلى أبرشية^(٣٢٦) باعوث^(٣٢٧) ودخلوا حجرات الرهبان وأخذوا كل ممتلكاتهم. وهناك قتلوا المسكين مع اثنين، أو ثلاثة من المواطنين ورجعوا إلى المدينة، ودخلوا منازل المسيحيين المؤمنين وسرقوا كل ما وجدوه بمنزلهم، وعرضوهم لعديد من ألوان الإيذاء والإهانة. وظلت المدينة ما يقرب من الشهرين بدون شراء أو بيع. فى تلك الأيام زاد ثراء فرج الله المحامى المصرى الذى كان من قبل قد كشف سر الكاتب الفارسى وقتله؛ وذلك لأن كلامه بدأ يؤخذ مأخذ الجد، وبدأ يشعر بالفخر، فذهب إلى المخيم واغتاب تاج الدين بن المختص، وقال إنه جمع أربعين ربونا ذهبية لنفسه. وعندما استمع صاحب الديوان اليهودى لكلامه تكبر وقال فى نفسه: "إذا صدق الكلام عن هذا الرجل فلا بد أنه أكثر صدقا بخصوص أخيه، الذى هو زميل تاج الدين صاحب النفوذ الأقوى فى البلاد، كما أنه أكثر سخاء فى العطاء والأخذ". لذلك بدأ فى مداهنة فرج الله، وأظهر له أن أعماله لن تؤذى تاج الدين فقط، ولكن ستؤذى أخاه أكثر. فلما شعر فرج الله أنه لن يستطيع أن يعصى أوامر هذا الرجل أو الوقوف ضده، وأنه إذا سحب كلامه فإن أمراء المخيم سيصاحبونه ويقتلونه؛ لذا قال له بعض الرجال: "اكتب وثيقة أنك قلت ما قلت بسبب السكر، وأن هذين الشخصين - أى: تاج الدين وصديقه - لم يظلما وأنهما لم يأخذا من أحد شيئا دون وجه حق، ثم يسلمها لصاحب الديوان فسيقوم بالمهمة وينقذك، وسيجعلك - أيضا - رفيقا وشريكا لهما". وقبل فرج الله هذا وكتب وثيقة تشتمل على ذلك، وأعطاهما لصاحب الديوان. فبمجرد أن وقعت فى يد هذا اليهودى الغشاش أخذها وذهب إلى ملك الملوك وقال له: "ماذا تأمر بخصوص هذا الرجل الذى قال هذا الكلام بالأمس، واليوم يكتب هذه الوثيقة بيده؟". فأجاب: "إن رجلا مثل هذا من الأفضل له الموت". وعلى الفور قتلوا (فرج الله) هناك. كما أخبره - أيضا - أن له صديقين أسوأ منه فى الموصل؛ فأرسل فورا مؤيد بن مؤيد الكاتب وأمين الدين بن محتسب الأربلى إلى الموصل ليقوما بقتلهما. وبعد عدة أيام أرسله من المخيم إلى مدينة سعرد^(٣٢٨) ليجمع منهم الهدايا المعتادة للمغول.

وكان المواطنون يكرهون المسيحيين، كما كانوا يكرهون شبويه المسيح الذي يحكمهم، فسحبوا سيوفهم وخنجرهم، ودخلوا القصر حيث كان يقيم، وقاموا بقتله في اليوم الثاني * من الأسبوع أى في اليوم الواحد والثلاثين من شهر تموز (يوليو) من هذا العام. وعندما ذهب أبناء هذا الرجل الذي انتزعت حياته بخسة إلى المخيم سريعا أظهروا وقاحة العرب الذين كانوا هناك . وعلى الفور صدر هناك أمر ينص على أن القتل يقتلون ويدفع المواطنون عشرة ربون ذهبية، وكذلك وصلوا إلى المدينة وقتل هناك سبعة أو ثمانية.

وفي بداية سنة ١٦٠٢ يونانية (١٢٩١ ميلادية) وصل اتهام ضد أمير كردى عرف باسم: سجال الدين لزاكى، من مدينة الجزيرة فى قاردو وحقق فى حالته بايتمش القوى، وقد قتل فى مدينة الموصل هو وأحد أبنائه. وفى هذه الأيام أرسل بعض الإسماعيليين متكرين فى هيئة تجار إلى الموصل حتى ينقضوا على الأمراء والحكام ويقتلوهم سرا وبمهارة . وعندما وصلوا إلى الموصل دخلوا أحد المتاجر كعادة التجار، فقاموا بمشاجرة مع بعضهم البعض، وبدأوا يتعاركون الواحد مع الآخر. كان بالقرب منهم رجل يستمع إلى عراكمهم، فشك فى معنى حديثهم فذهب مسرعا وأخبر الأمراء الذين قاموا على الفور بالقبض عليهم. وعندما بدأوا فى تعذيبهم قال أحدهم وهو كهل: " لا داعي لتعذيبنا؛ نحن الثلاثة اختبأنا لنقتلكم وثلاثة آخرون ذهبوا إلى بابل ليقتلوا اليهودى الموجود هناك، وذهب ثلاثة آخرون ليقتلوا صاحب الديوان". عندئذ قام الأمراء بصلبهم، كما أرسلوا إلى بابل وقبضوا على الآخرين وقتلوهم. أما الذين ذهبوا إلى المخيم فقد أجيب طلبهم وتحقق غرضهم دون جهد أو تعب. انظر إلى الطريقة التى تدبر بها الطبيعة أعمالها حتى ولو أخطأت فى بعض الأحيان، فرفعت أحد الحمقى بل رفعته عاليا وجعلته ثريا، وإنما ذلك يكون لمدة قصيرة، ثم يصحح الوضع بسهولة. ويبدو كما لو كانت الطبيعة قد ندمت على خطئها فعادت لتخفض الذى رفعتة. إن سلوك العرب

◆ اليوم الثانى: هو يوم الاثنين .

كان واضحا فى العالم "وحتى يومنا هذا" ولم يصل عندهم يهودي واحد إلى منصب محترم، ولا يعمل اليهودى إلا دباغا، أو صباغا، أو خياطا، ولكن المحترمين والأثرياء كانوا ينبغون فى فن العلاج وفن الكتابة. أما بقيتهم فكانوا يعملون فى الأعمال الوضيعة التى لا يقبل الآخرون العمل بها. وفى أثناء حكم المغول فى البلاد الغربية لم يكرموا كل من كان يستحق التكرم، ولا هؤلاء الذين نزلوا من صلب الملوك ليحكموا البلاد والمدن الخاضعة لهم. لم يكن عندهم فرق بين عبيد، ولا أحرار، ولا مؤمنين، ولا وثنيين، ولا مسيحيين، ولا يهود، ولكن كلهم أبناء رجل واحد. وكل من كان يتقرب منهم ويقدم لهم شيئا من مال الدنيا يقبلونه منه ويعطونه ما يطلب من منصب[♦] سواء أكان كبيرا أم صغيرا، سواء أكان يعرف فى الإدارة أم لا يعرف. كل ما كانوا يطلبونه فقط هو التفانى فى الخدمة، والخضوع الزائد عن الحد. لذلك كان هذا اليهودى يتفاخر فى كل مناسبة بأنه قد وصل إلى أعظم المجد والتقدير الممكن فى عهد أرغون ملك الملوك. ولقد قام هو بنفسه بحل جميع الأعمال الأساسية وغيرها أيضا. وبالنسبة إلى نبلاء المخيم أهملهم وقتل من حرية أيديهم، وعامل الأمراء ومديرى الشؤون العامة باحتقار. ولم يعد يرى على باب المملكة رجل يستطيع أن ينفع أو يضر إلا إذا كان يهوديا. وبسبب ذلك تجمع عنده كثير من اليهود الذين كانوا على هامش الحياة وقالوا جميعا بغم واحد: "لقد وضع الرب أمام هذا الرجل أمل الخلاص، وأكمل النصر لأبناء العبريين فى أيامهم الأخيرة". وفجأة وفى أثناء انشغالهم بالتفاخر بقوتهم مرض أرغون ملك الملوك بالشلل واشتد مرضه خلال شهر. ولقد تحير اليهودى البائس فى مرضه، وبذل كل المساعي من أجل شفائه. عندئذ فقد الأمراء ونبلاء المخيم الأمل فى حياة أرغون. وكانوا يحتقرون اليهودى بشدة

♦ يعطونه ما يطلب: فى النص السريانى "يعطونه ما يطلب" (ص ١٨١ عامود ٢ سطر ٢٤). أما فى الترجمة

الإنجليزية "يعطونه ما يطلب من منصب" they entrust to him whatsoever office he

(seeketh p.490)

كما لو كان هو السبب في مرض أرغون، وذلك عن طريق وسائله الشريرة. وبدأوا في الزئير كالأسود على المسكين حتى أسلم الروح في اليوم الرابع ♦ من الأسبوع في شهر كانون الأخير (يناير) سنة ١٢٩١ ميلادية، ووجه الرب غضبه ضد اليهود المنتشرين في كل مكان. لقد قُتل سعد الدولة صاحب الديوان، ولقد أرسل الأمراء والنبلاء الرسل إلى كل البلاد التي كانت تحت نفوذ المغول، وقبضوا على إخوانه وأهل منزله وكبلوهم بالحديد ونهبوا خزائهم، كما أخذوا أبناءهم وبناتهم وعبيدهم وجواريتهم (إماءهم) وقطعانهم وكل ممتلكاتهم، قتل منهم من قتل والذين بقوا رجعوا إلى أماكنهم الأصلية، والذي كان بالأمس ضابطا مقيدا ومطلق السراح ويلبس الملابس الملكية أصبح اليوم يلبس ملابس مصنوعة من الخيش ويدها متسخة كما لو كان صباغا وليس كاتباً، أو متسولا ♦♦ وليس ضابطاً. لا يستطيع اللسان أن يقص أو القلم أن يسطر مدى العذاب والغضب الإلهي للذين حل على اليهود في هذا الوقت. (عند سماع خبر مقتل اليهودي تسليح عرب بابل، وذهبوا إلى حي اليهود لأن جميعهم كانوا يعيشون في منطقة) ♦♦♦ واحدة في بابل. وعندما أرادوا الذهاب هناك لنهبهم وقف في وجههم اليهود، وحاربوا ضد العرب وقتلوا ولم يتركوا أحدا يحكمهم وقالوا: "عندما ارتفع هذا اليهودي وعظم شأنه أمر أن يُبنى له قصر في تبريز ودفن أواني مليئة بالذهب والفضة في الحدائق". ولم يُعرف هذا إلا في وقتنا هذا؛ لأنه عندما عُذبوا كشفوا لهم عن أماكن الأواني فحفروا وأخرجوها. وتقدر فترة حكم اليهودي وتوليته الإدارة بحوالي السنتين تقريبا، ولقد قُتل ومُحى اسمه وبسببه اضطهد اليهود وأسيتت معاملتهم في كل العالم.

♦ اليوم الرابع : أي يوم الأربعاء .

♦♦ متسولا : في النسخة السريانية "متسولا" (ص 181v عامود ١٦ سطر ٣) أما في الترجمة الإنجليزية "متسولا يتنقل

من باب إلى باب" (p.491 a beggar going round from door to door and not an officer

♦♦♦ هذه الفقرة غير واضحة أي الكلمات مطموسة في النص السرياني ولكن BUDGE قام بترجمتها

كيخاتو شقيق أرغون

بعد أرغون بن أباقا حكم أخوه كيوخاتو المدعو إيرنجين دورجى (٣٢٩). وكان أخوه أرغون فى بداية حكمه قد أوكل إليه مهمة قيادة عشرة آلاف جندى من جنود المغول للحراسة على بلاد الروم. ولقد مكث هناك طيلة حياة أرغون، فأعجبه البلاد ولم يرغب فى تركها. وفى النهاية عندما توفى شقيقه أرغون اجتمع كل أبناء الملوك وأعلنوا أن من حقه جلوسه على العرش. وبصعوبة، بل بالقوة، وافق أن يجلس على العرش مكان أخيه؛ وذلك لأنه كان يعيش فى بلاد الروم فى راحة وفى سلام تام، وكان يأكل ويشرب ويتمتع بالحياة بكل ما فيها من محاسن. ولكن عندما رأى أن الملكين اللذين طالبا بشنقه قد انقطع خيط حياتهما وهما فى ريعان الشباب دون أن يتمتعا بهذا الجاه الزائل، حينئذ انسحب ورفض الجلوس على عرش المملكة، وجعل هدفه ورغبته العودة إلى بيت الروم مرة أخرى، وجعل الأمراء والنبلاء يعيشون على أمل أنه فى العام القادم وفى الموعد نفسه سيأتي ويحكم، فتركهم وانتقل إلى بلاد الروم. وعندما وصل إلى هناك وجد أوجايا التركمان من بيت قرمان يمدون أيديهم ضد المغول يخربون وينهبون ويغزون ويأسرون. فجمع كيوخاتو قواته وذهب وعسكر عند قلعة طنجرلو الشهيرة وأخذها بالسيف، وقتلوا عددا كبيرا من الرجال، وألقى بالسيف على باقى قوات أوجايا الذين فروا إلى القرى وأبادهم جميعا. وفى أثناء حياة شقيق أرغون كانت تفد إليه رسل الفرنجة من قبل بابا روما، ومن قبل ملوك آخرين وكانوا ينصحونه بضرورة تعاون المغول مع الفرنجة، وأن يكونوا يدا واحدة، ويقفوا ضد المصريين والفراعنة الذين ازدادوا قوة وبأسنا ويؤذون المسيحيين ويتعرضون لمدنهم. ولقد أرسل أرغون إلى البابا رسولا، وهو الربان بر صوما (٣٣٠) الراهب الأويغورى، الذى جاء مع الكاثوليكس يهب الله (٣٣١) من بلاد الخان الكبير، فأرسل معه البابا عهدا وتأكيدات بأن يخرجوا معا

ويهدموا ديانة العرب. ولكن حدث عكس توقعاتهم، فعندما رجع كيخاتو من بلاد الروم إلى جبال أرمينيا الكبرى اجتمع مرة أخرى أمراء ونبلاء المغول وأخذوه وأجلسوه على كرسى الملك فى اليوم الثالث والعشرين من شهر حزيران (يونيو) من سنة ١٦٠٣ يونانية (١٢٩٢ ميلادية). وعندما سمع المصريون أن أرغون^(٣٣٢) قد فارق الحياة جمعوا حشدا كبيرا من المواطنين، وكونوا جيشا بالإضافة إلى عدد كبير من الجنود الأجانب، وذهبوا وعسكروا عند مدينة عكا الكبيرة الإفرنجية الشهيرة الواقعة على شاطئ البحر الكبير، وشنوا ضدها حربا قاسية لمدة شهرين. ولكن الفرنجة المقيمين داخل المدينة رفضوا إغلاق أبوابها فى وجوههم فى أى وقت سواء ليلا أو نهارا؛ وذلك بسبب كبريائهم وتفاخرهم. وكان الفرسان الفرنجة يخرجون بشجاعة من داخل المدينة حاملين المناجل كما لو كانوا يحصدون العرب الذين فى الخارج. لقد قيل: إن أكثر من عشرين ألف عربى قد قتل عند عكا. وقد ازدادوا فى استحكاماتهم حول المدينة، إلى أن أصيب صاحبهم الكونت الكبير بجرح على إثر سهم ومات. ولقد أدى هذا إلى إصابة الذين فى داخل المدينة بالخمول. أما الذين فى الخارج فقد ازدادوا قوة وسيطرة ووضعوا ما يقرب من ثلاثمائة منجنيق على السور القصير الذى على البر، ووضعوا تحت كل برج ما يقرب من ألف جهاز ليحفروا الأرض تحته، وقذفوا من السور برجا أو اثنين. حينئذ بدأ الإخوة المساكين وباقى النبلاء فى الذهاب إلى الأديرة القوية واستمروا فى الهرب. وعندما أخذ الغزاة المدينة المسكينة بدأوا فى إغراء المقيمين داخل الأديرة بالخروج، معلنين عدم التعرض لهم بالإيذاء، وأن بإمكانهم الذهاب إلى البحر، وحيثما يريدون مع زوجاتهم وأبنائهم وبناتهم دون أن يأخذوا شيئا من ممتلكاتهم معا. وعلى الفور فتحو الأبواب ودخل العرب الأديرة ليحرسوا الخيرات حتى لا يسرق منها شئ. كان الأبناء والبنات هناك ووجوههم كالقمر، فوضع العرب يدهم عليهم ولكن الفرنجة لم يتحملوا، فسحبوا سيوفهم وخنجرهم وانقضوا على بعضهم، وقتل من الجانبين عدد لا يحصى. لقد خربوا المدينة الغنية ولم يتركوا للفرنجة على

شاطئ البحر الكبير مكانا يضعون فيه رأسهم. وقعت هذه الأحداث في شهر نيسان (إبريل) سنة ١٦٠٣ يونانية (١٢٩٢ ميلادية).

ومرة أخرى اجتمع عدد كبير من الشعب المصري الفرعوني، وجاءوا وعسكروا عند قلعة الروم عند نهر الفرات، التي استولوا عليها - أيضا - خلال عشرين يوما، فقتلوا وخرّبوا وسلبوا وأسروا أبناء وبنات بدون عدد، وأخذوا الكاثوليكى الأرمنى، وكل الرهبان الذين كانوا معه، وحملوهم مكرمين إلى أورشليم فى يوم السبت الثامن والعشرين من شهر حزيران (يونيو) من العام نفسه. وقال بعضهم: إنه ما زال هناك، ولكن البعض الآخر نفى هذا وقال إنهم صلبوه هو والذين كانوا معه وعلقوهم على حديد وحملوهم إلى مصر، ولم تظهر الحقيقة حتى الآن. ولكن من المؤكد أنه أنهى أيامه مسجونا فى دمشق فى بؤس .

وقد اعتبر الأرمنيون هذا أمرا واقعا واختاروا رجلا مناسبا ونصبوه كاثوليكس فى مكانه، وأقاموا له عرشا فى سيس فى قيليقية. أصبح كيخاتو صاحباً، ودانت له مملكة بيت مجوج ولم يشغل نفسه إلا بحياة صاحبة كلها متع وخلاعة، ولم يفكر فى شيء إلا فيما اعتقد أنه من الأمور المهمة للملوك، والتي كان يتمنى امتلاكها، وكيف يستحوذ على أبناء وبنات النبلاء ويقيم معهم علاقات شائنة، وكان يعبت معهم دون خجل أو حياء. ولقد هرب منه كثير من زوجات النبلاء العفيفات، والبعض أخفوا أبناءهم وبناتهم وأرسلوهم إلى أماكن بعيدة، ولكنهم لم يتمكنوا من إنقاذ أنفسهم منه، أو الهروب من الأعمال المخزية التي ارتكبها معهم. وبعد أن سلك هذه الحياة المخزية لمدة أربع سنوات تقريبا، ولوث نفسه بالرغبات الحقيرة من هذا النوع، وتسلى بإشباع رغبات الجسد التي لا تفيد أصبح مكروها كراهية عظيمة من كل المسكين بزمام ملكه.

وفى سنة ١٦٠٥ يونانية* فى شهر تموز (يوليو) كان موجودا معه أحد أبناء عمه ويدعى بايدو^(٣٣٣)، وكان له ابن حسن المظهر . وبينما هم جالسون فى حفل نبيذ يأكلون ويشربون ويمرحون أهان كيخاتو بايدو علنا، فأهانه بايدو قائلا له بأنه ابن عاهرة. على الفور امتلأ كيخاتو بالغضب وصرخ على الذين كانوا حوله أن يسحبوه إلى خارج المخيم، ويقوموا بطعنه حتى الموت. لم يخطر على بال بايدو أن يحدث مثل هذا، فلم يكن ينتظر من كيخاتو أن يفعل شيئا من هذا القبيل رغم أنه أهانه إهانة شديدة.

لقد أمسكوا (بايدو) وقبضوا عليه وعاملوه باحتقار وبطريقة وحشية وسحبوه وحملوه ووضعوه فى خيمة صغيرة وظن أنهم سيقتلونه. وبعد أن نام لمدة ساعة أرسل كيخاتو رسولا إلى النبلاء المحيطين به وأمرهم بالذهاب إلى بايدو، وتأنيبه على هذا السلوك الذى بدر منه والعمل المخجل الذى أهان به ملك الملوك. ولكنه قال بدهاء كما لو كان يمزح بأنه لا يفهم، ولا يعرف عم يتكلمون وأين كيخاتو وأين الخمر التى كان يشربها؟! وماذا حدث وكيف جاء إلى هذه الخيمة الصغيرة؟! وكلام مشابه؛ لهذا بلبل السامعين كما جعل الكثيرين يعتقدون أن شيئا مما يظنونهم لم يحدث. وأقنع كيخاتو بسهولة فخدع وندم على الضربات التى أصابت بايدو، وسلك كل طريق ممكن ليهدئ من روعه، وقال: "لقد أسيتت معاملة بايدو". وبعد أن نام بايدو فترة أخرى أرسل كيخاتو نبلاءه ليسألوه إذا كان يعرف ماذا قال فى أثناء سكره؟ فأنكر بايدو بشدة وقال: "حتى ولو ضرب بالسيور فلن يعرف أو يتذكر". وبدهاء جعل النبلاء يقسمون إذا كان ما يقولونه صدقا أم يمزحون معه. وعندما قصوا عليه ما حدث بينه وبين كيخاتو أصابته دهشة شديدة وقال: "لا يوجد نظير للدين الذى أدين به كيخاتو، وإلا كيف لم يقطع بدنى عضوا عضوا؟" وعندما سمع كيخاتو هذا الكلام هدا تماما، وذهب بنفسه إلى بايدو وضمه وقبله، وأخذه واتجه إلى المخيم، وأحضر له ملابس ملكية وألبسه إياها. واعترف

◆ سنة ١٦٠٥ يونانية : ورد هذا التاريخ خطأ . فقد ذكر BUDGE أنه سنة ١٥٠٥ يونانية.

كيخاتو أنه مذنب وأنه يفعل أعمالا سيئة، وأنه يستحق الموت وأنه في نوبات سكره كان يئن ويقول والدموع تسيل على وجهه: "لم أكن أعلم أنني مذنب؛ لذلك إذا كنت قد أذنبت دون حق وأغضبتك دون قصد أتوسل إليك أن تأكل كلابك لحمي دون رحمة".

وإزداد حب كيوخاتو له واستضافه، وأعطاه كثيرا من الهدايا التي لا نظير لها .

وبالاختصار في هذين اليومين أو الثلاثة أعطى بايدو أربعين دينارا ذهبيا وفضة وأقمشة مذهبة، وعباءة قيمة، وأحزمة مرصعة بالباسنت وأحجارا ثمينة وجياد ركوب، وبغالاً، وخيل حمل. وقد لام كيوخاتو أهل منزله على فعله هذا، فقالوا له: "لم يكن من الصواب أن تحقر من كرامة هذا الرجل، كما أنه ليس من اللائق أيضا أن يعامل باحتقار، ويسلم لأشخاص يسحبونه من شعره ويضربونه ويهينونه، ولقد حدث ما حدث له، ولن تنفع القصص المسلية فلن تطيب نفسه ولكن من الواجب مراقبته عن بعد بكل طريقة ممكنة". وآخرون قالوا: "إنه من الواجب إبعاده عن الطريق، وإلا ستحدث اضطرابات من خلاله". وآخرون قالوا: "لا بل يجب أن توضع حياته تحت الحراسة، حتى لا تمتد يد وتقتله أو ترتكب جريمة". أما كيوخاتو فقد تغلبت عليه شهوته وتشتت تفكيره واختلط فهمه، ووجد نفسه مساقا أن يقول لبaidu: "أريد أن يعيش ابنك معي ويكون في خدمتي وأن يكون صديقا ورفيقا". وقبل بايدو بسرور وسعادة كشخص مطيع، وأمر أن يرسل فورا ويحضر ابنه. ولكن كيوخاتو قال: "لا، قم واذهب بسرعة إلى أهل منزلك قبل أن يصل إليهم وإلى خدمك خبر الانشقاق الذي حدث بيني وبينك، وإلا فسيحدث لهم قلق وبمجرد أن تصل أرسل ابنك ليأتي إلي". حينئذ قال بايدو: "سيكون أمر الملك". وخرج من المخيم كالطير من عشه. ونظر خلفه، وسافر لمدة أربعة أيام حتى وصل إلى منزله، وهناك لم يتمهل، بل جهز ابنه وأرسله إلى كيوخاتو. أما هو فقد انتقل إلى جبال همذان^(٣٣٤) كما لو كان ذاهبا

إلى الصيد، ومن هناك أرسل رسولا إلى غازان بن أرغون باكيا وشاكيا، وأوضح له ما حدث له. لم يكن كيخاتو يعلم شيئا مما حدث، ولكنه كان مشغولا بأعماله وبإسرافه الشديد. ولسوء الحظ كان رئيس المحامين، أى: صاحب الديوان، وهو رجل فارسي يدعى صدر الدين^(٣٣٥) وكان هذا الرجل مبدرا حتى إنه فى فترة قصيرة أفرغ خزانة مملكة كيخاتو، وبدأ فى الاستدانة وفى الإنفاق حتى لم يبق هناك شىء، ولم يجد شاة تذبح لمأكل كيخاتو. ولقد عين يهوديا يدعى رشيد الدولة^(٣٣٦) ليحضر الطعام اللائق لكيخاتو من كل صنف يطلبه ومن حيثما يطلب. لقد برز اليهودى فى هذا العمل، وأنفق مبلغا كبيرا من ماله الخاص واشترى ربونا من الغنم والبقر، وأقام جزارين وطهارة واستعد فى مظهر رائع على شرط أن يجمع كل شهر مالا لصاحب الديوان؛ لأن الخزانة كانت خالية من المال ولا يوجد بها حتى القليل. وبعث رسائل إلى البلاد ولكن اليهودي لم يستطع أن يجمع شيئا، وانتهت ممتلكاته ولم يستطع أن يصمد ويتحمل كما كان يفعل فتركه وهرب، وكانت الضرائب كثيرة.

كان صاحب الديوان قلقا، وكان منهكا فى أداء واستكمال الهدايا العديدة لملك الملوك، ولأن الضرائب التى جمعت من ملك المغول كانت غير كافية لتبذير صاحب الديوان فكيف كانت تكفى لمواجهة تبذير كيخاتو؟ حينئذ بدأ يتصور تصورات عقيمة، فتوهم أنه سوف يصنع نقودا جديدة، ولكن لأن يده لم تحصل على ذهب أو فضة فإنه رفضها. وقد صرف النظر عن هذه الأفكار، وأصدر أمرا ملكيا أن لا يتعامل أحد بالذهب والفضة أبدا، وعمل قصاصات من ورق البردى وختمها وطبعها بعلامة حمراء وكتب عليها دينار ودينارين وثلاثة وأربعة وخمسة... وهكذا إلى عشرة دینارات وأسمائها: "جاو"^(٣٣٧)، وأعلن الدعاة فى كل مدينة أن كل من يشتري ويبيع ويأخذ ويعطى بدون "جاو" سيقتل، وكل من يوجد فى يده نقود فضة ولا يحملها إلى مكاتب الحكومة ليبادلها هناك بالجاو فإنه سيقتل. وظل هؤلاء الرجال فى اضطراب كبير وصعوبة لا توصف لفترة شهرين. وبقيت تبريز

المدينة المغولية خرابة مهجورة، وهرب منها الرجال وتفرقوا، وكان يشاهد في الشارع عدد قليل من أهلها. وبعد الشراء لا تستطيع الكلمات أن تصف المجاعة، ولا الندرة، ولا الصعوبات التي حلت عليها؛ وذلك لأن المواطنين لم يقبلوا قصاصات الورق وتمسكوا باستخدام النقود. وثار الأهالي ضد صاحب الديوان حتى خرجوا أخيرا بالسب والإهانات عندما كانوا أمامه وجها لوجه، وجعلوه يسمع إهانتهم وسخريتهم، ولم يقبلوا أن يقتنعوا أو أن يسمعوا كلمته، وأصابته الدهشة والذهول. لو رجع في كلامه سيجلب العار على نفسه، ولم يكن يستطيع تحقيق رغبته. لم يكن هناك شاعر لم يسخر منه ولا منشد واحد لم يضع أشعارا وأبياتا رائعة. ولخوفهم من الذين في الداخل والخارج أصدر أمرا ملكيا آخر، وهو أن يكون استعمال "الجاو" اختياريا، فإذا أراد استعمال "الجاو" فليستعملها وإذا أراد استعمال الفضة فله مطلق الحرية، وليس هناك إجبار على أحد. وقال أيضا ملك الملوك: إننا نريد لكم إقامة مريحة وحياة هادئة في خير، وعلاوة على ذلك لا نريد أن يكون كل ما يعطيه الفرد يجب أن يؤخذ منه، ولكن ليستخدم كل شخص ما يريد من خيرات ومعدات. وفي لمح البصر ترك قصاصات ورق بالآلاف وعشرات الآلاف تغرق في البحر وتختفى. ولا تستمعوا إلى المغرضين الذين يقولون إننا نريد حرية أي رجل. وكانت هناك فرحة كبرى في كل قرية ومدينة، وفتحت الطرق لأنه خلال هذين الشهرين لم يتمكن التجار من ممارسة نشاطهم وقطعت الطرق، وأغلقت المتاجر وتوقف البيع والشراء.

وفي بداية سنة ١٦٠٦ يونانية (١٢٩٥ ميلادية) رجع بايدو كعادته لتمضية الشتاء في مدينة دقوفا^(٣٣٨) وهو يفكر في قوة كيخاتو، وقد عقد اتفاقا سريا مع قادة آلاف من المغول والمقربين منه وأحاط نفسه بالجنود. وجاء إلى مدينة الموصل وقبض على رئيس الجند هناك وقتله، كما أرسل وقتل أيضا الرجل الذي شغل الوظيفة نفسها في بغداد. وعندما رأى أمراء المغول الآخرون أن بايدو لديه الجرأة الكافية لارتكاب مثل ذلك العمل اجتمعوا عنده بسعادة، وأرسلوا رسلا إلى غازان^(٣٣٩) يخبرونه بموافقته. وقالوا: إن كيخاتو

خرج من أرض المغول، وثار على قانون أبيينا جنكيزخان، ولقد خربت خزائن المملكة نتيجة لأعماله البغيضة، ولحياته الماضية وتبذيره الكبير، وكان اهتمامه ينحصر فقط في شهواته الدنيوية وليس في حكم المملكة التي يعيش فيها. لذلك اتفق النبلاء والأبناء والبنات والنساء والعرائس على أن يطردوه من الطريق؛ لأن أمثاله لا يفيدون المملكة ويريدون جلوسك أنت على كرسى مملكة بيت مجوج. حينئذ أرسل غازان وقال إلى بايدو: "أنت رجل عظيم في إسرائيل، والجميع متفقون معك، وسنضع أنفسنا تحت حكمك وافعل كل ما تراه لائقا وصوابا ومثمرا، ولكن منازل مملكتنا يجب ألا تؤذى. إن الرجل الذي سينتخب لن يكرس نفسه للرفاهية وللأكل والشرب وللحفلات والبذخ واللحوم الطيبة، ولإعطاء هدايا ثمينة دون حق، ولكن يجب أن يحمي مملكته بعناية ويجب أن يفكر دائما كيف يقابل أعداءه في معركة؛ لأنه من الأفضل أن تحرس المملكة بالحكمة أكثر من عشرات الآلاف من الرجال المحاربين". ولما اطمأن النبلاء وأبناء الملوك ورؤساء العشرة آلاف مغولي أن غازان وبايدو أصدقاء، ولهم نية واحدة ورغبة واحدة وكانا يتعاملان بحب، وكانا يتراسلان بواسطة الرسل، وأصبح جليا أن القانون يعطى عرش المملكة لغازان بعد كيخاتو، وأن بايدو كان يبذل جهده من أجل جلوس غازان على عرش المملكة، فقد وضعوا أنفسهم في خدمة بايدو وأداروا وجوههم عن كيخاتو وهو لا يشعر لأنه لم يكن عنده علم بما هو حادث في العالم. ولكنه عاش حياة ترف ودلال بالتمتع بطيبات العالم، حتى إنه ظهر في النهاية أمام الجميع في الداخل والخارج بصورة مخادع. وبعد أن استيقظ من غفوته أرسل رسولا إلى الشمال ليأمر القوات هناك بالركوب والقبض على بايدو، وعندما وصل الرسول إلى الجزء الشمالي إلى بلدة ديار بكر في الصالحية وجد أن كل القوات هناك قد انضمت إلى بايدو، وأنهم يستعدون للذهاب لمقابلة كيخاتو في معركة. واستدار الرسول وهرب كما لو كان يهرب من وباء، وذهب وأخبر كيخاتو عن نية تلك القوات. وبمجرد أن سمع كيخاتو هذا ظن أن بايدو يستعد للهرب والذهاب إلى غازان، فأرسل جنودا وأغلق الطرق

وممرات خراسان، وأركب - أيضا - طغاجار الرئيس الكبير مع عشرة آلاف، وأرسله ليمنع بايدو من عبور جبال شهرزور. وبعد عدة أيام أركب أقابوقا صهره مع عشرة آلاف آخرين حتى يستطيع هو بنفسه أن يأخذ عشرة آلاف ويذهب ويقابل بايدو. وفي أثناء وجوده في ضواحي تبريز في أوجان وصل طغاجار^(٣٤٠) و أقابوقا مع العشرين ألف الذين كانوا معهما إلى أطراف جبال شهرزور في الجانب الشرقي، وكان بايدو نفسه مع رجاله في حافة الجبل في الجانب الغربي، وأرسل رسلا سرا إلى طغاجار قائلا: "إني أحترق بنار الحماس من أجل مملكة بيت مجوج، وإني أسعى لخلع كيخاتو بسبب صفاته الشخصية التي لا يمكن الدفاع عنها، وخاصة عندما سمعت أنه لم يترك لكم زوجات وأبناء وبنات لم يلوثهم؛ لذلك فإنه من الحق أن نتحد كلنا ونخلعه من بيننا ونجلس غازان على عرش المملكة، ونجتمع كلنا ونخضع كيخاتو". ووافق طغاجار بسعادة، وبسهولة انضم إليه. وعلى الفور أرسل قائلا إلى أقابوقا: "أنا مع بايدو أتفق معه، وأنا مستعد للذهاب معه، فما هي إذن نيتك؟". ولأن أقابوقا كان متضامنا مع كيخاتو لم يرق له ذلك وكان حزينا ومضطربا، وظل يفكر طيلة الليل أن يأخذ العشرة آلاف الذين كانوا معه ويرجع إلى كيخاتو، وعندما انشق النهار ركب طغاجار كما لو كان ذاهبا إلى بايدو، فظن أقابوقا أنه يستعد للهجوم عليه، فترك طغاجار وهرب، وتبعه عدد قليل من العشرة آلاف الذين كانوا معه. وأسرع الخطى حتى وصل إلى كيخاتو وأخبره بما حدث. حينئذ حل الذعر على كيخاتو ولم يعرف ماذا يفعل، فأرسل واستدعى رئيس الآلاف الذين كانوا معه - ويدعى بريم - وقال له: "أنا أرى أن قواتي قد انشقت على، أما أنت فلأنك قوى وشجاع ابق ولا تكن مترددا". وارتدى ملابس الحربية وركب حصانه متجها إلى مخيمه حيث زوجاته وعائلته وأهل منزله، وترك مساكنه وخيامه قائمة، وقبل أن يذهب لمسافة رمية قوس هاجم بريم[♦] خيام كيخاتو وطارده. وقبل

♦ بريم: في النص السرياني ورد اسم "بريم" (س ١٨٥ عمود ٢ سطر ٢٠). أما BUDGE في ترجمته

أن تحدث تلك الحوادث أرسل كيخاتو بطلب رئيس عشرة آلاف آخرين كانوا في بلدة أيبيريا ويدعى دوكال . هذا الرجل وصل من الإقليم الذي كان في ضواحي مخيم كيخاتو، ووجد هناك اضطرابات ومشاجرات، وانشقاقات، وجنودا يتشاجرون مع بعضهم البعض، وسلبا ونها لا حد له. وصل كيخاتو مع أربعة أو خمسة أشخاص وطارده بريم، وحدث أن كان دوكال أمامه فأسروه وقتلوه في اليوم الخامس من شهر آذار (مارس) سنة ١٦٠٦ يونانية (١٢٩٥ ميلادية) بدون علم بايدو . لم يكن بايدو يريد هلاك كيخاتو ولكن القبض عليه فقط وسحبه إلى إحدى القلاع، عندئذ ضم النبلاء إلى قواته وسلم له الجنود وأرسل بايدو رسولا للقبض على كيخاتو وإحضاره إليه، وعندما وصل الرسول وجد أن كيخاتو قد مات، فتركه ورجع خاليا. ولكن النبلاء والأبناء والبنات وأزواج البنات والعرائس حثوا الواحد الآخر على الخضوع والطاعة لبايدو، واتفق معهم معظم النبلاء، فأرسل رسولا إلى غازان أن يحضر وألا يتأخر. ولأن غازان كان معسكرا على مسافة بعيدة، ولأنه كان فصل الشتاء والطرق كانت خالية من العشب والغذاء - انتقل غازان والقوات المرافقة له في إقليم بايدو. حينئذ عندما رأى الذين اجتمعوا مع بايدو أن غازان قد تأخر، ولم يصل بعد بدأوا في تزيين الأمر لبايدو قائلين: "إن المملكة لائقة لك، أما غازان فهو شاب صغير وسنوات عمره قليلة وليس أهلا لحكم مملكة بيت مجوج. إذا انسحبت وسلمت كل الإدارة إلى غازان فإن الجنس المغولي سينقرض". وانساق بايدو في الخطاى مع المداهنيين واغتر بنفسه، ولم ينتظر بعد ذلك وصول غازان. ولكنه أرسل وأحضر العرش الكبير الذي كان في تبريز، وهو العرش نفسه الذي جلس عليه أباقا وأرغون والملوك الآخرون الذين قاموا من بعده، ووضع به بقرب أوجان فصعد وجلس عليه، وظن آنذاك أن مملكته آمنة. وبعد أن ظلوا هناك لعدة أيام منهمكين في

الإنجليزية ذكر أنه ربما يكون الاسم هو "إبراهيم". (he send and called the captain of the thousands who where with him and whose name was BRIM (IBRAHIM) p.499)

الأكل والشرب انتقلوا إلى سياه كوه^(٣٤١)، وهناك اجتمع الأبناء الأولاد، والبنات، والإخوان، وأبناء العلم، ورؤساء القوات نبلاء المغول اجتماعا وديا. حينئذ بدأ بايدو يتوسع ويتعامل معهم بكل تواضع، وسلم لكل أخ ولكل ابن أخ مقاطعة معينة، على شرط أن يأكلوا كل إنتاج هذا الحي، وإذا بقي منهم شيء يرسلوه إلى بايدو، وإذا نقصهم شيء فليرسلوا إليه وليأخذوا ما يكفي لحياتهم. لذلك رحل الأمراء والنبلاء من عنده بفرحة وسعادة شاكرين الله على السلام والصدقة السائدة بين الجنود، وبين كل نبلاء المغول. وعندما وصل غازان بالقرب من سياه كوه علم أن بايدو قد أخذ الملك لنفسه، وأنه جلس على كرسى الملك بطريقة غير قانونية. واشتعل من الحقد وتحسر بحرارة، وكان حزينا جدا لأن التعب والجهد والإرهاق من أثر الرحلة الطويلة التي قام بها هو وجنوده ظهرت كلها بدون فائدة وغير مثمرة، وقال: "لماذا طلبني؟ وإذا كان قد فعل ذلك فلماذا لم ينتظر حتى أصل إليه؟ وهل هو جلس على الكرسى بموافقتي؟". وكان بايدو مقتنعا بأنه سوف يهدئ مشاعر غازان عن طريق التواضع والهدايا الكثيرة، وبإعطائه كل خراسان وشيراز والبحرين وكيرمان، ويعطيه - أيضا - كل خيام أرغون والده دون أن يحتفظ لنفسه ولو بواحدة، وبإعطائه - أيضا - جيادا وأبقارا وقطعانا من الخيل وبضائع وقطعان أغنام يأخذهم غازان ويرجع إلى خراسان. ولما وصل غازان إلى ضواحي قنغرا^(٣٤٢) الإنك وبقي بينه وبين المكان الذي كان به بايدو رحلة يوم واحد استشار صاحب ورئيس القوات التي كانت معه، وهو رجل محارب انتصر في معارك كثيرة ويدعى نوروز بن أرغون، استشار أبا كيف يذهبون ليلا ويقبضون على بايدو فجأة دون أن يشعر. هكذا فعلوا ولكن النتيجة لم تكن كما قدروا. وعندما ركبوا للقيام برحلتهم بكل مشقة ليلا متجهين للأمام انفتحت أعين السماء، وانهمرت سيول من المطر، وكان هناك برق ورعد ورياح وعواصف لم يشاهد مثلها من قبل في العالم، وبدأوا ينحرفون عن الطريق وتفرقوا وتشتتوا، ولم يعرفوا إلى أين يذهبون أو كيف، فسلكوا الطريق الخطأ. كل شخص يسير إلى الأمام مباشرة وساروا في

الصحراء حتى بزغ النهار. حينئذ رأوا أنفسهم بالقرب من هؤلاء الذين فى صحبة بايدو، ولم يتمكنوا من محاربتهم بسبب البلى والإرهاق والتعب الشديد الذى أصاب الجنود بالإضافة إلى حالة الاضطراب، وظلوا مندهشين ومذهولين وحل الذعر والخوف والرعدة على بايدو وكذلك على الذين كانوا معه، وركبوا خيولهم وخرجوا لمقابلة غازان. حينئذ رأى غازان أنه ليس هناك مجال للمعركة، فنزل من فوق ركبته، وعندما رآه بايدو يفعل ذلك نزل هو - أيضا - من على جواده واقترب الواحد من الآخر وتعانقا، وشعر كلاهما بالخجل أمام صديقه بسبب ما بدر منه: بايدو بسبب تسرعه وعدم انتظاره لغازان، وغازان بسبب حضوره بطريقة خفية وسرية للقبض على بايدو. من المؤكد أنه لولا المطر والبرق والرعد الذى عاق قوات غازان لكانت كل جماعة بايدو قد تعرضت للفناء التام، ولم يكن أحد استطاع الهرب، وذلك لشدة الظلام وكانوا كلهم سيهلكون بحد السيف. وبعد أن أصبحوا أصدقاء بدأوا فى مناقشة الموضوع وإلقاء اللوم الواحد على الآخر. ولقد أظهر غازان خضوعا مع حكمة ودهاء مشكورين، وأظهر أنه متفق مع بايدو ويوافق على كل ما قيل له. وأقسم كل واحد منهما للآخر أن لا يتشاجر أحدهما مع الآخر، أو يخون الآخر، وأن يكون كلاهما متفقين فى الرأى والإرادة، وأن يعيشا فى حب وسلام وهدوء، وعندما أراد بايدو أن يحضر غازان إلى مخيمه لياكل ويشرب ويسعدا معا ويتمتعا بالسلام الذى ساد بينهما قال غازان: "لقد أرهقنا أنفسنا كثيرا هذه الليلة، فلنراجع قليلا وننزل ونستريح، وفى الصيف سنجتمع معا فى مكان واحد". وببساطة قبل بايدو عرض غازان وخضع لرغبته، وعندما رحل عنه بايدو ورجع لم ينزل من فوق جواده، ولكنه ركب فى مساء ذلك اليوم وسار طيلة الليل ناظرا خلفه متسائلا: كيف ينقذ نفسه من أيدى بايدو؟ وعندما وصل بايدو إلى مخيمه وبدأ فى إعداد الأطعمة والهدايا القيمة من كل نوع لم يسترح كما أنه لم يستلق أو ينم، ولكنه أمضى الليل يفكر بأى طريقة يهدئ بها من مشاعر غازان حتى يقضى على كل أسباب الغضب؟ وبمجرد أن أشرق الصباح

أرسل النبلاء يستأذنون في الذهاب لتحية غازان وسؤاله عن حالة الإجهاد والتعب التي حلت به، وبعد أن قطعوا عدة فراسخ لم يجدوا على رأس الطريق إلا جوادا نافقا، وبعضهم كان مستلقيا كالميت، فرجع النبلاء وأخبروا بايدو . حينئذ تأكد بايدو أن غازان قد شعر بالإهانة، وأنه لا ينوى الرجوع وأنه سيزداد قوة ويرجع مرة أخرى ويهاجم بايدو. وحل به رعب عظيم وفرع، فأرسل النبلاء وقواتهم في سرية تامة ليقفوا في مواجهة هجوم غازان بالعنف، وذلك عند عودته لمهاجمته. حينئذ تشاور غازان مع نوروز الكبير ودبرا خطة أن يرسل ويهدئا من مشاعر بايدو، ويمنعانه من استمالة قوات وشعب غازان؛ لأنه لو كان بايدو يهتم بجمع القوات فإنه يمكنه جمع عشرات الألوف، ولن يتمكن غازان من أن يقف أمامه ويجب أن يجعلوه سيديا، وذلك لأن الرجال الذين كانوا معه كانوا متعبين ومنهكين وجيادهم هزيلة وضعيفة من قلة الغذاء؛ لأن السهول في هذه الأماكن كانت خالية من الأعشاب والبلاد كانت خرابا ولا يوجد عشب للجياد أو غذاء للرجال. وبسبب هذه الأعدار وغيرها من الأعدار المشابهة ذهب نوروز بنفسه، ورجع إلى بايدو ليقنعه بطريقة أو بأخرى بالألا يتحرك، وليبق هادئا وكريما من ناحية غازان . وعندما جاء إلى بايدو استقبله بترحاب كبير وكشف له كل أسرارته حتى قال نوروز لبایدو: " إذا لم تضع ثقك في غازان ويهدأ بالك من ناحيته، سأذهب بنفسى وأرسل لك رأسه على طبق، على الرغم من أنه كان في الوقت نفسه يدبر بكل طريقة ممكنة كيف ينقذ نفسه ويرجع إلى غازان فى سلام". وابتهج بايدو وفرح ورقص وقال: " إذا كنت تستطيع أن تفعل ذلك سأسلم لك إدارة جميع مناصب المملكة". وقدم له هدايا بسخاء، ومبلغا من الذهب يساوى "مرياد" وسلمه أمرا، وكتب تصريحاً أن يأخذ عشرة آلاف أخرى من مدينة قزوين وتركه ينصرف. وعندما ذهب إلى غازان أخذوا يتعجبون وأخذتهم الدهشة للبساطة التي ألقى بها نوروز بنفسه فى أيدي بايدو، وكيف أن بايدو سمح له فى الحياة ببساطة. ومنذ ذلك الوقت بدأوا يستعدون للحرب ويجمعون القوات. وتسلم نوروز نفسه إدارة الجنود وتجمعاتهم من كل مكان. وأرسل

غازان وبعض الرجال إلى جبال مازندران حتى يصطادوا هناك مع القوات التي تجمعت من مختلف الأحياء. أما هو فقد ظل وحده مع أبناء منزله في مكان واحد. حينئذ تعجب بايدو لمعرفة أين كان غازان ونوروز، وبماذا هما مشغولان، وهل لديهما نوايا سيئة أو لا؟! وأرسل إليهما كثيرا من الرسائل وخططا للتجسس عليهما وكشف سرهما، وعندما وصل رسل بايدو إلى نوروز بذلوا جهدهم لمقابلة غازان شخصيا، والتحدث معه وجها لوجه، فقال لهم نوروز: "ما الفائدة التي تعود عليكم من مقابلة شاب صغير بسيط لا يعرف شيئا ولا يفهم شيئا أبدا. انظر إنه يتجول في الجبال والمرتفعات ولا يبالي إلا بالصيد. فإذا كنتم مصرين على رؤيته فمعي رجال يأخذونكم إليه". وكذلك أخذ رسل بايدو هؤلاء الرجال، وساروا بهم في الطريق الصحراوي، وخرجوا بهم عن الطريق وضلوا طريقهم، منتقلين من قرية إلى قرية، ومن مدينة إلى مدينة. وبعد عدة أيام حملوهم إلى غازان. وفي بداية مقابله معهم اشتكى من بايدو قائلا: "أين هي الوعود التي وعدني بها؟ إذا كان قد رجع في كلامه دعوه يخبرني حتى أرحل وأرجع إلى خراسان". وعندما رجع الرسل إلى بايدو أقسموا، وأنكروا أنه يوجد هناك أي تجمعات للجيش، وأن غازان يهتم بمحاربته ولكنه ينتظر منك أن ترسل إليه ما وعدته به ليعود إلى مكانه. حينئذ قبل ببساطة أن يرسل إلى غازان أكثر مما وعد به. ولكن الحكماء وصناديد الرجال الذين كانوا معه شكوا في الأمر وقالوا: "لا بد أن هناك خيانة، ونواياه نحوك ليست سليمة، وأنه لا يحارب لأخذ مخيم أبيه ولكن ليسيطر ويهاجمك. وسيذهب مع عشرات الآلاف من المواطنين والأجانب ومركبات الخيل والممتلكات التي ستنتقل من عندك". وبعد قليل أرسل - أيضا - غازان إلى بايدو فارسا إلى القوات؛ لأن الأعداء من الشرق على شواطئ جيحون يفكرون في العبور إلى حى من أحياء خراسان. ولقد ظهر في تلك المنطقة كثير من الثوار والرجال المحتالين وذوى الخبرة. لقد فكر الذين يرافقون بايدو في هذه المقترحات والكلمات الخبيثة. وعندما رأى غازان أن هذا الاقتراح لم يتحقق أرسل إلى بايدو قائلا: "لا داعى للقوات،

ولا ترسل رجالاً". وبذلك أبعد عن نفسه الأفكار الشريرة . حينئذ استراح بايدو قليلاً، ونظر إلى الخيال كما لو كان حقيقة، لقد خدع نفسه كالطفل بهذه الخدع والترتيبات والأفكار الخفية وأبعدها عن نفسه، وبدأ يجد اللذة فى الأكل والشرب فقط، ولم تسيطر عليه اللذة والغرائز الجسدية، ولم يتسلل إلا مع زوجاته. ولم يشبع رغباته فى اللواط مثل الذى سبقه، ولكنه قاد نفسه بحكمة وعقل مرتب وتواضع مشكور، وانتقل وكرم الرجال نوى المناصب العالية، والعلماء ، والرهبان ، والنسك الذين كانوا هناك بغض النظر عن المجموعة التى ينتمون إليها، وأغدق على الرجال الهدايا والملابس الملكية الفاخرة.

ولأنه تعرف منذ سنوات بدسبينا^(٣٤٣) (ماريه باليولوجس) بنت ملك اليونان التى كانت زوجة أيضاً، فإنه كان ذا نوايا طيبة تجاه المسيحيين، ولقد عمل لعدة سنوات بالكنيسة قارعا للوح فى أثناء السير مع معسكره، وعلاوة على ذلك فقد منح نفسه بجرأة اسما مسيحيا لأنه فى هذه الأيام كان المغول من النبلاء والطبقات الدنيا من الشعب قد أصبحوا مسلمين، وتختتوا وتعلموا جيدا الوضوء والصلاة وسائر شعائر المسلمين. ولأن ذلك أعجبه فقد أصبح بايدو نفسه مسلما. ولقد سعد كل نبلاء مملكته، ولكنه لم يستطع أن ينسحب من الحوار مع المسيحيين، ولم يوافق أن يأمن لغيرهم فى إدارة المملكة. وانظر ما ترتب على هذا فقد أصبح محاطا بحاجزين: كان يقول للمسيحيين: "أنا مسيحي" وكان يعلق صليبا فى رقبتة وكان يظهر أمام المسلمين أنه مسلم، ولكنه لم يتمكن أبدا من تعلم الوضوء والصوم. وكلما كان رؤساء العقيدة يجتمعون عنده، ويقفون للصلاة كان بايدو يرسل ابنه ليصلى معهم. وبهذه الطريقة كان يطمئن نفوسهم ويثج صدورهم، ولكنه لم يكن خافيا على العرب أنه كان يتجه أكثر ناحية المسيحيين وكان يعتمد عليهم. وظل لمدة خمسة شهور يدير مملكته بهذه السياسة ذات الوجهين. وعندما سمع حاتم (الثانى) الملك المؤمن العادل الصادق ملك قيليقية أن بايدو قد انتصر وأن مملكة المغول قد دانت له، وأنه صديق للمسيحيين وأنه يميل لهم أكثر من باقى الديانات رغب بشدة أن يحضر بنفسه لخدمته ويقابله بنفسه، ويضع أساسا

ثابتا لأمر كثيرة بين بايدو وبينه. وعندما خرج من بلدته ظل في الطريق ما يقرب من شهرين حتى وصل إلى ضواحي سيا كوه في أثناء وصول الأمير الكبير نورو^(٣٤٤) مع قواته التي كانت معه ليقبضوا^{♦♦} على بايدو. ولأن بايدو كان مشغولا بشئونه أرسل رسولا، وقال حاتم^{♦♦♦} لملك أرمينيا: "ارجع إلى مراغة، وهناك استرح قليلا حتى أهدأ وأعود إلى المخيم فأرسل وأحضره إليك"، وفعل ذلك. وعندما وصل إلى مراغة ومكث هناك ما يقرب من عشرة أيام أو أقل هرب بايدو من أمام نورو صاحب الكبير، ووصل هناك ملك الملوك غازان وذهب وعسكر عند تل أوخاما بالقرب من دياهكو ركان. وعلى الفور استعد الملك حاتم وذهب لمساعدته وقدم له هدايا قيمة، وقال له ملك الملوك: إنك جئت لزيارة بايدو وليس لزيارتنا. حينئذ أجاب الملك: أنا أتيت لأبدي الخضوع لنسل جنكيزخان وأقدم فروض الطاعة لمن هو على كرسي الملك. حينئذ استقبله ملك الملوك بحرارة وخلع عليه ملابس ملكية، وأمر أن يُكتبَ له مرسوم وأن تلبى جميع مطالبه. وقبل ذلك بقليل صدر أمر بتخريب الكنائس، فتوسل الملك حاتم إلى ملك الملوك ألا تخرب الكنائس، لأنها مساكن الرب وأيضا بيوت الصلاة. لذلك أمر ملك الملوك ألا تخرب وكتب مرسوما أعطاه للرسول: "لا تخرب الكنائس بأي طريقة إلا منازل الصور تحول وتصبح مساجد ومدارس للعرب". وبذلك نجت كثير من الكنائس من الخراب بفضل هذا الملك المؤمن. وخرج هذا الملك من المخيم بقلب سعيد مبتهج.

وفي اليوم الأول من الأسبوع التاسع من شهر تشرين الأول (أكتوبر) من السنة نفسها سنة ١٦٠٧ يونانية ٦٩٥ هجرية، (١٢٩٥ ميلادية) انقض نورو وقواته^(٣٤٥) فجأة، ودون توقع، على بايدو عند مكان يدعى:

♦ نوروز : هذه الكلمة غير واضحة في النص السرياني ولكن BUDGE قام بترجمتها وذكر أنه "نوروز.

♦♦ ليقبضوا : هذه الكلمة غير واضحة في النص السرياني.

♦♦♦ حاتم : هذه الكلمة غير واضحة في النص السرياني.

قنغراآلانك، ولم يستطع بايدو أن يصمد ولو لساعة واحدة، فقام ملك الملوك غازان وقابله، ولكنه تركه وهرب في يوم السبت اليوم الخامس والعشرين من شهر أيلول (سبتمبر) ♦ وطارده نوروز ولحق به وقتله في اليوم الخامس من الأسبوع التاسع من شهر تشرين الأول (أكتوبر) سنة ١٦٠٧ يونانية (١٢٩٦ ميلادية). ولقد أصدر أمرا أن تخرب الكنائس وبيوت الصور ومعابد اليهود ويعامل الكهنة ورؤساء الرهبنة معاملة قاسية، وتفرض عليهم جزية وضرائب وألا يخرج مسيحي إلى الطريق إلا وهو يلبس إزارا حول وسطه، أما اليهودي فيضع علامة على رأسه. ♦ وفي هذه الأيام اتجهت الشعوب الغربية إلى تبريز، وضربوا كل الكنائس التي كانت هناك، وحل حزن عميق على كل مسيحي في العالم. وعجزت الكلمات عن وصف ألوان الاضطهاد والإهانة والسخرية التي تحملها المسيحيون في ذلك الوقت، وخاصة في بغداد. وحسب ما يقوله الناس فلم يجرؤ مسيحي على الظهور في السوق، ولكن النساء كن يخرجن ويطلبن ويشترين ويسعين؛ لأنه كان من الصعب التمييز بينهن وبين النساء العربيات، ولا يمكن معرفة أنهن مسيحيات. ولكن اللاتي كن يعرفن بأنهن مسيحيات كن يُضربن ويسخر منهن، فقد كان كل مسيحي تلك الأحياء يتعرضون للعقاب من هذا النوع، لا أقول هجرهم الرب. وبينما هم منقادون هنا وهناك تهلكهم العواصف، وكان يسخر منهم أعداء الحق قائلين لهم: "أين ربكم؟ دعونا نرى إذا كان لكم عون أو مساعد يخلصكم أو يعينكم". هذا الاضطهاد لم يحل على شعبنا فقط، ولكن أيضا على اليهود، وكانت شدته مضاعفة على الكهنة الذين كانوا يعبدون الأصنام) وكان

♦ شهر أيلول : في النص السرياني لم تذكر السنة، ولكن BUDGE ذكر سنة ١٦٠٦ يونانية سنة ١٢٩٥ ميلادية.

♦ ♦ يضع علامة على رأسه : يضعوا خرقة صفراء في عمامتهم (مصطفى طه بدر : مغول إيران بين

المسيحية والإسلام ص ٥٢).

هذا بعد التكريم العظيم الذي تمتعوا به من ملوك المغول) ♦♦♦ الذي وصل إلى درجة توزيع نصف ما جمع من أموال المملكة عليهم. ولقد أنفق في شراء تماثيل من الذهب والفضة، وقد أصبح عدد كبير من الكهنة الوثنيين مسلمين بسبب سوء معاملتهم. وبعد ذلك صدر أمر من ملك الملوك، وكتب "يارليغ" إلى كل البلاد وأرسل رسلا إلى كل مدينة وبلدة لتخريب الكنائس ولنهب الأديرة. وحيثما ذهب الرسل وجدوا المسيحيين واقفين أمامهم لخدمتهم ♦ ولتقديم الهدايا لهم. فكانوا أقل قسوة وأكثر تسامحا، لأنهم كانوا أكثر شغفا بجمع المال من التخريب. وفقا لما حدث في مدينة إربل عندما وصل الجنود إلى هناك ظلوا عشرين يوما ينتظرون اقتراب بعض المسيحيين ليأخذوا مقدارا من الذهب ويبدون نحوهم كرما (نظير أن يتركوا الكنائس الموجودة هناك بلا تخريب) ♦♦ ولكن لم يقترب منهم أحد، ولم يستطع المطرابوليط الموجود هناك تحمل عبء الكنائس، ولم يوجد رجل آخر يتعهد برعايتها. ولكن اهتم كل فرد برعاية شئون منزله الخاص، وبذلك سنحت الفرصة للكفار للظهور، ووضعوا يدهم هناك على ثلاث كنائس فاخرة (وضربوها نهائيا حتى أساساتها) ♦♦♦.

حدث ذلك في اليوم الرابع ♦♦♦ من الأسبوع الثامن والعشرين من شهر تشرين من هذا العام. ولما سمع أهل نينوى بالاضطراب الذي حدث هناك فزعوا جدا وخافوا، ولما عبر النبلاء والجنود إلى منطقة الموصل تقرب إليهم بعض الرجال الذين يحبون العمل المقدس للكنائس، وأغدقوا عليهم كثيرا من الذهب. ولأنهم كانوا لا يملكون أي شيء من مال الدنيا

♦♦♦ هذه الفقرة غير موجودة في الترجمة الإنجليزية.

♦ لخدمتهم : غير موجودة هذه الكلمة في النص السرياني/ فهي موجودة فقط في الترجمة الإنجليزية .

♦♦ هذه الفقرة غير موجودة في النص السرياني.

♦♦♦ هذه الفقرة غير موجودة في النص السرياني.

♦♦♦♦ اليوم الرابع هو يوم الأربعاء.

وضعوا يدهم على معدات وأثاث الكنائس، ولم يتركوا صليباً ولا أيقونة ولا مبخرة ولا كتاباً مقدساً مطعماً بالذهب والفضة إلا أخذوه. ولم يكتفوا بذلك بل جعلوا المؤمنين في المدن والقرى يدفعون مبلغاً من المال، فوضعوا يدهم على ما يقرب من خمسة عشر ألف دينار ودفعوها بدلاً من خراب الكنائس. وبمساعدة الرب لم تخرب كنيسة واحدة. وفي هذه الأيام كان جماعة من المغول - تدعى أويرات - يمضون الشتاء حول دير مارماتي، واشتكوا من ملك الملوك فجاء إليهم رسل يسبون ويهددون، لأن في أيام حكم الملك بايدو سيطر الأويرات على بعض التركمان، وأخذوا منهم الخيام والأبقار والقطعان والحياد والخيول والبغال والجمال بدون عدد. وبعد أن انتهت مملكة بايدو وحكم غازان صدر أمر أن كل ممتلكات التركمان يجب أن تؤخذ من الأويرات، وكل من يقاوم يموت موتاً. ولأن معظم هذه الممتلكات قد انتهت ولم يبق منها شيء مع الأويرات؛ فقد قاسوا بلاء شديداً واضطهدوا من الرسل من التركمان؛ فانقضوا على رسل المغول، وعلى التركمان وقتلوهم وأخذوا نساءهم وكل ما أمكن حمله، وهرب ما يقرب من عشرة آلاف جندي ومحارب إلى سوريا. حدث هذا في اليوم الثالث من الأسبوع التاسع والعشرين من شهر كانون الأول سنة ١٦٠٧ يونانية (١٢٩٦ ميلادية).

وفي هذه السنة لم يخرج رجل من مخربي سوريا القساة إلى الحي الشرقي؛ وتحركت العدالة ضدهم، تلك العدالة التي تمهل ولا تهمل، واتهم بمصائب في شكل مجاعة وأمراض أصابت بلادهم وخاصة مصر. ولقد قيل: إن الإسكندرية قد خلت من الأهالي. ولأن تلك القصة لم تصل إلينا بدقة، فإننا لا نتحدث عنها بتوسع بخصوص إشاعات الناس المثيرة، وإنما هي تدور بلا شك حول مجاعات وأوبئة، أما عن كيف وأين ومتى فنحن لسنا متأكدين حتى يومنا هذا.

◆ اليوم الثالث: هو يوم الثلاثاء.

أسطورة بناء مدينة وقرية دارا (٢٤٦)

فى سنة ٨٢٠ بونانية السنة الثامنة عشرة لحكم الملك أنسطيا (أنسطوس) بنيت مدينة دارا بجانب حدود نصيبين، وأسمها أنسطيا على اسمه. قال يوحنا الأسيوى فى "كتاب الشمس"، الذى يتعرض فيه للتأريخ عن سبب بنائها ، وهو: أن تاجرا عظيما ذا هيبة من بلدة أنطاكية كان يتنقل بتجارته من بلاد الشرق حتى استقر فى بلدة صغيرة كانت منخفضة عن المكان الذى بنيت فيه دارا. وقد أمضى الليل هناك فى حجرة فى منزل فلاح سريانى مسيحي من العرب. وحدث أن رأى هذا التاجر حلما أنه كان فى حديقة هذا الرجل شجرة عظيمة وجميلة ورائحة ولم يكن فى العالم مثلها، وكانت هناك طيور كثيرة قد اتخذتها مأوى لها وهى تغرد وتصيح على أغصانها، وكانت لهذه الأشجار سبعة وعشرون غصنا رائعا وبها فواكه تؤكل، وكانت تستقر عليها كل أنواع طيور السماء ، وكانت هذه الطيور تأكل من هذه الفاكهة، ومع ذلك لا تذبل أوراقها بل هى باقية كما هى. وعندما استيقظ التاجر تعجب كثيرا لحلمه ولم يصدق أن صاحب هذا المنزل يمكن أن ينجب ملكا، فنادى عليه وسأله: "هل لك أبناء؟" فأجاب: "لا ياسيدى، نحن عقيمان وليس لدينا أبناء". فقال له التاجر: " لو حدث ورزقت بابن فبعه لى. خذ ثمنه منى، واكتب وثيقة يكون بمقتضاها أنه لو جاءكم ابن فيكون لى الحق فى أخذه. اقبض الثمن فلن أطالبك بشيء إذا لم ترزق بابن". وقد نصحه كذلك أهله وزوجته بأخذ الذهب وقالوا له: "إن رزقتما بولد فعلى بركة الله، وإن لم ترزقا فسيزول فقركما". وكتب الفلاح الوثيقة المتعلقة بهذا الموضوع للتاجر الذى أخذها وعين شهودا من كل سادة القرية ووزن له الذهب حسب القيمة المتفق عليها بينهما. وعندما رحل الرجل بأمر الله فتح الرب رحم المرأة، وولد لهذا التاجر صبي ذكر جميل الطلعة مرغوب فيه

وقوبل بسرور وفرح به كل أهل القرية. وعندما كبر وناهز السابعة ظن أهله أن التاجر قد مات، ولكن فجأة ظهر التاجر وجاء مسرورا إلى حديقة المنزل، ولما رأى الطفل عرفه وعندما سأل أخبروه ابن من هو، فأمسك بالولد، وعلى الفور أخرج الوثيقة الموجودة معه، وقرأها وأظهرها لكل الناس. وبعد أن تأكدوا من صحة الكتابة وتوقيعات كل الشهود عليها لم ينازعوا التاجر بأى شكل، فأخذ الولد. فأعطاهم التاجر ذهباً أكثر يعينهم على الحياة لفترة أطول ورجع إلى منزله، فقاموا بتعليم الصبي، ودرسوا له وجعلوه عالماً بكل أنواع المعرفة الموجودة في المدينة وعلومه قوانين الملوك. وكان هذا الصبي كالشعلة المتوهجة يضيء المدينة كلها، وكان كل فرد معجباً به لعمق فهمه وسعة علمه وجم تواضعه، وأجمع الكل على أنه لائق للملك جدير به. وفي أثناء تنقله مع الرجل العجوز متاجراً في البلاد أراد لهم الله أن يذهبوا إلى مدينة بيزنطة الملكية، وعندما عسكروا عند بوابة المدينة توفى الإمبراطور زينون المؤمن ولم يكن له ولد يجلس من بعده على عرشه، فثارَت المدينة كلها. وفي هذه الليلة ظهر ملاك الرب في منام لكبير قساوسة المدينة وقال له: " اذهب إلى البوابة الشرقية للمدينة وافتحها". فكان هذا الشاب أول من دخل من بوابة أنسطوس فنصبوه ملكاً. وعم المدينة السرور وعظم شأنه وزادت قوته، ومنحه الرب كثيراً من البهاء والتكريم، كما لو كان فعلاً من سلالة ملكية. ولقد كان التاجر العجوز راغباً في مقابلة الملك، ولكن لم يجد أى وسيلة يستطيع أن يصل بها إليه. وقد ظل لمدة ثلاثة شهور مضطرب العقل، وعندما سأله رجل من أبناء المدينة كشف له قصة الشاب كاملة فنصح صديقه قائلاً: "الملك لديه حديقة يجلس فيها بجانب النافورة، فاذهب إلى رأس المياه، واكتب قصة الملك كاملة وأخبره فيها بحقيقة شخصيتك، وضع المكتوب في علبة مشمعة أرسلها مع الماء". ولما فعل ذلك وصلت إليه، وقرأها الملك وعرف أين الرجل العجوز الذى رباه، فأرسل إليه وأحضره أمامه وكرمه وخلع عليه الملابس الفاخرة ورفع له درجات عالية من الفخامة والمجد وأشركه معه فى الملك. وكان الرجل العجوز يكرر عليه

دائما قصته منذ اللحظة التي رأى فيها الحلم حتى هذا اليوم. فأرسل الملك، وأحضر إليه والديه وكان معهما ابنان آخران فكرمهما، وعظهما وطلبا منه أن يبني لهما دارا المدينة العظيمة فأرسل الصناع، وأحضروا الماء إليها وبدأوا في بنائها ولم يوجد ما يماثلها. وجعل والده مشرفا على بناء دارا، وأعطاه اثنين من الحرفيين شديدي المهارة والعقل: تيودسيوس وتيودوروس ابني شبينس، وهما رجلان مشهوران ومعروفان ولا يوجد نظير لهما في العالم، فقاما ببناء مدينة دارا وارتفعت، وتوجت بكنائس جميلة وفخمة لم يبن مثلها للمسيحيين. وجعل بناءها قويا لأن أرضها كانت مليئة ببرك المياه، ووضعوا خزانات مياه كبيرة تحت الكنائس أحاطها بحائط كبير، وأبراج قوية، وخذق خارج الحائط، وبنى على موقع أقل ارتفاعا مقابل نصيبين قلعة قوية ولكنها صغيرة بها اثنا عشر برجاً.

مقتل نوروز المطارد

كان هذا الرجل خبيرا بفنون الحرب والقتال، وكانت تخشاه بشدة قوات المغول المرابطة في منطقة خراسان؛ لأنه كان في كثير من الأوقات يثور ويحارب ملك الملوك، ثم يتراجع من جديد ويتصادق معه مرة أخرى بالكلمات المعسولة والسلوك الملتوى ... كلب ... كلب.

في هذا العام سنة ١٦٠٧ يونانية ٦٩٦ هجرية أعطى غازان ملك الملوك وعودا وجاء لمساعدته وكان يبدو خاضعا تماما لإرادته، ولم يكن ذلك لخوفه من الرب ولكن لأمر خبيثة أسرها في قلبه. كان غازان ملك الملوك رجلا حكيما جدا ولا يوجد إنسان يمكن مقارنته به من حيث الذكاء والفهم ولا يخفى عليه تدابير نوروز ونواياه، ولذا لم يسمح له أن يكون دائما في خدمته، ولكنه كان يرسله بعيدا في مناطق الشرق النائية ومناطق أخرى شبيهة، وكان ذلك لا يوافق هوى نوروز لرغبته في أن يكون مستشارا ومصاحبا للجيش الكبير ومسئولا عن بيت المال، حتى يمكنه أن يجد الفرصة

لتنفيذ أفكاره الخبيثة التي يخفيها. وظل تفكيره على هذا الحال لمدة عامين ولكنه لم يستطع الانتظار، فعندما ذهب ملك الملوك لتمضية الشتاء في بغداد كتب المطارِد خطابا لكل واحد من إخوانه الذين في خدمة ملك الملوك قائلا لهم: "أنا الصاحب الحقيقي هنا. إنى أحكم فى المكان الذى أنت فيه". وبمشيئة الرب وقع هذا الخطاب فى يد غازان، فقبض فوراً على الذين تسلموا رسائله وقتلهم جميعاً بحد السيف وأفناهم تماماً، وجهاز جيوشا كبيرة وعين قطلج شاه الأمير العظيم قائداً له، فذهب ولحق المطارِد عند الحدود الخارجية لخراسان وانقض عليه وقتله، وقطع رأسه وأحضرها إلى غازان ملك الملوك. أما الذين كانوا يرافقونه فتشتتوا ومضى اسم نوروز وأصبحت ذكراه ملعونة. حدث هذا بعد أن دمر نوروز الكنائس لمدة عامين (أى فى سنة ١٦٠٩ يونانية ١٢٩٨ ميلادية). وعندما هدا بال غازان من التفكير فى الأعداء ومواجهة الخبثاء شعر بالراحة، ورأى أن ملكه قد توطد، ولم يبق أحد يعمل على إيذائه إلا جنود فرعون (المصريين). كان هؤلاء الرجال يأتون من سوريا كل عام يأسرون وينهبون ويسفكون دم الجنود المساكين من أرمينيا وفلسطين وبين النهرين وأشور والقطائع^(٣٤٧)، وكانوا ينشرون الذعر فى بلاد صقلية بصورة لا يمكن للكلمات أن تصفها. ولقد قاسى هؤلاء الأرمن بسببهم حتى أعطوهم فى النهاية نصف بلادهم، كما كانوا يدفعون لكل أمير جزية فى شكل كميات كبيرة من الذهب والبغال والخيول والشعير والشوفان، وهدايا كثيرة مختلفة وأسلحة كانوا يقدمونها لكل أمير على حدى. وكان التجار العرب يدخلون ويخرجون بكبرياء استفزازى، ويشترون ويبيعون أشياء ثمينة من كل نوع وفى خلال العامين أو الثلاثة التى عاشها الأرمن فى هذا البؤس، وهذه التعاسة كانوا يفضلون الموت على الحياة. لقد حولوا بصرهم فى كل الجهات فلم يجدوا نصيراً ولا ملجأً ولا صاحب بأس يحميهم من استعباد المصريين، إلا غازان ملك الملوك. لذلك لجأوا إليه واحتموا به طالبين مساعدته وانضموا لجيوشه، وقد أرسلوا إليه نداءهم بواسطة مبعوثين، وذلك بالسجود والتوسل والابتهاال والبكاء والعويل والتنهات ليمد

لهم يد المساعدة، وينقذهم من الطغيان الفرعوني. كان ملك الملوك رجلا عطوفا وعادلا ومحبا للحق، فاستجاب لتوسلاتهم ورأى موقفهم بوضوح وكيف أسيئت معاملتهم وأن ذلك فوق قدرة الاحتمال ، وكيف أنهم تعذبوا بدون رحمة. كان بعض الطغاة قد أرسلوا ووعدوهم بوعود طيبة . لقد وهب ملك الملوك نفسه تماما لخدمة جميع أهل مجوج، وكثير من جنود مدين وأبيريا وجحافل من جيوش اللان فرسانا ومشاه، وكذلك جمع ملك أرمينيا قواته، وأمر غازان أن يكون هدف كل القوات التي تصل هو غزو سوريا. فالذين كانوا في بابل يجب أن يسيروا في هذا الطريق الصحراوي، والذين ينتمون إلى بلاد الروم يتجهون في طريق ملطية وأبلستين والأرمن من ناحية حلب. أما غازان لأنه كان في ضواحي الموصل فقد سار مع الذين كانوا معه في اتجاه سنجار والخابور، وعبروا الفرات بالقرب من قلعة البيرة. واتخذ من تلقاء نفسه قرارا أن لا يؤدي أى مزارع أو فلاح من شكيم، وكذلك زرعه، أو أى صانع مشغول فى عمله، ولكن يتعرض فقط لعمال الحقول المقاتلين، وللرجال الأصحاء الجسد المقاتلين الذين يضعون ثقتهم فى سواعدهم ولا يخشون الله. وعندما وجد المغول أنفسهم فى بلاد سوريا بين حماة وحمص أصابهم الفزع من جنود فرعون ، كان هؤلاء القوم يتحلون بالذهب والفضة كالعرائس وكانت ألجمة خيولهم وسروجها وأسلحتهم الحربية مرصعة باللؤلؤ والأحجار الثمينة المختلفة، ولقد وضعت أمام القادة لحوم ومشروبات وأطيب أنواع الطعام من مختلف الأصناف لتغذيتهم بلا حدود، وخرج آلاف المقاتلين ليس عن شجاعة ولكن لأن الحرب قد اقتربت. وقد قال أحد المقربين من غازان إنه عندما نظر غازان فى الصباح الباكر رأى وجوه جحافل المصريين ترسل إشعاعا مثل الفحم المتوهج، بينما وجوه المغول فى الظل ، فانسحب غازان خائفا، وارتعدت ركبتاه وبدأ يقول لرشيد الدين الرجل المسن: "ماذا سنفعل وكيف نستطيع البقاء؟". فشجعه رشيد وشد من أزره وقال له: "الجا إلى الرب بكل قلبك وعقلك ولا تقلق". فنزل غازان من فوق جواده واتجه إلى رفاقه وهم يرتدون لباس الحرب، وثبت غطاء

الرأس، ووضع الخوذ على رؤوسهم. ورغم أنه كان شخصيا في حالة حزن فإنه شجعهم قائلا: "لاتخافوا ، هل هؤلاء رجال ونحن نساء ؟ في مثل هذا اليوم يتميز الشجاع والمقاتل عن الجبان والخائن. الآن إذا كان بينكم أى رجل لديه الرغبة الشديدة أن يعد من بين المقاتلين الشجعان، فليحارب وسيظهر، وسيرتقى مع رفاقه إلى الرتب العليا فى الجيش". وبهذه الكلمات وغيرها جمعهم للقتال وشجعهم على خوض المعركة. وفى هذه الأثناء كان واقفا من الأمام ليراقب المقاتلين ويدها مرفوعتان إلى السماء يدعو الله أن ينصر جنوده. وكان المصريون متكبرين؛ يضعون ثقتهم فى أسلحتهم ، وكان كل قائد يسخر ويحقر من زميله . وعندما ذهب قائد الألف والذين معه إلى القتال ضحك زملاؤه ولم يبذلوا جهدا لمساعدته وكانوا مهملين. وفى النهاية هُزِمَ هذا القائد وانكسر بواسطة المغول، وانسحب مجللا بالعار كما قام بقتل عدد من الرجال الذين يرافقونه. هكذا خدعوا الواحد تلو الآخر حتى سقط عدد كبير من فرسانهم وانسحبوا ولم يتمكنوا من القتال. عندئذ بدأ المصريون يتشاجرون فيما بينهم ويلقون بالمسئولية، كل على الآخر. فانقض المغول كالطوفان الهابط من جبل عال جدا على هؤلاء البؤساء ، فأطاحوا بهم، وألقوا بأسلحتهم أمام المغول وهم يسحبون ملابسهم وأقواسهم وسهامهم ، وتركوا خلفهم جمالا وبغالا وخيلا لا حصر لها، وهربوا. وقد لحق بهم المغول حتى وصلوا إلى أبواب مدينة غزة، واستولوا على دمشق ونهبوها وكذلك حماة وحمص، ووصلوا إلى أورشليم وأنطاكية وطرابلس، وتسلقوا الجبل الأسود الذى جمع شعوب الأكراد والعرب والتركمان.، وهناك أسروهم واستولوا على عدد لا يحصى من الغنم والماشية.

وبينما الجيوش موزعة فى هذه البلاد بقى غازان ملك الملوك فى دمشق فى جبل الصالحية^(٣٤٨) ولكنه لم يذهب إلى المدينة ، وكان ملك الأرمن فى خدمته. ولقد أنشا غازان صلات طيبة معه، وقال له بطريقة ساخرة : "هذا العمل خفيف على قلبك". وقبل الأرض أمامه، وشكره وبقي هناك لمدة شهر حتى اجتمعت الجيوش المتفرقة على الحدود البعيدة لبلاد سوريا ، وحضرت

من كل جانب. وقد خرب الأرمن تخريبا كبيرا فى جبل الصالحية، كما خربوا تماما الكنائس الكبيرة؛ لأن مبانيها كانت مبنية من كميات كبيرة من الخشب . وعندما اجتمعت الجيوش بأسلابها وكنوزها اتجهت أبصارهم جهة الشرق ووصلوا فى سلام.

وفى سنة ٦٣٤ يونانية كان المطر قليلا فى نينوى، ولم يكن هناك محصول ، ومن بعد ندرة المطر هاجم المرض كل الرجال بمختلف طبقاتهم.

ذهاب الهون والفرس والمغول إلى بلاد ديار بكر

فى سنة ١٧٠٥ يونانية ٧٩٠ هجرية اندفع من سمرقند عدد لا يحصى من الهون والفرس والمغول من سلالة جنكيزخان الأول، وحضروا إلى تبريز، ومن هناك ولوا وجوههم للذهاب إلى بغداد . ونقل السلطان أحمد كنوزه وزوجاته وهرب إلى مصر، ونزلت جنود المغول وكان صاحبهم تيمور لك ، أما خالهم فكان السلطان محمود، وقد سلبوا وأحرقوا فى بغداد ، ومن هناك جاءوا إلى تكريت. ولكن الأمير حسن صاحبها لم يخضع لهم ، وعسكروا حولها لمدة ثلاثة شهور، ولكنهم لم يتمكنوا من التغلب على قوتها. وكان الأمير حسن رجلا شجاعا جدا، ماهرا فى فن الحرب، فشجع أهل تكريت وأكد لهم أن تيمور قد خان العهد الذى أقسم به أمام والده الأمير حسن وأنه لن يستطيع أن يأخذ المدينة بالسيف، ولكنه خدعهم. ولقد فتحوا القلعة ونزلوا إليه، ورجع بإيمانه، وأمسك الأمير وكبله بالأغلال وقتل كل الرجال المحاربين، وحمل غنائم كثيرة ونساء وأبناء وبنات، ودمر المدينة تماما. ولقد حضر إليه الشيخ على الحاكم الإربلى فتوسل إليه ليؤمنه على حياته، وكذلك صاحب الموصل المسمى يارعلى التركمانى بن بدر خواجه، ونزل إليه واستجداه عهدا يؤمن به حياته. ولقد عبر تيمور خان إربل ولم يتعرض لها، وجاء إلى الموصل بسلام، وخرج رجال الموصل أيضا ليستقبلوا. وعندما سمع صاحب الجزيرة فى قاردو - ويدعى عز الدين الكردى - أن تيمور

وصل إلى الموصل أرسل إليه أخاه المسمى مجد الدين محملا بالهدايا، واستقبله تيمور مسرورا، وأسعد قلبه وعاد ووصل إلى ضواحي ماردين. وعندما ذهب تيمور إلى سهل باعربايا ذهب إليه عز الدين ثانية واستقبله بسرور، وكذلك سيد قلعة كيفا المسمى الملك العادل سليمان، وسيد أرزن الروم المسمى السلطان سرتا شوخ،* الذي ذهب إليه واستقبله بعطف. وعندما وصل إلى ماردين لم ينزل إليه سيدها الملك طاهر الدين عيسى. كان وجه تيمور مصوبا نحو بلاد فلسطين ليس لشن حربا عليها بالقوة، ولكنه تحيل على الملك الظاهر وأنزله من قلعته وكبله بالأغلال ووضع في قفص، وبعد ثلاث سنوات أرسله بعيدا. بعد ذلك هاجم تيمور رأس العين وحاصرها، وقتل هناك وخرّب وأحرق كثيرا من الأهالي، ثم جاء إلى آمد البائسة وأخذها بالسيف وقتل وأسر من أهلها عددا لا يحصى بين رجال صغار، ونساء صغيرات كالأقمار وأحرقهم تماما بالنار، وهاجم الرها سيئة الحظ وصنع بها أكثر مما عمل في آمد. ومن هناك ذهب إلى شاطئ الفرات، ولكنه لم يتمكن من العبور لأن جيوش ملك مصر المسمى السلطان برقوق كانت جاهزة، ومعها كميات كبيرة من الحبوب. ولقد تراجع تيمور عن شاطئ الفرات، ونزل إلى سهل بيت عربايا وعاد إلى الموصل، ولكن ابنه الأكبر المدعو الأمير شاه جاء إلى آمد ونزل عند طور عبيدین وشن عليها حربا شعواء، وخرّب ووضع الرجال في أماكن خفية. وفي دير مار جبرائيل في قرتمين خنق ثلاثمائة نفس واثنين وثلاثين راهبا، وكذلك رئيسهم القديس يوحنا، وذهب إلى قرية صغيرة في طور عبيدین تدعى بيت إسحاق، وكان سكانها يقيمون في قلعة القرية فرماهم بالنار وحفر تقبا في البرج الجنوبي ودمره. وأسرع رجاله، وانقضوا عليهم كالذئاب الظمأى للدم فقتلوا الرجال وأسروا النساء والبنات، وباختصار أبادوهم جميعا، ومن هناك ذهب إلى الشرق إلى الجزيرة إلى بيت شرابا، وطلب من سيدها بعضا من القمح

* سرتا شوخ : في الترجمة الإنجليزية: "سراشوخ".

والهدايا. ولكن لم يكن لعز الدين سيد الجزيرة قادة شجعان، فأخفوا القمح وقاموا بإرسال كميات صغيرة على دفعات، فغضب الأمير وأمر قواته أن تسلب وتتهب الجزيرة. ترك عز الدين المدينة وصعد إلى الجبال الشمالية ودخل المغول الجزيرة ونهبوا وأحرقوا. كان الشتاء فى شدته والمدينة محاطة بمياه دجلة كالبحر، وعبر المغول إلى داخل الجزيرة دون عائق كما لو كان نهرا صغيرا، وأخذوا كل الآثار والمعدات من كنيسة العظيمة كنيسة اليعقوبيين، واستمر النهابون يعبثون فى المدينة لمدة سبعة وعشرين يوما، واتجهوا إلى الموصل ثم إلى تيمور. وفى الربيع عاد تيمور مرة ثانية وهاجم ماردين فى اليوم الثالث من أسبوع الآلام، اليوم الرابع عشر من شهر نيسان (إبريل)، ودخلها. وفى يوم خميس الأسرار أسر وقتل وسلب وخرب تخريبا عظيما، ثم أخذ قلعتها ولكنه غادرها وصعد من ماردين إلى البلاد العليا للروم وذهب ثانية إلى تبريز، وعند نهاية العام نزل إلى بلاد الصين، أى: "الخطاى"، وعبر إلى الهند وأخذ غنائم كثيرة وذهبا وفضة مختومة، وقبض على ابن ملك الهند وقيده بالأغلال والسلاسل، وأحضر من هناك كثيرا من الفيلة، وعاد إلى سمرقند.

وبعد سبع سنوات فى سنة ١٧١٢ يونانية (٨٠٢ هجرية ١٣٩٩ ميلادية) جاء إلى تبريز، وأخذ قلعة النجاة من السلطان الظاهر بن السلطان أحمد البغدادى الذى كان يقيم فيها لمدة خمسة عشر عاما؛ لأنه كان قويا جدا ولأن الأبيريون - أى الجورجيا - ساعدوه لأنه كان من أقربائهم. ورغم ذلك فقد لاقى فى النهاية بعض الصعوبات فهجرها وهرب إليهم، فقام تيمور خان وعبر إلى بلاد قيقية ودخل سبسطية التى كان فيها السلطان أحمد البغدادى وقرا يوسف وقرا محمود التركمانى، وأسر نساءهم وأبناءهم وسلب كنوزهم. وقد هرب هؤلاء الرجال من هناك وذهبوا إلى بلاد الروم ثم إلى سبسطية. عندما رأى هؤلاء الرجال التعساء ما حدث لهم توسلوا طالبين عهدا بالأمان لأرواحهم، وأقسم لهم أنه لن تخرج أى قطرة دم من جسد أى واحد منهم وفتحوا أبواب المدينة ودخل الهون الأشرار وأكرمهم تيمور قائلا:

"أجمعوا لى أحسن رجالكم". فجمعوهم أمامه فأمر وحفرت لهم بئر، ودفنوا أحياء فى الأرض، وهو ما لم يفعله أحد من قبل. وأسروا الفتيات، وتركوا المدينة خرابا وصحراء. أمر تيمور قواته وعبرت الفرات سريعا وعسكرت عند حلب، وفى ثلاثة أيام أخذ المدينة وقلعتها ودمر جوامعها، ومن هناك ذهبت قوات تيمور إلى حماة وحمص، فجمع الناصر بن السلطان برقوق ملك مصر قواته، وسار أمامه إلى دمشق، فخاف منه تيمور وأرسل رسولا يفرض السلام. وأجاب برقوق: "هذا سلاحى ويجب أن أقاتلك. إما أن تأخذ مملكة مصر كلها، أو تترك العرب حيث ألقيت بسيفك". وعندما سمع تيمور خان هذه الإجابة القاسية أصابه خوف شديد وأرسل رسولا آخر وقال لبرقوق: "أنا لا أطلب منك شيئا إلا أن تضرب العملة باسمى، وسأعود إلى بلادى وأنتم ملوك وحكام فى بلادكم". وأجاب ملك مصر: "من المستحيل أن يكون هناك ملكان فى مملكة واحدة. فقل لنا: ماهى ديانتك؟ إن كنت مسيحيا فاعلم أنك لا تظهر أى رحمة للمسيحيين، وإن كنت يهوديا فأنت لا تطيق أن تعيش اليهود، ولو كنت عربيا فانظر لقد محوت العرب من الوجود، وهدمت مساجدهم وقتلت قضاتهم، وأحرقت علماء مدينتهم. لا يوجد أمامنا طريق للقاء بعضنا إلا القتال بالسيف". وأجاب تيمور: "إذا كان الأمر كذلك، فلم يبق لنا ما نتطلع إليه إلا الغد". كان تيمور قريبا من دمشق فرفع معسكره، وتراجع قليلا وجهاز قواته يحاربون فى المعركة مبكرا فى اليوم التالى. ولكن لأن ملك مصر كان صغيرا ولم يتجاوز الثالثة عشرة من عمره تمرد عليه خمسة من عبيد أبيه، وعادوا إلى مصر فى الليلة التى كان يستعد فيها ليحارب حتى يتمكنوا هم من حكم مصر. وبلغه ذلك فى منتصف الليل فتقدم مسرعا وقال لقواته: "اعلموا جيدا أننا يجب أن نغادر دمشق فورا؛ لأنه لو أخذت منا مصر فسنحرم من ملكنا، وإذا بقيت مصر فى يدينا فإن تيمور خان سوف يدمر دمشق، ونحن سيمكننا أن نقيم فى المدن الأخرى". وهجر دمشق وعاد إلى مصر مع قواته، وفى الصباح الباكر جهاز تيمور قواته وانتظر المعركة. وعندما لم يجد أحدا قد حضر لمحاربتة سار بسرعة نحو دمشق ولم يتصد

رجل لمقاومته، وتشجع كثيرا عندما علم أن الملك برقوق قد رجع إلى مصر، وسارت جيوش المغول في المدينة المسكينة، وأحرقوها وتركوها كومة من الرماد لأنها كانت مبنية من الخشب، وأخذوا وأسروا وأحرقوا وقتلوا أناسا كثيرين، كما خربوا جامع بنى أمية تخريبا عظيما، وترك تيمور دمشق سريعا، وعبر الفرات ثانية وعسكر عند ماردين. وكان في غرب بلاد ماردين دير يسمى الدير الجديد، وكان يعيش فيه ثلاثة آلاف شخص، فاستولى عليه المغول بالسيف، ولم يتركوا أحدا حيا صغيرا أو كبيرا. وجاء وعسكر عند مدينة ماردين التعيسة، فقام الملك العادل سليمان صاحب قلعة كيفاء، والسلطان سرتا شوخ صاحب أرزن الروم، وعزالدين صاحب الجزيرة، ومن كاردو انطلقوا، وذهبوا إلى تيمور فقابلهم مقابلة طيبة، ولم ينزل إليه الملك طاهر الدين عيسى صاحب ماردين، الذي كان صاحبها، وحارسها في الوقت نفسه من قلعة ماردين. فغضب تيمور خان وهدم أسوار المدينة ومنازلها وأسواقها وجوامعها وأبراجها وترك المدينة خرابا. وذهب إلى بغداد وأفناها تماما بحد السيف، ومن هناك ذهب إلى موطنه في تبريز، ولم يدخل أي معارك حربية خلال الشتاء. وبعد هذا العام ندر الطعام للغاية حتى إن بوش القمح قد وصل سعره إلى ستمائة زوزا.

وفي سنة ١٧٦٢ يونانية (١٤٥١ ميلادية) جاء شاهنشاه إلى بلاد الترك من بيت عثمان، ودخلوا أرزنجان وأخذوها من الشيخ حسن، وجاءوا إلى ماردين وعسكروا حولها وحاصروها، ووصل بوش القمح إلى ألف زوزا. ثم حدث أن هزمه حسن بك في سهل موش، وقتله وأخذ ملكه. المجد للخالق الذي لا يتغير.. آمين.

الحرب التي قام بها تيمور خان في طور عبيدين

في سنة ١٧٠٦ يونانية استولى تيمور خان على آمد بعد أن خرب جوزه ^(٢٤٩) وكل القرى، وأحرق المغول كل سكانها بالنيران. ومن هناك

غادروها، وذهبوا إلى بلاد بيت ريشا وطور عبيد، فاحتفى بعض الأهالي في قلعة كيفا، أو القلعة الصخرية، وفي قلعة حيتام، وفي القلعة الجديدة، وآخرون اختبأوا في فتحات الكهوف، وبعضهم اختبأ تحت الأرض، فأشعل المغول النيران فوق هذه الأماكن واختنق كل من كان فيها، وفي بيت أبشاي خنقوا أكثر من ثلاثمائة نفس، وفي كفر شاما ثلاثمائة آخرين، وفي مدياد خنق الملك ومعه رهبان وأناس كثيرون، وحضر (المغول) إلى دير قرتمين. وقد اختبأ رهبانه المعروفون في كهف تحت الدير في الجنوب يسمى "بار سيقاي". كما حضر إلى هذا الكهف جميع مواطني المنطقة من كل القرى، وكذلك من نصيبين، ومن المعرة حضروا وذهبوا إلى هذا الكهف الذي ذكرناه. لقد سمع عنه هؤلاء الملاحين واجتمعوا كلهم عنده وصرخوا على أسنانهم ودخلوا عليهم، ولكنهم اختبأوا جميعهم. وقد أدى ذلك إلى اختناق أربعين راهبا كما اختنق أيضا القديس يوحنا، وهو ابن توما السبيري من مواطني المنطقة اختنق خمسون نفسا. وقد قاموا من جديد وخرّبوا البلاد والقرى، وأيضا بيت إسحاق وأخذوه بالسيف، وقتلوا كل من وجدوه، وأسروا وقيدوا بالأغلال عددا لا يحصى. لقد انتشر هؤلاء المخربون في كل المقاطعات وقاموا بنهبها كلها ما عدا قلعة كيفا، وقد حلت المجاعة والطاعون في كل البلاد التي ذهبوا إليها.

وفي سنة ١٧٠٧ يونانية قام نزاع بين الأتراك والملك العادل سيد قلعة كيفا، في هذه السنة ثار جزر الدين ضد صاحب ماردين وأخذ قلعة برحا وخرّب القرى التي حولها، وظلت جميع البلاد الغربية في حالة خراب. وظل هذا المتمرد كالذئب ينصب الكمائن على كل الطرق.

وفي سنة ١٧٠٩ يونانية قرب نهاية شهر أيلول (سبتمبر) استولى بدر الدين صاحب حيتام على بلدة ديرونيتا الموجودة في سهل عربايا وكذلك على أهلها، وقام خلفهم الشيخ محمد وجعلهم يفرون وطاردهم، وجردهم من تجهيزاتهم وأسلحتهم التي كانت غير قليلة، وأسر منهم الكثيرين، منهم:

بدر الدين، ورئيسنا ملكوس السبيريني وآخرين، وبعد قليل أطلق سراحهم. وظل بدر الدين مريضا لمدة طويلة وذهب إلى قلعة كيفا، وتوفي بسبب جرح أصابه من بلطة حربية.

وفي ١٧١١ يونانية أسر قرا يوسف التركي معسكر العرب المسمى دوجرايا، وحبسهم مع قائدهم في قلعة جعبر، وكانت المؤن وأسلحة الحرب تصل إلى قرا يوسف من حلب ودمشق وبلاد أخرى.

في هذا العام ذهب القس إشعيا ليعبر إلى الأرض المقدسة أرض الميعاد، ولكن ذلك لم يكن سهلا لأن الطرق كانت مقطوعة، وفي أثناء وجوده بماردين سمع برحيل أبانا مار^(٣٥٠) أثاسيوس مفريان^(٣٥١) الشرق.

وفي سنة ١٧١٢ يونانية انقسم الأكراد الذين يدعون جشايا إلى فرق، فريق يؤثر سيد ماردين، والآخر سيد القلعة، لأنهم كانوا خاضعين له. وأخذوا القلعة الجديدة وظلوا بها لمدة خمسة شهور، وأتت إليهم مؤن الطعام من سيد قلعة كيفا، ولكنه سحبها منهم بالتدريج. وكذلك أغار الأتراك المسمون "بيت تون لوباج" على بلاد محلم، وقام الملك العادل سيد القلعة بنهبهم وسلبهم، وقتل عددا كبيرا منهم، وجعلهم يفرون من بلده. كان أعداؤه كثيرين في بيت سيد قلعة ماردين، ومن هنا كانت بداية العداوة.

وفي سنة ١٧١٣ يونانية هجمت جحافل الجراد على كل البلاد، وكانت تحط وتلتهم كل شيء أخضر، وكذلك الكروم والأعشاب. كان الرجال يطاردونها بالصراخ والدخان.

وفي سنة ١٧١٤ يونانية شن الحسنايا حربا على بيت ريشا وخرّبوا المعرة، ونصيبين، وحباب، وأربو حيث خربوا دير القديس شمعون.

وفي شتاء هذا العام سقط الملك العادل سيد قلعة كيفا من فوق جواده، ومال فمه بسبب جرح في خده، وأصبح أعجوبة لكل من ينظر إليه.

وفى سنة ١٧١٤ يونانية فى شهر حزيران (يونيو) ظهر سحب كثيف مرتفع على هيئة عمودٍ أبيض فى الفضاء، ولقد شاهده كل الناس.

وفى هذا العام نفسه احتفل القديس يعقوب فى التاسع والعشرين من شهر تموز (يوليو) كان هناك رعد شديد قبل الظهر، ومعه سحابة صافية فى الهواء العلوى، ولم يكن هناك مطر، واستمر الرعد لمدة ساعة، وسمعه الناس طوال اليوم من كل البلاد حتى سهل الجزيرة. ولقد اضطرب الكثيرون عند سماعهم لقصف الرعد، فانكفأوا على وجوههم. كانت هذه علامات من الرب كان يرينا إياها لكى نندم على تمردنا وعنادنا وقسوة قلوبنا، فكافأنا الرب لا وفق أعمالنا السيئة ولكن برحمته وعطفه.. آمين.

جزء صغير من كتاب الأزمنة – تيمور خان

فى سنة ١٧٠٥ يونانية جاء تيمور خان الملعون وخرب شمال قيليقية وبلاد ما بين النهرين، ورجع إلى بلدة سمرقند وإلى بلاده فى الشرق.

وفى سنة ١٧٠٩ يونانية كانت هناك معركة عند ديرونيثا، قرية فى السهل. وقتل بدر الدين صاحب قلعة حيتام، وهزم رئيسنا الملك ملكوس السبيرينى والذين كانوا معه.

وفى سنة ١٧١٢ يونانية جاء تيمور خان الأعرج للمرة الثانية، وخرب كل من بابل وإربل والموصل والجزيرة فى قاردو وماردين. وخنق خمسمائة شخص فى أبرشية قرتمين فى بارسيقى فى كهف تحت الأرض، وخنق قس الدير ومعه أربعين راهبا. لم يأت الحظ السيء إلى سكان أربو - قرية فى بيت ريشا - بسبب دعوات هذا الرجل الصالح القس بهنام شبتى الذى كان هناك؛ لأنه بتواضع قدم نفسه بديلا عن أهل القرية، ونزل أمام ابن تيمور خان وتواضع أمامه، وطلب منه أن يرحم أهل قريته. وتسلم من ابن تيمور خان علامة الأمان، وهى عبارة عن منديل، وذلك بعد أن أخذتهم الشفقة بهم.

ومن هناك عبر تيمور خان إلى ماردين، وأخذ وخرب آمد والرها وحلب ودمشق، وحرق المسجد الأكبر لبني أمية، والمدينة المقدسة، ووصل إلى مصر وتشاجر مع صاحبها. وكانت هناك مراسلات دون فائدة بين السلطان برقوق صاحب مصر، وهذا الكافر الأعرج.

وفي سنة ١٧١٦ يونانية ظهر طاعون شنيع في بيت منعيم، وهلك فيه أرواح أطفال وشباب ورجال كثيرون.

وفي سنة ١٧١٧ يونانية حدث زلزال عنيف واهتزت الأرض، واندكت قرى كثيرة، ودفن الكثيرون في باطن الأرض.

وفي سنة ١٧١٨ يونانية جاء تشكام المملوك الشامي من مصر، وشن حربا على عثمان التركي في بلدة آمد وهزم تشكام والذين كانوا معه، وذهب إلى بلاد الشام.

وفي سنة ١٧٢٤ يونانية حل طاعون شديد على كل البلاد ومات القس عدى السرياني من بيت القدس ومعه أربعمئة رجل .

وفي سنة ١٧٢٧ يونانية حرق باب معبد دير قرتمين ، وقد نقل كل شيء كان بالمعبد ، وسرق أكراد تاشليق الملاعين جزءا من يد القديس جبرائيل اليمنى، وكذلك الملابس والصلبان والكؤوس والزجاجات .

وفي هذه السنة خرب الأكراد الملاعين كنيسة قرية كبرات وأخذوا أيقونات القديس عزائيل ، وفي هذه السنة مات القس حنا قس بيت رئيسنا الملكى.

وفي سنة ١٧٢٨ يونانية قتل الربان يعقوب العمودى على جانب بيت سبيرينا، من جنس الأتراك رب أبونا البطريرك بهنام، ومن الأكراد الملاعين من بيت جارود.

وفي سنة ١٧٢٩ يونانية توفى المفريان بهنام شبتاي العربى.

وفى سنة ١٧٣٠ يونانية قتل رئيسنا دنحا وزملاؤه ورئيسنا عيسى ابن رئيسنا الملك. وتوفى رئيسنا الملك السبيرينى، وبعض من كان معه من المعسكر من رجال سنجار.

وفى سنة ١٧٣١ يونانية حارب عثمان مع إسكندر بن قرا يوسف عند شاطئ البحر، وهزم عثمان والحسنايا الذين كانوا معه.

وفى سنة ١٧٣٢ يونانية انتشر مرض كانت أعراضه حمى خطيرة، ومات بسببه ما يقرب من مائة وسبعين نفسا فى بيت سبيرينا وسبعين رجلا من دافعى الجزية، وكذلك القس أدى قريب القس إشعيا يشوع برسوفا والقس يوحنا من بيت تافليق.

وفى هذا العام عين الربان برصوم المعدنى مفريان المشرق.

وفى سنة ١٧٣٦ يونانية توفى السلطان حسن المسمى سليمان الأيوبى ومعه وزيره، وحكم الأشرف بن سليمان.

وفى هذا العام ظهر طاعون مخيف فى كل البلاد ومات القس إشعيا ملفان سبيرينا ومعه خمسمائة شخص، وخمسة من الكهنة وأربعة وعشرون راهبا. ولقد عين أربعة قسس جدد فى يوم واحد، وفى اليوم نفسه مرضوا وماتوا.

وفى سنة ١٧٣٧ يونانية أخذ بيت سبيرينا من عسكر الصنداى ونهب وقتل رئيسنا العزيز. وهبت ريح عاصفة، وجفت عناقيد العنب بعد نضجها.

وفى هذه السنة لم يكن هناك طعام مطبوخ ولا غسل ولا عنب ولا خمر، وكانت هناك مجاعة كبيرة استمرت خمس سنوات. وارتفع ثمن كيلة القمح إلى ٣٠٥ زوزا وكيلة الذرة إلى ٣١٦ زوزا، والبقول والعدس والذرة العويجة إلى ٢٤ زوزا الكيلة.

وفى سنة ١٧٤٢ يونانية كان هناك طاعون شديد فى بيت سبيرينا وتوفى ما يقرب من خمسمائة نفس وقسان ، وهما: القس يوحنا بن نصر، والقس يشوع ابن رئيسنا يوسف، كما توفى - أيضا - يوحنا ابن رئيسنا يشوع حندوس.

وفى سنة ١٧٤٣ يونانية أخذت ماردين من أيدي التاجر أمير بيت قرا يوسف . ولقد هجم عثمان التركي وابنه حمزة وعلى بك وغزوا ماردين ، ونزل الأمير على نصر الذى كان هناك، وطارد عثمان وأمسك ابنه السلطان حمزة، ووضع الحديد حول عنقه وحبسه فى قلعة ماردين. وفى مرة أخرى جاء عثمان مع مجموعة كبيرة من الغزاة وحاصروا ماردين ، وخرج ناصر كعادته لمطاردة جماعة عثمان. ولقد رأى النساء اللاتي كن مع الناصر أن حمزة بن عثمان يظهر بهيئة جيدة وشكل جميل . وبمجرد أن ذهب ناصر ليحارب غزاة عثمان أسرع نساء ناصر وخدمه المشبعون بحب حمزة وصرخوا بصوت واحد فى قلعة ماردين: "العيش الطويل للسلطان حمزة بن عثمان". وعندما جاء ابن ناصر والذين كانوا معه، وأرادوا دخول قلعة ماردين - أغلقت النساء الأبواب فى وجهه ولم يفتحوها له. كان الأمير عثمان عند الباب الغربى فكسر الناصر وأتباعه بوابة الباب الحديد وهربوا إلى السهل، وخلع الذين كانوا معه ملابسهم ونكسوا رؤوسهم.

وفى هذا العام أخذ الأتراك ماردين التى كانت تابعة لسلطان بيت أرتق، وكانت هناك عداوة بينهم.

وفى هذا العام قتل السلطان الأشرف بن سليمان على الفرات فى خيمته وهو يصلى، وحكم بعده ابنه الملك الكامل ، واستولى أكراد بيت جارود على قلعة حيتام.

وفى سنة ١٧٤٤ يونانية غزا السلطان حمزة بن عثمان التركي أرضنا فى حيتام، وحمل معه كل أهالى بيت سبيرينا أسرى، وأسكنهم فى بلدة ماردين حتى أصبح تفكيرهم واحدا، واشتروا مواطن بيت سبيرينا بثمن

مرتفع جدا من السلطان حمزة، ثم ذهب الوزير حسن وجلبهم إلى القرية ليعملوا فلاحين.

وفي سنة ١٧٤٨ يونانية هزم حمزة بن عثمان، والحسنايا أصفهان بن قرا يوسف في سهل باعربايا.

وفي سنة ١٧٤٩ يونانية ظهر طاعون طفيف في كل بلدنا وتوفى عدد قليل من الأطفال.

وفي سنة ١٧٥٢ يونانية قتل قس الأبرشية برصوما تاشوعا منعمايا من أكراد تاشليق.

وفي سنة ١٧٥٣ يونانية جاء أصفهان وخرب بلدة نهران التي كانت تابعة لبلدة بوكتايا.

وفي سنة ١٧٥٤ يونانية توفى البطريرك شمعون بن عوبيدا المانعمى في القدس، وتوفى بطريرك آخر هو حانزم من عوردانيا في صلح.

وفي هذه السنة رسم بطريرك في صلح يدعى سبيرينا برحيال.

وفي سنة ١٧٥٦ يونانية توفى السلطان حمزة بن عثمان وأصفهان بن قرا يوسف.

وفي سنة ١٧٥٧ يونانية حوصرت بابل من شاهنشاه يوسف، ونهبت بشدة.

وفي سنة ١٧٥٩ يونانية قبض الأمير أحمد صاحب قلعة حيتام بن نبتاح على جرزان من جنايا صاحب القلعة الجديدة .

وفي سنة ١٧٦٠ يونانية انتشر وباء الطاعون بدرجة كبيرة ومخيفة في كل البلاد، وانتفخت أجساد الناس وتورمت، ومات حوالي خمسمائة وستين شخصا في بيت سبيرينا، وكذلك توفى توما القس بن يعقوب ومعه عشرون مساعدا.

وفى سنة ١٧٦١ يونانية حوصرت ماردين من الأتراك والمغول من بيت شاهنشاه ، وجاء الأمير ابن ترکان رستم بك وعسكر عند ماردين ليأخذها. كان هناك ثأر قديم بينهم، فأرسل ضده حسن بك بن عثمان وأخاه جهنكير، وهزموه وقتل ابن ترکان، وأخذت كل ثروته والأسلاب التي معه.

وفى سنة ١٧٦٢ * يونانية قتل السلطان الملك الكامل صاحب القلعة ابنه الملك الناصر الذى حكم بعده لمدة سنة واحدة، ولكن الملك لم يستقر له. وحوصر بيت منعيم من الحسنيا ، وكانت هناك ثورة وانشقاق فى مملكة الحسنيا، وواجه كل منهما الآخر. وخرج الملك خلف من مدينة قلعة كيفا وأخذ سعدر من الأمير عبد الله الكوكتانى، وقتل ابنه نصر الدين وأخذها. وجاء الملك الحسن وحارب ضد قلعة بيت سبيرينا، والملك مكارم، والملك سليم بن الملك الكامل السلطان الذى قتله ابنه الملك الناصر. نزل هؤلاء إلى قلعة حيتام، واستقبلهم الأمير الذى كان بها الحاج عون. ومن هناك بدأ كل المنفيين فى التخطيط سرا. وفى الليل حاصروا قلعة الحصن ولم يقاومهم أحد وقتلوا أخاهم الملك الناصر والذين معه، وحكم الملك أحمد شقيق الملك الناصر.

وفى سنة ١٧٦٤ يونانية حوصرت عويردا من أترك بيت عثمان من ماردين وحوصرت بلدة سبيرينا من الكوكتايا فى ليلة الثانى من شهر أيلول () وقتلوا هناك أربعة عشر شخصا وسيدتين، وخربوا ميدو وبيت إسحاق وعربان، ورجعت عصابات كوكتاي إلى بلادهم.

وفى العام نفسه ذهب الحسنيا إلى الجزيرة فى قاردو، وحاصروا البلدة وقتلوا كثيرا من الكوكتاي.

وفى سنة ١٧٦٥ يونانية جاء الملك خلف من سعدر ودخل قلعة "كا"، وجلس فى البرج الموجود فوق كنيسة مار زكا اليعقوبية. ذهب السلطان

* سنة ١٧٦٢: هذا التاريخ مكتوب فى الترجمة الإنجليزية سنة ١٧٧٢ وهو غير صحيح.

ابن أخت الملك أحمد ورشا الأتراك فى بيت حسن بك، وحاصره الأتراك من خارج سور المدينة وكان سيد القلعة بداخلها ، وبقي الملك خلف وسط المدينة، وكان يصل إليه القمح والشعير والحلويات والعنب من كل مكان فى القلعة ، وكان معه ثلاثمائة محارب من الرجال الأقوياء. وفى أحد الأيام هاجم السلطان الملك أحمد الأتراك المحيطين بالمدينة ، وعرض عليهم العمل معا قائلا: " تعالوا وادخلوا القلعة من الجانب الآخر وسننزل ونطاردهم عنا الملك خلف من المدينة، وسأعطيكم المدينة لأنه لم يبق لى قوة كافية لأخذها بسبب الجنود. ارجعوا خلفى، وإذا طردتم هذا الرجل ستصنعون فى ثوابا، وسيصبح المكان لكم". وعندما نزل بعض الأتراك وبعض الحسنايا - حوالى ألف رجل - ليقبضوا على الملك خلف أغلق مواطنو المدينة المدخل الموجود تحت كنيسة مار زكا ، فنادى على خدمه وعلى الرجال الموجودين فى السوق من أبناء المدينة لأنهم كانوا يحبونه جدا، فقبضوا على جميع الأتراك والحسنايا الذين جاءوا لمهاجمته وقيدهم وهم عرايا، وأخذوا منهم أسلحتهم الحربية، وأطلق سراحهم وطردهم خارج باب المدينة "باب الصور" وقال لهم: " اذهبوا وأخبروا سيدكم حسن بك". ولم يقتل أحدا منهم ، فسحب قواته التركية من هناك ورجع إلى بلده لأنه كان قد هزم من الملك خلف. ورجع الأتراك إلى بلدة القلعة وأسروا ونهبوا وعذبوا الكثيرين بالدخان، وأخذوا أبناء أشتراكا وزاز وعين وحاج^(٣٥٢) وصلح ومنازل دكفور وكفرشاما وكل منطقة القلعة.

وفى سنة ١٧٦٦ يونانية أخذ الملك خلف قلعة كيفا وحكمها وقتل الملك أحمد ابن أخته وكل الذين كانوا معه. وحدثت كوارث وحروب وحوادث مخيفة، وحل الطاعون وظهرت مجاعة، ونقص فى كل أنواع الطعام وكل ما كان ينفع غذاء كان يباع بسعر مرتفع.

وفى سنة ١٧٦٧ يونانية توفى البطريرك قوما^(٣٥٣) من صلح من جنس سبيرينا، وكذلك توفى البطريرك بهنام الجدلى على عرش مآردين، وكذلك

توفي المفريان برصوما المعدنون وكان أيضا في دير الجب^(٣٥٤) بطريركان وكذلك ربان خلف ابن أخت المفريان برصوما في ماردين . وفي صلح رسم ربان يشوع العورديني بن جالو وابن أخت خلف - وهو العزيز - وقد رسم قسا لجزيرة قاردو.

وفي سنة ١٧٦٨ يونانية جاء الأمير ابن ترکان من بيت قرا يوسف للمرة الثانية وحاصر ماردين وأيضاً بلدة آمد، وقطع الطرق زلزال عنيف في البلاد المحيطة بها. وخرج إليها حسن بك من جبل ليسون كالأسد وهزمه وقتله عند مدخل مدينة آمد، وقتل عددا كبيرا من الذين كانوا معه ، وجمع أسلابهم وما معهم من كنوز، ورجعوا إلى بلادهم منهكين من شدة الجوع وخافضى الرءوس مجردين من أسلحتهم.

وفي هذه السنة حارب الحسنايا الكوكتايا وهزم الحسنايا وقتل منهم حوالي خمسين، منهم: الحاج عون، والأمير عثمان، والبارودي. وجاء أيضا البوكتايا وقتلوا عشرة من أكراد بيت جارود في بيت أزجا. وجاء البوكتايا مرة أخرى، وهدموا ميدو وبيت إسحاق وعربان، وقتلوا في ميدو راهبين ، الراهب بهنام والراهب ملكوس ، وكثيرين غيرهم. ومن عربان قتلوا قسّين، القس بهنام والقس أدى، ومساعد أبو ناصر، أربعين رجلا، وأسروا النساء والاطفال.

وفي سنة ١٧٦٩ يونانية كان هناك طاعون عنيف في جزيرة قاردو ومات بسببه الكثير من المسيحيين والعرب، ومات الأمير عبد الله صاحبها، وهو الذي جلب هذا الشر على الحسنايا، وأشعل العداوة القديمة التي كانت بينهم حتى مات.

وفي هذه السنة نزل السلطان الملك خلف صاحب قلعة كيفا إلى جزيرة قاردو، وأحرق كل بلادها وخرّب ونهب وأسر ، وحمل ثمان من الحجارة السود من باب بلدة الجزيرة التي تسمى: عشيمتا، ووضعها تحت عرشه في قصر قلعة كيفا.

وفى سنة ١٧٧٠ يونانية شن أحمد بختاي حربا على جزيرة قاردو، وأخذ من الأمير إبراهيم ابن الأمير عبد الله من بوكتانا وطرده منها، وهرب الأمير إبراهيم من قلعة فنيخ حيث كان أبوه يحتضر. وكان الأمير أحمد بختاي فى كاتى وإخوانه كانوا يعيشون فى القلاع التى كانت على جبال قاردو. وعندما توفى الأمير عبد الله أخذ الجزيرة من أبنائه وعقد صلحا كبيرا بينه وبين الملك خلف صاحب قلعة المدينة لفترة خمس سنوات.

وفى سنة ١٧٧١ يونانية انتقلت القلعة الجديدة من المحملايا إلى أتراك بيت حسن بك ، ومات البطريرك يشوع من بلدة عيوردا ورسم مانه فى صلح البطريرك عزيز بن سبط من بسيليا، ورسم مبارك أسقف حاج، والأسقف عزيز ابن أخت البطريرك خلف إلى الجزيرة فى قاردو، والأسقف إسكندر إلى خرتبرت، وأيضا عبد المسيح إلى ميافرقاط.

وفى سنة ١٧٧٢ يونانية نزل الحسنيا إلى باب جزيرة قاردو ، وخرج المواطنون وشنوا حربا على الحسنيا ، وهزموهم وقتل منهم أكثر من مائة رجل.

وفى هذه السنة طرد الأمير إبراهيم ابن الأمير عبد الله من قلعة فنيخ بواسطة الأمير أحمد بختاي ، وأخذ القلعة وقبض على الأمير إبراهيم وأبنائه وأحرقهم فى النار.

وفى هذه السنة أخذ الملك خلف مدينة سعرد من الكوكتانا، وكانوا قد تشاجروا على المنصب لمدة عشرين سنة، وحارب الواحد الآخر وقُتل الكثيرون منهم.

وفى سنة ١٧٧٣ يونانية قتل سلطان القلعة الملك خلف وأبناؤه الملك موسى، والملك هارون، ومن أبناء عمه الملك أيوب، والملك زين العابدين أخوه، ولم تخضع له المملكة.

وفى هذه السنة جاء حسن بك التركى، وحاصر قلعة المدينة من بداية شهر تشرين الثانى (نوفمبر) حتى بداية حزيران (يونيو) وعسكر الأتراك عند كل القلاع وأخذوا القلعة من الحسنايا، ونصب حسن بك ابنه السلطان خليل ملكا. وقتل حسن بك - أيضا - الملك أيوب صاحب قلعة كيفا وأخاه الملك زين العابدين وكل أمراء الحسنايا، وطرد باقى الرجال من قلعة كيفا وأرسلهم إلى آمد باذراء وأخذ محصول المدينة.

وفى هذه السنة انتقلت قلعة حيتام إلى الأمير التركى عبد المحسن بك، الذى كان أعور بعين واحدة ويدعى: كرخليل، فأخذها من الأمير أحمد بن نبطاه الذى كان ضريرا، وأحضر إليه أكراد تاشليق الملاعين والجوردايا والمحملايا وأمرهم أن يأخذوا الأسرى وينهبوا ويحاربوا ويقتلوا هذا الأمير الضرير الموجود فى القلعة. وجاء هذا الضرير خليل بك الذى كان يجلس فى مدينة سروان وفى كل يوم كان يأتى فى الصباح الباكر، ويشن حربا على صاحب قلعة حيتام يخطف، ويقتل أكرادا من عبيد القلعة الضرير. وكان أسياد القلعة يخرجون ويسرقون المسيحيين الذين كانوا بمدينته ويقتلونهم.

وأرسل أمير القلعة عصابة إلى قرية بيت سبيرينا فى اليوم الثانى من منتصف الصوم، وقتلوا هناك ثلاثة رجال وأسروا وقيدوا الكثيرين، وحملوهم إلى القلعة وباعوا كل واحد منهم بمبلغ كبير. وكان فى القلعة حشد من النساء الصغار. وبسبب خوفهم من الحرب والسرقات والحوادث المخيفة نزلوا واختبأوا فى القلعة. وعندما أخذت قلعة كيفا من الحسنايا حكم الأتراك كل البلاد والصاحب اللعين الذى كان فى قلعة حيتام كان ضريرا وثائرا، فقرب إليه الأكراد وعلمهم السبى والقتل وإهلاك أبناء المدينة دون رحمة. وكل من نزل إلى القلعة من النساء والأطفال والشباب والإماء بسبب خوفهم من الأتراك، وانقض عليهم صاحب حيتام لأن سلطان القلعة قد قتل. وثار صاحب حيتام ضد الحسنايا والأتراك، وصادر كل ما وصل إلى القلعة من: قمح وشعير وعسل وعنب مجفف وفاكهة وحبوب وبقول، ولم يعط شيئا إطلاقا لأصحابه، وذهب بعيدا لأنه كان يبيع النساء والأطفال الصغار

والشباب بأثمان مرتفعة جدا ، وبعد ذلك جعل الأتراك يقسمون أنهم لن يؤذوه وأعطاهم قلعة حيتام، وجعل بلدنا تتحمل اضطرابات عديدة . أدعو الله ألا يغفر له.

وفي هذه السنة كانت هناك حرائق وزلازل فى ثلاث فترات ربما لكثرة ذنوبهم، وفى العديد من الأماكن سقط الكثير من الأسوار والمباني والمنازل وكثير من الواجهات.

وفى سنة ١٧٧٤ يونانية وصلت من الشرق جحافل من الجراد ثم طارت حتى وصلت إلى مصر والتهمت المحصول والكروم والفواكه والأشجار حتى الأعشاب، ولم تترك شيئا أخضر على وجه الأرض، وذبيل الكروم وأشجار الفواكه وتعرت باقى الأشجار وأكلها الجراد.

وفى سنة ١٧٧٥ يونانية أصدر حسن بك التركى أمرا إلى خليل بك الذى كان يعيش فى تلك البلدة، وألقى بالسيف على الأكراد الذين كانوا من أهل تاشليق، فقتلهم وقضى عليهم دون أن يحتفظ بأحد منهم.

وفى هذه السنة رسم القس أدي السبيرينى وزملاؤه.

وفى سنة ١٧٨١ يونانية جاء أتراك بيت حسن بك إلى جزيرة قاردو ليأخذوا المدينة وضواحيها من أيدي البوكتانا، وثار الأكراد ضد الأتراك وانسحبوا بعد أن هزموا وولوا الأدبار إلى ماردين.

وفى سنة ١٧٨٢ يونانية عسكرت قوة كبيرة من الأتراك وأمراء عظام عند جزيرة قاردو ونصبوا خيامهم فى مواجهتها، وخرج كل البوكتانا لصاحب الجزيرة، أى الأكراد، هاجموا الأتراك بقوة كبيرة ، وحمدا للرب الذى لا يغفل عبده المسيحيين. والآن فإن المسيحيين الذين حكمهم الأكراد كانوا فى اضطراب عظيم منذ ذلك الوقت ،ألقي الرب شعب بوكتانا فى أيدي الاتراك ، فضربوهم ضربا عنيفا وحاربوهم وطردوهم من أمير إلى أمير. فقتلوهم جميعا، ولكن هرب منهم القليل وما يقرب من ألف وخمسمائة رجل

قتل، أما الباقون فقد هربوا، وألقوا بأنفسهم فى البحر وغرقوا فى الماء ، وغزا الأتراك مدينة الجزيرة ولم يقاومهم أحد.

وفى سنة ١٧٨٣ يونانية كانت هناك حرب شعواء ومعارك كثيرة بين حسن بك تركى وشمير من مدينة البيرة التى على شاطئ نهر الفرات . قال البعض: إنه قد قتل من الفريقين أكثر من مائة ألف محارب، ولم يدخل حسن بك البيرة، ورجع هو وقواته منهزمين.

وفى سنة ١٧٨٥ يونانية خربت الكنيسة الكبيرة لقرية بيت سبيرينا وتهدمت كلها. وفى هذه السنة قام كل مواطنى القرية وأرسلوا اثنين من القساوسة إلى ماردين لإعادة تخطيط بناء الكنيسة، وهما: القس أدى والقس يوسف ، ووصلا إلى البطريك خلف وطلبا منه اثنين من المهندسين ، فأرسل معهما ابن أخته المفريان باسيلوس والعزير. ولقد أظهر مواطنو القرية مهارة كبيرة وعناية فائقة، هم وأبنائهم ونسائهم ، وجاء بطريك طور عبيد العزيز بن سبطا ومعه جميع أساقفة البلدة. وارتفعت المبانى يوما بعد يوم. وعندما بدأوا فى إقامة المبنى فى منتصف شهر نيسان (إبريل) وانتهوا منه ووضعوا السقف فى اليوم الثانى والعشرين من شهر حزيران (يونيو) - كان هناك على ما يبدو بعض السهو فى التنفيذ بين المهندسين، وأهالى البلدة بخصوص الهيكل الخشبى الموجود تحت السقف ؛ وذلك لأنهم عندما انتهوا من تركيبه انكسر ، وسقط السقف، وقتل خمسون رجلا وراهبا وكاهنا. وكان سبب هذا أنهم لم يحملوا السقف على إطار ولم يضعوا تحته أعمدة لتحمل النقل، فانزلق من موضعه وسقط. وفى يوم السبت وجدنا أن حائط بيت الهيكل بقرب المذبح قد انفتح وظهرت أجزاء من أجساد القديسين ومن السور. كان القس دادا مستلقيا فى صندوق أبيض كبير من الحجر الأبيض الرخامى، وكانت جمجمته بدون غطاء، وكان المكتوب عليه: " هذا تابوت وجثة القديس دادا". وكان هناك أيضا تابوت آخر حجرى صغير مكتوب عليه: "هذا تابوت القديس أسيا". وكان يوجد به بعض أجزاء من

جسمه. وكان هناك - أيضا - تابوت آخر من الحجر الأسود وبه بعض أجزاء من الجسم، وكان المكتوب عليه: " هذا تابوت القديس أجو". وبعد الحزن الذى شمل أهل القرية بسبب مقتل هؤلاء الرجال بسقوط الكنيسة فإن اكتشاف هذه الآثار كان عزاء كبير ؛ لأننا لم نكن نعلم أنه لدينا أى من هذه المخلفات ، لأننا لم نكن نعلم قصة القديس دادا وكنا نظن أنه أحد تلاميذ القديس أوجين. أخيرا وبعد أن سألنا هنا وهناك، علمنا فى النهاية عن طريق أحد الرهبان النساطرة أنه كان له دير^(٣٥٥) فى بلدة تبريز ، وأن قصته معروفة هناك. وعندما سمع هذا أحد رباننا ، ويدعى ربان جبرائيل من جنس سباسيان ، تملكه الحماس وقام وذهب إلى سيدوس^(٣٥٦) وهى قرية للنسطوريين فى مدينة تبريز إلى دير القديس داد، وادعى أنه راهب للكنيسة فى مدينة نصيبين ، وكرموه ، وفى خلال أسبوع كتب وأرسل لنا تاريخ القديس مار دادا . حينئذ سأل الشماس: أهنالك شئ يقرؤه؟ وأعطاه كتابا كبيرا للقصص كان به الكثير عن القديس دادا، فأخذه وأحضره إلينا ، فوجدناه حديثا جميلا وأكثره كان مذهلا. وكان يشوع الكاهن والراهب ابن القس إشعيا يجمع من التاريخ والقوانين دعوات الاستغفار والقراءات والأحاديث والصلوات؛ لكننا لم نكن نعرف ما هى طريقة حياته. وبعد ذلك أعدنا بناء سور المذبح فى الهيكل ووضعنا المخلفات الأثرية فى السور الذى وجدت به ، ووضعنا جمجمة القديس دادا فى الصندوق الفضى الذى كان به ، وتابوت القديس أجو وبعض الأحجار فى السور ، فأخفيناها فى الجانب الآخر العلوى فى مواجهة السور. وقام أبناء المدينة وأتموا ووسعوا المذبح والهيكل، وزودوه بكل ما هو ضرورى ، وأقاموا فى المذبح قوسا خشبيا، أى قدس الأقداس، وشكل بأيدي الكاهن أدي النجار بن إشعيا، وكان هذا القوس جميلا بقدر الإمكان.

وفى سنة ١٧٨٨ يونانية توفى البطريرك عزيز بن سبطا وبعد خلاف عينوا صاحبين لم يكونا متعلمين، وكانا متخاصمين فلم يتفق الواحد مع الآخر. وعينوا البطريرك "شبا" وهو رجل عربى كبير ومسئول قد ضعفت

قوته، والآخر البطريرك يوحنا العورديني الذي كان قس جرجر، وأعطوا مبلغا كبيرا للحكام. ومكث أحدهما في صلح والآخر في مدياد، وكان هناك حزن عميق لمسيحيي بلدنا الذين كانوا في طور عبيدين، من هؤلاء الحكام الذين قاموا ليرعوهم وكانوا حجر عثرة في حظيرة الرب.

وفي هذا العام مات حسن بك التركي ابن عثمان وحكم بعده ابن يعقوب بك، وفي أثناء حكمه ساد السلام بين المسيحيين. ومات القس ملكوس السبيريني ابن أخت الربان يشوع القس ابن القس إشعيا من سلالة بيت عجشام.

وفي سنة ١٧٨٩ يونانية ثار ملوك جورجيا الواحد على الآخر، وجاء قرقور بك إلى حسن بك ابن عثمان، ووعده أن يسلم له البلاد التي كانت قد خصصت له، فأخذ قوة من الأتراك، وعبر إلى بلاد جورجيا وهدم الأديرة والكنائس وخرّبوا ونهبوا الأواني المقدسة والصلبان والقنينات والكئوس، وقتلوا الكهنة والرهبان وكثيرا من القسس والخدم، وأسروا وسبوا الرجال والنساء والشباب والأطفال دون حصر. وقد باعوا بعضهم إلى المسيحيين، وبعضهم - وهم قلة - اعتنقوا الإسلام واتخذوهم عبيدا لهم. ومنذ ذلك الوقت ازدادت الذنوب التي ارتكبتها حسن بك، ولقد أصيب بمرض خطير ومات. وحكم بعده ابنه يعقوب بك وقتل أخاه السلطان خليل في أثناء حكمه، ودان له الحكم المطلق.

وفي سنة ١٧٩٠ يونانية جاء الشوام وجنود مصر في قوة لا يمكن حصرها، وعسكروا حول الرها في بيت عثمان، وحل فزع كبير وخوف على بلدة: يعقوب بك، والرها، وأمد، وماردين، وبدليس، وقلعة كيفاء، والموصل، وجزيرة قاردو. وعسكر الشوام حول الرها وضغطوا على الأتراك لأنه كان هناك عداة قديم بينهما، فذهب حسن بك والد يعقوب بك وعسكر في مدينة الشام في البيرة على جانب الفرات، وغزاها لمدة سنة وحفر تحت السور ممرا للدخول إليها، ولكنه لم يتمكن من إضعاف قوتها

فقدفها بالركام، وجعلها تقاسى الأمرين. وبعد ذلك رجع، ولكنه لم يتمكن من التغلب على قوتها لأنه كان قد فقد رجالا كثيرين فى محاولته . ولكن الرب لم يسلم المدينة إلى يديه؛ ولهذا عاد الشوام بعد سنوات لينتقموا للبيرة ، جاءوا وعسكروا فى الرها التى بجوار الفرات وقريبة من مدينتهم البيرة ، وجاءوا وثار أمامهم كثير من الأتراك الذين كان يزيد عددهم على ستين ألفا من المحاربين والجنود المدربين على الحرب، مثل: سليمان بك، وبياندور بك، و خليل بك، وكرماس بك، وزهرة بك، وخالد بك، ونور على بك. ووقف الأتراك والشوام الواحد فى مواجهة الآخر لمدة أربعة أشهر أو أكثر. كان الشوام غير مؤثرين لأنهم كانوا من عامة الناس كما كانوا منهكين من شدة الجوع، أما رجال بيت يعقوب فكان يعوقهم وجودهم فى وسط المكان ، وبعد ذلك وفقا لرغبة الرب هاجم الواحد الآخر فى اليوم الأول من شهر كانون الأول (ديسمبر)، وثار الأتراك وهجموا على الشوام كالأسود على قطيع الغنم، ولكن هرب الشوام، وأخلوا المكان بهروبهم. وقتل رئيسهم باش ومعه ألف رجل مجهزين بالذهب والفضة والحديد . وأخذوا منهم جيادهم ومعداتهم وآلات الحرب التى لم يكن لها عدد، وأسروا منهم أكثر من ألف شخص. وحمد الله الذى أعطى الأتراك هذا النصر العظيم. وظل الشوام يحاربون مع أترك بيت عثمان ولكنهم رجعوا إلى رومانيا بيت السلطان محمد بن عثمان الذى كان يقيم فى بلاد نوكا الداخلية. وطالب السلطان محمد الروم أن ينزل القدس، ويهدم القبة الكبيرة التى كان قد بناها الملوك المسيحيين للقسطنطينية.

ولقد طلب ملك الروم من سلطان مصر قائلا: " ساعدنى لكى أهدم قبر المسيح والقبة الكبيرة للمسيحيين فى القدس". ولم يساعده وقال له: " كيف تستطيع هدم بيت صلاة المسيحيين الذى يأتى منه مال كثير؟". فقال المصرى: "لن أساعدك". وتحارب المصريون والرومان وجها لوجه وحطم بعضهما البعض. فى المرة الأولى هزم الرومان، وقتل حوالى سبعين ألفا، وفى المرة الثانية ثلاثين ألفا، وجاء الفرنجة من ناحية الشمال والمصريون من جهة الجنوب، وسنة تلو السنة حطموا الروم. وفى المرة الثالثة قتل

الفرنجة ثمانين ألفا من الروم ، وأخذوا من الروم مدنا كثيرة. ولم يقل عددهم لأنهم كانوا كالرمال، والمصريون حطموا الأرض. وما زالت العداوة بينهما "حتى يومنا هذا. أما المصريون فقد غزوا الروم حتى لا يجعلوا يدهم تمتد إلى العمود والقبة التي فوق قبر المسيح.

وفي سنة ١٧٩٦ يونانية تسلم سليمان بك ابن بيجان وزير السلطان يعقوب أمرا من السلطان يعقوب بك ابن حسن بك. وذهب إلى جبال قاردو المنيعة وإلى بلدة عمادية ليأخذها من الأكراد الملاحين؛ لأنهم ثاروا ضد السلطان يعقوب ، فحشد سليمان بك قوة كبيرة وجنودا لا عدد لهم لأنه كان أمير عمادية ، كان الأمير الذي يدعى حسن سيف الدين قد احتل كل المدن وملاها بجنود أقوياء لا حصر لهم. لم يشن عليهم حربا بالطريقة المعتادة ولكنه كان يناوشهم قليلا ، وظل هكذا لمدة عامين يغزو ويدور حول بلاد الأكراد. من البداية استولى على قلعة عقرا وأجلس فيها "بير محمد" صاحب قلعة بينخ رئيس بشنوايا ، ولم يؤذ الزراع في هذه البلاد، وترك كل واحد متفرغا لعمله. وبعد ذلك أخذ قلعة شوش ، وعندما رأى حكام القلاع والحصون التي كانت في جبال عمادية أنه قد سيطر عليهم وأن قواته كانت كثيرة جدا نزلوا من قلاعهم، وسلموا أنفسهم إلى سليمان بك، ومن هناك جاء ونصب خيمته في عمادية المدينة المحصنة للأمير سيف الدين الواقعة في جبال وعرة وهاجمها لمدة سنة أو أكثر. ولم يتمكن من أخذها ، وشن عليها هجمات قاسية ، قذفها كثيرا بالمنجنيق ، والذين كانوا في الأعلى ألقوا بحجارة ضخمة، وقتلوا كثيرا من أهاليها.

وفي سنة ١٧٩٨ يونانية انسحب منها وكان ضعيفا أمام قواتها ، فجاء وعبر هو وقواته سهل باعربايا ، ولم يؤذ أحدا، ولم يتعرض للمحصول ولا للكروم ، ووصل إلى نصيبين وماردين في سلام. وصدر أمر صارم بخصوص البلاد أن لا تؤذى محاصيلها بواسطة قواته. وكانت هناك عداوة بينه وبين جولى بك الأمير الذى عاش في السهل قبل الأكراد والأتراك الذين

كانوا يرعون أغنامهم هناك. وكان خاضعا للسلطان يعقوب وتابعا له، فثار ضد السلطان ولفترة سنتين لم يذهب لتحيته. ولهذا السبب كان سليمان بك غاضبا وانحاز ضده. واستمر الواحد ضد الآخر لمدة شهرين أو ثلاثة، وحارب بعضهما البعض فى مياه دجلة وهزم سليمان بك جولى بك وقتله.

وفى سنة ١٧٩٩ يونانية مات السلطان يعقوب بك وحكم بعده بسنقور بك فانحط جانب مملكة المغول، وثار صوفى خليل ضد أميرزاه على ابن السلطان خليل وخنقه. وغضب أبناء حسن بك، وكذلك جميع الملوك: مسيح بك، ويوسف بك، ومقصود بك، وبودج بك، وقليج بك . وبلغ عدد الملوك عشرين ملكا، فقصدوا صوفى خليل وهزموا وقتلوا كل الملوك ، ودخل الانقسام فى مملكة المغول. وعندما رأى سليمان بك أن مملكة المغول قد محيت وبقي القليل من أعضاء المملكة بعد قتل جولى بك ذهب إلى صوفى خليل وهزمه وقتل أبناءه الذين كانوا ثمانية وعشرين، وأخذ السلطان بسنقور بعد أن سقط من فوق جواده، وأجلسه على جواد آخر وأحضره إلى مخيمه واستقبله بحفاوة. وأخذ رستم بك ابن مقصود بك ابن حسن بك، ولكنه لم يقض عليه بل حبسه فى قلعة النجاة.

وفى سنة ١٨٠٠ يونانية بقيت مملكة بيت حسن فى حالة خراب ، كان صاحبها هو السلطان بسنقور، ووزيرها سليمان بك.

وفى سنة ١٨٠١ يونانية ذهب القس جرجس من دير القديس جبرائيل وتلميذه الربان إسطفان إلى المدينة المقدسة، واشترى القس جرجس المنزل الذى كانت فوقه الكنيسة السريانية لوالدة الرب بمبلغ مائتى دينار ذهبى من العرب ، وأعطاه لكنيسة والدة الرب لخدمة هؤلاء الذين يحضرون للزيارة وللتعبد حتى يتباركوا بقبر المسيح.

وفى سنة ١٨٠٣ يونانية ذهب القس عدى السبيرينى إلى المدينة المقدسة وابنه القس قوما والراهب الربان شابو من صلح، وجبرائيل القس والقس روبيل السبيرينى، ومعه رجال كثيرون من بيت سبيرينة مع الخوافة

حسن المارديني الأمير الذي كان رسول السلطان ، فقد كان يرسله سليمان بك إلى مصر و معه كثير من الهدايا العظيمة، ورسائل سلام، وكان معه ابنه محمد وحشد كبير من التجار؛ لأنه كانت هناك عداوة طويلة المدى بين المصريين و سلطان المغول في بيت حسن بك، منذ اليوم الذي جاء الشوام إلى الرها. و قتل المغول بيت حسن بك رئيسهم الذي يدعى باش، وعندما حكم السلطان بسنقور أرسل الخواجة حسن رسولا إلى مصر و معه قوة عظيمة ، وفرح به سلطان مصر و استقبل الرسول وكرمه و أعطاه سبعمائة دينار ذهبي، و أعطى لكل عبيده هدايا قيمة من القماش المنسوج و المطرز بخيوط من الذهب. و أظهر الخواجة حسن الرسول تكريما عظيما للقس عدي ورفاقه الذين جاءوا معه إلى المدينة المقدسة، ولم يعطوا شيئا لأحد في الطريق و لاحتى دريكونا واحدة. و لقد تمتعوا بحرية كبيرة و سعادة بسبب الخواجة حسن و عبيده حتى وصلوا إلى مدينة الرملة. و من هناك وجدنا أمير أورشليم الذي كان ذاهبا إلى المدينة المقدسة ، و لقد تقاهم الرسول معنا و قال: "سأسلمكم إلى هذا الرجل و سأعطيه أمرا بخصوصكم". و أحضر إلينا حلتين فاخرتين و قدمناهما إلى صاحب أورشليم و دخلنا معه. و كان ينتظرنا في الطريق مختلف الأعداء و لكنهم لم يتمكنوا من إيذائنا. و عندما رجع الرسول من مصر قال لنا: "ألن تأتوا معي؟ نحن ذاهبون إلى بلادنا". و رجع في منتصف شهر كانون الثاني (يناير) ولكنه لم يكن ميعاد رجوعنا. و عندما استقبلنا الضوء المقدس و بركات من القبر المقدس و الأماكن المقدسة رجعنا من المدينة المقدسة.

و لقد توفي بعض رفاق القس عدي في دمشق، مثل: الربان شابو الراهب من مواطني صلح، و جبرائيل القس السبيري. و قد قام القس عدي و القس قوما ابنه و القس صليبا و تلميذه روبين بدفنهما، و عندما جئنا من بحر قبرص ذهب بعضنا إلى دمشق، و ذهب آخرون إلى طرابلس و منها إلى حماة، و بمجرد دخولنا حماة مرض الربان يشوع الراهب السبيري ابن القس موسى و مات، و تكفل من ذكرناهم بتكفينه و دفنه. و سقط القس قوما مريضا

بمرض خطير فى دمشق، ولكن الرب تبارك وشفاه، وظل أبونا لمدة أربعين يوماً فى حماة يترقب عودتنا إليه . منذ ذلك الوقت ذهب القس عدى بنفسه إلى دمشق بعد مشقة عظيمة ، وجاءوا إلى حماة، وعرقل سفرهم حتى بعد عيد الخماسين فى دمشق، أن كل مدن الشام ومصر وبلاد الروم وقعت فى قبضة الطاعون، وأيضاً قطعت الطرق على الأهالى ، أما بعض رفاقهم فقد وصلوا بسعادة إلى منازلهم فى خلال شهر ولم يهاجمهم المرض . ومن حماة وصلوا إلى حلب وقطعت الطرق على التجار، وعلى الذاهبين والآتين من شدة المرض الذى ساد كل بلاد الشام. حينئذ حل الانقسام فى مملكة المغول . لم يسترح الحجاج لأنهم لم يجدوا رفيقاً مستعداً لهم ولم يهتموا بقولنا ألا يأتوا إلى الرها، فذهبوا مع جماعة التجار العرب الذين ثاروا على جرجر الواقعة بين الجبال المنيعة على جانب الفرات، وبعد ثمانية أيام دخلوا جرجر، فقبض عليهم صاحبها، وعاملهم بقسوة وحبسهم فى قلعة لمدة ثمانية أيام حتى احتفال القديس توما، فأخذ منهم الأحزمة والصلبان وممتلكات أخرى. وبعد ذلك طردهم فعبروا الفرات، فقام القس بهنام من جرجر بأعمال طيبة كثيرة معهم، فليباركه الرب. كان تلميذ البطريرك يوحنا من جرجر فليباركه الرب. ولقد جاءوا من هناك إلى قلعة حصرام فقبض عليهم صاحب القلعة وحبسهم ونهب كل ما بقى لديهم وجعلهم يتحملون كل مشقة وألم ممكن، ولولا مساعدة الرب لكانوا فى عداد الأموات. ومن هناك وصلوا إلى بلدة شرموج حيث استراحوا قليلاً ، ووصلوا إلى آمد فوجدوا كل الأبواب مغلقة. ولقد هرب نور على بك وسلب كل ما أمكن من حسن بك دون رحمة، وعسكر عند قلعة كيفا فجمع جنوداً لاحصر لهم وقبض على سليمان بك وزير السلطان بسنقور وقتله، وقطعه إرباً وكذلك خدمه وقواده بالمئات؛ وذلك لأن سليمان بك كان قد هرب من بلدة تبريز، وجاء واحتتمى فى قلعة كيفا، فسلمه صاحب القلعة إلى نور على فقتله، ولقد أقام الأمير وملك بيت حسن بك وأحضر رستم بك ابن مقصود بك ابن حسن بك من سجنه، ونصبوه سلطان ملكهم.

وفى سنة ١٨٠٤ يونانية كان هذا الشتاء رائعا وأحبه كل الملوك، وكان نور على بك ابن عمه الذى ثار ضده، وقتل سليمان بك وأحضره من قلعة كيفا ابنه "مرزا على" وأحرقه، وأخذ مدن ماردين، وقلعة كيفا، وأمد، وخربها هى وضواحيها. جاء من نصيبين وعسكر عند صلح، وخرب ديرمار يعقوب فى صلح، ونهب المخطوطات، والتوابيت، والأثاث، والكئوس، والقنينات، وعصى القيادة ... وأشياء أخرى.

وهرب الرهبان وكذلك البطريرك مسعود وبقيت الأبرشية خرابا بدون سكان، ونهب كل شئ حتى القلاع، ولكن حى حيتام حفظ من الرب. وخربت كل الأديرة من الأكراد الملاحين، والتاشليق والمحملايا، والجارودنايا من الشراكسة. وقد انتاب المسيحيين نوع من الاضطراب والفرع ، وبعد ذلك أرسل السلطان رستم بك خلفه رسلا مرتين أو ثلاثا، ولم يحضر لتحيته. ومن طريقهم داخل قلعة ماردين مع كثير من الأسرى هناك أرسل قوة كبيرة. وجاء خمسة أمراء من عبيده لقتله ، فهرب منهم وذهب واحتمى فى قلعة شمشكزان، وأرسل رسولا راغبا فى السلام وطالباه به. وحكم قاسم بك عم السلطان الذى جلب الجنود من ماردين وقلعة كيفا، وشق أبناء الثوار طريقهم داخل قلعة ماردين مع كثير من الأسرى.

الهوامش

١ بكتمر : هو الأمير بكتمر بن عبد الله مملوك شاه أرمن بن سكرمان صاحب خلاط . كانت وفاته عام ٥٨٩ هجرية، وهي السنة التي توفي فيها السلطان صلاح الدين . قال ابن الوردي وصاحب عقد الجمان في حادث عام ٥٨٩ هجرية ما ملخصه: " في جمادى الأولى قتل سيف الدين بكتمر، وكان له خشداش اسمه بدر الدين آقسنقر هزار دينارى وهو الذى جهز على بكتمر فى قتله طمعا فى الملك، ثم اعتقل ابنه (محمد بن بكتمر) واستمر فى مملكة خلاط إلى أن توفي عام ٥٩٤ هجرية. وقال فى حوادث عام ٥٩٤ هجرية: " توفي بدر هزار دينارى، فاستولى على خلاط بعده خشداشه قتلغ أرمنى ثم قتل بعد سبعة أيام وأحضر محمد بن بكتمر من معتقله واستمر على ملك خلاط إلى عام ٦٠٠١ أو ٦٠٠٢ أو ٦٠٠٣ أو ٦٠٠٤ (على اختلاف كذا تاريخ) . ثم اتفق عز الدين بلبان مملوك شاهرمن مع العسكر وخنقوه فى التاريخ المذكور ورموه من القلعة وانفرد بلبان بملك خلاط . ومن هنا يتبين أن الذى مات فى هذا العام ابنه محمد بن بكتمر . (مما يذكر أن الذى قتل بكتمر أحد الإسماعيلية، ولعل هزار دينارى هو الذى حرضه على القتل). (جمال الدين أبو (جمال الدين أبو المحاسن بن تغر بردى: النجوم الزاهرة ج ٢ ص ١٨٨).

٢ خلاط: أو أخلاط، وهى عاصمة أرمينية الوسطى. (ياقوت الحموى: معجم البلدان ج ٢ ص ٣٨٠). ولقد ورد فى (جمال الدين بن واصل: مفرج الكروب ص ١٧٧) أنها تقارب الديار المصرية فى المنزلة، وأنها تشتمل على نحو سبعين بلدا.

٣ صلاح الدين: هو الملك الناصر صلاح الدين أبو المظفر يوسف . ولد بتكريت سنة ٥٣٢ هجرية وتوفى فى ٢٧ صفر سنة ٥٨٩ هجرية (٤ مارس ١١٩٣ ميلادية). وبعد وفاته اقتسم إخوته، وأبناؤه وأبناء إخوته، الولايات الكثيرة التى كانت تحت حكمه. وقد استطاع

العادل الأول سيف الدين شقيق صلاح الدين الذى يسميه الأوربيون (سافادان SAPHADIN) أن يسيطر بالتدريج على سائر أفراد الأسرة . وكان من الطبيعى فى أول الأمر أن يرث أولاد صلاح الدين أجزاء المملكة، فحكم الأفضل دمشق والعزير فى القاهرة والظاهر فى حلب، ولم يستطع سيف الدين العادل أن يحل محل الأفضل فى دمشق إلا سنة ٥٩٢ هجرية / ١١٩٦ ميلادية . وأما المنصور الذى خلف العزيز فى القاهرة فقد أسقطه العادل سنة ٥٩٦ هجرية / ١٢٠٠ ميلادية . وهكذا لم يبق فى يد أبناء صلاح الدين من صلبه إلا حلب وذلك حتى سنة ٦٥٨ هجرية / ١٢٦٠ ميلادية (أحمد السعيد سليمان: تاريخ الدول الإسلامية ومعجم الأسر الحاكمة ج ١ ص ١٤٠).

٤ ميفارقين : كانت أشهر مدينة بديار بكر فى شمالها الشرقى (الحموى:معجم البلدان ج ١ ص ٢٣٥).

٥ هزار دينارى : هو أقسنقر، ولقبه " بدر الدين"، وقد أطلق عليه شاهر من اسم: "هزار دينارى" بعد أن اشتراه من تاجر جرحانى . وقد كان هزار دينارى أحد مماليك شاهر من . لقد ازداد نفوذه وقوى وتزوج ابنة بكتمر (عينا خاتون). ولطمعه فى الملك وضع على بكتمر من قتله. وحكم خلاط. وتوفى سنة ٥٩٤ هجرية (عماد الدين إسماعيل أبى الفداء:المختصر فى أخبار البشر ج ٣ ص ٨٨).

٦ شاهر من : هو شاهر من بن سكرمان بن إبراهيم صاحب خلاط (ابن واصل:مفرج الكروب ص ١٧٥).

٧ سنان : هو سنان بن سليمان بن محمد بن راشد البصرى، وكنيته "أبو الحسن". وهو رئيس فرقة الإسماعيلية، وصاحب دعوتهم فى قلاع الشام . استولى على عدة قلاع بالشام وأقام فيها ثلاثين عاما. وسنان: اسم أطلق على عدد من الوزراء العثمانيين، معظمهم من المسيحيين (أبو المحاسن:النجوم الزاهرة ج ٦ ص ١٣٢).

٨ مصياب: أو مصيات، أو مصياف، وهو حصن للإسماعيلية بالساحل الشرقى قرب طرابلس.(الحموى:معجم البلدان ج ٥ ص ١٤٤).

- ٩ ناصر: هو ناصر الدين أرتق بن إيلغازى بن ألبى بن تمر تاش بن أرتق صاحب ماردين. توجه إلى خلاط بمكاتبة أهلها وملكها، فجاء الأشرف فنزل على دنيسر وأقطع بلاد ماردين فعاد ناصر إلى بلد بعد أن غرم مائة ألف دينار ولم يسلموا إليه خلاط. (أبو المحاسن: النجوم الزاهرة ج ٦ ص ١٨٩)
- ١٠ بغراس: مدينة في جبل اللكام في البلاد المطللة على نواحي طرسوس. فتحها صلاح الدين يوسف بن أيوب سنة ٥٨٤ هجرية (الحموي: معجم البلدان ج ١ ص ٤٦٧).
- ١١ سنجار: مدينة مشهورة من نواحي الجزيرة وهي قريبة من الموصل (الحموي: معجم البلدان ج ٣ ص ٢٦٢).
- ١٢ الملك الظاهر: هو الملك الظاهر غياث الدين غازى ابن السلطان الملك الناصر صلاح الدين يوسف ابن الأمير نجم الدين أيوب. ولد في القاهرة في سنة ٥٦٨ هجرية في سلطنة والده ونشأ تحت كنف والده وولاه أبوه سلطنة حلب في حياته. وحضر معظم غزوات والده السلطان صلاح الدين، وتوفي في ليلة العشرين من جمادى الآخرة سنة ٦١٣ هجرية، وقيل: التاسع والعشرين. وقد حفر له قبر في "حجرة الذهب" ودفن بها إلى أن نقل بعد ذلك إلى "المدرسة الظاهرية" التي أنشأها بحلب وانتهت عمارتها سنة ٦١٦ هجرية. وقد أنشأ إلى جانبها تربة أرصدها ليدفن بها من يموت من الملوك والأمراء وقام بعده ولده الملك العزيز محمد بوصيته. (ابن واصل: مفرج الكروب ص ٢٤١).
- ١٣ مجاهد الدين بن ناصر الدين: هو الملك المجاهد أسد الدين شيركوه بن محمد بن شيركوه صاحب حمص والرحبة وتدمر. (ابن العبري: مختصر تاريخ الدول ص ٢٣٦).
- ١٤ عز الدين: هو الملك القاهر عز الدين مسعود بن أرسلان شاه بن مسعود بن مودود بن زنكى بن أقسنقر، وهو آخر ملوك البيت الأتابكى بالموصل. ولقد قام بدر الدين لؤلؤ مملوك والده بتدبير ملكه من بعده. ولقد توفي سنة ٦١٥ هجرية في شهر ربيع الأول بعد أن حكم لمدة سبع سنوات وتسعة أشهر. (أبو المحاسن: النجوم الزاهرة ج ٦ ص ٢١٨).
- ١٥ نور لدين أرسلان شاه: هو نور الدين أرسلان شاه بن عز الدين مسعود بن عماد الدين زنكى بن أقسنقر صاحب الموصل. تولى الملك بعد وفاة أبيه سنة ٥٨٩ هجرية،

وكان يبلغ من العمر وقتذاك عشرين عاما وتوفي في أواخر رجب سنة ٦٠٧ هجرية. وكانت مدة ملكه ثمانى عشرة سنة. وكان شهما شجاعا، ذا سياسة للرعايا شديدا على أصحابه. أعاد ناموس البيت الأتابكى وجاهته وحرمة بعد أن كانت قد ذهبت. ولما حضره الموت رتب فى الملك ولده الملك القاهر عز الدين مسعود، وأمر أن يتولى تدبير مملكته ويقوم بحفظها وينظر فى مصالحها مملوكه بدر الدين لؤلؤ؛ لما رأى من عقله وسداد رأيه وحسن سياسته وكمال السيادة فيه، وأعطى ولده الأصغر عماد الدين زكى قلعة العقر الحميدية وقلعة شوش. (ابن العبرى: تاريخ مختصر الدول ص ٢٢٩).

١٦ خراسان : منطقة من مناطق إيران الحالية تقع فى الطرف الشمالى الغربى لإيران. كانت خراسان ولاية متميزة فى دولة المغول فى إيران؛ وذلك نظرا لأهميتها الاستراتيجية بسبب مواجهتها لحدود مغول ما وراء النهر. ومن هنا درج سلاطين المغول أن يولوا عليها كبار الأمراء من الأسرة الحاكمة. وعلى هذا رأينا "أباقا خان" و"غازان خان" و"أولجايتو" قد تولوا حكم خراسان قبل أن يصلوا إلى منصب الخانية. (فؤاد الصياد: الشرق الإسلامى فى عهد الإيلخانيين ص ١٥٢).

١٧ طغرل (٣٨٥ هجرية - ٤٥٥ هجرية / ٩٩٥ ميلادية - ١٠٦٣ ميلادية) : هو محمد بن ميكائيل بن سلجوق الملقب بركن الدين طغرل بك. أول ملوك الدولة السلجوقية (٤٢٩ هجرية) مدة ملكه ٢٥ أو ٣٠ عاما (الزركلى: معجم الأعلام ج ٧ ص ٣٤٢).

١٨ ابن محمود : هو طغرل بن أرسلان شاه بن طغرل بن محمد بن ملكشاه بن ألب أرسلان ابن داوود بن ميكائيل بن سلجوق (ابن العبرى: تاريخ مختصر الدول ص 223).

١٩ سلجوق بن دقاق : (يقاق أو تاقاق). ينحدر السلاجقة من سلجوق بن دقاق وهو رئيس التركمان. وزير لأحد خاقانات تركستان، وهاجر هو وقبيلته كلها من استبس القرغيز إلى المنطقة التى توجد فيها مدينة جند فى الوادى الأدنى لنهر سيحون (سيرداريا). وهناك دخلوا فى الإسلام. وشارك سلجوق وأولاده وأحفاده فى الحروب بين السامانيين والإيلك خانات وبين محمود الغزنوى، وكان السلاجقة فى هذه الحروب حلفاء للسامانيين ثم دخلوا فى خدمة "لى تكين" من الإيلك خانات (أحمد السعيد سليمان: تاريخ الدول الإسلامية ومعجم الأسر الحاكمة ج 1 ص 314).

- ٢٠ الملك العادل : هو السلطان الملك العادل سيف الدين أبو بكر بن أيوب شقيق الناصر صلاح الدين . كان مولده ببعلبك قيل في سنة ٥٣٤ هجرية، وقيل: ٥٣٨ هجرية، وقيل: مع فتوح الرها سنة ٥٣٩ هجرية، وقيل: في سنة ٥٤٠ هجرية . كان صلاح الدين يعول عليه كثيرا واستنابه بمصر مدة ثم أعطاه حلب، ثم أخذها منه وأعطاه الظاهر وأعطاه الكرك عوضا عنها ثم حران . توفي في ٧ جمادى الآخرة سنة ٦١٥ هجرية بالغا من العمر خمسة وسبعين عاما. (ابن واصل: مفرج الكروب ص ٢٧٠).
- ٢١ الناصر : هو الإمام الناصر لدين الله أبو العباس أحمد الخليفة العباسي. كانت مدة خلافته سبع وأربعين عاما أصيب في أواخر أيامه بالعمى وكانت وفاته في أول شوال .
- ٢٢ قلعة جعبر : هي قلعة على نهر الفرات بين بالس والرقعة قرب صافين، وكانت قديما تسمى: "دوسر". وقد حدثت بها الواقعة التي كانت بين معاوية وأمير المؤمنين علي بن أبي طالب (مصطفى طه بدر: مغول إيران بين المسيحية والإسلام ص ٨٣).
- ٢٣ أسد الدين شيركوه : هو أبو الحارث أسد الدين بن شاذي. توفي في الثاني والعشرين من جمادى الآخر سنة ٥٦٤ هجرية بعد توليه منصب الوزارة. ولقد جرى الحديث بموته مسموما كما هي عادة أهل الشرق بوجه عام. (ابن العبري: تاريخ مختصر الدول ص ٢١٢).
- ٢٤ صرخد : هي قلعة حصينة، وولاية واسعة، وتعد من أعمال دمشق. (الحموي: معجم البلدان ج ٣ ص ٤٠١).
- ٢٥ يافا : مدينة على ساحل بحر الشام من أعمال فلسطين بين قيسارية وعكا . فتحها صلاح الدين سنة ٥٨٣ هجرية، ثم استولى عليها الفرنج في سنة ٥٨٧ هجرية، ثم استعادها منهم الملك العادل أبو بكر بن أيوب في سنة ٥٩٣ هجرية وخربها. (الحموي: معجم البلدان ج ٥ ص ٤٢٦).
- ٢٦ تيلين : بلدة في جبال بني عامر المطلّة على بلدة بانياس بعد دمشق وصور. كانت في تلك الفترة بيد "حسام الدين بشارة". (ابن واصل: مفرج الكروب ص ٧٥).

- ٢٧ عكا : أهم بلد على ساحل الشام ومعناها: " الرملة التي حميت عليها الشمس".
(الحموي:معجم البلدان ج ٤ ص ١٤٣).
- ٢٨ ملكشاه بن خوارزم شاه : هو سيف الإسلام ظهير الدين طغتكين بن أيوب . كان يلقب بالملك العزيز .توفى فى شوال سنة 593 هجرية (ابن واصل:مفرج الكروب ص 72).
- ٢٩ قطب الدين محمد : هو الابن الثانى لملكشاه، وقد تولى ملك خوارزم بعد أن توفى خوارزم شاه تكش بن أرسلان والده. وقد غير لقبه من قطب الدين إلى علاء الدين، وهو لقب أبيه (ابن العبري:تاريخ مختصر الدول ص 225).
- ٣٠ الرقعة : مدينة مشهورة على الفرات، يقال لها: "الرقعة البيضاء". (الحموي:معجم البلدان ج ٣ ص 58).
- ٣١ حران : مدينة عظيمة ومشهورة على طريق الموصل والشام وهى عاصمة "ديار مضر": قد قيل: إنها أول مدينة بنيت على الأرض بعد الطوفان، فتحت أيام عمر بن الخطاب رضى الله عنه. (الحموي:معجم البلدان ج ٢ ص ٢٣٥).
- ٣٢ مجاهد الدين قايماز : هو أبو منصور مجاهد الدين قايماز بن عبد الله الزينى من أهل سجستان . اشتراه زين الدين والد الملك المعظم مظفر الدين كوكبورى صاحب إربل، وقدمه فى دولته حتى صار صاحب الأمر فيها . وإليه ينسب الجامع المجاهدى فى الموصل. (ابن واصل:مفرج الكروب ص ١٠٣).
- ٣٣ بخارى : من أعظم مدن ما وراء النهر. (الحموي:معجم البلدان ج ١ ص ٣٥٣).
- ٣٤ ماردين : قلعة عظيمة ومشهورة على قمة جبل الجزيرة، تشرف على دنيسر ودارا ونصيبين. وتعتبر هذه القلعة من أحسن وأحسن وأحكم القلاع. (الحموي:معجم البلدان ج ٥ ص ٣٩).
- ٣٥ حسام الدين : هو حسام الدين يولوق. (ابن واصل:مفرج الكروب ص ١٠).
- ٣٦ الملك العزيز : هو الملك العزيز عماد الدين أبو الفتح عثمان سلطان الديار المصرية، وابن سلطانها الملك الناصر صلاح الدين يوسف. ولى سلطنة مصر فى حياة والده

صوريا، ثم تسلطن بعد وفاته باتفاق الأمراء وأعيان الدولة بديار مصر؛ لأنه كان نائباً عن أبيه صلاح الدين. لما كان أبوه مستقلاً بفتح البلاد الشامية. وكان مولده بالقاهرة في الثامن من جمادى الأولى سنة ٥٦٧ هجرية، وكان الملك العزيز هذا أصغر من أخيه الملك الظاهر غازي صاحب حلب، وأصغر من أخيه الأفضل صاحب دمشق، وكان الأفضل هو أكبر الإخوة. ولقد تضاربت الأقوال في سبب وفاته؛ قال ابن خلكان: "كان قد توجه إلى الفيوم فطرد فرسه وراء صيد، فسقط به فرسه فأصابته الحمى من ذلك، وحمل إلى القاهرة فتوفى بها في الساعة السابعة من ليلة الأربعاء الحادى والعشرين من المحرم سنة ٥٩٥ ودفن بالقرافة الصغرى في قبة الإمام الشافعى. (أبو المحاسن: النجوم الزاهرة ج ٦ ص ١٢٨). وقال ابن الجوزى: كان سبب وفاته أنه خرج إلى الفيوم يتصيد، فلاح له ظبي فركض الفرس خلفه فكبا به الفرس فدخل قريوس (السرغ) في فواده فحمل إلى القاهرة فمات في العشرين من محرم ودفن عند الشافعى - رحمه الله - عن سبع وعشرين سنة وشهور، وقيل: عن ثمان وعشرين سنة. (أبو المحاسن: النجوم ج ٦ ص ١٢٩). قال ابن القادس: كان قد ركب وتبع غزالة فوق فاندقت عنقه وبقي أربعة أيام ومات. (أبو المحاسن: النجوم ج ٦ ص ١٢٩). أما ابن واصل فقد ذكر: لقد اعترضه ذئب فركض خلفه فعثر به فرسه فسقط على الأرض فحم من ساعته. ثم ركب وهو محموم وعاد إلى الأهرام وقد اشتدت حماة، ثم توجه إلى القاهرة فدخلها يوم عاشوراء وحدث به يرقان وقرحة في الأمعاء. وانتقل إلى رحمة الله في منتصف ليلة السابع والعشرين من محرم. فكانت مدة ملكه ست سنين إلا شهراً. وكانت مدة عمره سبعا وعشرين سنة وأشهرًا (ابن واصل: مفرج الكروب ص ٨٢)

٣٧ حانى : مدينة معروفة بديار بكر. (الحموى: معجم البلدان ج ٢ ص ٢٠٨).

٣٨ جبل جور : بلدة متصلة بديار بكر من نواحي أرمينية. (الحموى: معجم البلدان ج ٢ ص ١٠٢).

٣٩ القاضى الفاضل وحيد زمانه : هو القاضى الفاضل عبد الرحيم بن على البيسانى. ولد سنة ٥٢٦ هجرية. وكان القاضى الفاضل هو وحيد زمانه فى صناعة الإنشاء التى ختمت به. توفى فى السابع عشر من ربيع الآخر. (ابن واصل: مفرج الكروب ص ١٠٩).

- ٤٠ الطفل المنصور : هو المنصور الأيوبي "محمد بن عثمان بن يوسف بن أيوب " الملك المنصور (٥٨٦ هجرية- ٦٢٠ هجرية) (١١٩٠ ميلادية - ١٢٢٣ ميلادية) كان ثالث ملوك الدولة الأيوبية في مصر ولقد تولى الملك سنة ٥٩٥ هجرية عند وفاة أبيه وكان عمره تسع سنوات وبضعة أشهر. وكانت مدة حكمه سنة وثمانية أشهر (الزركلي : معجم الأعلام ج ٧ ص ١٤٢).
- ٤١ منبج : مدينة كبيرة في الشمال الشرقي من ولاية حلب. أول من بناها كسرى. (الحموي:معجم البلدان ج ٥ ص ٢٠٥) .
- ٤٢ قلعة نجم : قلعة حصينة مطلة على الفرات. (الحموي:معجم البلدان ج ٤ ص ٣٩١).
- ٤٣ أقامية : مدينة حصينة على سواحل الشام يسميها البعض "قامية". (الحموي:معجم البلدان ج ١ ص ٢٢٧).
- ٤٤ كفر طاب : بلدة بين المعرة ومدينة حلب. (الحموي: معجم البلدان ج ٤ ص ٤٧٠).
- ٤٥ سميساط : مدينة على شاطئ الفرات طرف بلاد الروم غربى الفرات ولها قلعة يسكنها الروم. (الحموي:معجم البلدان ج ٣ ص ١٣).
- ٤٦ ملطية : بلدة من بلاد الروم تتاخم الشام ، قريبة من نهر الفرات على الضفة اليمنى منه، وهي تعد من أمهات مدن السريان بناها الإسكندر (الحموي:معجم البلدان ج ٥ ص ١٩٢).
- ٤٧ أرزن الروم : بالفارسي: "أرضروم"، مدينة مشهورة ولها قلعة حصينة وكانت من أعمار نواحي أرمينية. (الحموي:معجم البلدان ج ١ ص ١٥٠).
- ٤٨ قونية : من مدن آسيا الصغرى، بها قبر جلال الدين الرومى وهي تعد من أعظم مدن الإسلام بالروم. (الحموي:معجم البلدان ج ٤ ص ٤١٥).
- ٤٩ السامراء : مدينة كانت بين بغداد وتكريت شرقى دجلة وقد خربت. (الحموي: معجم البلدان ج ٣ ص ١٧٣).
- ٥٠ مرو : أشهر مدن خراسان وتعتبر عاصمتها. (الحموي:معجم البلدان ج ٥ ص ١١٢).

٥١ سروج : بلدة قريبة من حران من ديار مضر. (أبو المحاسن: النجوم الزاهرة ج٦ ص١٨٠).

٥٢ رأس العين : بلدة على منابع نهر الخابور في الجزيرة كانت عامرة في المائة الثالثة عشرة ثم خربت. وفي سنة ميلادية ١٨٦٩ توطنتها عشيرة من الجركس ثم سكنها خلق من السريان والأرمن ولهم فيها بيعتان. (أغناطيوس أفرام الأول برصمو: اللؤلؤ المنثور ص٥١٦).

٥٣ قال عز الدين بن الأثير في كتابه الكامل : "وقد عوقب البيت الصلاحي بمثل ما فعله والدهم السلطان صلاح الدين لما خرجت إليه نساء بيت الأتابك ومن جملتهن بنت نور الدين الشهيد يشفعن في إبقاء الموصل على عز الدين مسعود فردهن، ولم يجب إلى سؤالهن، ثم ندم رحمة الله تعالى على ردهن. (أبو الفداء: المختصر في أخبار البشر ج٣ ص١٠٤).

٥٤ التتار : كانوا يقطنون المنطقة التي تحد شمالا بنهرى أرقون وسلنجا SELENGA ومملكة القرغيز، وجنوبا بإقليم التبت، ومملكة التجوت. كانت هذه القبائل من أشد قبائل الجنس الأصفر بطشا وجبروتا في أقاليم آسيا الشمالية. وهم يتشعبون إلى شعب كثيرة. ويذكر "رشيد الدين" أن هؤلاء التتار كانوا أكثر قبائل البدو رفاهية وتنعما وأنهم كانوا أثرياء. وهؤلاء التتار كانوا في أغلب الأوقات مطيعين وخاضعين لملوك الخطا. ولكنهم كانوا من آن لآخر يثورون على الخطا فيسرع هؤلاء لمقاومتهم وإجبارهم على الخضوع مرة أخرى. وقد عرف هؤلاء التتار بشدة البأس والجبروت وكانوا يعيشون في صراع دائم مع بعضهم البعض. وكانت الحروب تنشب بينهم لأقل الأسباب وقد تستمر المعارك الناشبة بينهم عدة سنوات. وقد اشتهروا بالطعان والنزال ولم يكن لهم قانون يحكمهم أو شريعة يسيرون عليها. إن هؤلاء التتار استطاعوا أن يخضعوا أغلب القبائل وكانوا يتمتعون بشهرة ذائعة وشوكة كبيرة، بحيث إن قبائل الأتراك الأخرى على اختلاف مراتبهم وطبقاتهم كانوا يتسمون باسمهم فأطلق على الجميع اسم تتار أو (تتر). (هؤاد عبد المعطي الصياد: المغول في التاريخ ص٢٦).

كرايت : قوم **KERAIT** موطنهم الواحات الشرقية الداخلة فى صحراء جوبى، وجنوبى بحيرة بايكال **BAIKAL** حتى سور الصين. وهم من المغول . أما جروسية (**GROSSET : L' EMPIRE DES STEPPES P. 245**) فيذكر أنه لا يعلم على وجه التحديد ما إذا كان هؤلاء من المغول أم من الأتراك. ولكن من المعروف أن كثيرا من رؤسائهم كانوا أتراكا. وكان هؤلاء القوم يدينون بالمسيحية. ومنذ أن اعتنق ملكهم الدين المسيحى فى سنة ٣٩٨ هجرية (١٠٠٧ ميلادية) ذاع أمره فى أوروبا وراجت الأساطير والخرافات عن هذه الطائفة وملكهم. وقد ظلت قبائل الكرايت منذ القرنين: الخامس والسادس الهجريين (الحادى عشر والثانى عشر الميلاديين) أقوى أقوام المغول لأنهم استطاعوا أن يخضعوا أغلب الطوائف فى الأطراف، وأجبروهم على الدخول فى دائرة نفوذهم. وكان طغرل من أشهر ملوكهم إذ تغلب على عمهم (كورخان) الذى كان ينافسه على العرش ونجح فى طرده بمساعدة رئيس مغولى هو (يسوكاى) والد جنكيز خان. كذلك استطاع أن يهزم التتار تلبية لرغبة بلاط (كين)، وبهذا صار طغرل أقوى ملك فى منغوليا. وقد منحه إمبراطور (كين) تقديرا له على أعماله اللقب الصينى للملك وهو (وانج) **WANG** وعرف فى التاريخ بلقبه الملكيين الصينى والتركى، وهما: (وانج خان). ويذكر رشيد الدين (جامع التواريخ ج ١ ص ٨٧) أن الكرايت كانوا يعادون جمعا كبيرا من الأقوام الأخرى لاسيما قوم (النايمان). (الصياد:المغول فى التاريخ ص ٢٢٧).

أونك خان : مما يذكر أنه فى سنة ١٥١٤م للإسكندر كان بداية دولة المغول. وفى هذا الوقت كان المستولى على قبائل الترك المشاركة "أونك خان"، وهو المسمى "الملك يوحنا" من القبيلة التى يقال لها "كرايت" وهى طائفة تدين بدين الفرات. (ابن العبرى: تاريخ مختصر الدول ص ٢٢٦).

الأويرات : **OIRAT** أو "اويراد" **OYIRAD**. هم من أصل مغولى إلا أن لغتهم تفترق قليلا عن لغة القبائل المغولية الأخرى ، وكانوا يقيمون فى المنطقة الواقعة ما بين نهر "أونن" **ONON** وبحيرة بايكال، وكان عددهم كبيرا. وقد تشعبوا إلى عدة شعب. وكان لهم ملك يأترون بأمره. ولما جاء جنكيزخان خالفوه بعض الشيء إلا أنهم سرعان ما

قدموا له الخضوع والطاعة، وتم ذلك على خير وجه وقد حاصرهم جنكيزخان.
(الصياد: المغول فى التاريخ ٢٩).

٥٨ قراخطا : أى "الخطا السود". هم الذين كانوا يكونون دولة كبيرة قبيل الغزو المغولى ،وتقع ما بين مملكة الخوارزميين فى الغرب ومساكن المغول فى الشرق. وكان شاطئ نهر سيحون حدا فاصلا بين ممالك القراخطائيين وأقاليم الدولة الخوارزمية .وأصل هؤلاء القراخطائيين من قبائل الخطا النازحين من شمال الصين .وقد ورد اسم هذه القبائل فى المراجع الصينية منذ القرن الرابع الميلادى، وهم خليط من المغول والتانجوت.
(الصياد: المغول فى التاريخ ص ٢٣) .

٥٩ تموجين : لقبه: "جنكيزخان". تذكر الروايات أنه فى وقت ولادته سار أبوه(يسوكاى بهادر) لمحاربة التتار .وقد واتاه الحظ فانتصر عليهم، وقضى على ملكهم (تموجين) واستولى على أمواله وأملاكه. ولما عاد إلى المنزل علم بنبأ ولادة ابنه، فتفاعل بتلك المناسبة وسمى ابنه: "تموجين". ويقال: إنه عندما ولد وجدت إحدى يديه قابضة على قطعة متجمدة من الدم .وقد تنبأ البعض أن هذا الطفل سوف يكون ملكا عظيما وسوف تظهر على صفحة جبينه آثار الغزو والسيطرة، وتبدو على محياه أنوار السعادة والتوفيق. ويستدل آخرون بهذه الواقعة على استعداد ذلك المولود وجرأته على سفق الدماء.
(الصياد: المغول فى التاريخ ص ٤١).

٦٠ الياسا (الياصا) : لقد اقتضت حياة المغول رغم بدائيتها وبساطتها أن تكون لهم قبل جنكيزخان مجموعة من الآداب والتقاليد، ولكنها لم تكن مدونة لأنهم كانوا يجهلون الخط. فلما جاء جنكيزخان أعاد النظر فى هذه العادات ورد بعضها وقبل معظمها وأضاف إليها بعض الأحكام والقواعد، وجعل لها صبغة رسمية ، وأمر بأن تدون النظم والأحكام بالخط الأويغورى وأن يحتفظ بها فى خزائن أمراء الملوك. وأطلق على كل حكم من الأحكام والقواعد اسم: (ياسا)، وهى كلمة مغولية تأتى بمعنى (حكم ، وقاعدة، وقانون)، وتكتب بأشكال مختلفة فى الكتب العربية والفارسية .ولما كان كتاب الياصا يشتمل على جزء كبير من الأحكام التى تتعلق بالجزاء أو العقاب وغالبا ما يكون ذلك بإعدام الشخص المذنب

صار أحد معاني هذه الكلمة: "القتل والموت". (رشيد الدين فضل الله الهمذاني: مؤرخ المغول الكبير ص ٢٢٨).

٦١ لغة المغول: كتب المغول بخط ينحدر من الشكل السرياني للأبجدية السامية تلك الأبجدية التي يقوم على أساسها الخط اللاتيني أيضا. وكان المرسلون النساطرة قد عملوا على نشره منذ قرون حتى بلغ قلب آسيا. والواقع أن هذا الخط اصطنع في كتابة اللغة التركية الشرقية أيضا، وحل محل الخط الشبيه بالخط الروني المنحدر بدوره من تحريف للأبجدية السامية والذي اصطنعه أقدم من نعرف من الخانات الأتراك في تدوين تاريخهم في القرن الثامن على ضفاف نهر أورخون. (كارل بروكلمان: تاريخ الشعوب الإسلامية ص ٣٩٤).

٦٢ خان: لقب أطلقه المغول على رؤسائهم الذين يتولون جزء من الإمبراطورية المغولية، وهو يختلف عن لقب (خاقان) الذي أطلقوه على الرئيس الأعلى لدولتهم ومعناه: (الخان الأعظم). ولقد استعمل المغول لقب (خان) أيضا بمعنى (خاقان) وربما كان ذلك من بساب الرغبة في الاختصار. (العربي: المغول في التاريخ ص ٤٩).

٦٣ قام: لما كانت البداوة غالبية على المغول والجهل متفشيا بينهم فإن ذلك روج بينهم سلسلة من الخرافات والعادات السيئة فمثلا كانوا يعتقدون أن للشيطان تأثيرا كبيرا على حياتهم وكانوا يخشون السحر ويخافونه. وقد تضمنت (الياسا) أحكاما شديدة رادعة توقع على كل من يهتم بالسحر والشعوذة بقصد الإضرار بالغير. وكانوا ينظرون إلى طائفة الكهنة من البوذيين على أنهم وحدهم هم الذين يستطيعون إبطال تأثير السحر ودفع ضرره، ويعرف كل واحد منهم باسم: (بخشى). والساحر الملم بضروب السحر يقال (قام). ولقد كان هؤلاء الكهان يزعمون أنهم يستطيعون تسخير الشياطين. كما أن ذوى الأرواح الشريرة يألفونهم ويأتمرون بأمرهم وأنهم قديرون على التنبؤ بالغيب عن طريق تحضير الشياطين والأرواح. وجرت عادة المغول على أن يبرموا الأمور وفق ما يشير به هؤلاء الكهان. (العربي: المغول في التاريخ ص ٣٥٣).

٦٤ قراقجيان: كلمة فارسية تعني: "حراسة الحدود".

- ٦٥** السلطان محمد : هو السلطان محمد خوارزم شاه، حكم منذ سنة (٥٩٦هـ جريية - ٦١٧ هجرية) (١١٩٩ ميلادية - ١٢١٩ ميلادية).
- ٦٦** المملكة : ظلت اليونان بأيدي الفرنج حتى سنة ٦٦٠ هجرية، حتى قصدها الروم واستعادوها . (أبو الفداء:المختصر في أخبار البشر ج٢ ص ١٠٥).
- ٦٧** القسطنطينية : كانت تسمى قديما: "بوزنطية" **"BYSANCE"** .
- ٦٨** المركيس : هو "بونيفاس الثاني" مركيس دي مونتفرات **MARQUIS DE MONTFERRAT** . ولم يكن فرنسيا، وإنما كان مقدم جيوش فرنسياً وفلاندرًا. (ابن العبري: تاريخ مختصر الدول ص ٢٢٨).
- ٦٩** كندا فلند : **COMTE DE FLANDRE** . هو "بدوين التاسع" الذي اختاره الصليبيون ليكون أول ملك للمملكة التي أنشأها الإفرنج في القسطنطينية، وتسمى: "بدوين الأول". (ابن العبري: تاريخ مختصر الدول ص ٢٢٨).
- ٧٠** بنطس : كلمة يونانية وهي تطلق على البحر الذي منه خليج قسطنطينية. منبعه في أطراف بلاد الترك في الشمال ويمتد إلى ناحية المغرب والجنوب حتى يتصل ببحر الشام. وقبل اتصاله ببحر الشام يسمى "بنطس"، وهو يعرف ببنطس عند اليونان، ويعرف عند العرب ببحر "طرابزنده"، وهو البحر الأسود. (الحموي:معجم البلدان ج ١ ص ٥٠٠).
- ٧١** نبقية : من أعمال استنبول في الجانب الشرقي. (أبو الفداء:المختصر في أخبار البشر ج ٣ ص ٩٩).
- ٧٢** اللشكري : لقب أطلقه المؤرخون العرب أول الأمر على "تيودور اللشكري الأول" **(THEODORE LASCARIS)**. وكان إمبراطور الدولة البيزنطية في نبقية بعد استيلاء اللاتين على القسطنطينية. ثم غلب اسم اللشكري بعد ذلك على كل أباطرة بيزنطة. (ابن واصل:مفرج الكروب ص ٢٢٥).

- ٧٣ بلد : مدينة قديمة على دجلة فوق الموصل خربت في المائة الرابعة عشرة. (أغناطيوس برصوم: اللؤلؤ المنثور ص ٥٠٥).
- ٧٤ تايغفر : كانت تابعة لقطب الدين وقد أقام فيها نور الدين سبعة عشر يوماً. (ابن العبري: تاريخ مختصر الدول ص ٢٢٣).
- ٧٥ الناصر : قرية بينها وبين طبرية ثلاثة عشر ميلاً، وولد بها السيد المسيح. ومن هذه القرية اشتق اسم النصارى. (الحموي: معجم البلدان ج ٥ ص ٢٥١).
- ٧٦ أبكر : توفي "بهرامشاه في سنة ٦٢٢ هجرية / ١٢٢٥ ميلادية بعد أن حكم مدة طويلة وخلفه على العرش ولده "علاء الدين داود الثاني"، ولكن "كيقباد الأول" استولى على أرزنجان سنة ٦٢٥ هجرية ونقل داود شاه وأهله وأولاده إلى "قونية وأقطعه قسبة" "إيلغين" التي كانت تسمى بسبب مياهها المعدنية "بأبكر" "أى المياه الدافئة". (أحمد السعيد سليمان: تاريخ الدول الإسلامية ومعجم الأسر الحاكمة ج ١ ص ٣٣٠).
- ٧٧ خرتبرت : اسم أرمنى، وهو الحصن المعروف ب"حصن زياد" فى أقصى ديار بكر فى بلاد الروم. (الحموي: معجم البلدان ج ٢ ص ٢٥٥).
- ٧٨ سمنين : هى بلدة من ثغور الروم. (الحموي: معجم البلدان ج ٣ ص ٢٥٥).
- ٧٩ أنريجان : هو إقليم واسع، ومن أشهر مدنه "تبريز" التي تعد اليوم العاصمة وأكبر مدنها. أما قديماً فكانت عاصمتها "مراغة" ويشتهر هذا الإقليم بقلاعه الكثيرة وبجباله المرتفعة. (الحموي: معجم البلدان ج ١ ص ١٢٨).
- ٨٠ أرجيش : هى مدينة قديمة من نواحي أرمينية الكبرى وهى تقع بالقرب من خلاط، وأكثر أهلها أرمن نصارى. (الحموي: معجم البلدان ج ١ ص ١٤٤).
- ٨١ منازجرد : هو بلد مشهور بين خلاط وبلاد الروم أى شمال بحيرة "وان" ويعمد فى أرمينية. ومعظم أهله أرمن وروم ويسمون بلدهم "منازکرد" أو "ملازکرد"، وتسمى الآن "ملاشکرد". (دائرة المعارف الإسلامية ج ٢٧ ص ١٥٤٩).

- ٨٢ دنيسر : هي بلدة مشهورة من نواحي الجزيرة تقع بالقرب من ماردين، ولقد أطلق عليها اسم آخر وهو "قوج حصار". (الحموي:معجم البلدان ج ٢ ص ٤٧٨).
- ٨٣ موش : هي بلدة تقع بالقرب من خلاط في أرمينية. (الحموي:معجم البلدان ج ٥ ص ٢٢٣).
- ٨٤ وان : هي قلعة بين خلاط ونواحي نغليس. (الحموي:معجم البلدان ج ٥ ص ٣٥٥).
- ٨٥ دير ما هارون: دير يقع في الجبل المبارك بالقرب من ملطية، أنشأه القديس هارون السروجي الناسك سنة ٣٨٩ هجرية وقد أعان الكنيسة بسبعة أساقفة من سنة ١٠٨٨ إلى ١٢٨٩م (أغناطيوس برصوم:القول المثلوث ٥١٥).
- ٨٦ قلعة رواندان : قصد الملك الظاهر منبج سنة ٥٩٨ وكان الملك الفائز بن الملك العادل قد قصدها في غيبته وملكها. فاستعادها وخرّب سورها وقلعتها ونقل ذخائرها إلى حلب وأقطعها عماد الدين بن المشطوب فأجاب الملك الظاهر إلى ذلك وأقطعها "الرواندان" وكفر طاب. (ابن واصل:مفرج الكروب ص ١٣١).
- ٨٧ قطب الدين : ورد في (ابن واصل:مفرج الكروب ص ١٩٣) "أن قطب الدين عندما وجد أن الملك العادل كان يستعد للاستيلاء على سنجار أخرج إليه نساءه وحرمه يتضرعن إليه ويسألنه إبقاء المدينة".
- ٨٨ جزيرة قاردو : إن كردستان قد استبعدت من لغة الإدارة ومن الأطالس الجغرافية. ففي تركيا يعرف الجزء الكردستاني بشرق الأناضول. وفي العراق يعرف بأقاليم الشمال. وفي سوريا باسم إقليم الجزيرة التي تشتمل على أقاليم "قاردو" و"بازايدا" و"الحسينية". (دائرة المعارف الإسلامية ج ٢٧ ص ١٥٤٢).
- ٨٩ مظفر الدين كوكبوري : هو مظفر الدين كوكبوري بن زين الدين كوجك . وكوكبوري كلمة "تركية" معناها: "ذئب أزرق". كان قد عين "عماد الدين زنكي" قائده المسمى "زين الدين علي كوجك بن بكتكين"، وهو من حاشيته التركية، واليا على الموصل سنة ٥٣٩ هجرية / ١١٤٤ ميلادية على شهر زور وهكارية وتكريت وسنجان وحران، وصارت إربل عاصمة ملكه. ولما شاخ ابن بكتكين تنازل عن بلاده في سنة ٥٦٣ هجرية / ١١٦٨ ميلادية لقطب الدين مودود واحتفظ لنفسه بإربل، ولكنه ما لبث أن توفي في نفس العام

وانتقلت إربل إلى ولده "زين الدين يوسف" الذي كان لا يزال صغيرا جدا. وأما ابنه الأكبر سنا "مظفر الدين كوكبوري" فقد أعطاه "مسعود بن مودود" حاكم الموصل مدينة حران. وبعد بضعة أعوام انحاز الإخوان إلى "صلاح الدين" في حربه ضد بني زنكي . وبعد وفاة "زين الدين يوسف" في سنة ٥٨٦ هجرية / ١١٩٠ ميلادية استولى أخوه كوكبوري على إربل. ولما لم يكن له وارث فقد أوصى بممتلكاته للخليفة العباسي وكانت وفاته سنة ٦٣٠ هجرية. (أحمد السعيد سليمان: تاريخ الدول الإسلامية ومعجم الأسر الحاكمة ج ٢ ص ٣٤٩).

٩٠ أسد الدين : هو الملك المجاهد أسد الدين شيركوه بن محمد بن شيركوه صاحب حمص والرحمة وتدمر. (ابن واصل: مفرج الكروب ص ٤).

٩١ فخر الدين الرازي (٥٤٤ هجرية - ٦٠٤ هجرية) (١١٥٠ ميلادية - ١٢١٠ ميلادية): هو محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي البكري ، أبو عبد الله فخر الدين الرازي. الإمام المفسر، وهو قرشي النسب وأصله من طبرستان وولد في الري وإليها ترجع نسبه. لقد رحل إلى خوارزم وما وراء النهر وخراسان وأخيرا توفي في هراة. كان يجيد الفارسية وله شعر بالعربية والفارسية— وكان واعظا بارعا باللغتين. (الزركلي: معجم الأعلام ج ٧ ص ٢٠٣).

٩٢ جلال الدين حسن : وهو المعروف باسم "تومسلان" أي: "المسلم الجديد"؛ وذلك لأن "جلال الدين" تبرأ من سلوك ابنه وجده وتمسك بمبادئ الشريعة الإسلامية. وقد حكم في الفترة ما بين ٦٠٧ هجرية إلى ٦١٨ هجرية. لقد قدم بغداد رسول "جلال الدين حسن" صاحب "الموت" يخبر الخليفة بأنهم تبرأوا من الباطنية وأقيمت الجوامع والمساجد وصلوا التراويح في شهر رمضان. (رشيد الدين فضل الله الهمداني: جامع التواريخ مجلد ٢ جزء ١ ص ٢٥٩).

٩٣ نور الدين أرسلان شاه : هو صاحب الموصل. كان متكبرا بخيلا، وسفاكا للدماء وحبس أخاه سنتين حتى مات في حبسه. كان مرضه قد طال ولما اشتد أشير عليه بالإنحذار إلى "عين القيارة" ليستحم بها، فانحدر إليها واستحم بها ولم يجد راحة، وازداد ضعفا فأخذه الأمير "بدر الدين لؤلؤ" مملوكه وكان أستاذ داره والحاكم في دولته وأصعده في سفينة

صغيرة إلى الموصل فتوفى في الطريق ليلا ومعه الملاحون والأطباء . وقد أخفى خبر وفاته حتى يتم تدبير جميع الأمور ودفن بالمدرسة التي أنشأها مقابل داره . وقد توفى سنة ٦٠٧ هجرية . وكان له ولدان: القاهر عز الدين مسعود بن نور الدين شاه والملك المنصور عماد الدين زنكي بن نور الدين أرسلان شاه . وكان قبل وفاته قد أوصى إلى "بدر الدين لؤلؤ" أن يكون "مسعود" السلطان ويكون "زنكي" في شهر زور . وكانت مدة ملكه بالموصل سبع عشرة سنة وأحد عشر شهرا . (ابن واصل: مفرج الكروب ٢٠٣) .

٩٤ عماد الدين زنكي : قام بحكم الموصل بالنيابة عن أقسنقر الذي كان مشغولا في العراق وسوريا وكان ذلك منذ سنة ٥١٦ هجرية حتى سنة ٥١٨ هجرية . ثم في سنة ٥٢١ هجرية أصبح هو الحاكم الفعلي . (رمباور: معجم الأنساب والأسرات الحاكمة ص ٦٠) .

٩٥ شوش : هي قلعة عظيمة وعالية جدا تقع بالقرب من "عقر الحميدية" ، وتعد من أعمال الموصل . لقد قيل: إنها أعلى من العقر وأكبر ، ولكنها أقل منها قدرا وشأنا . (الحموي: معجم البلدان ج ٣ ص ٢٧٢) .

٩٦ بدر الدين لؤلؤ : هو يوسف بن لؤلؤ بن عبد الله الذهبي ، بدر الدين . كان من أعظم شعراء الدولة الناصرية بدمشق . ومما يذكر أن والد لؤلؤ كان مملوكا أعتقه الأمير بدر الدين صاحب "تل باش" في شمال حلب؛ ومن هنا جاءت تسميته بدر الدين . (الزركلي: معجم الأعلام ج ٩ ص ٣٢٥) .

٩٧ ابن هبل : هو علي بن أحمد ، أبو الحسن بن هبل الطبيب المعروف . كان من أهل بغداد واشتهر بعلمه في الطب والأدب ، وقد أقام بخلاط عند صاحبها "شاهر من" يطببه . وقد قرأ الناس عليه . وصنف كتابا في الطب أسماه: "المختار" في أربع مجلدات . وتوفى في سنة ٦١٩ هجرية . (ابن العبري: تاريخ مختصر الدول ص ٢٤٠) .

٩٨ أبو البركات : هو طبيب يهودي ، كان عالما بعلوم الأوائل . صنف عدة كتب أهمها كتاب "المعتبر" . وفي أواخر أيامه قام هذا الطبيب بإشهار إسلامه . (ابن العبري: تاريخ مختصر الدول ص ٢١٠) .

الأتراك الأويغور: كانوا يسكنون المنطقة الواقعة شمال شرقى تركستان الحالية. وتذكر الروايات أن (أوغوز) أبا الأتراك كان يؤمن بالله ويدين بالوحدانية، ولكن أباه وأعمامه كانوا كفارا فنازعوه عقيدته وقاموا ضده، وأرادوا القضاء عليه، فانضم إليه بعض من أقاربه وانحازوا إلى جانبه وصاروا يساندونه ويعاونونه فأطلق عليهم اسم (أويغور) فغلب عليهم هذا الاسم. وأويغور كلمة تركية تأتي بمعنى: "الارتباط والتعاون". أما البعض الآخر فقد أخذ جانب أبيه وأعمامه وأخوته. ثم قامت الحرب بين الفريقين فانتصر أوغوز وأتباعه. ومن هذه الجماعة تناسل جميع أقوام الأويغور. والمعروف عن هؤلاء الأويغوريين أنهم كانوا أكثر الأقوام التركية تمدنا وكانت ديانتهم مانوية ومسيحية. (الصياد: المغول فى التاريخ ص ٢١) .

أيدي قوت: المعروف عن الأويغوريين أنهم ظلوا مدة طويلة دون أن يكون لهم ملك أو رئيس. فوقع اختيارهم على شخص يدعى (منكوباي) ولقبوه بلقب (إيل إيلتيرير) ثم اختاروا شخصا آخر عرف بمقدرته وكفاءته من قوم (أورقندر) ولقبوه بلقب (كول إيركين) ونصبوا الاثنين ملكين على جميع الأقوام. وقد استمر أعقابهما يحكمون مدة مائة سنة. وفى النهاية اصطلح الأويغور على تسمية ملكهم: "أيدي قوت"، يعنى: "رئيس الدولة" (الصياد: المغول فى التاريخ ص ٢٢) .

المالق: هى إحدى مدن تركستان وكانت فى وقت من الأوقات من أمهات مدن دولة الخطا، وترجع أهميتها فى أنها كانت تقع على الطريق بين منغوليا وفسارس. (أبو المحاسن: النجوم الزاهرة ج ٦ ص ١٣٦) .

سفتاق: فى سنة ٦١٠ هجرية قصد جنكيزخان بلاد السلطان محمد، ولما وصل إلى بلاد التركستان أتاه الأمير أرسلان خان من "قباليغ" والأمير "أيدي قوت" من بيش باليغ والأمير "سفتاق" من المالىغ وساروا فى عساكرهم. ولما اجتمعت العساكر جميعها بعصبة مدينة أترار سير جنكيزخان ابنه الكبير فى "تومانين" عسكر إلى جانب خوقند، وتوجه هو بنفسه إلى بخارى ورتب على محاصرة أترار ولديه "جغاتاي" و"أوكتاي"، فدام القتال عليها مدة خمسة شهور لأن السلطان محمد كان قد سير إليها "غاير خان" فى خمسة آلاف فرس وقراجا خاص حاجب فى عشرة آلاف وكانوا كلهم بها. ولما ضاقت الحيلة بمن فى

المدينة وعجزوا عن المقاومة شاور "قراجا" لغازير خان" فى الصلح وتسلم البلد. فأبى غازير خان إلا المجاهدة حتى الموت؛ لعلمه أن المغول لا يبقون عليه فلم ير فى المصالحة مصلحة. (ابن العبري: تاريخ مختصر الدول ص ٢٣٠) .

١٠٣ خوقند : لما اقترب جنكيزخان من أترار قسم جيوشه على النحو التالى : قسم مؤلف من عدة طومانات (عشرات الألوف) وفيهم الأويغوريون، ويتولى قيادته جغاتاي. ويقوم بحصار مدينة أترار ،بينما تقرر إرسال قسم آخر بقيادة "جوجى" إلى نهر سيحون ويتوجه قسم صغير إلى "خوقند" بطريق نهر سيحون .أما جنكيزخان وابنه الأصغر "تولى" فتوجها بمعظم الجيش إلى بخارى لقطع طريق الاتصال بين السلطان وجيشه. (العريبي:المغول ص ١٢٢).

١٠٤ أترار : كانت مدينة أترار أول مدينة قصدها المغول؛ لأنها تعتبر من جهة مفتاح إقليم ما وراء النهر، ومن جهة أخرى كان لايزال يحكمها إينال خان الحاكم الخوارزمى الذى قتل التجار المغول فأثار بذلك حفيظة جنكيزخان، وجعله يصمم على تأديبه والثأر لمقتل رعاياه. (الصياد:المغول فى التاريخ ص ١١٣) .

١٠٥ سينوب : استولى السلطان السلجوقى عز الدين كيكياوس الأول سنة ٦١١ هجرية /١٢١٤ ميلادية على مدينة سينوب، ولكنها ما لبثت أن وقعت فى يد إمبراطور طرابزون ثم استردها السلاجقة فى أواخر سلطنة قليج أرسلان الرابع بفضل الجهود التى بذلها الأمير السلجوقى البروانة "معين الدين سليمان" طوال عامين. ولكن معين الدين اتخذ سينوب لنفسه ولم يتحرج عندما خاف أن يستولى عليها قليج أرسلان الرابع من الإقدام على قتله. فلما أرغمت الظروف على ترك سينوب خلف عليها ابنه "معين الدين محمد". وما أن قتل معين الدين سليمان سنة ٦٧٦ هجرية /١٢٧٧ ميلادية حتى أعلن "معين الدين محمد" استقلاله فى سينوب، وقرر قراره على أن يحارب المغول ولكن الموت عاجله سنة ٦٩٦ هجرية /١٢٩٦ ميلادية وخلفه فى حكم سينوب ابنه "مهذب الدين مسعود" الذى كان يجنح إلى مسالمة المغول وتوفى سنة ٧٠٠ هجرية /١٣٠٠ ميلادية. وبوفاته انتهت حكومة أولاد "بروانة" التى دامت أربعة وعشرين عاما فقط. وانتقلت سينوب وما حولها

إلى "غازى جلبي بن السلطان غياث الدين مسعود الثانى". (أحمد السعيد سليمان: تاريخ
الدول الإسلامية ومعجم الأسر الحاكمة ج ٢ ص ٣٨٩).

١٠٦ كبير ألكس : هو ملك الروم والمعروف "بالشكرى". وهذا الملك هو الذى قتل والده "غياث
الدين كيخسرو" الملك "عز الدين كيكائوس". (ابن واصل: مفرج الكروب ص ٢٠٥).

١٠٧ بابا الروم : كان مقر البابا فى رومية الكبرى.

١٠٨ بيسان : مدينة بالأردن بالغور الشامى، ويقال: هى "لسان الأرض"، وهى تقع بين حوران
وفلسطين. (أبو المحاسن: النجوم الزاهرة ج ٦ ص ١٦٨).

١٠٩ الملك الفاتز : هو الملك الفاتز إبراهيم بن الملك العادل. كان قد قصد منبج وملكها ولكن
استعادها الملك الظاهر، وخرّب سورها وقلعتها ونقل ذخائرها إلى حلب وأقطعها
"عماد الدين بن المشطوب". (ابن واصل: مفرج الكروب ص ١٣١).

١١٠ أران : هو اسم أعجمى لولاية واسعة ويمر بين أذربيجان وأران نهر "الرس" وكل ما
جاوره من ناحية الغرب والشمال، فهو تابع لأران وكل ما كان من جهة المشرق فهو من
أذربيجان. ولقد قال البعض : إن أران من أصقاع أرمينية. (الحموى: معجم البلدان ج ١
ص ١٣٦).

١١١ عقر : هى قرية بين تكريت والموصل وكانت قديما محطا للقوافل. (الحموى: معجم البلدان
ج ٤ ص ١٣٦).

١١٢ عمادية : هى قلعة عظيمة وحصينة تقع فى شمال الموصل وتعد من أعمالها. ومما يذكر
أن عماد الدين زنكى بن آقسنقر هو الذى عمرها وأغلب الظن أنها سميت باسمه.
(الحموى: معجم البلدان ج ٣ ص ١٤٦).

١١٣ الهكارية : بلدة وناحية وقرى فوق الموصل فى بلدة جزيرة "ابن عمر" يسكنها أكراد يقال
لهم: "الهكارية". (أبو المحاسن: النجوم الزاهرة ج ٦ ص ١١٧).

١١٤ الزوزان : هى اسم كورة بين جبال أرمينية وبين أخلاط وأذربيجان وديار بكر والموصل.
(الحموى: معجم البلدان ج ٣ ص ١٥٨).

- ١١٥ شهاب الدين : هو شهاب الدين طغرل وهو أتابك الملك العزيز. (ابن واصل:مفرج الكروب ص٨).
- ١١٦ عالقين : كان الملك العادل نازلا "بمرج الصفر" ثم رحل منها إلى "عالقين" وهي عند عقبة "أفيق". (ابن واصل:مفرج الكروب ص ٢٧٥).
- ١١٧ الأبناء الآتيين: ذكر أن الملك العادل قد ترك ستة عشر ولدا ذكرا غير البنات. (ابن واصل:مفرج الكروب ص٢٧٠).
- ١١٨ الملك الأشرف : هو الملك الأشرف مظفر الدين موسى صاحب البلاد الشرقية وخلط بعد أخيه الملك الأوحى.
- ١١٩ الملك الحافظ : هو الملك الحافظ نور الدين أرسلان سابع أبناء الملك العادل. (ابن واصل:مفرج الكروب ص٢٧٥).
- ١٢٠ الملك العزيز عثمان : هو الملك العزيز عماد الدين أبو الفتح عثمان صاحب بانياس وعدة مواضع، كانت بيد فخر الدين جهاركس وكان جوادا شهما. (ابن واصل:مفرج الكروب ص٢٧٤).
- ١٢١ الملك الصالح إسماعيل : هو الملك الصالح عماد الدين إسماعيل وكانت له من أبيه بصرى وملك بعد ذلك دمشق وبعليك. (أبو المحاسن:النجوم الزاهرة ج٦ ص١٧٢).
- ١٢٢ الملك الأمجد عباس : هو الملك الأمجد تقي الدين عباس وهو أصغرهم. مولده سنة ثلاث وستمائة، وهو آخرهم موتا. توفي بدمشق ودفن بسفح قسيون سنة ٦٦٩ هجرية. (ابن واصل:مفرج الكروب ص٢٧٥).
- ١٢٣ ناصر الدين محمد : نصبه "بدر الدين لؤلؤ" على الملك بعد وفاة أخيه "نور الدين"، وكان آخر من خطب له من بيت أتابك بالسلطنة. (ابن واصل:مفرج الكروب ص٩٥).
- ١٢٤ نهر الزاب: هو نهر شديد الحمرة يمتد بين الموصل وأرب ويجرى فى جبال الأودية. (الحموى:معجم البلدان ج٣ ص١٢٣).

- ١٢٥ شهرزور: هي عبارة عن كور واسعة ممتدة في الجبال بين آرب وهمذان أهل هذه البلدة كلهم أكراد. (الحموي:معجم البلدان ج ٣ ص ٣٧٥).
- ١٢٦ الكواشي: هي قلعة حصينة تقع في جبال شرق الموصل. (الحموي:معجم البلدان ج ٤ ص ٤١٦).
- ١٢٧ عز الدين كيكاسوس: توفي على إثر مرض السل، وهو الملقب بالملك "الغالب" صاحب بلاد الروم. (ابن واصل:مفرج الكروب ص ٢١٧).
- ١٢٨ علاء الدين كيقباز: هو صاحب الروم، كان عاقلا شجاعا، ومقداما جودا. وهو الذي كسر "الخوارزمي" وكسر "الكامل" واستولى على بلاد الشرق. ظلامته وكان الملك "العادل" قد زوجه ابنته فأولدها أولادا، وكان عادلا منصفًا مهيبًا ما وقف له مظلوم إلا وكشف ظلامته وكانت وفاته في شوال سنة ٦٣٤ هجرية. (أبو المحاسن:النجوم ج ٦ ص ٢٩٧).
- ١٢٩ قلعة المنشار: قلعة على الفرات بالقرب من ملطية، كان مسجونًا بها "علاء الدين كيقباز". (ابن العبري:تاريخ مختصر الدول ٢٣٣).
- ١٣٠ الإسماعيلية: كان الحسن بن الصباح هو مؤسس المذهب الإسماعيلي في أواخر القرن الخامس الهجري في منطقة الديلم من البلاد الإيرانية. وكان قد دخل مصر وهو لا يزال شابا في سنة ٤٦٤ هجرية/١٠٧٢ ميلادية، وبواسطة ابن عطاش داعي الفاطميين الكبير في إيران في الجمعية السرية التي تعترف بإمامة الخليفة الفاطمي "المستنصر" ثم توجه الحسن بنفسه سنة ٤٧١ هجرية/١٠٧٨ ميلادية إلى مصر وانتسب إلى المستنصر، ثم دخل بعد ذلك في القائلين بإمامة ابن المستنصر. وفي أثناء عودته استولى على قلعة "الموت"، وكان ذلك سنة ٤٨٢ هجرية/١٠٩٠ ميلادية. ولما توفي سنة ٥١٨ هجرية خلفه بموجب وصية نائبه (كيا بزرك أميد) وهو الذي تسلسل حكم الإسماعيلية هناك في نريته. ويقال لهؤلاء الإسماعيلية أيضا "الباطنية" و"الملاحدة" و"الأموتية". وقد بلغوا من القوة - لفترة - ما جعل العباسيين والسلاجقة يعجزون جميعا عن الثأر منهم. وكان من أصول عقيدتهم قتل أعدائهم بالدسائس وبكل الوسائل. ويقال: إن الرؤساء كانوا يشربون الحشيش للفدائيين المأمورين بتنفيذ هذه الجرائم؛ ولذلك يسمى هؤلاء الإسماعيلية

"بالحشاشين". وقد حرف الأوربيون هذه الكلمة فسموهم (ASSASSINS) بمعنى "القتلة" فقد اتسع هذا المذهب في إيران حتى وصل فرع منه إلى سوريا واكتسب أنصارا كثيرة في حلب بوجه خاص. ولما ظهر المغول عجز "ركن الدولة" آخر حكام الإسماعيلية عن المقاومة فسقطت "الموت" سنة ٦٥٤ هجرية/ ١٢٥٦ ميلادية وقبض عليه وأعدم، وهدم المغول كل قلاع الإسماعيلية بالشرق. وأما حصونهم في سوريا فقد استولى عليها المملوك التركي السلطان "بيبرس" سنة ٦٧١ هجرية/ ١٢٧٢ ميلادية، وانتهى حكم الإسماعيلية تماما. ولكن للإسماعيلية الآن بقايا في جبال النصيرية بسوريا وبقوار "قم" في إيران وفي بعض مناطق بوسط آسيا وأفغانستان والهند وعمان. (أحمد السعيد سليمان: تاريخ الدول الإسلامية ومعجم الأسر الحاكمة ج ١ ص ٣٠٣).

١٣١ تولى : تذكر المصادر أنه هو الذي اعتلى المنبر وليس ابنه، وذلك كما ورد في (ابن العبري: تاريخ مختصر الدول ص ٢٣٣)؛ وكذلك (الصيد: المغول في التاريخ ص ١١٦).

١٣٢ ابن المشطوب : هو عماد الدين أحمد بن سيف الدين علي بن أحمد بن المشطوب، توفي سنة ٦١٩ هجرية. (أبو الفداء: المختصر في أخبار البشر ج ٣ ص ١٢٥).

١٣٣ السلامية : هي قرية كبيرة تقع على شرق نهر دجلة في الموصل وتعد من أكبر قراها. (الحموي: معجم البلدان ج ٣ ص ٢٣٤).

١٣٤ قلعة الحدث : هي قلعة حصينة بين ملطية وسميساط ومرعش وتعد هذه القلعة من الثغور. ويسمى البعض "الحمراء" لحرمة تربتها، وتقع هذه القلعة على جبل يسمى "الأحيدب". (الحموي: معجم البلدان ج ٢ ص ٢٢٧).

١٣٥ الملك المنصور : هو الملك المنصور محمد بن الملك المظفر تقي الدين عمر بن شاهنشاه صاحب حماة. ولقد توفي بحماه في ذي القعدة من سنة ٦١٧ هجرية وكانت مدة مرضه إحدى وعشرين يوما. (أبو الفداء: المختصر في أخبار البشر ج ٣ ص ١٢٥).

١٣٦ الملك الناصر قليج أرسلان : هو الملك الناصر صلاح الدين قليج أرسلان بن الملك المنصور صاحب حماة شقيق الملك المظفر تقي الدين محمود ولد سنة ٦٠٠ هجرية. (ابن واصل: مفرج الكروب ص ١٦١).

- ١٣٧ عسقلان : هو اسم أعجمي، وهي مدينة بالشام وتعد من أعمال فلسطين. (الحموي:معجم البلدان ج٤ ص١٢٢).
- ١٣٨ الإسبتارية: الإسبتار طائفة من رجال الدين، كان مبدأ أمرهم في القرن التاسع الميلادي في إيطاليا بعنوان: **NOTRE DAME DE LA SCALA**. ثم زاد عددهم في الحروب الصليبية، لمساعدة الصليبيين من جهة والدعاية لنشر الدين من جهة أخرى، وهم فرق كثيرة مختلفة. (أبو المحاسن: النجوم الزاهرة ج٦ ص٣٣).
- ١٣٩ بارين : مدينة حسنة بين حلب وحماة من جهة الغرب. (أبو المحاسن: النجوم الزاهرة ج٦ ص٢٥).
- ١٤٠ طرسوس : هي كلمة أعجمية رومية، وهي مدينة بثغور الشام بين إنطاكية وحلب وبلاد الروم ويخترقها نهر أتبردان. (الحموي:معجم البلدان ج٤ ص٢٨).
- ١٤١ أذنة : هي بلدة من الثغور قرب المصيصة ويمر بها نهر أتسيحان. (الحموي:معجم البلدان ج١ ص١٣٢).
- ١٤٢ المصيبة : هي مدينة على شاطئ الجيحان، وهي تعد من ثغور الشام وتقع بين إنطاكية وبلاد الروم وهي تقرب من طرسوس. (الحموي:معجم البلدان ج٥ ص١٤٤).
- ١٤٣ سمرقند :خرج هولوكو خان على رأس جيشه من عاصمة المغول (قراقورم) في سنة ٦٥١ هجرية / ١٢٥٣ ميلادية . وقد أسرع أمراء الأطراف إلى تقديم كافة التسهيلات لتموين الجيش . كما أنهم أخذوا على عاتقهم تنظيف الطرق من الحجارة والأشواك . وهكذا صار هولوكو وجنوده يقطعون المراحل والمنازل حتى وصلوا إلى سمرقند في شعبان سنة ٦٥٣ هجرية / فبراير سنة ١٢٥٥ ميلادية، حيث مكث بها حوالي أربعين يوماً ثم رحل منها إلى مدينة كس KESCH التي كانت تقع إلى الجنوب الغربي من سمرقند، فمكث بها مدة، كان خلالها موضع تكريم الوجوه والأعيان في إقليم خراسان. (الصياد:المغول في التاريخ ص٢٣٦).

١٤٤ بخارى: استولى التتار على بخارى فى الرابع من ذى الحجة سنة ٦١٨ هجرية وعصيت عليهم قلعتها فحاصروها وملكوها وقتلوا كل من بها ثم قتلوا أهل البلد عن آخرهم (أبو الفداء:المختصر فى أخبار البشر ج ٣ ص ١٢٢).

١٤٥ شيخ الإسلام: هو موفق الدين أبو محمد المقدس الدمشقى الصالح الحنبلى صاحب التصانيف. ولد "بجماعيل" فى شعبان سنة ٥٤١ هجرية، وقرأ القراءات واشتغل فى صغره وسمع من أبيه ورحل إلى البلاد، وسمع الكثير وكتب وصنف وبرع فى الفقه والحديث، وأفتى ودرس وشاع ذكره وبعد صيته. كانت وفاته فى يوم عيد الفطر وله ثمانون عاما. (أبو المحاسن:النجوم الزاهرة ج ٦ ص ٢٥٦).

١٤٦ خوارزم: إقليم يقع فى المجرى الأسفل لنهر أموداريا (جيحون)؛ ونظرا لأن خوارزم تكون دلنا خصيبة فقد كان لها أهمية كبيرة منذ قديم الزمن فى تطور المدنية والحضارة فى آسيا الوسطى. وظل التاريخ السياسى للخوارزمية مجهولا حتى القرن الثامن الميلادى، ولم تكن حدودهم الجغرافية معروفة. وفتح هذا الإقليم قتيبة بن مسلم سنة ٩٣ هجرية / ٧١٢ ميلادية. وفى الفترة الواقعة بين القرن الثامن والقرن الحادى عشر الميلادى تأثرت خوارزم بالحضارة الإيرانية القديمة وكان بها من الديانات الزرادشتية والمسيحية والارثوذكسية. (الصياد:المغول فى التاريخ ص ٨٠).

١٤٧ الجرجانية: هو اسم لقصبة إقليم خوارزم وهى مدينة عظيمة على شاطئ الجيحون.وقد زالت من عالم الوجود بعد حصار جنكيزخان لها لمدة أربعة أشهر، وهى التى كانت زينة المدن اتساعا وعمرانا واكتظاظا بالسكان. وكانت عاصمة كبيرة تزخر بالمدارس والمكتبات وتموج بالعلماء والشعراء والأدباء الذين يفدون إليها من خراسان وما وراء النهر والعراق. فضلا عن ذلك كانت لها مكانة ممتازة من الناحية التجارية، إذ كانت تقع على رأس طرق التجارة ما بين جرجان وممالك طوائف الخزر ووادى القبجاق، كما كانت ترتبط بما وراء النهر وكاشغر والصين، فلا غرو أن كان يؤمها التجار من كل ناحية. (الصياد:المغول فى التاريخ ص ١٢٨).

١٤٨ هركند: هو بحر فى أقصى بلاد الهند ويقع بين الهند والصين كما توجد به جزيرة سرنديب. (الحموى:معجم البلدان ج ٥ ص ٣٩٩).

- ١٤٩ أردهن : هي قلعة حصينة من أعمال الرى . (الحموى:معجم البلدان ج ١ ص ١٤٩).
- ١٥٠ شيراز : إحدى مدن مقاطعة فارس، وإليها ينسب الشاعران الكبيران فى الأدب الفارسى: سعدى وحافظ. (الحموى:معجم البلدان ج ٣ ص ٣٨٠).
- ١٥١ قلعة عليا: حاليا "علائية". فى زمن كيقباز الأول (١٢٢٠-١٢٣٧م) الذى يعتبر أزهى عصور سلاجقة الروم ، امتدت الممتلكات السلجوقية على الشاطئ الجنوبى لآسيا الصغرى حتى الساحل المواجه لجزيرة قبرص وإلى دروب قليقية ، واتخذ كيقباز مقرا له فى "عليا". (العربى:المغول ص ١٠٣).
- ١٥٢ أمين الدولة توما : هو أبو الكرم صاعد بن توما النصرانى الطبيب البغدادى .لقد قتل فى الثامن والعشرين من جمادى الأولى ليلة الخميس سنة ٦٢٠ هجرية. لقد تقدم فى أيام الإمام الناصر إلى أن صار فى منزلة الوزراء. (ابن العبرى: تاريخ مختصر الدول ص ٢٤١).
- ١٥٣ ست نسيم : كان الإمام الناصر فى أواخر أيامه قد ضعف بصره وأدركه سهو فى أكثر أوقاته. ولما عجز عن النظر فى القصص استحضر امرأة من النساء البغداديات تعرف "بست نسيم" وقربها، وكانت تكتب خطأ قريبا من خطه وجعلها بين يديه تكتب الأجوبة. (ابن العبرى: تاريخ مختصر الدول ص ٢٤١).
- ١٥٤ دير القديس توما : هو المعروف باسم: "دير قنسرين" يقع على شاطئ الفرات مقابل بلدة (جربلس). أنشئ سنة ٥٣٠ واستفاضت شهرته وكانت له أيام غر إلى القرن التاسع. وحوى أيام عمارته ثلاثمائة وتسعين راهبا ، أحرقه بعض الخوارج، فرمه "ديونسيوس الأول" وأعاد سيرته الأولى سنة ٨٢٢ ضد الكنيسة بسبعة بطاركة وخمسة عشر أسقفا حتى سنة ٩٣٠ ، وألحق بأبرشية سميساط حول سنة ١٠٢٥ . وقد ظل عامرا حتى صدر المائة الثالثة عشرة ثم عصف الدهر بأهله. (أغناطيوس برصوم: اللؤلؤ المنثور ٥١٣).
- ١٥٥ الملك الأفضل : هو الملك الأفضل نور الدين على ابن السلطان صلاح الدين يوسف، توفى فجأة سنة ٦٢١ هجرية .وكان الملك الأفضل بعد وفاة والده سنة ٥٨٩ هجرية ملك مدينة دمشق والبيت المقدس وغيرهما من الشام، فأخذ منه كل هذه المدن سنة ٥٩٢

هجرية وكان لا يملك إلا سميساط فقط. كانت وفاته سنة ٦٢٤ هجرية عن سبع وخمسين عاما. (ابن العبري: تاريخ مختصر الدول ص ٢٣٧).

١٥٦ الناصر أبو العباس أحمد : هو الخليفة الناصر لدين الله أمير المؤمنين أبو العباس أحمد ابن الخليفة المستضيء بالله أبي محمد الحسن. ولد يوم الاثنين العاشر من شهر رجب سنة ٥٥٣ هجرية، وبويع بالخلافة بعد موت أبيه المستضيء في أول ذي القعدة سنة ٥٧٥ هجرية. (أبو المحاسن: النجوم الزاهرة ج ٦ ص ٢٦١).

١٥٧ الظاهر : هو الخليفة أمير المؤمنين الظاهر بأمر الله أبو نصر محمد، ابن الخليفة الناصر لدين الله أبي العباس أحمد الهاشمي العباسي البغدادي. ولى الخلافة بعد وفاة أبيه سنة ٦٢٢ هجرية فلم تطل مدته فيها، وعانى الشدائد إلى أن مات في شهر رجب. وكانت مدة خلافته تسعة أشهر وأياما، وكان مولده في المحرم سنة ٥٧٠. ولما مات تولى الخلافة بعده ولده المستنصر بالله جعفر. (أبو المحاسن: النجوم الزاهرة ج ٦ ص ٢٦٥).

١٥٨ الأمير علي : يقول ابن العبري : لما توفي الناصر لدين الله بويع ابنه الإمام الظاهر بأمر الله عدة الدين أبو نصر محمد في الثاني من شوال في سنة ٦٢٢ هجرية. وكان والده قد بايع له بولاية العهد وكتب بها إلى الآفاق، وخطب له بها مع ابنه علي سائر المنابر، ومضت على ذلك مدة ثم نفر عنه بعد ذلك وخافه على نفسه فإنه كان شديدا قويا عالي الهمة، فأسقط اسمه من ولاية العهد في الخطبة واعتقله وضيق عليه ومال إلى أخيه الصغير "الأمير علي"، إلا أنه لم يعهد إليه. فاتفقت وفاة الأمير علي للصغير في حياة والده وخلف أولادا أطفالا فبعث بهم إلى شستر. فعلم الإمام الناصر أنه لم يبق له ولد تصير الخلافة إليه بعده غيره، فعهد إليه وبايع له الناس وهو في الحبس. وكان عامة أهل بغداد يميلون إليه. (ابن العبري: تاريخ مختصر الدول ٢٤٢). من الواضح أن هذا الكلام يخالف ما ورد في النص بأنه "عينه ملكا".

١٥٩ الملك المعظم : هو الملك المعظم عيسى بن الملك العادل أبي بكر بن أيوب. توفي في شهر ذي القعدة من سنة ٦٢٤ هجرية في دمشق، وكان يبلغ من العمر ثمانية وأربعين عاما، وكانت مدة ملكه لدمشق من حين وفاة والده الملك العادل عشر سنين وستة أشهر. (ابن العبري: تاريخ مختصر الدول ص ٢٤٣).

١٦٠ المستنصر : هو المستنصر بالله أبو جعفر المنصور . لما بويع الإمام الظاهر بأمر الله بويع ابنه جعفر المنصور ولقب: "المستنصر بالله". ولد سنة ٥٨٨ في بغداد، وبويع بالخلافة يوم وفاة والده في شهر رجب سنة ٦٢٣ هـ. ولقد أظهر من العدل وحسن السيرة أضعاف ما أظهره والده. وكان أول من عنى من العرب بالعلوم وكان مع براعته في الفقه بارعا في علم الفلسفة، وخاصة في علم النجوم . ولقد سلك مسلك أبيه في العدل وكانت مدة خلافته سبعة عشر عاما إلا شهرا. وتوفي في العشرين من جمادى، وقيل: في يوم الجمعة في العاشر من جمادى الآخرة سنة ٦٤٠ هجرية ببغداد بالغيا من العمر إحدى وخمسين سنة وأربع اشهر . (أبو المحاسن: النجوم الزاهرة ج ٦ ص ٣٤٥) .

١٦١ سميت باسمه : قام المستنصر بإنشاء مدرسته المعروفة "بالمستنصرية"، التي لم يعمر في الدنيا مثلها . فعمرت على أعظم وصف في صورتها وآلاتها واتساعها وزخرفها وكثرة فقهاءها، ووقفها على المذاهب الأربعة ورتب فيها أربعة من المدرسين، في كل مذهب مدرسا، وثلاثمائة فقيه لكل مذهب خمسة وسبعون فقيها ورتب لهم من المشاهرات والخبز والطعام في كل يوم يكفى لكل فقيه . وبنى لهم داخل المدرسة حماما خاصا للفقهاء، وطيبيا خاصا يتردد إليهم في بكرة كل يوم يتقدمهم، ومخزنا فيه كل ما يحتاج إليه من أنواع ما يطبخ من الأطعمة ومخزنا آخر فيه أنواع الأشربة والأدوية. (ابن العبري: تاريخ مختصر الدول ص ٢٤٣) .

١٦٢ القبجاق: هم فرع من فروع الترك، مساكنهم الأصلية حوض نهر "أرتش" . وقد تنقلوا حتى استقروا بحوض نهر "إتل" (الفلجا) في جنوب روسيا الحالية، فعرفت تلك الجهة باسم "القبجاق"، كما عرفت به أيضا دولة المغول المسماة باسم "القبيلة الذهبية". وهم أهل حل وترحال على عادة البدو. (فؤاد عبد المعطي الصياد: الشرق الإسلامي في عهد الإيلخانيين ص ٩٧) .

١٦٣ تتكوت: هي بلاد شرقي التبت وغربي نهر الصين المسمى "هو"، أي: النهر الأصفر. (ابن العبري: تاريخ مختصر الدول ص ٢٤٤) .

١٦٤ الناصر صلاح الدين داوود: صاحب دمشق، تولى الملك بعد وفاة أخيه المعظم سنة ٦٢٤ هجرية، وقد قام بتدبير مملكته مملوك والده الأمير عز الدين أيك. كان قد كاتب عمه

الملك الأشرف موسى بالحضور إلى دمشق. (أبو المحاسن: النجوم الزاهرة ج ٦ ص ٢٧٢).

١٦٥ السامرة : قرية بين مكة والمدينة. (الحموي: معجم البلدان ج ٣ ص ١٧٨).

١٦٦ الإمبراطور: هو فردريك الثاني الألماني .

١٦٧ أرمينيا : يدل اسم أرمينيا اليوم _ كما يدل قديما _ على أوسط البقاع وأكثرها ارتفاعا من المنطقة الجبلية الواقعة غرب آسيا، وهي البلاد الجبلية الشاسعة التي تحد غربا بآسيا الصغرى وشرقا بهضبة أنزيبجان والشاطئ الجنوبي من بحر الخزر، ومن الشمال الغربي تحدها البلاد الواقعة على بحر بنطس (يسمى اليوم جانيق ولازستان) وبلاد القوقاز التي يفصلها عن أرمينيا نهر "كروريون"، ويحدها من الجنوب السهل الشمالي الغربي من بلاد ما بين النهرين والبلاد الواقعة في حوض دجلة الأعلى والزاب الأعلى. وهذا الإقليم المسمى - أرمينية والذي تبلغ مساحته ٣٠٠ كم تقريبا - يكون وحدة جغرافية ذات طبيعة خاصة تميزها عن غيرها من البلاد المجاورة؛ فهو إقليم تكثر فيه الجبال. ومعظم أرمينية يغلب عليه الهضاب الصغيرة والكبيرة التي تمتد من الجنوب الشرقي إلى الشمال الغربي، وتمتاز جميعها بخلوها من الغابات. قسم الأرمن منذ القدم بلادهم إلى قسمين متساويين هما : ١ إقليم أرمينية الكبرى : وهو الذي تتوسطه خلاط أو أخلاط. ٢ - إقليم أرمينية الصغرى : وهو عبارة عن تغليس وما حولها وقد سميت نسبة إلى "أرمينيا بن لنطا بن أومر بن يافث بن نوح عليه السلام الذي كان أول من نزلها وسكنها. (الصياد: الشرق الإسلامي في عهد الإيلخانيين ٥٩).

١٦٨ حسنون الطبيب : هو حسنون الطبيب الرهاوي كان فاضلا في فنه علما وعملا. كانت أكثر مطالعاته في كتاب "اللوكرى" في الحكمة. وقد دخل إلى مملكة قليج أرسلان وخدم أمراء دولته كأمرير أخور سيف الدين وإختيار الدين حسن واشتهر ذكره. ثم خرج إلى دير بكر، وخدم من كان هناك من بيت شاهرمن وهزار ديناري ثم الداخلين على تلك الديار من بيت أيوب، ورجع إلى الرها. وتوفي سنة ٦٢٥ هجرية ودفن في بيعة اليعاقبة في حلب. (ابن العبري: تاريخ مختصر الدول ص ٢٥٣).

١٦٩ دير القديسة بربارا : يقع فى جبل الرها، وطدت أركانه وأخذ فى الأزدهار فى صدر القرن الخامس ونوه به التاريخ حتى سنة ١١٩١. وفيه تخرج "باسيليوس فارس" مطران الرها سنة ١٢٠٤. (أغناطيوس برصوم: اللؤلؤ المنثور ص ٥٠٩).

١٧٠ كتاب اللوكري: هو كتاب فى الحكمة، كان "حسنون الطيب" يكثر من الاطلاع فيه. (ابن العبري: تاريخ مختصر الدول ص ٢٥٣).

١٧١ جبرائيل : هو جبرائيل الرهاوى، كان طبيبا فاضلا عرف فى الرها زمان الطبيب "حسنون"، وعمل بالسريانية كتبا شتى طبية وفلسفية. توفى سنة ١٢٢٧. (أغناطيوس برصوم: اللؤلؤ المنثور ص ٤٠٢).

١٧٢ تل العجول : تقع بالقرب من غزة. (ابن واصل: مفرج الكروب ص ٧٤).

١٧٣ أوكتاي: (٦٢٦ - ٦٣٩ هجرية) (١٢٢٩ - ١٢٤١ ميلادية). بعد وفاة جنكيزخان ظلت بلاد الفرس خالية من ملك لمدة عامين، ثم تم اختيار بالإجماع على تولية "أوكتاي" عرش الخانية. ولكنه حاول التنحي والاعتذار بحجة أنه غير أهل لتولى هذا المنصب الخطير وأن أخاه "تولى" أجدر منه بمباشرة هذا الأمر والالتزام به، غير أن أخويه وأقاربه أغلقوا أمامه كل باب للاعتذار وأصروا عليه أن يقبل هذا المنصب. فعلا أعلنوا تنصيب "أوكتاي" (خاقانا) أى (خانا) أعظم للإمبراطورية المغولية، وذلك فى القوريلتاي الذى عقد لهذا الغرض فى ربيع سنة ٦٢٦ هجرية/ ١٢٢٩ ميلادية. كان "أوكتاي" ولوعا إلى أقصى حد بالشراب والإدمان على الخمر، وقد تسبب هذا فى ضعفه يوما بعد يوم. وعندما كانت جيوشه تحارب فى أوربا ظل مدة سبع سنوات عاكفا على اللهو والمتعة والشراب إلى أن أثر هذا على صحته. وفى إحدى الليالى عندما حان أجله أفرط فى الشراب. فتوفى وهو نائم، وكان ذلك فى سنة ٦٣٩ هجرية/ ١٢٤١ ميلادية. (الصياد: المغول فى التاريخ ١٦٦ - ١٨٨).

١٧٤ جلال الدين منكبرتي : فى السنة الثالثة عشرة من ولاية الملك الكامل محمد بن العادل أبى بكر - وهى سنة ٦٢٨ - ساق التتار خلف السلطان جلال الدين بن خوارزم شاه بعد أن أوقعهم عدة وقائع من بلاد تبريز، فانهزم بين أيديهم إلى ديار بكر فقتل فى قرية من

أعمال ميافاقين. وجمال الدين من نسل عبد الله بن طاهر بن الحسين، وجده تكش هو الذى أزال ملك السلجوقية. (أبو المحاسن: النجوم الزاهرة ج ٦ ص ٢٧٧).

١٧٥ حسام الدين قيمرى : نزل السلطان جلال الدين خوارزم شاه على خلاط سنة ٦٢٧ هجرية وحاصرها ونصب عليها عشرين منجنيقا على ناحية البحر . وكان بها: الملك الأشرف "تقى الدين عباس" و"محيى الدين يعقوب" و"الأمير حسام الدين القيمرى" و"عز الدين أيبك" مملوك الأشرف. دام الحصار على أهل خلاط واشتد حتى أكلوا لحوم الكلاب. فتسلم خوارزم شاه المدينة والقلعة، وانهزم "حسام الدين القيمرى" وأفلت على فرس وحده، ومضى إلى قلعة "قيمر". ثم تجهز على خدمة الملك الأشرف إلى الرقة وأمام عز الدين أيبك وتقى الدين ومحيى الدين مع خوارزم شاه يركبون معه ويلعبون الكرة. (ابن العبرى: تاريخ مختصر الدول ص ٢٤٥).

١٧٦ خوى : هو بلد مشهور وحصن حصين من أعمال أذربيجان. (الحموى: معجم البلدان ج ٢ ص ٤٠٨).

١٧٧ آمد : ديار بكر، مدينة قديمة حصينة دجلة محيطة بأكثرها. (أغناطيوس برصوم: اللؤلؤ ص ٥٠٤).

١٧٨ جبال صوفيا : تقع عند جبال كردستان.

١٧٩ هنزيط : هو من الثغور الرومية. (الحموى: معجم البلدان ج ٥ ص ٤١٨).

١٨٠ حرجا بنو يقسين : هى مدينة تقع على شط قراموران. (الصياد: المغول فى التاريخ ص ١٢٢).

١٨١ قراموران : معناها بلغة المغول: "النهر الأسود". (ابن العبرى: تاريخ مختصر الدول ص ٢٤٧).

١٨٢ نامكينك : عهد المغول إلى القائد "سبوتاي" بفتح العاصمة "كاى فونج" فلجأ ملك الصين "تن-كيا-سو" إلى مدينة "نامكينك" قبل سقوط العاصمة "كاى فونج". فلما بلغه الخبر بما جرى على أصحابه ارتاع وفزع وانتابه اليأس من الحياة، فجمع أولاده ونساءه وكل من

يعز عليه ودخلوا بيتا من بيوت الخشب، وأمر بضرب النار فيه فاحترق هو ومن معه
أنفة من الوقوع في الأسر. (الصياد: المغول في التاريخ ١٨٥).

١٨٣ أوردو باليغ: في سنة ٦٣١ هجرية (١٢٣٤ ميلادية) أمر "أوكتاي" مهرة المهندسين
الصينيين الذين كان قد أحضرهم معه من بلاد الخطا بأن ينشئوا مدينة جديدة في "أوردو
باليغ" (مدينة البلاط) شمال منغوليا، وبالقرب من بلاد قراقورم وعلى أطلال إحدى المدن
الخربة التي كانت تقوم في عهد "الأويغوريين". فتم هذا وأطلق على المدينة اسم: "أوردو
باليغ". ولكن نظرا لقربها من جبال "قراقورم" اشتهرت في التاريخ بهذا الاسم ثم اختارها
"أوكتاي" لتكون عاصمة له. (الصياد: المغول في التاريخ ص ١٩٠).

١٨٤ تولي: لقد فوض جنكيزخان إلى ابنه "تولي" مباشرة شئون الدفاع وإعداد الجيوش وكان
يدعى: "ألغ نويان" أي "الأمير الكبير". ولقد رأى جنكيزخان بثاقب فكره أن خير وسيلة
لتدريب أبنائه على مباشرة مهام الحكم وتحمل المسؤوليات هو أن يقسم إمبراطوريته بينهم
وهو على قيد الحياة. وطبقا للقانون المغولي يعطى الأب قبل وفاته قسما من أملاكه
لأبنائه الكبار بحسب سنهم، ويترك الجزء الأهم لأصغر أبنائه. وقد تم التقسيم على أن
تكون منغوليا المنطقة الأصلية لجنكيزخان وأبائه وأجداده، والتي تشمل وديان أنهار
كرولين وأونن وأرخن ومنطقة قراقورم كانت من نصيب تولي أصغر أبناء جنكيزخان.
وقد استمر يحكم الإمبراطورية مدة عامين ٦٢٤-٦٢٦ هجرية/١٢٢٧-١٢٢٩ ميلادية
بصفته وصيا على العرش، طبقا للعرف المغولي وذلك بمساعدة ثلاثة من المستشارين
إلى أن انتخب الخان الجديد خلفا لجنكيزخان. وقد مرض "تولي خان" ولم يمهلته المرض
إذ سرعان ما توفي سنة ٦٣٠ هجرية / ١٢٣٢ ميلادية فحزن عليه أخوه "أوكتاي حزنا
شديدا. (الصياد: المغول والتاريخ ص ١٦٥).

١٨٥ سرقونتي بيكي: بينما كان المغول مسرورين بفتح بلاد الخطا تولي "تولي خان" وكان
أحب الاخوة إلى "قآن" فاغتم لذلك كثيرا وأمر أن زوجته المسماة "سرقونتي بيكي" وهي
إبنة أخ "أونك خان" تتولى تدبير عسكره. وكان لها من الأولاد أربعة بنين: مونكا -
قوبلاي - هولاي - أريغ بوقا فأحسننت تربية الأولاد كانت سرقونتي لبيبة، مؤمنة، تدين
بالنصرانية. (ابن العبري: تاريخ مختصر الدول ص ٢٤٨).

يوحنا : هو أونك خان". كانت قبيلة "كرايت" تمتاز على غيرها من القبائل المغولية بالقوة وتتفوق عليها في العدة والعدد. وكان أونك خان - الذي يدين بالمسيحية - رئيسا لهذه القبيلة، وهو الذي عرفناه من قبل صديقا حميما (ليوسكاي بهادر) والد "جنكيز خان". وفي بادئ الأمر استمر أونك خان أيضا على وفائه للابن "تموجين" وغمره بعطفه، وتوطدت بينهما أواصر الود والصداقة ورفض التعرض له ومقاومته حين استعداه عليه إمبراطور الصين. ولما رأى في جنكيز خان الشجاعة والإقدام وبعد النظر أعجب به وبالغ في إعزازه وتكريمه. ولكن أبناء "أونك خان" وإخوته والمقربين له صاروا يحسدون "تموجين" على ما بلغه من جاه ومنزلة، فعملوا على الإيقاع به عند أونك خان وكانوا دائما يحذرونه منه ويوحون إليه بان في بقائه خطر على دولته. وهكذا دأبوا على وشايتهم حتى تغير موقف أونك خان من "تموجين" وصار يخشاه ويعمل على الخلاص منه، ولكن "أونك خان" وجد أنه من المتعذر أن يقوم "تموجين" علنا بفكر في حيلة للقضاء عليه سرا. واستقر رأيه على مهاجمته في وقت السحر. غير أن حظ "تموجين" كان موافيا؛ إذ هرب غلامان من أتباع أونك خان وأطلعا على تفاصيل المؤامرة التي تحاك ضده، فاتخذ "تموجين" حذره واستطاع أن ينجو بأهله وأتباعه في الوقت المناسب. وفي وقت السحر هاجم جنود "أونك خان" منازل تموجين فوجدوها خالية فجدوا في طلبه. وعندما التقى الفريقان دارت بينهما حروب طاحنة أسفرت عن انتصار تموجين، وقتل خصمه وغنم غنائم كثيرة وكان هذا في سنة ٥٩٩ هجرية / ١٢٠٢ ميلادية. (الصياد: المغول في التاريخ ص ٤٦).

نهر أتل : هو نهر "الفلجا" في جنوب روسيا الحالية. (الصياد: الشرق الإسلامي في عهد الإيلخانيين ص ٩٧)

سرتاق : هو أحد أمراء (آننده) حفيد قوبيلاي وحاكم إقليم التانجوت. كان سرتاق ينكر الإسلام ويعارضه ويدس لآننده عند الخاقان؛ فقد هداه الله وأعلن هو الآخر إسلامه وصار أحد الأمراء المرموقين في دولة "آننده". (الصياد: الشرق الإسلامي في عهد الإيلخانيين ص ٢٦٥).

١٨٩ سرمارى: قلعة عظيمة وولاية واسعة بين تفليس وخراسان . (ابن العبري: تاريخ مختصر
الدول ص ٢٤٩).

١٩٠ أيلستين: " هي مدينة مشهورة، وتسمى أيضا "أبلستان" تقع شرقى قيسارية بين جبل
طوروس والقسم العلوى من نهر جيحان. (الصياد:الشرق الإسلامى فى عهد الإيلخانيين
ص ٨١).

١٩١ الملك العزيز: هو السلطان الملك العزيز محمد ابن السلطان الملك الظاهر غازى ابن
السلطان صلاح الدين يوسف بن أيوب .كان صاحب حلب. تولى ولايتها بعد وفاة أبيه
الظاهر. ومولده فى ذى الحجة سنة تسع أو عشر وستمائة . وتوفى والده وهو طفل ،
فنشأ تحت حجر شهاب الدين الخادم ، فرتب شهاب الدين أموره وأحسن ترتيبه إلى سنة
تسع وعشرين وستمائة . استقل الملك العزيز هذا بالأمر إلى أن توفى بحلب فى شهر
ربيع الأول . وكان حسن الصورة عفيفا ولم يبلغ أربعاً وعشرين سنة ودفن بقلعة حلب.
(أبو المحاسن:النجوم الزاهرة ج ٦ ص ٢٩٧).

١٩٢ الملك الأشرف: هو الملك الأشرف أبو الفتح مظفر الدين موسى شاه من ابن السلطان
الملك العادل أبى بكر بن أيوب.أول شئ ملكه الأشرف من القلاع والبلاد هى الرها فى
أيام أبيه ، وآخر شئ دمشق ومات بها بعد أن ملك قلاع ديار بكر سنين. وولد سنة
٥٧٨ - وقيل سنة ٥٧٦ - بقصر الزمرد بالقاهرة (وكان من جملة قصور الخلفاء
الفاطميين). وقيل كان مولده بقلعة الكرك. ولقد توفى فى شهر محرم من سنة ٦٣٥
هجرية بدمشق ودفن بقلعتها ، ثم نقل بعد مدة إلى التربة التى أنشئت له (بالكلاسة) فى
الجانب الشمالى من جامع دمشق. وتوفى وهو يبلغ من العمر ستين عاما . وكان هذا
الملك مشهورا بسخائه وحببه للملاذات والترف.وقد حكم بعد أخيه الملك الأوجد .
(أبو المحاسن:النجوم الزاهرة ج ٦ ص ٢٢٧).

١٩٣ مجاهد الدين الدويدار: لقد قام سنة ٦٣٥ هجرية /١٢٣٧ ميلادية بجمع جيش كبير
بقيادته استطاع أن يهزم المغول بالقرب من تكريت ما بين دجلة وجبل ، وأن يفك
أسر عدد كبير من المسلمين كانوا قد وقعوا فى أيدي المغول أثناء قتالهم فى إربل.
(الصياد:المغول فى التاريخ ص ١٨١) .

الملك الكامل بن العادل: كان متولى سلطنة مصر فى حياة والده العادل. وكان العادل قد قسم الممالك على أولاده منذ سنوات عديدة قبل فاته. ولما مات العادل تفرد الملك الكامل محمد بالخطبة فى ديار مصر وأعمالها وكان ذلك فى سنة ٦١٥ هجرية. ولد الكامل سنة ٥٧٣ هجرية، وقيل: سنة ٥٧٦ هجرية، وكان أكبر أولاد العادل بعد مودود. وكان العادل قد عهد إليه لما رأى من ثباته وعقله وسداده، وكان شجاعا ذكيا فطنا يحب العلماء ويلقى عليهم المشكلات، ويثبت بين يدي العدو. وأما عدله فأليه المنتهى. توفى فى شهر رجب سنة ٦٣٥ هجرية، وكان سبب وفاته أنه عند دخوله قلعة دمشق أصابه زكام فدخل الحمام وسكب عليه ماء شديد الحرارة فأصابته حمى وتوفى على الفور. وكان وقتذاك يبلغ من العمر ستين عاما. وكان بين موته وموت أخيه الملك الأشرف نحو ستة أشهر. كانت مدة ملكه لمصر حين مات أبوه عشرين سنة، وكان بها نائبا قبل ذلك ما يقرب من عشرين عاما فحكم فى مصر نائبا وملكا نحو أربعين عاما. (أبو الفداء: المختصر فى أخبار البشر ج ٣ ص ١٦١).

الملك العادل الصغير: هو السلطان الملك العادل أبو بكر ابن السلطان الملك الكامل. ولد العادل بالمنصورة ووالده الملك الكامل يقاتل الفرنج بدمياط فى ذى الحجة سنة ٦١٧ هجرية. وسبب تسلطه وتقدمه على أخيه الأكبر نجم الدين أيوب أنه لما مات أبوه الملك الكامل محمد بقلعة دمشق فى رجب كان ابنه الملك الصالح نجم الدين أيوب - وهو الأكبر - نائب أبيه الملك الكامل على الشرق وإقليم ديار بكر، وكان ابنه الملك العادل أبو بكر هذا - وهو الأصغر نائب أبيه لديار مصر. فلما مات الكامل وقع الاتفاق بعد اختلاف كبير - على إقامة العادل فى سلطنة مصر والشام، وأن يكون نائبه بدمشق ابن عمه الملك الجواد يونس، وأن يكون أخوه الملك الصالح نجم الدين أيوب على ممالك الشرق على حاله، فتم ذلك وتسلطن الملك العادل فى أواخر سنة ٦٣٥ هجرية، ونعت بالعدل سيف الدين على لقب جده. (أبو المحاسن: النجوم الزاهرة ج ٦ ص ٣٠٣).

خانقين: فى سنة ٦٣٤ هجرية (١٢٣٦ ميلادية) تجمع جيش كبير بقيادة مجاهد الدين دويدار، واستطاع أن يهزم المغول بالقرب من تكريت، وأن يفك أسر عدد كبير من المسلمين كانوا قد وقعوا فى أيدي المغول أثناء قتالهم فى إربل. ومع هذا لم يمض وقت

طويل حتى عاود المغول الكره فقصدوا هذه المدينة فى سنة ٦٣٥ هجرية/١٢٣٧ ميلادية، حيث هزموا المسلمين فى "الخانقين" وقتلوا عددا كبيرا منهم، وعاد الباقون إلى بغداد. (الصيداءالمغول فى التاريخ ص ٨١) .

١٩٧ أماسيا : مدينة على ضفة نهر يشيل ايرماق على مسافة ٥٠ ميلا من جنوبى سمسون. (أغناطيوس برصوم:للؤلؤ المنثور ص٥٠٤) .

١٩٨ كركر : أو "جرجر" .هو حصن أو بلدة قرب ملطية بين سميساط وحصن زياد غربى الفرات وقد أصابها الخراب. (أغناطيوس برصوم:للؤلؤ المنثور ص٥١٨) .

١٩٩ كاختين : لعلها: "كاختا" . قال أبو الفداء " كاختا قلعة عالية البناء لا ترام حصانة بينها وبين ملطية مسيرة يومين. (ابن العبرى:تاريخ مختصر الدول ٢٥٠) .

٢٠٠ جورماغون نوين: لقد كان انتخاب "أوكتاي" بن جنكيزخان خانا أعظم للمغول إيذانا بشن حملة جديدة على ممالك الدولة الخوارزمية والقضاء عليها نهائيا. على أن المغول الذين كانوا لا يزالون يحتلون منطقة ما وراء النهر قاموا قبل ذلك بعدة حملات غير منظمة على قوات السلطان "جلال الدين منكبرتى"، كانت تسفر تارة عن انتصار جلال الدين وتارة أخرى عن انتصار المغول، ولكنها على كل حال لم تؤد إلى نتيجة حاسمة إلى أن عهد "أوكتاي" إلى قائده المشهور "جرماغون نوين" بقيادة الحملة على إيران، فسار على رأس جيش كبير تعداده ٥٠٠٠٠ جندى مصطحبا معه عددا من أمهر قواد المغول .وقد قدم الجميع إلى تركستان حيث طلبوا المدد من أمراء المغول وحكامها فى خوارزم. وبالإضافة إلى ذلك أضيف إلى هذا العدد الكبير قوات أخرى غير نظامية من أسرى الأعداء فبلغ عدد الجميع ١٠٠٠٠٠٠ جندى. (الصيداء:المغول فى التاريخ ص١٧١) .

٢٠١ كوساذاغ : كوسه طاغ أى: الجبل الأقرع. التقى المغول فى معركة "كوساذاغ" KOSE DAGH على الطريق بين سيواس وأرزنجان، فحلت بالسلاجقة الهزيمة الساحقة . وتحطم الجيش السلجوقى ومضى المغول فى نهب سيواس وقيصرية، واشتد الرعب بالسلطان كيخسرو فلم يسعه إلا أن يلوذ بالفرار إلى أضايا، ومنها إلى الحدود اليونانية بعد أن تخلى عن كل كنوزه وثروته. (العربى:المغول ص ١٠٦) .

- ٢٠٢ سبسطيا : سيواس بلدة كبيرة مشهورة وبها قلعة صغيرة وهي ذات أعين. والشجر بها قليل ونهرها الكبير يبعد عنها بمقدار نصف فرسخ. ويقول المسافرون: إن مسافة الطريق بين سيواس وقيسارية ستون ميلا ، فيها أربع وعشرون خانة للسبيل ، وفيها ما يحتاج إليه المسافرون المنقطعون ولاسيما في أيام الثلوج، وفي شرقها مدينة أرزن الروم. (أبو المحاسن:النجوم الزاهرة ج ٧ ص ١٦٩).
- ٢٠٣ بيت الجوز: هي ناحية ذات قرى وبساتين ومياه بين حلب والبيرة التي على الفرات ، وهي من عمل البيرة. (أبو المحاسن:النجوم الزاهرة ج ٦ ص ١٩٦).
- ٢٠٤ مطرابوليط : هي كلمة يونانية معناها "رئيس العاصمة"، ويراد بها أيضا: "الأسقف " أو: "رئيس الأساقفة" الساكن في مدينة كبيرة. (رفائيل بابو إسحاق:أحوال نصارى بغداد في عهد الخلافة العباسية ص ٦٧).
- ٢٠٥ ديونسيوس : هو ديونسيوس صليبا أسقف قلوذية الملقب "بالذكي". قرأ العلم وترهب في دير "ماذيق" قبيل سنة ١٢٨١ ، ثم رسم قسا فأسقفا لبرية قلوذية حول سنة ١٢٣٠. وصحب أغناطيوس الثالث في زيارته لبيت المقدس سنة ١٢٣٥ وقد ناب عنه في ملطية مدة وجيزة ثم عاد إلى أبرشيته. وافته المنية أواخر سنة ١٢٧٣ وقد ناهز الثمانين من عمره. (أغناطيوس برصوم:اللؤلؤ المنثور ص ٤٧١)
- ٢٠٦ حيلان : قرية من قرى حلب. (الحموي:معجم البلدان ج ٢ ص ٣٣٢).
- ٢٠٧ الكنديسطليل : **COMES STABULI, CONNETABLE** كانت هذه الكلمة تعنى أولا. وظيفة "أمير الأخور". ثم قصدوا بها بعد ذلك: أمير الجيوش . (ابن العبري:تاريخ مختصر النول ص ٢٥٦).
- ٢٠٨ مريضا : كان أوكتاي ولوعا إلى أقصى حد بالشراب والإدمان على الخمر. وقد تسبب هذا في ضعفه يوما بعد يوم، ولم يتيسر للخاصة ولا للأصفياء منعه من ذلك، بل كان يكثر من الشراب رغما عنهم. وعندما كانت جيوشه تحارب في أوربا ظل مدة سبع سنوات عاكفا على اللهو والمتعة والشراب إلى أن أثر هذا على صحته. وفي إحدى

الليالى عندما حان أجله أفرط فى الشراب فتوفى وهو نائم وكان ذلك فى سنة ٦٣٩ هجرية/١٢٤١ ميلادية. (الهمدانى:جامع التواريخ ج ٢ ص ٥١) .

٢٠٩ أوتجكين : على إثر وفاة "أوكتاي" اضطربت أحوال المغول واختلفوا على من يخلفه على العرش، فحرصت "توراكيينا خاتون زوجة الخان على أن يتولى ابنها الأكبر "كيوك هذا المنصب، بينما كان الأمير "باتو" ملك خانات روسيا ووادي القبجاق وأحد كبار الأمراء البارزين فى أسرة جنكيزخان لم يكن يميل أن يتولى عرش المغول أحد من أسرة أوكتاي. كذلك كان يرغب كوتان الابن الثانى لأوكتاي، وكذلك أوتجكين شقيق جنكيزخان فى تولى هذا المنصب بعد أبيه. وهناك فريق آخر يرى التقيد بوصية الخان الراحل واختيار حفيده الطفل "شيرامون"، ليكون خانا أعظم للمغول وبسبب غياب "كيوك" الابن الأكبر عن المقر الأصلي للمغول. (الصياد: المغول فى التاريخ ص ١٩٥) .

٢١٠ شروان : مدينة من نواحي باب الأبواب الذى يسميه الفرس "الدربند" بناها أنوشروان فسميت بإسمه ثم خففت بإسقاط شطر من اسمه. إن عاصمة شروان هى "شماض"، وهى قرب بحر الخزر. (الحموى:معجم البلدان ج ٣ ص ٣٣٩) .

٢١١ اللور : هى بلدة واسعة تقع بين خوزستان وأصبهان ويغلب عليها الجبال. (الحموى:معجم البلدان ج ٥ ص ٢٥) .

٢١٢ كرمان : هى ولاية مشهورة بين فارس ومكران وسجستان وخراسان. (الحموى:معجم البلدان ج ٤ ص ٤٥٤) .

٢١٣ قداق : هو أمير كبير وكان معمدا مؤمنا بالمسيح، وشاركه فى ذلك أمير آخر اسمه: "جينقاي" ويقال "جنبقاي". وقد أحسنا النظر إلى النصارى. ووطد علاقة "كيوك خان" ووالدته وأهل بيته بالمطارنة والأساقفة والرهبان، فصارت دولة الأتابكة دولة مسيحية وارتفع شأن الطوائف المنتمية إلى هذا المذهب من الفرنج والروس والسريان والأرمن. (ابن العبرى: تاريخ مختصر الدول ص ٢٥٧) .

٢١٤ فاطمة :حرصت توراكيينا خاتون حرصا شديدا، على أن يتولى ابنه الأكبر كيوك منصب الخان الجديد. ولبلوغ هذه الغاية صارت تبذل قصارى جهدها لمدة تربو على أربع

سنوات في سبيل تحقيق رغبتها .وكانت حاجبة تدعى "فاطمة" أصلها من "مشهد طوس" ثم ألحقت بخدمتها. وكانت هذه المرأة غاية في الذكاء والكفاءة وموضعا للثقة التامة وكاتمة أسرار الخاتون. وكان عظماء البلد يتخذونها أداة لتحقيق أغراضهم فأخذت توراكيها تعزل بمشورة تلك الحاجبة الأمراء وأركان الدولة ممن كانوا يتقلدون المناصب الكبرى في عهد أوكتاي .وكان من بين هؤلاء جينقاي الوزير الأعظم ومحمود يلواج صاحب الديوان وحاكم الخطا. (الصياد: المغول في التاريخ ص ١٩٦).

- ٢١٥ مكان : المقصود بهذا المكان هو بلدة "قمستكى".
- ٢١٦ ريدا فرانس : المقصود به هو " الملك لويس التاسع".وهي لفظة مركبة معناها عند الفرنج: "ملك فرنسا **ROI de FRANCE**". (ابن العبري:تاريخ مختصر الدول ص٢٥٨).
- ٢١٧ تل باشر : هي قلعة حصينة وبلدة عامرة في شمال حلب ، معظم أهلها أرمن ونصارى. (الحموي:معجم البلدان ج٢ ص٤٠).
- ٢١٨ قوص : هي كلمة قبطية .وقوص مدينة كبيرة وهي عاصمة صعيد مصر، وترتفع فيها الحرارة وذلك لقربها من البلاد الجنوبية. (الحموي:معجم البلدان ج٢ ص٤١٣).
- ٢١٩ الملك الصالح أيوب :لما سمع بأن الفرنج قد ملكوا دمياط رحل عن حمص وسار مسرعا إلى الديار المصرية ومرض في الطريق، وعند وصوله إلى المنصورة عرض له في فخده الداء الذي يسمونه الأطباء "غانغرايا"، ثم استحك الفساد فيها حتى آل أمرها إلى "سفاقلس"، وهو موت العضو أصلا فقطعوها وهو حي. وتوفي في ليلة الأحد الرابع عشر من شعبان سنة ٦٤٧ هجرية وكانت مدة ملكه للديار المصرية تسع سنين وثمانية أشهر وكان يبلغ من العمر أربع وأربعين عاما. (ابن العبري:تاريخ مختصر الدول ص٢٥٩).
- ٢٢٠ المعظم بن الصالح : كانت مدة إقامته في المملكة شهرين فقط.
- ٢٢١ كيفا : أو حصن كيف . مدينة قديمة في الجزيرة على نهر الشط تقع بين ديار بكر وجزيرة ابن عمر . ويرجع تاريخ تأسيس قلعتها فيما يظن إلى سنة ٨٠٠ قبل

الميلاد. وكان لهذه القلعة بفضل موقعها أهمية كبيرة في زمن الرومان والساسانيين وفي أوائل أيام المسيحية. واحتفظت بأهميتها أيضا في العهد الإسلامي. وقد امتلكها في فترة اضمحلال الدولة العباسية الحمدانيون ثم المروانيون الأكراد ثم بنو أرئق سنة ٤٩٥ هجرية / ١١١٠ ميلادية . وبلغت أقصى درجات العمران في أيام بنى أرئق كما ألبست منطقتها أهمية سياسية. (أحمد السعيد سليمان: تاريخ الدول الإسلامية ومعجم الأسر الحاكمة ج ١ ص ١٥٠).

٢٢٢ عز الدين التركمانى : هو السلطان الملك المعز عز الدين أيك بن عبد الله الصالحى النجمى المعروف بالتركمانى، أول ملوك الترك بالديار المصرية. أصله من مماليك السلطان الملك الصالح نجم الدين أيوب، اشتراه في حياة والده الملك الكامل محمد وتقلت به الأحوال عنده ، ولازم أستاذه الملك الصالح فى الشرق حتى جعله جاشنكيره (هو الذى يتصدى لذوق المأكول والمشروب قبل السلطان أو الأمير خوفا من أن يدس عليه فيه سم ونحوه) . ولهذا لما أمره كان عمل "رنكه صورة خوانجا" (الرنك: كلمة فارسية معناها الشعار ، وخوانجا: كلمة فارسية أيضا معناها الخوان أو المائدة الصغيرة . والمقصود من هذه العبارة هو أن الملك الصالح أيوب لما جعل المعز أيك "جاشنكيرا" عمل شعاره صورة مائدة لكى يتفق مع وظيفته وهى الإشراف على مائدة الملك) . واستمر على ذلك إلى أن قتل المعز توران شاه وملك شجرة الدر بعده، واتفق الأمراء على سلطنة الملك المعز أيك هذا وسلطنوه بعد أن بقيت الديار المصرية بلا سلطان مدة، وتشوف إلى السلطنة عدة أمراء فخيف من شرهم ومال الناس إلى أيك المذكور وهو من أوسط الأمراء، ولم يكن من أعيانهم غير أنه كان معروفا بالسداد وملازمة الصلاة ولا يشرب الخمر وعنده كرم وسعة صدر ولين جانب . فبايعوه وسلطنوه وأجلسوه فى دست الملك فى أواخر شهر ربيع الآخر سنة ٦٤٨ هجرية. وكانت مدة سلطنة الملك المعز على مصر سبع سنين . ومات وقد ناهز الستين سنة. (أبو المحاسن: النجوم الزاهرة ج ٧ ص ٣) .

٢٢٣ شجرة الدر : لقد انقرضت دولة الأيوبيين بمصر بعد أن شاركت زوجة الملك الصالح شجرة الدر المماليك فى قتل "توران شاه" ابن زوجها سنة ٦٤٨ هجرية / ١٢٥٠ ميلادية.

ومع أن شجرة الدر اعتلت هذا العام نفسه عرش الأيوبيين إلا أن أيك التركمانى الذى كان من مماليك الصالح أيوب، وكان يشغل فى أيامه بعض المناصب العالية. كان يقبض فعلا على أزمة الأمور بوصفه أتابكا ونائب سلطنة. ولم يكن لشجرة الدر إلا الخطبة على المنابر وضربت السكة باسمها وكان نقش السكة: "المستعصمية الصالحية ملكة المسلمين والدة الملك المنصور خليل". وكانت شجرة الدر قد ولدت من الملك الصالح ولدا مات صغيرا وكان اسمه "خليل"، وسميت: أم "خليل". ثم ما لبثت شجرة الدر أن عزلت بعد ثلاثة أشهر لأسباب كثيرة، منها اعتراض الخليفة العباسى ببغداد على أن تلى امرأة مقام السلطنة وتزوجها الأمير أيك بعد ذلك. حتى إذا كانت سنة ٦٤٨ هجرية اعتلى أيك عرش مصر بمساعدة المماليك البحرية، ولقب بالملك المعز مؤسس دولة الأتراك المماليك فى مصر. (أحمد السعيد سليمان: تاريخ الدول الإسلامية ومعجم الأسر الحاكمة ج ١ ص ١٥٩).

٢٢٤ قطز: هو السلطان الملك المظفر سيف الدين قطز بن عبد الله المعزى الثالث من ملوك الترك بالديار المصرية. وقطز هو لفظ مغولى. تسلطن بعد خلع ابن أسناده الملك المنصور على ابن الملك المعز أيك فى يوم السبت السابع عشر ذى القعدة سنة ٦٥٧ هجرية. كان المظفر أكبر ممليك الملك المعز أيك التركمانى، وكان بطلا شجاعا مقداما حازما، حسن التدبير يرجع إلى دين وإسلام وخير وله اليد البيضاء فى جهاد التتار . ولقد قتل الملك المظفر قطز مظلوما بالقرب من القصير وهى المنزلة التى بقرب الصالحية وبقي ملقى بالعراء فدفنه بعض من كان فى خدمته بالقصير وكان قبره يقصد بالزيارة دائما. وكان قتله يوم السبت السادس عشر من ذى القعدة سنة ٦٥٨ هجرية فعلى هذا تكون مدة سلطنة الملك المظفر قطز سنة إلا يوما واحدا. (أبو المحاسن: النجوم الزاهرة ج ٧ ص ١٧).

٢٢٥ أغول غانميش خاتون: هى زوجة كيوك خان . وصلت هى ومن معها من أولاد الملوك إلى خدمة "باتو" ولم يقيموا عنده أكثر من يوم واحد ثم رجعوا إلى "أوردوهم"، واستتابوا أميرا منهم يقال له "تيمور نوين". وأننوا له أن يوافق على ما يتفق عليه الجمع كله وإن اختلفت الأهواء لا يستطيع أحد حتى يعلمهم كيفية الحال. وبعد مشاورات فوضوا الأمر

إلى باتو أكبر الجماعة وأشدّهم رأياً. وبعد ثلاثة أيام من يوم التفويض قال: "إن مثل هذا الخطب الخطير ليس فينا من يفى بحق القيام به غير "مونكا" فوافقوه كلهم على ذلك، وأجلسوه على سرير المملكة. (ابن العبري: تاريخ مختصر الدول ص ٢٦١).

٢٢٦ دوقوز خاتون : تنتمي في الأصل إلى قبيلة كرايت المسيحية وهي ابنة (يقو بن أونك خان). كانت زوجة "تولى خان بن جنكيزخان" المفضلة عنده. ثم آلت من بعده إلى ابنه هولكو خان، فتزوج منها جريا على عادة المغول التي كانت تتبع في إذا ما توفي أحد أمرائهم فإن زوجاته يصبحن ميراث لابنه. وعندئذ تصير له عليهن سلطة مطلقة فيتزوج منهن من يشاء باستثناء والدته، ويطرد من يشاء أو يزوجهن من الآخرين. كان هولكو يفضلها على نساءه الأخريات رغم أنه تزوج منهن قبلها. وما ذلك إلا لأنها كانت تتمتع في عهد أبيه بمنزلة كبيرة، كما كانت سيدة حازمة وذات شخصية قوية. ولما كانت في الأصل من قبيلة كرايت الذين كانوا يدينون بالمسيحية - عملت دائما على مؤازرة المسيحيين. وفي عهدها قوى حال تلك الطائفة، وكان هولكو يرعاهم ويعزهم إرضاء لها. وقد بلغ بهم الأمر أنهم كانوا يقيمون الكنائس في البلاد التابعة للإيلخان، كما أقيمت لها كنيسة خاصة في معسكرها دقت فيها النواقيس. كذلك كان لها أثر بارز في تنشئة ابنه الأكبر (أباقا خان). توفيت بعد وفاة هولكو خان بنحو أربعة أشهر وأحد عشر يوما وقبل جلوس أباقا خان بثلاثة أيام. (الصياد: الشرق الإسلامي في عهد الإيلخانيين ص ٢٦).

٢٢٧ المرج: أو "مرجا" ناحية في شمالي شرقي الموصل كانت قديما رستاقا كبيرا. (أغناطيوس برصوم: اللؤلؤ المنثور ٥١٩).

٢٢٨ علاء الدين : هو شمس الشموس بن علاء الدين محمد بن جلال الدين حسن المنتسب إلى نزار بن المستنصر بالله العلوي صاحب مصر. (أبو المحاسن: النجوم الزاهرة ج ٧ ص ٤٧).

٢٢٩ جلال الدين قرطاي : تزوج السلطان غياث الدين كيخسرو ابنة ملك الكرج، فشغفه حبها وهام بها إلى حد أن أراد تصويرها على الدراهم وأنجب منها ثلاثة بنين: عز الدين وأمه، رومية ابنة قسيس، وركن الدين وأمه أيضا رومية، وعلاء الدين وأمه الكرجية. فولى السلطنة عز الدين وهو الكبير. وكان مديره والأتابك له الأمير "جلال الدين قرطاي"

(قراطى - قراطى). رجل خير ودين صائم الدهر ممتع عن أكل اللحم ومعاشرة النساء، لم ينم فى فراش وطئ، وإنما كان نومه على الصناديق فى الخزانة. أصله رومى وهو من ممالك السلطان علاء الدين وتربيته وكان له الحرمة الوافرة عند الخاص والعام. (ابن العبرى: تاريخ مختصر الدول ص ٢٥٥).

٢٣٠ ركن الدين : هو ركن الدين كيقباد بن غياث الدين كيخسرو، وكان عبارة عن صورة بلا معنى والتصرف لغيره. (أبو المحاسن: النجوم الزاهرة ج ٧ ص ٤٧).

٢٣١ شاهديز : (شاه نر)، هى قلعة شامخة منيفة كانت تشرف على مدينة أصفان استولى عليها "أحمد بن عبد الملك بن عطاش" رئيس الإسماعيلية، مستغلا فرصة النزاع الذى وقع على عرش السلاجقة بين "بركيارق" ابن السلطان ملكشاه وأخيه "محمود"، وكان ذلك فى سنة ٤٨٧ هجرية / ١٠٩٤ ميلادية. (الصياد: المغول فى التاريخ ٧٩).

٢٣٢ شيروان شاه : كانت المناطق الواقعة جنوبى بحر الخزر وكذلك منطقة "شيروان" تحكمها فى الأكثر أسرات محلية، وكان حكامها يحملون لقب: "شيروان شاه". وينقسم هؤلاء الحكام ثلاثة أقسام . وقد ظهرت دولة شيروان شاه الأولى فى زمان الساسانيين، وفتح المسلمون شيروان وإيران فى وقت واحد ولكنهم كدأبهم أبقوا على الدولة المحلية، وظهرت فى شيروان فى سنة ١٨٣ هجرية / ٧٩٩ ميلادية أسرة من ولاة العرب هناك هى الأسرة المزيدية. وقد توفى أول حكامها "يزيد بن يزيد الشيبانى" سنة ١٨٥ هجرية / ٨٠١ ميلادية وبعد فاصلة زمنية فى سنة ٢٠٤ هجرية نصب "خالد بن يزيد" واليا. وقد أعلن رابع السلسلة وهو "الهيثم بن خالد" استقلاله سنة ٢٤٧ هجرية / ٨٦١ ميلادية بعد وفاة الخليفة العباسى المتوكل وتلقب بلقب "شيروان شاه"، وقد ولى أحدهم وهو "فريبرز بن سار" الحكم سنة ٤٥٥ هجرية / ١٠٦٣ ميلادية وانقرضت الشعبة المزيدية بعد سنة ٤٧٦ هجرية / ١٠٧٤ ميلادية. وقد ظهرت دولة "شيروان شاه" الثانية فى القرن السادس الهجرى، إلا أنها ما لبثت أن دخلت فى طاعة المغول. وقد قتل "هوشنك" آخر سلسلة هذه الأسرة بيد رجاله فأجلس على عرش بعده ابن عمه الشيخ إبراهيم بن سلطان محمد بن كيقباد الدربندى، وهو مؤسس الشعبة الشيروانهاية الثالثة. وقد خضع حكام هذه الشعبة (التي تعرف أيضا باسم الدربندية) تحت تأثير الأحداث لآل تيمور ثم للجلاتريين ثم

للتركمان القراقيونلية والآق قيونلية ثم خضعوا فى آخر الأمر للصقويين . وفى سنة ٩٤٥ هجرية أرسل الشاه " طهماسب" الأول أخاه القاص "ميزرا" واليا على شيروان وقد ظهر آخر الشيروانشاهات :برهان على سلطان سنة ٩٥١ هجرية /١٥٤٤ ميلادية وهاجم شيروان، ولكنه هزم فالتجأ إلى السلطان سليكان القانونى واسترد شيروان فى سنة ٩٥٥ هجرية /١٥٤٨ ميلادية بالإمدادات التى أخذها منه، ثم توفى برهان على سلطان سنة ٩٥٨ هجرية /١٥٥١ ميلادية بعد أن حكم عامين، فاستولى الشاه "طهمايب" على شيروان استيلاء حاسما وانقرضت بهذا دولة شاهات شيروان. (أحمد السعيد سليمان:تاريخ الدول الإسلامية ومعجم الأسر الحاكمة ج ٢ ص ٣٦١).

٢٣٣ قزوين: أرسلهم إلى بلدة "جمالاباذ". (ابن العبري:تاريخ مختصر الدول ٢٦٥).

٢٣٤ قلعة الموت: تقع شمالى مدينة قزوين وقد استولى عليها الحسن بن الصباح مؤسس المذهب الإسماعيلى سنة ٤٨٢ هجرية /١٠٩٠ ميلادية، واتخذها مقرا لحكومته. ولما كثر أتباعه سيطر على الأقاليم المحيطة بها. (أحمد السعيد سليمان: تاريخ الدول الإسلامية ومعجم الأسر الحاكمة ج ١ ص ٣٠٣).

٢٣٥ قلعة كرنكوه: سار القائد المغولى "كيتو بوقا نويان" فى طليعة جيش هولاكوخان إلى قهستان وهى مناطق الجبال الواقعة بين هراة ونيسابور. فاستطاع أن يستولى على كثير من القلاع الموجودة هناك وهى تزيد على خمسين حصنا حصينا وفتحوها، غير أنه عندما تقدم إلى قلعة "كرنكوه" وجدها حصينة محكمة فأمر الجنود بحفر خندق عميق حولها. ولكن طال الحصار واستمر لمدة عامين على هؤلاء المدافعين، فانتشر الوباء بينهم لنذرة الماء والطعام فكان ذلك سببا فى وفاة الكثير منهم. (ابن العبري:تاريخ مختصر الدول ص ٢٦٥).

٢٣٦ نرية الإسماعيليين: لقد كان لاندحار طائفة الإسماعيلية رنة فرح وسرور عمت العالم الإسلامى رغم ما كان يعانيه من المغول، ورغم ما كان يتوقعه على أيديهم من أحداث أخرى جسام؛ وما ذلك إلا لأن هذه الفرقة التى قاومت فى القرن السادس كل جهود سلاطين السلاجقة واستطاعت أن تفرع الخلفاء العباسيين وترهبهم - كانت سببا من أسباب الفساد المعنوى والتفرق فى العالم الإسلامى . فإذا كان هولاكو قد أبادها أخيرا

فإنما يكون قد أدى بذلك خدمة كبيرة لقضية النظام والحضارة. (الصياد: المغول قسى التاريخ ص ٢٤٤) .

٢٣٧ بايجو نوبين: فى سنة ٦٣٩ هجرية/ ١٢٤٣ ميلادية عزل "جورماغون نوبان" من قيادة الجيش المغولى على إثر إصابته بالشلل وحل محله القائد المغولى "بايجو نوبان" الذى سار فى نفس السنة على رأس جيش تعداده ٣٠٠٠٠ جندى قاصدين أرزن الروم، حيث سقطت المدينة فى أيديهم بعد أن قتل من أهلها عدد كبير ووقع فى الأسر الكثيرون. (الصياد: المغول فى التاريخ ص ١٨٢) .

٢٣٨ يارلينغ: كلمة مغولية بمعنى " حكم، أو قرار، أو أمر" ثم استعملت لأمر أو تفويض صادر من السلطان مباشرة إلى الأشخاص الممتازين. ويقول القلقشندى: إن اليارلينغ هى المراسيم.

٢٣٩ قلونيا: حصن كان بقرب ملطية هدم، فأعاد بناءه "الحسن بن قحطبة" سنة ١٤١ هجرية وحوله بلدة باسمه خربت بعد القرن الثالث عشر. (أغناطيوس برصوم: اللؤلؤ المنثور ص ٥١٨) .

٢٤٠ دير مازيق: باسم العذراء والشهداء الأربعة فى بلدة "قلونية" بقرب قرية "سينجس" ذكر سنة ٩٨٦ تخرج فيه عشرة مطارنة وأحرقه أصحاب بن بلاس سنة ١٢٥٧ ميلادية. (أغناطيوس برصوم: اللؤلؤ المنثور ص ٥١٤) .

٢٤١ فخر الدين أياز: هو أياز بن عبد الله الصالحى النجمى الأمير فخر الدين المعروف بالمقرئ ، أحد أكابر الأمراء بالديار المصرية توفى سنة ٦٨٧ هجرية. (أبو المحاسن: النجوم الزاهرة ج ٧ ص ٩٧) .

٢٤٢ عبرتا: قرية كبيرة من أعمال بغداد من نواحي النهروان بين بغداد وواسط. وقد نسب إليها من الرواه والخلق كثير، منهم: "الأسعد بن نصر بن الأسعد العبرتى" النحوى الذى توفى سنة ٧٥٧ وكان يقرئ النحو ببغداد. (الحموى: معجم البلدان ج ٤ ص ٧٨) .

٢٤٣ سليمانشاه: هو سليمانشاه بن برجم الإيوائى أحد قواد المستعصم المشهورين، يقترن اسمه بحادثة سقوط بغداد ؛ إذ كان أحد الأشخاص الثلاثة الذين آلت إليهم مقاليد الأمور فى

دولة المستعصم: سليمانشاه والدويدار الصغير ومؤيد الدين بن العلقمي وذلك بعد وفاة "إقبال الشرابي والدويدار الكبير. كان سليمانشاه في مقدمة الأشخاص الذين أشاروا على المستعصم برفض مهادنة المغول والإستعداد للقائهم. ونظرا لأهميته في دولة المستعصم كان هولاء في رسائله إلى الخليفة يطلب إليه أن يرسل سليمانشاه فكان الخليفة يعتذر دائما. وهكذا إلى أن صار النصر محققا للمغول فأجبر الخليفة على إرساله مع الدويدار الصغير إلى هولاء. ومما يؤثر عن سليمانشاه أنه كان له إمام بعلم النجوم والكواكب، كما كان ينظم الشعر الفارسي. (الصياد: المغول في التاريخ ص ٢٦١)

٢٤٤ **بركورر** : يقال إن المغول قد قتلوا فتح الدين بركورر وقراسنقر اللذين كانا قائدي الجيش مع اثني عشر ألف رجلا.

٢٤٥ **العلقمي**: هو مؤيد الدين بن العلقمي. كان يتولى الوزارة للخليفة المستعصم مدة أربع عشرة سنة، فلما فتحت بغداد نصب وزيرا في دولة المغول. وقد عرف عنه أنه كان من فضلاء عصره، كما اشتهر بجودة الخط وبلاغة الإنشاء، وكان ينظم الشعر ويحب الأدباء ويقرب العلماء، ويجزل لهم العطاء، فمدحوه بقصائد الشعر وصنفوا له الكتب. كذلك كان وزيرا كفئا خبيرا بتدبير شئون الملك وكان المستعظم أول من يثق به ويطمئن إليه، غير أن بعض حاشية الخليفة كانوا يكرهونه ويحسدونه ويوشون به، فلما رأى من نفسه العجز عن مقاومة هذا التيار تخاذل وكف يده عن أكثر الأمور، لدرجة أنه نسب إليه أنه خان المستعصم وتواطأ مع هولاء وشجعه على احتلال بغداد، بل حرضه على قتل الخليفة. وتميل أغلب المصادر الإسلامية إلى اتهام العلقمي بالخيانة صراحة ويتدخله في أمر محاصرة بغداد لصالح المغول وتحريضهم على قتل الخليفة. على أن هناك قلة من المؤرخين خصوصا الشيعة منهم (إذ المعروف عنه أنه كان إيرانيا يعتقد مذهب الشيعة) دافعوا عن ابن العلقمي وبرأوه من تهمة الخيانة، وألقوا التبعة كلها على ضعف الخليفة وظلم ابنه أبي بكر ونفاق الأمراء وقواد الجيش وتنازعهم الواحد مع الآخر. ولقد ظل العلقمي أثناء فتح بغداد وفيها للمستعصم إلى آخر لحظة ولم يلب دعوة هولاء إلا تحت ضغط الخليفة كما أن هولاء لما استمع إليه وقع منه موقع الاستحسان. فلما فتحت بغداد

سلمها إليه ولكن لم يلبث الوزير إلا شهور قليلة مرض على إثرها ومات في جمادى الأولى سنة ٦٥٦ هجرية. (الصياد: المغول في التاريخ ص ٢٧٢).

٢٤٦ مار ميكيا الكاثوليكي : هو جاثليق المسيحيين النساطرة . والواضح أن لاختيار الجاثليق أهمية خاصة نظرا لما كان للمغول - الترك والنساطرة - من نفوذ عند هولاكو . وما لجأ إليه الخليفة من إرسال زعيم النساطرة مندوبا عنه إلى هولاكو دل على أن المستعصم أراد استمالة "طقزخاتون" زوجة هولاكو . (العريبي: المغول ص ٢١٨) .

٢٤٧ قتلوه بضربات أقدامهم : لقد قتل الخليفة المستعصم العباسي في ٢٠ فبراير سنة ١٢٥٨ ميلادية، ولقد تضاربت الروايات في الطريقة التي قتل بها المغول الخليفة العباسي . فقيل: خنق، وقيل: وضع في جوال ورفسوه بأرجلهم حتى مات، وقيل: غرق في دجلة . وهنا "ابن العبري" (ابن العبري: تاريخ مختصر الدول ص ٢٧٢) يؤيد الرأي الثاني، وهو ضربه حتى الموت. (الصياد: المغول في التاريخ ص ٢٦٨) .

٢٤٨ قلعة إربل : قلعة حصينة شيدت على مرتفع وكانت ليس لها نظير وهي تشبه قلعة حلب إلا أنها أكبر منها . (أغناطيوس برصوم: اللؤلؤ المنثور ص ٥٠٤) .

٢٤٩ صاحب بن صلايا : هو صاحب تاج الدين أبو المكارم محمد بن نصر بن يحيى بن علي، المعروف بابن صلايا نائب الخليفة بإربل . (أبو المحاسن: النجوم الزاهرة ج ٧ ص ١٦) .

٢٥٠ أجودامة : في القرن الخامس الميلادي إشتهر في العراق "مار أجودامة البلدي" أسقف العرب وجاثليق تكريت (ت ٥٧٥) بتصانيفه المنطقية والفلسفية القيمة في مواضيع المنطق كافة وفي القضاء والقدر وفي النفس والإنسان باعتباره العالم الأصغر وفي تركيب الإنسان من جسد ونفس . (الحقائق الجلية ص ١١) .

٢٥١ بهرام : هو بهرام شاه بن فرخشاه بن شاهنشاه بن أيوب، الملك الأمجد صاحب بعلبك . كان السلطان صلاح الدين يوسف بن أيوب قد أعطاه بعلبك عند وفاة أبيه سنة ٥٧٨ هجرية، فأقام فيها خمسين سنة حتى حصره الملك الأشرف موسى بن العادل أبي بكر بن أيوب أخرجه منها وساعده عليه ابن عمه أسد الدين شيركوه صاحب حمص فانتقل الملك

الأمجد إلى الشام وسكنها وقتله بعض مماليكه غيلة سنة ٦٢٨. كان بهرام فاضلا شاعرا
فصيحا كاتباً وله ديوان شعر كبير. (أبو المحاسن: النجوم الزاهرة ج ٦ ص ٢٧٦)

٢٥٢ بدليس : مدينة قرب خلاط وشرقي جنوبي بحيرة وان. (أغناطيوس برصوم: اللؤلؤ المنثور
ص ٥٠٥).

٢٥٣ يشموط: هو يشموط بن هولكو خرج على رأس عسكر وأحاطوا ميفارقين . وفي يوم
وليلة بنى المغول حول المدينة سورا وحفروا خندقا عميقا، ثم نصبوا عليها المنجنيقات
وابتدأوا بالقتال وقاتلوا قتالا شديدا من الجانبين. ولما رأى المغول أنهم لم يمكنهم أخذ
المدينة بالقتال أبطلوا القتال وحاصروها، ومنعوا الناس من الدخول إليها والخروج منها.
(ابن العبري: تاريخ مختصر الدول ص ٢٧٧) .

٢٥٤ عكس في الأسماء العبرية : لقد ورد في كتاب (ابن العبري: تاريخ مختصر ص ٢٧٨)
عكس ما ورد في النص السرياني وذلك بالنسبة للأسماء. فقد جاء : "أصدر ملك الملوك
أن يتملك "عز الدين" من قيسارية حتى حدود أرمينيا الكبرى. أما "ركن الدين" فيتملك من
أقسرا إلى شاطئ البحر عند حدود مملكة اليونان".

٢٥٥ بدر الدين : هو الملك الرحيم أبو الفضائل بدر الدين لؤلؤ بن عبد الله الأتابكي صاحب
الموصل، كان من أجل الملوك. طالت أيامه بالموصل لأنه قام بتدبير أستاذه نور الدين
أرسلان شاه. ولما توفي نور الدين قام بتدبير ولده الملك القاهر عز الدين مسعود. ولما
توفي بالقاهر سنة ٦١٤ هجرية أقام صبيين من ولده ولكنه قام بقتلها واستبد بمملكة
الموصل وأعمالها سبعا وأربعين سنة وكانت وفاته سنة ٦٥٧ بالموصل. (أبو المحاسن:
النجوم الزاهرة ج ٧ ص ٧٠) .

٢٥٦ قلعة حارم: حصن وكورة تجاه إنطاكية. (الصياد: المغول في التاريخ ص ٢٩٥).

٢٥٧ فخر الدين : هو المعروف "بالساقى". عندما رحل المغول إلى قلعة "حارم" أبى أهلها أن
يسلموها لغير فخر الدين الساقى، وإلى قلعة حلب لأنه رجل صادق مؤمن خير يوثق به،
فغضب عليهم هولكو ولكنه تظاهر بالنزول على رغبتهم، واستدعى فخر الدين. حتى إذا
سلمت إليه القلعة أمر هولكو بقتل فخر الدين أولا ثم بقتل جميع من فى القلعة من

الصغار والكبار الرجال منهم والنساء، حتى الأطفال كذلك سقطت في أيدي المغول حماة والمعرة وحمص. (العريبي:المغول ص ٢٩٥) .

٢٥٨ تومان : هو رقم عند المغول يساوي "عشرة آلاف" ويطلق هذا اللفظ عادة على الجيوش. وفي السكة يعادل عشرة آلاف قطعة نقود ذهبية يطلق على كل منها دينار. (رشيد فضل الله الهمذاني:مؤرخ المغول الكبير ص ٦٨) .

٢٥٩ قلعة الروم : قلعة حصينة تقع غربى الفرات مقابل البيرة، بالقرب من قرية "خلفتى" وكان اسم القلعة "زوغما" وهى الآن خربة. (ابن العبري:اللؤلؤ المنثور ص ٥١٨) .

٢٦٠ مونككاخان: منقوفا آن هو الابن الأكبر لتولى، والذي صار شاهنشاهها بعد كيوك (ابن العبري:تاريخ مختصر الدول ص ٢٦٦) .

٢٦١ خان باليق :فى سنة ٦٧٩ هجرية / ١٢٨٠ ميلادية فتح قوبيلاى دولة "سونغ" بجنوب الصين، وبعد أن ألحقها بما كان فى قبضته حتى ذلك الوقت من ممتلكات استقر فى مدينة "خان باليغ" ويقال : خان بليغ، وقان بالق) ، ومعناها: "مدينة الخان" وليست "خان باليغ" إلا "بكين الحالية". ولكن BUDGE ذكر فى ترجمته "خان باليق" ووضع بين قوسين "بايكين" أو "بكين" (أحمد السعيد سليمان:تاريخ الدول الإسلامية ومعجم الأسر الحاكمة ج ٢ ص ٤٧٣) .

٢٦٢ ابن يونس : هو جلال الدين عبيد الله بن يونس وزير الخليفة الناصر لدين الله توفى سنة ٥٩٣ هجرية فى المظمورة، وهو بلد فى ثغور بلاد الروم بناحية طرسوس. (أبو المحاسن:النجوم الزاهرة ج ٦ ص ١٤٣) .

٢٦٣ بعشيقا: هى قرية من قرى الموصل تقع فى شرقها. (أغناطيوس برصوم:اللؤلؤ المنثور ص ٥٠٥) .

٢٦٤ برطلى : قرية كبيرة من أعمال نينوى شرقى الموصل. (أغناطيوس برصوم:اللؤلؤ المنثور ص ٥٠٥) .

٢٦٥ دير مار متى : دير عظيم رفع بناؤه أواخر المائة الرابعة وصار كرسيًا مطرانياً، وهو كذلك إلى وقتنا هذا. حوى في حقبته الأولى جما من الرهبان غفيرا، وتقلبت به الأحوال حتى جدد سنة ١٨٤٥. لقد أنجب بطريركين وستة مفارنة وثلاثة وثلاثين أسقفا. (أغناطيوس برصوم: اللؤلؤ المنثور ص ٥١٤).

٢٦٦ نورين : كان هناك شخص يدعى: "نورين آقا" من قبيلة (قيات). وكان موضع سر غازان يميل إليه ويثق به ويعتمد عليه، كما كانت له سلطة كبيرة في خراسان ومازندران. وكان "أويراتاي" أخو نوروز تابعا له. واعتمادا على جاه نورين وحسبه ونسبه كان لا يعبأ كثيرا بأويراتاي وينظر إليه بازدراء واحتقار، مما ضايقه وأخنقه فشكاه إلى أخيه نوروز ومن هنا تولد النفور بين الاثنين. (الصياد: الشرق الإسلامي في عهد الإيلخانيين ص ٢٨١).

٢٦٧ بروانة : لفظ فارسي معناه "حاجب"، وقد أطلق في دول الروم السلاجقة بآسيا الصغرى على "الوزير الأكبر" (العريبي: المغول ص ٣٣٨).

٢٦٨ سمدغو: في سنة ٦٦٠ هجرية عند أواخر الصيف تواترت الأخبار بوصول عساكر المغول إلى الموصل وكان على رأس العسكر أمير كبير يدعى "سمدغو" محب للنصارى. وبينما هم قد نزلوا إلى الموصل، وصل الخبر برجوع الملك الصالح من الشام. ولما سمع المغول بذلك تأخروا عن دخول المدينة حتى دخل إليها، ثم دخل المغول وأحاطوا بها وبنوا حولها الأسوار في ليلة واحدة وبدأوا في القتال من الداخل ومن الخارج، وقل القوت عن المدينة. وسير الأمير "سمدغو" يخدع الملك الصالح ويعدده بالمواعيد الحسنة وبطل القتال، وانخدع الملك الصالح وفتح أبواب المدينة وخرج إليهم بالمطربين والأغاني. وحينما مثل بين يدي "سمدغو" أحاط المغول به ودخل العسكر الموصل، وسلبوا ونهبوا وقتلوا مدة ثمانية أيام وقتل بها عدد لا يحصى عددهم إلا الله تعالى. وبعد ذلك قرر الأمير سمدغو في الموصل حاكما الأمير شمس الدين بن يونس. وكان قد قتل ولد الملك الصالح "علاء الملك" فقد حدث أن اسقوه خمرا كثيرا ثم شدوه وقطعوه عند القلعة وصحبوا الملك الصالح إلى هولاء وهناك قتلوه. (ابن العبري: تاريخ مختصر الدول ص ٢٨٤)

٢٦٩ وادي شام: كان "لأرغون" ميل شديد وشغف تام بإقامة الأبنية وتشيد العمارات، فأسس قصرين عاليين في الجانب الغربي من تبريز في نواحي "شنب" التي يطلق عليها العوام اسم "شام" (الصياد: الشرق الإسلامي في عهد الإيلخانيين ص ٢٠٠)

٢٧٠ عز الدين أيبك: لما مات "تور الدين" الملك القاهر صاحب الموصل وملك أخوه "ناصر الدين" تجدد "لعماد الدين" و"مظفر الدين" الطمع لصغر سن "ناصر الدين". فجمعوا الرجال وتجهزوا للحركة. فلما بلغ ذلك بدر الدين لؤلؤ أرسل إلى "عز الدين أيبك" مقدم عسكر "الأشرف" الذي بنصيبين يستدعيهم. فساروا إلى الموصل في الرابع من رجب سنة ٦١٥ هجرية واستراحوا أياما ثم عبروا دجلة، ونزلوا شرقيها على بعد فرسخ من الموصل. وجمع "مظفر الدين" عسكره وسار إليهم ومعه "زنكي" فعبر الزاب. وعند انتصاف الليل سار "أيبك" ولم يصبر إلى الصبح، فتقطعوا في الليل والظلمة، والتقوا هم والخصم على ثلاثة فراسخ من الموصل. (ابن العبري: تاريخ مختصر الدول ص ٢٣٢)

٢٧١ هولاكو: وقيل "هولاوون" وقيل "هولاو" بن تولى خان بن جنكيزخان المغولي التركي. ملك مكان أبيه بعد موته، وكان من أعظم ملوك التتار، وكان حازما شجاعا مدبرا استولى على الممالك والأقاليم في أيسر مدة، وفتح بلاد خراسان، وأذربيجان، وعراق العجم، وعراق العرب، والموصل، والجزيرة، وديار بكر، والشام، والروم والشرق وغير ذلك. وهو الذي قتل الخليفة المستعصم وكان على قاعدة المغول لا يتدين بدين وإنما كانت "ظفر خاتون" قد تنصرت فكانت تعضد النصارى وتقيم شعائرهم في تلك البلاد. وكانت وفاته بعة الصرع فأخفوا وفاته حتى حضر ولده "أباقا" وجلس مكانه في الملك، وقيل إنه لم يدفن وعلق بسلاسل ومات وله ستون سنة وذلك سنة ٦٦٤ وخلف من الأولاد والذكور سبعة عشر ولدا. (أبو المحاسن: النجوم الزاهرة ج ٧ ص ٢٢٠) (الصياد: المغول في التاريخ ص ٣٢٤). لقد قيل إن هولاكو لم يكن مستقلا بالملك، بل كان تحت رئاسة أخيه "مونكا" الخان الأعظم الذي بعثه مع قسم من الجيوش لفتح البلاد التي في غربي الفرات. والدليل على ذلك أنه لم يكن يضرب اسمه على السكك بل اسم الخان الكبير. وأرغون خان هو أول من بدأ يضرب في السكك اسمه مع اسم الخان الأعظم. والذي حمل أبو الفرج بن العبري وغيره من مؤرخي العرب أن يذكروا هولاكو أول من ملك

على بلاد المسلمين بعد فتح بغداد وزوال الدولة العباسية. (ابن العبري: تاريخ مختصر
الدول ص ٢٧٧)

٢٧٢ قرايوغا : هو ابن "يشموط" بن هولاكو. أمه هي "قوتوى خاتون" وقد قتل لعدم إخلاصه
فى الحكم. (الهذاني: جامع التواريخ مجلد ٢ جزء ١ ص ٢٢٥)

٢٧٣ إسحاق : سنة ٦٣٨ هجرية ظهر ببلدة "أماسيا" - من أعمال الروم - رجل تركمانى ادعى
النبوذة وسمى نفسه "بابا". فاستغوى جماعة من الغاغة بما كان يخيل إليهم من الحيل
والمخازيق. وكان له مرید اسمه "إسحاق" يتزيا بزى المشايخ، فأنفذه إلى أطراف الروم
ليدعو التركمانيين إلى المسير إليه. فوافق إسحاق هذا بلد "سميساط" وأظهر الدعوة لبابا
فاتبعه خلق كثير من التركمان خصوصا، وكثف جمعه وبلغ عدد من معه ستة آلاف
فارس غير الرجال فحاربوا من خالفهم ولم يقل كما يقولون "لا الله الا الله بابا رسول الله"
فقتلوا خلقا كثيرا من المسلمين والنصارى من أهل حصن منصور، وكاختين، وكركر
وسميساط، وبلد ملطية، ممن لم يتبعهم. وكانوا يهزمون كل من يلقاهم من العسكر حتى
وصلوا إلى "أماسيا" فأنفذ إليهم السلطان "غياث الدين" جيشا فيه جماعة من الفرنج الذين
فى خدمته فأخرج الفرنج المسلمين، وتولوا بأنفسهم محاربة الخوارج فكشفوهم وقتلوهم
وأسروا الشيخين "بابا" و"إسحاق" فضرب أعناقهم وكفوا الناس شرهم. (ابن العبري: تاريخ
مختصر الدول ص ٢٥١)

٢٧٤ سيس : هكذا يطلق عليها أهلها. أما الاسم الحقيقى فهو "سيسيه" وهى بلدة تعد من أعظم
مدن الثغور الشامية بين أنطاكية وطرسوس عند "عين زربة". (الحموى: معجم البلدان ج ٣
ص ٢٩٧).

٢٧٥ دير مار برصوما : يقع بالقرب من ملطية على رأس جبل يشبه القلعة، ولذلك أسماه
بعضهم "دير الكهف". صار كرسيا بطريركيا فى القرن الحادى عشر حتى أواخر الثالث
عشر ، وكان ديرا عظيما دعم الكنيسة بخمسة بطاركة، وأربعة وثلاثين مطرانا وظل
عامرا أهلا حتى أواسط القرن السابع عشر ثم عصف الدهر بأهله. (أغناطيوس
برصوم: اللؤلؤ المنثور ص ٥٠٩).

٢٧٦ فقسيمات : أو باقسماط ، هي بلدة توجد في سيس بقبليقية نزل به "يوحنا الثاني عشر" سنة ١٢٠٨ ميلادية وأحرقه الجنود المصريون ثلاث مرات بين سنة ١٢٦٦ ميلادية وسنة ١٢٧٩ ميلادية، وقتلوا فيه خمسة وعشرين راهبا . (أغناطيوس برصوم: اللؤلؤ المنثور ص ٥٠٩)

٢٧٧ البندقداري : هو الملك الظاهر زكى الدين بيبرس البندقداري حكم مصر في الفترة ما بين سنة ٦٥٨ هجرية وسنة ٦٧٦ هجرية . والبندقداري نسبة إلى "البندقدار" وهو لفظ فارسي معناه "حامل جراوة" أي كيس البندق خلف الأمير أو السلطان. وقد سمي بيبرس باسم البندقداري لأنه كان في أول أمره مملوكا للأمير "إيدكين البندقدار" ثم انتقل إلى الملك الصالح أيوب ، وصار من مماليكه البحرية. (الصياد: الشرق الإسلامي في عهد الإيلخانيين ص ٤٢).

٢٧٨ سنقر الأشقر : هو الأمير شمس الدين آق سنقر بن عبد الله الفارقاني . كان أصله من مماليك الأمير نجم الدين حاجب الملك الناصر صلاح الدين يوسف صاحب الشام (أبو المحاسن: النجوم الزاهرة ج ٧ ص ٢٨٠) (الصياد: المغول في التاريخ ص ٢٩٣).

٢٧٩ البروانة : هو معين الدين . (ابن العبري: تاريخ مختصر الدول ص ٢٨٨).

٢٨٠ دنحا الكاثوليكي : رأى جنكيزخان في منامه راهبا عليه السواد وبيده عكازه وهو قائم على بابه يقول له: لا تخف افعل ما شئت فإنك مؤيد. فانتبه مذعورا ذعرا مشوبا بالفرح وعاد إلى منزله وحكى حلمه لزوجته وهي ابنة "أونك خان" فقالت له: "هذا زى أسقف كان يتردد إلى أبي ويدعو له ومجيئه إليك دليل انتقال السعادة إليك . فسأل جنكيزخان من في خدمته من نصارى الأويغور : هل هنا أحد من الأساقفة . فقيل له : مار دنحا . فلما طلبه ودخل عليه بلبيرون الأسود قال هذا زى من رأيت في منامى، لكن شخصه ليس ذلك . فقال الأسقف: يكون الخان قد رأى بعض قديسينا . ومنذ ذلك الوقت صار يميل إلى النصارى ويحسن الظن بهم ويكرمهم . (ابن العبري: تاريخ مختصر الدول ص ٢٣٠)

٢٨١ القلية : هي كلمة لاتينية CELLULA ويقصد بها منزل الراهب ويراد بها أيضا مسكن البطريرك والأسقف .صيغة الجمع منها قلالي وقلليات (أغناطيوس برصوم: اللؤلؤ المنثور ص٥٠١).

٢٨٢ أشنة : بلدة في طرف أذربيجان من ناحية إربل، وهي تقع بين إربل وأرمينية (الحموي:معجم البلدان ج ١ ص ٢٠١).

٢٨٣ أنازرية: مدينة في قليقية كانت واقعة على نهر جيحون؛ أما اليوم فهي تسمى "أنازروة" (أغناطيوس برصوم: اللؤلؤ المنثور ص ٥١٧).

٢٨٤ تبريز : في سنة ٦٢٩ هجرية (١٢٣٢ ميلادية) سار المغول إلى منطقة أذربيجان، وشرعوا بفتح مدنها الواحدة تلو الأخرى، ثم هاجموا حاضرتها تبريز فسلمت دون مقاومة؛ وذلك لأن الأهالي هناك لم يكونوا على وفاق مع السلطان "جلال الدين منكبرتي" وعندما تأكدوا من ضعفه ثاروا على الحكام الخوارزميين وقتلوهم وقطعوا رؤوسهم، وأرسلوها إلى المغول، تقربا إليهم وتعهدوا بأن يدفعوا لهم جزية كبيرة كل سنة (الصيد:المغول في التاريخ ص ١٨٠)

٢٨٥ عين تاب : قلعة حصينة بين حلب وأنطاكية وهي الآن من أعمال حلب . (الحموي:معجم البلدان ج ٢ ص ١٧٦).

٢٨٦ دير سرجيس وباخوس : أو "الدير المعلق" وجد في أنحاء بلدة جوباس، وقد بناه الراهب "كيسو الأشنوي الأذربيجاني" سنة ٩٥٨ ميلادية وأتم بنائه سنة ١٠٠١ ميلادية (أغناطيوس برصوم: اللؤلؤ المنثور ص ٥٥١).

٢٨٧ دير ميخائيل: يقع في شمالي الموصل وقد بلغ عدد رهبانه أكثر من ألف راهب، وكان ملحق به مدرسة يدرس في صفوفها الفلسفة واللاهوت وسائر العلوم. وكان من أشهر أساتذة مدرسة دير مار ميخائيل الشاعر "عمانويل بن شهاري" المتوفى سنة ٩٨٠ ميلادية. وكان من أعظم شعراء القرن العاشر، وكذلك يوحنا الموصلي المتوفى سنة ١٢٧٠ ميلادية الذي كان أحد رهبان الدير. (رفائيل بابو اسحاق: تاريخ نصارى العراق ص ٧٩)

- ٢٨٨ الخواجه نصير : هو نصير الدين الطوسي الفيلسوف صاحب المرصد في مدينة مراغة وهو حكيم عظيم الشأن في جميع فنون الحكمة. (ابن العبري: تاريخ مختصر الدول ص ٢٨٦)
- ٢٨٩ المجسطي : كلمة يونانية معناها "الترتيب". وهو أفضل ما صنف، ومنه تستخرج سائر الكتب المؤلفة في هذا الفن، وكتاب لبطليموس يذكر فيه القواعد التي يتوصل بها إلى إثبات الأوضاع الفلكية والأرضية بأدلتها التفصيلية (أبو المحاسن: النجوم الزاهرة ج ٦ ص ٣٤٣)
- ٢٩٠ سرقوسة : أكبر مدينة بجزيرة صقلية. (الحموي: معجم البلدان ج ٣ ص ٢١٤).
- ٢٩١ هرقلة: مدينة ببلاد الروم سميت باسم هرقلة بنت الروم . ولقد كان هارون الرشيد يغزوها بنفسه ثم افتتحها عنوة بعد حصار وحرب، ورمى بالنار حتى انتصر على أهلها. (أبو المحاسن: النجوم الزاهرة ج ٦ ص ٢٣٢)
- ٢٩٢ قلعة البيرة : بلدة قرب سميساط بين حلب والثغور الرومية، وهي قلعة حصينة ولها رستاق واسع (أبو المحاسن: النجوم الزاهرة ج ٦ ص ٢٦)
- ٢٩٣ مرعش : مدينة في الثغور بين الشام وبلاد الروم (الحموي: معجم البلدان ج ٥ ص ١٠٧).
- ٢٩٤ أرزنجان : يسميها أهلها "أرزنكان". هي بلدة من بلاد أرمينية تقع بين بلاد الروم وبلاد وهي قريبة من بلاد الروم، كما أن معظم أهلها أرمن، ولكن يوجد بها بعض المسلمين يعدوا أعيان أهلها. (الحموي: معجم البلدان ج ١ ص ١٥٠).
- ٢٩٥ ابن خطير : هو الأمير شرف الدين مسعود بن خطير (الهمذاني: جامع التواريخ مجلد ٢ جزء ٢ ص ٦١).
- ٢٩٦ قونقرتاي : هو الابن التاسع لهولاكو خان. كانت أمه محظية خطائبة اسمها "أجوجة إيكاجي" وكان له ستة أولاد. (الهمذاني: جامع التواريخ مجلد ٢ ج ١ ص ٢٢٧)
- ٢٩٧ آلاتاغ : مدينة تقع شمال "أذربيجان" وجنوب القفقاز وشرق أرمينية الحالية، بها مراعي كثيرة جيدة وكميات وفيرة من المياه، وأماكن عديدة للصيد، ولهذه المزايا وقع اختيار

"الإيلخانيين" عليها لتكون مصيفا لهم. وقد أقام فيها السلطان أرغون قصرا شامخا لتمضية فصل الصيف . (الصياد:الشرق الإسلامي في عهد الإيلخانيين ص ١٢٢).

٢٩٨ موغان : أو موقان ،هى كلمة أعجمية وهى ولاية فيها قرى ومروج كثيرة وكان التركمان يقومون بالرعى فيها؛ فهم يكونون معظم أهلها ،وهى تقع فى أذربيجان. (الحموى:معجم البلدان ج ٥ ص ٢٢٥).

٢٩٩ قوتاي خاتون : إحدى زوجات هولكو من أصل ملوك أقوام القنقرات، تزوجها بعد أن توفيت "كويك خاتون" فى ولاية منغوليا ولقد منحها مخيمها (ابن العبري:تاريخ مختصر الدول ص ٢٨٩).

٣٠٠ بيسرى : هو الأمير شمس الدين بيسرى قائد القوات المصرية. (الصياد:الشرق الإسلامي فى عهد الإيلخانيين ص ٧٧).

٣٠١ أجاي : هو الابن الثامن لهولاكوخان. وكانت أمه محظية اسمها "أريقان إيكاجي" ابنة "تنكر كوركان"، وكانت فى مخيم "قوتوى خاتون". ولما جاء هولكو إلى إيران عينها رئيسة لمخيماته.وقد توفيت بعد هولكو بعشرة أيام. (الهمذاني:جامع التواريخ مجلد ٢ جزء ١ ص ٢٢٦).

٣٠٢ دير الربان قوما : هو قوما ابن الرئيس "جفل السبيريني".سقف فى أول أمره على دير "قرتمين"، ونقل إلى أبرشية "خاخ" ثم أقيم بطريركا أى رئيس أساقفة لطور عبيد سنة ١٤٤٤ ميلادية وتوفى سنة ١٤٥٤ ميلادية (أغناطيوس برصوم:اللؤلؤ المنثور ص ٤٤٥).

٣٠٣ ألبى : هو نجم الدين بن ألبى بن حسام الدين بن تمر تاش بن إيلغارى صاحب ماردين وميافارقين.وكانت ولايته نيفا وثلاثين سنة وولى بعده ابنه نجم الدين ألبى (ابن العبري:تاريخ مختصر الدول ص ٢٠٨).

٣٠٤ بركة : المقصود بها "بركة الجب" أو بركة الحاج" تقع فى الجهة البحرية من القاهرة. عرفت أولا "بجب عميرة" ثم قيل لها أرض الجب. وعرفت ببركة الحجاج من أجل نزول الحجاج بها عند مسيرهم من القاهرة وعند عودتهم. (أبو المحاسن:النجوم الزاهرة ج ٥ ص ٢٨).

- ٣٠٥ الرحبة : هي الرحبة الجديدة قريبة من الفرات استحدثها شيركوه بن محمد بن شيركوه صاحب حمص ،وهى بلدة صغيرة ولها قلعة على تل تراب،وشرب أهلها من قناة من نهر سعيد الخارج من الفرات، وهى اليوم محط القوافل من العراق والشام، وهى أحد الثغور الإسلامية (أبو المحاسن:النجوم الزاهرة ج ٦ ص ٣٢٨).
- ٣٠٦ قلعة صهيون : حصن حصين على سواحل بحر الشام، وتعد من أعمال حمص، ولكنه ليس بمشرف على البحر.وهى قلعة حصينة تقع فى طرف جبل خنادقها أودية واسعة هائلة عميقة ليس لها خندق محفور إلا من جهة واحدة.كانت بيد الفرنج منذ دهر حتى استرجعها الملك الناصر صلاح الدين يوسف بن أيوب من يد الفرنج سنة ٥٨٤ هجرية (أبو المحاسن:النجوم الزاهرة ج ٦ ص ٤٠).
- ٣٠٧ مرقب : بلدة وقلعة حصينة تشرف على ساحل بحر الشام. (الحموى: معجم البلدان ج ٥ ص ١٠٨).
- ٣٠٨ حصن زياد : يقع بين آمد وملطية، وهو أقرب إلى ملطية ويعرف اليوم باسم "خرتبرت" (أبو المحاسن:النجوم الزاهرة ج ٦ ص ٢٨٣).
- ٣٠٩ أسطونا: قلعة فى الثغور الرومية من ناحية الشام غزاها سيف الدولة بن حمدان" (الحموى:معجم البلدان ج ١ ص ١٧٧)
- ٣١٠ أباقا : مات فى شهر محرم سنة ٦٨١ هجرية وقيل إنه مات مسموما، وكان موته ببلاد همذان، وكانت مدة ملكه سبعة عشر سنة وكسور. (ابن العبري:تاريخ مختصر الدول ص ٢٦٢).
- ٣١١ تكودار : هو الابن السابع لهولاكو، كان اسمه فى بادئ الأمر "تاكودار" كانت "تقوز خاتون " أكبر زوجاته من قوم القنقرات، وقد تولى تكودار عرش المغول فى إيران بعد وفاة "أباقا خان" والمعروف عن تكودار أنه قد اعتنق الدين المسيحى فى صغره، وعمد فى صباه وذلك بناء على رغبة والدته التى كانت تدين بالمسيحية على الرغم من أن أبوه كان بوذيا، وتسمى منذ ذلك الحين باسم "تيقولا".ولما توطدت علاقته بعلماء المسلمين

أعلن إسلامه ولقب بلقب السلطان "أحمد تكودار" فكان بذلك أول إيلخاني المغول الذين اعتنقوا الدين الإسلامي. (الصياد:الشرق الإسلامي في عهد الإيلخانيين ص ١٢١).

٣١٢ اليناق : هو الأمير الكرجي "على إيناق" المشهور بين المؤرخين "اليناق" ولأن السلطان كان يلمس في "اليناق" الشجاعة ويتوسم فيه الشهامة؛ حاول أن يضمه إلى صفه وعمل على أن ينزع من نفسه جذور الخلاف، فزوجه من ابنته الصغرى. (الصياد:الشرق الإسلامي في عهد الإيلخانيين ص ١٤٠)

٣١٣ أرغون بن أباقا : على إثر هزيمة السلطان أحمد والقضاء عليه أسرع جماعة من الأمراء والخواتين في آذربيجان، واتفقوا على تولية أرغون عرش المغول في إيران. وفي الحقيقة كان الأمير "هولاجو" بن هولاجو خان أحق بالعرس من أرغون باعتباره أكبر الأبناء من أسرة هولاجو خان كما تقضى بذلك "إلياسا" واعتلى العرش بالقوة المسلحة. وكان يعتبر ذلك ميراثه الشرعي، وحقا له بعد وفاة "أباقا خان" (الصياد:الشرق الإسلامي في عهد الإيلخانيين ص ١٥٢)

٣١٤ جبل ماداي : جبال تقع في الأهواز. ولقد ذكر في كتاب "جامع التواريخ" أنه ذهب إلى أصفهان ". (الهذاني:جامع التواريخ مجلد ٢ ج ٢ ص ١١٧)

٣١٥ يوسف شاه : يقول "ابن لعبري" لما استقر أرغون في الملك هرب شمس الدين صاحب الديوان إلى الجبال التي في الأهواز، واحتتمى بطائفة من الأكراد يسمون "اللور" وكان كبيرهم شخصا يسمى "يوسف شاه"، ولما وصل إلى طاعة أرغون قبله قبولا حسنا وأكرمه لأنه قبل عليه أن يلزم صاحب الديوان ويحملة إلى عبوديته، وفعل ذلك ولزمه وحمله إلى أرغون. ومما يذكر أن يوسف شاه كان صهرا لأرغون (ابن العبري: تاريخ مختصر النول ص ٢٩٨) (الصياد:الشرق الإسلامي في عهد الإيلخانيين ص ١٥٣).

٣١٦ مسعود : هو مسعود بن عز الدين كيكافوس. قيل إنه هو الذي تناول السم بنفسه (أبو الفداء:المختصر في أخبار البشر ج ٤ ص ١٧).

٣١٧ قلعة صفد: مدينة في جبال عاملة المطلة على حمص بالشام، وهي من جبال لبنان (أبو المحاسن:النجوم الزاهرة ج ٦ ص ٤٢).

- ٣١٨ طور عبيد : جبل متصل بجبل الزل المشرف على نصيبين وكورة وهي بلدة كثيرة الأديرة والصوامع قصبته بلدة مذيات. (ابن العبري: تاريخ مختصر الدول ص ٥١٧).
- ٣١٩ تكريت: بلدة مشهورة بين بغداد والموصل غربى دجلة، وهي أقرب إلى بغداد كما يوجد بها قلعة حصينة فى طرفها الأعلى .وقد اشتهرت بكرسى مفارئة المشرق منذ سنة ٦٢٨ ميلادية حتى منتصف القرن الثانى عشر. (أغناطيوس برصوم: اللؤلؤ المنثور ص ٥٠٥).
- ٣٢٠ سعد الدولة : هو طبيب يهودى .اسمه العبرى "مردخاي" كان من بين الأعضاء البارزين المناوئين لبوقا وأكثرهم تأثيرا وفاعلية فى الإطاحة به. وكان من أشهر الأطباء الذين يشرفون على علاج أفراد الأسرة الحاكمة فى عهد "أرغون"، فاتخذ بغداد مقرا له كما كان يجيد عدة لغات .وكان أهم ما يتميز به هو أنه كانت له خبرة كافية بكل ما يتعلق بالشئون المالية وقد تم القبض عليه وسيق إلى منزل الأمير "طغاجار". وكان ذلك فى شهر صفر سنة ٦٩٠ هجرية. (الصياد: الشرق الاسلامى فى عهد الإيلخانيين ص ١٦٢ / ١٧٨)
- ٣٢١ ثيران بيشان : من قرى هراة (الحموى: معجم البلدان ج ١ ص ٣٢٢).
- ٣٢٢ قلعة كشاف : موضع فى الموصل : (الحموى: معجم البلدان ج ٤ ص ٤٦١).
- ٣٢٣ باذربايا : إقليم صغير بين الموصل ونصيبين. (أغناطيوس برصوم: اللؤلؤ المنثور ص ٥٠٥).
- ٣٢٤ أستا : إحدى قرى سمرقند (الحموى: معجم البلدان ج ١ ص ١٧٢).
- ٣٢٥ الخابور: هى ولاية واسعة على نهر الخابور بين رأس العين والفراء، وتعد من أرض الجزيرة. (أغناطيوس برصوم: اللؤلؤ المنثور ص ٥٠٧)
- ٣٢٦ خرينده : هو أولجايتو بن أرغون بن أباقا خان بن هولاكو خان. يروى أن ولادة أولجايتو كانت بين "مرو" و"سرخس" فى صحراء قاحلة، وكان الناس فى ضيق وعسر لعدم نزول الغيث. فلما كان مولده نذيرا بنزول المطر الذى استمر سبعة أيام أطلقوا على الولود اسم (أولجاى تو) أو (اولجايتو) وهى كلمة مغولية بمعنى (مبارك) ولما كانت عادة المغول تغيير أسماء الذين يحبونهم حتى يكونوا فى مأمن من الحسد أطلقوا عليه أولا اسم (تمودر

بمعنى جهنم) وذلك دفعا لإصابة العين ثم عادوا فأسموه (خرينده) وهى كلمة مركبة من (خر بمعنى حمار) و(بنده بمعنى غلام أو عبد) والمراد المكارى. ولما اعتنق الإسلام لقب (خدا بمعنى الله) و(بنده بمعنى عبد) أى (عبد الله). (الصياد: الشرق الإسلامى فى عهد الإيلخانيين ص ٣٤٦).

٣٢٧ أبرشية : كلمة يونانية يراد بها ولاية الأسقف الكنسية (أغناطيوس برصوم: اللؤلؤ المنثور ص ٤٩٧)

٣٢٨ دير باعوث : يقع بجوار خربوت. ذكر سنة ١٠٥٧ وفيه تخرج أربعة أساقفة. أحتلته طائفة من المسلمين سنة ١٢٩٠ ميلادية ثم استولت عليه سنة ١٣١١ ميلادية. (أغناطيوس برصوم: اللؤلؤ المنثور ص ٥٠٩).

٣٢٩ سعد : أو سعرت ، مدينة جنوبى بدليس. (أغناطيوس برصوم: اللؤلؤ المنثور ص ٥١٦).

٣٣٠ إيرنجين دورجى : أو "تورجى" . هو كيخاتو الابن الثانى لآباقا خان بن هوكو خان بن تولوى خان بن جنكيزخان. لقد قام الأمراء الذين كانوا معتقلين بأمره بعد أن تم إطلاق سراحهم بواسطة بايدو أسرعوا بالقبض عليه، وحملوه إلى إحدى الخيام فى صحراء موغان وخنقوه بوتر القوس. وكان هذا فى يوم الخميس من جمادى الأولى سنة ٦٩٤ هجرية / ٢٣ أبريل سنة ١٢٩٥ ميلادية، وكان عمره وقتئذ نحو ثلاثين عاما. وحكم لمدة أربع سنوات. (الصياد: الشرق الإسلامى فى عهد الإيلخانيين ص ٢٠٥).

٣٣١ بر صوما : كان اسمه فى الأصل "بار صوما" لكنه اشتهر باسم "ربن صوما"، وكان تركيا ومن أصل الأنجوت (الأنكوت). ولد فى بكين فى حدود سنة ١٢٢٥ ميلادية، وتذكر الروايات أن "ربن صوما" تعرف على رجل يدعى "مرقس" من النسطوريين - وهو تركى الأصل أيضا - وهما فى طريقهما من الصين قاصدين زيارة بيت المقدس. وقد اجتاز هذان الشخصان أسيا الوسطى وسلكا الطريق المعتاد، يعنى نفس الطريق الذى استخدمه ماركو بولو ومافيو بولو أثناء رحيلهما من الصين إلى إيران، ولكن تعذر عليهما مواصلة السير إلى الشرق الأدنى بسبب اضطرابات الأحوال السياسية فأقاما عدة سنوات فى إيران. (الصياد: الشرق الإسلامى فى عهد الإيلخانيين ص ١٩٣)

يهبا الله : هو مار يهبا الله الثالث .من الدليل على أهمية الكنيسة النسطورية في إيران في عهد المغول ما أورده راهبان نسطوريان أحدهما يدعى "ربان سوما"، والآخر "مرقص" إذ عزموا على الحج إلى بيت المقدس فوصلا إلى إيران سنة ١٢٧٦ ميلادية وزارا أثناء رحلتها المشاهد، والأديرة النسطورية في طوس، ومراغة، وبغداد، وإربل، ونصيبين .وحدث أثناء رحلتها أن مات بطريك النساطرة، فوقع الاختيار على مرقص ليكون بطريكا واتخذ اسم "مار يهبا الله" على الرغم من أنه لم يكن يعرف من السريانية إلا قليلا ويجهل اللغة العربية تماما، ولكنه على الرغم من هذا تم تنصيبه لأنه مغولي. ينتمي إلى عنصر الترك الأنجوت الذي يشتهر أمراؤه بصلتهم الوثيقة بأسرة جنكيزخان، وقد تسلم وظيفته بتقليد من أباقا خان وشهد رسامته في نوفمبر سنة ١٢٨١ ميلادية بطارقة القدس وسمرقند، والتانجوت (الصياد:الشرق الإسلامي في عهد الإيلخانيين ص٥٩)

أرغون: كان أرغون يثق ثقة مطلقة في الكيمياء والنجوم والسحر والشعوذة مثل أغلب سلاطين الملوك. ولهذا ارتفعت منزلة الكهنة البونيين في بلاطه. وقد صنع هؤلاء معجوناً مركباً من الزئبق والكبريت والمواد الأخرى، وأعطوا أرغون هذا الدواء من أجل إطالة عمره فتسبب هذا في اشتداد المرض عليه وإصابته بالفالج (الشلل) وأدى في النهاية إلى وفاته، وكان ذلك في السادس من شهر ربيع الأول سنة ٦٩٠ هجرية /١٢٩١ ميلادية أي بعد مقتل سعد الدولة بأيام. ويوجد قبره في جبل "سجاس" جنوبي مدينة السلطانية. وقد أخفى خبر وفاته جريا على عادة المغول، ثم حولوا هذا الجبل إلى منطقة للصيد، فصار سكان تلك المنطقة يلقون بعض المشقات. وبعد ذلك أظهرت أولجاي خاتون ابنة أرغون قبر والدها وأقامت هناك (خانقاه) وأنزلت الناس فيها. (الصياد:الشرق الإسلامي في عهد الإيلخانيين ص ١٨٨) ويروي "ابن خلدون" ان أرغون عدل عن دين الإسلام، وأحب دين البراهمة من عبادة الأصنام وانتحال السحر، وقد غلبه بعض سحرة الهند فركبوا له دواء لحفظ صحته ودوامها، فأصابه منه صرع فمات. (العبر وديوان المبتدأ والخبر ج ٥ ص ٥٤٦/٥٤٧)

بايدو : بايدو خان هو ابن طرغان بن هولكو خان بن تولى خان بن جنكيز خان. تولى حكم المغول في إيران بعد أن بعد أن قضى الأمراء على سلفه "كيخاتو خان". وقد أسرع

كبار الأمراء إلى الإنضمام إليه، وكان جلوسه على العرش فى شهر جمادى الأولى سنة ٦٩٤ هجرية . وقتل فى ليلة الأربعاء الثالث والعشرين من شهر ذى القعدة بعد أن حكم لمدة ستة أشهر، كما قتل معه ابنه "قبجاق" (الصياد: الشرق الإسلامى فى عهد الإيلخانيين ص ٢٢٩).

٣٣٥ **همدان** :هى إحدى المدن الإيرانية القديمة ،ولايعلم تاريخ بنائها على وجه التحقيق. ويزعم المؤرخ اليونانى "هيرودوت" أن الذى بناها هو "ديوكس" (DEYOCES) أول ملوك الميديين والذى كان يحكم من سنة ٨٠٧ إلى سنة ٦٥٥ قبل الميلاد. ثم اختارها لتكون عاصمة له، وبنى فيها قصرا عجيبا. فإذا صح هذا القول كانت همدان أقدم عاصمة أنشئت فى إيران. وعلى كل، فمن المسلم به أن همدان كانت مركزا هاما لاجتماع القبائل الميديية القديمة، لهذا سميت باسم ("HAGMATANA) يعنى "محل الاجتماع". وكان اليونانيون يطلقون عليها اسم ("ECBATANA). وفى العهد الإسلامى فتحها "المغيرة بن شعبة" فى سنة ٢٣ هجرية فالحقها الخراب وتضاءلت أهميتها ، ثم عادت فاستردت مكانتها وصارت عاصمة إيران فى عهد السلاجقة ولكن لفترة قصيرة . وفى سنة ٦١٧ هجرية خربها المغول وأباحوا فيها القتل العام .ولكن سرعان ما اعتنى بها نظرا لموقعها الجغرافى الممتاز،فصارت من أهم المدن الواقعة جنوب غربى إيران. كما أنها احتلت مركزا هاما مازالت تحتفظ به إلى الآن. ولهذا السبب اجتذبت كثيرا من اليهود الذين يعنون بشئون التجارة فاستوطنوها .هذا فضلا عن أنها تعتبر إحدى الأماكن المقدسة عندهم إذ يزعمون أن بها قبر "أستر" و"مردخاي". (رشيد الدين فضل الله الهمداني: مؤرخ المغول الكبير ص ٩٠)

٣٣٦ **صدر الدين** : هو صاحب الاقتراح باستعمال أوراق النقد "الجاو" بدلا من التعامل بالذهب والفضة ونال منزلة رفيعة فى عهد غازان خان سنة ٦٩٤ بعد مقتل "توروز". فبعد أن فرغ "كيخاتو" من الأفراح والمسرات شرع ينظم شئون الدولة، ويدعم أجهزتها فأسند منصب الوزارة إلى "صدر الدين" (أحمد الخالدى الزنجانى) الذى كان فى الأصل من سلالة قضاة زنجان ولقب "بصدر جهان" أى "صدر العالم" . ومعنى هذا أن منصب الوزارة عاد إلى المسلمين بعد أن فقدوه طوال عهد سلفه "أرغون". وقد أعطى "كيخاتو"

وزيره سلطات واسعة مطلقة فصار هو الشخص الأول في الإمبراطورية الذي يستطيع أن يقف على قدم المساواة مع القائد العام لجيش المغول، كما أنه نصب أخاه الخوجة "قطب الدين أحمد" قاضيا للقضاة وولاه نظارة أوقاف الممالك المحروسة كلها وأبواب البر والصدقات، وسائر المصالح الدينية والمطالب الشرعية. وما أن حلت سنة ٦٩٢ هجرية/١٢٩٣ ميلادية حتى كان "صدر الدين" صاحب الأمر والنهي في كل بلاد الإيلخان. (الصياد:الشرق الإسلامي في عهد الإيلخانيين ٢٠٩). ولكن صدر الدين قتل في نهاية الأمر في عهد غازان خان بسبب دسائسه ومؤامراته وذلك في يوم ٢١ رجب سنة ٦٩٧ هجرية. (الصياد:الشرق الإسلامي في عهد الإيلخانيين ١٠٩)

٣٣٧ رشيد الدولة : يرجح المستشرق الروسي "بارتولد" أن يكون رشيد الدولة هذا هو نفس رسيد الدين فضل الله الوزير المشهور ومؤلف كتاب "جامع التواريخ" والذي كان يهوديا ثم اعتنق الإسلام. (مجلة MIR ISLAMA (العالم الإسلامي) التي تصدر بالروسية ص ٨١ (الصياد:الشرق الإسلامي في عهد الإيلخانيين ٢١٢)

٣٣٨ الجاو : عبارة عن النقود القرطاسية المعروفة عندنا "بأوراق النقد" يتعامل بها الناس بدلا من النقود الذهبية والفضية. وكانت تلك الأوراق شائعة في الصين في ذلك الوقت. والواقع أن الصين عرفت أوراق النقد الحكومية نحو أوائل القرن الثالث الهجري (التاسع الميلادي) قبل أن تعرف في أي بلد آخر. و"الجاو" الذي استعمل في عهد "كيخاتوخان" عبارة عن قطعة من الكاغد مربعة أو مستطيلة الشكل قائمة الزوايا كتب عليها بضع كلمات بالخط "الخطائي" (الصيني) يعلوها باللغة العربية عبارة (لا إله إلا الله محمد رسول الله) كما سيطر عليها اسم "ايرنجين تورجي" وهو الاسم الذي أطلقه الكهنة الخطائيون على "كيخاتو خان"، ثم رسمت دائرة على الورقة المذكورة كتبت في وسطها قيمتها النقدية. وكانت تتفاوت بين نصف درهم وعشرة دنانير. كذلك كان منقوشا على هذه الورقة عدة سطور مضمونها: "إنه بتاريخ ثلاث وتسعين وستمئة قرر السلطان تداول هذا الجاو المبارك إلى الممالك، فمن غيره أو بدله يقتل هو وزوجته وأبناؤه، وتصادر أمواله وأملاكه وتحول إلى بيت المال." ولأجل إعداد الجاو وترويجه، أوفد السلطان أميرا كبيرا إلى كل إقليم من الأقاليم الهامة التي تضمها الإمبراطورية منها العراق العربي والعجمي

وديار بكر، وربيعة، والموصل، وميافارقين، وأذربيجان، وخراسان، وكرمان، وشيراز،
وكلف هؤلاء الأمراء بتشبيد دور لصنع الجاو وضربه أطلق على كل منها اسم
"جاوحانة" (الصياد: الشرق الاسلامي في عهد الإيلخانيين ص ٢١٥)

٣٣٩ دقوقا :مدينة بين إربل وبغداد معروفة لها ذكر في الأخبار والفتوح (أبو المحاسن:النجوم
الزاهرة ج ٦ ص ٢٦٠)

٣٤٠ غازان : غازان خان (محمود) (٦٩٤-٧٠٣ هجرية) (١٢٩٤-١٣٠٣ ميلادية) .هو
غازان خان بن أرغون خان بن أباقا بن هولاقو خان، وهو سابع الإيلخانيين حكام إيران.
ولد سنة ٦٧١ هجرية / ١٢٧١ ميلادية بالرغم من أنه الابن الوحيد "لأرغو خان" فإن جده
"أباقا خان" رغب في أن يأخذ الطفل الصغير عنده ليتولى تربيته بنفسه .وعندما بلغ
الخامسة من عمره عهد به "أباقا خان" إلى أحد العلماء الخطائين كي يعلمه ويتقنه بعلوم
المغول وآدابهم وخلال خمس سنوات اتقن تلك المعارف. كما تدرب على الرماية
والفروسية. كذلك حرص جده "أباقا" على أن يكون الكهنة البوذيين ملازمين له، فرسخت
الديانة البوذية في ذهنه خصوصا أن هذا المذهب كان عقيدة آباءه وأجداده. ولما بلغ
العاشرة توفي جده "أباقا خان" فأخذ الأب "أرغون" يعد ابنه خير إعداد، ونصبه واليا على
إقليم خراسان الذي كان يعد أهم الثغور في دولة المغول في إيران فظهرت مقدرته في
إدارة هذه المناطق . وفي خراسان أقام معابد كثيرة للأصنام حيث كان يمضى بها أكثر
أوقاته. وقد وقع اختيار "أرغون خان" على الأمير نوروز" ليصبح ابنه "غازان" إلى
خراسان فيكون مساعدا له ونائبا عنه في حكم هذه المنطقة . وكان نوروز يعمل على
ترغيب غازان في الاسلام . وفي سنة ٦٩٤ في الرابع من شعبان لما هيا الله الأسباب
لبس "غازان" ملابس جديدة ونطق بالشهادتين وأعلن إسلامه، وتسمى باسم "محمود" . وقد
كان انتصار الإسلام انتصارا مؤزرا حين اعتقه "غازان بن أرغون خان" وذلك لأن
"غازان" نجح بعد إسلامه بأقل من أربعة شهور في الحصول على عرش إيران وجعل
الإسلام دين الدولة الرسمي، كما دخلت القبائل المغولية في الإسلام على إثر دخوله فيه.
(مصطفى طه بدر:مغول إيران بين المسيحية والإسلام ص ١٦) (الصياد:الشرق
الإسلامي في عهد الإيلخانيين ص ٢٥٠)

٣٤١ طغاجار : هو قائد جنود أرغون وقد اختاره "كيخاتو خان" معاوناً له. فقد كان "طغاجار نويان" أحد كبار الأمراء المقربين من "كيخاتو خان" في الظاهر، ولكنه في الباطن وحقيقة الأمر كان مؤيداً "لبايدو" ومتضامناً معه. وقد كافأ "بايدو" "طغاجار" على خيانتته للسلطان "كيخاتو" فولاه منصب أمير الأمراء وعهد إليه بالإشراف على الشؤون العسكرية. وقد عرف عن "طغاجار" أنه رجل سريع التقلب ولا يطمأن إلى جانبه؛ لأنه مصدر الفتن وإثارة القلاقل. فرأى طغاجار بثاقب فكره بضرورة إبعاده عن مقر الحكم فأتاه حاكماً على بلاد الروم. وفي نفس الوقت لما كان "غازان" يعمل على استئصال عناصر الشر والقضاء قضاء مبرماً على المفسدين أرسل أحد أمرائه في إثر "طغاجار"، وكلفه بالقضاء عليه حتى سنحت الفرصة (الصياد: الشرق الإسلامي في عهد الإيلخانيين ص ٢٨١/٢٣٠)

٣٤٢ سياه كوه : كلمة فارسية معناها "جبل أسود" وهي جزيرة في بحر الخزر. (الحموي: معجم البلدان ج ٣ ص ٢٩٢).

٣٤٣ قنغر آلانك : شرع أرغون في إقامة مدينة في مراعي "قنغر آلانك" في ناحية "شروياز" وأجرى العيون والقنوات وأنفق عليها أموالاً طائلة. ولكن هذه المدينة لم تتم في عهده بسبب قصر عمره، فآتمها ابنه السلطان "اولجايتو" في أيام دولته واسماها "السلطانية" (الصياد: الشرق الإسلامي في عهد الإيلخانيين ص ٢٠١)

٣٤٤ دسبينا : كان هولاقو خان والد أباقا يعتبر التحالف مع البيزنطيين كبير الأهمية ويرى فيه وسيلة لإحكام قبضته على الترك بالأناضول والسيطرة عليهم وعونا له في حروبه ضد المماليك المسلمين. وفي سبيل توطيد العلاقات بين الطرفين دارت المفاوضات من أجل اختيار فتاة من الأسرة الإمبراطورية بالقسطنطينية يتزوج منها هولاقو خان ويضمها إلى قائمة زوجاته العديداً. ولما اختار الإمبراطور ميخائيل باليولوجوس MICHEL PALEOLOGUS ابنته غير الشرعية (ماريا) لتحظى بهذا الشرف رافقها إلى تبريز البطريرك "بوثيرمبوس" الذي كان قد لجأ إلى القسطنطينية ومعه قدر من الهدايا. وعندما وصلت "مارية" إلى بلاط الإيلخان كان هولاقو قد مات فبادرت على الفور بالزواج من أباقا خان، الذي لم يلبث أن أظهر لها عميق احترامه. أما رعاياه الذين اشتهرت عندهم

باسم "سبسنا خاتو" فإنهم أكبروها وأجلوها لما اشتهرت به من حب الخير والحكمة. كذلك وجد المسيحيون في الأميرة "مارية" حاميا جديدا لهم بعد أن فقدوا دوقوز خاتون". كانت "مارية" امرأة مسيحية متعصبة وكانت لها كنيسة متنقلة أحضرتها من موطنها. وبعد استقرارها في إيران أمرت بأن يحضر لها النقاشون من القسطنطينية إلى مدينة تبريز لتزيين كنيستها، كما كانت هذه الزيجة سببا في إحكام الروابط بين أباخان وبين المسيحيين يوما بعد يوم. (الصياد: الشرق الإسلامي في عهد الإيلخانيين ص ٥٥)

٣٤٥ نوروز : الأمير "نوروز" هو ابن أرغون آقا الذي كان يحكم أقاليم خراسان وسجستان والعراق وأذربيجان من قبل المغول الذين يحكمون في منغوليا. وقد ظل يحكم هذه البلاد لمدة ٣٩ عاما. وكان أبرز حكام المغول وأكثرهم نشاطا وأشداهم إخلاصا في إصلاح حال الرعايا الإيرانيين والتخفيف عنهم. وعندما قام هولوكو بحملته على إيران سنة ٦٥١ هجرية انضم أرغون إليه وعاش إلى أن أدركه الموت في سنة ٦٧٦ هجرية. أما الأبن نوروز فقد اعتنق الإسلام، وصار مثالا أعلى للمسلم الذي يجمع بين الشجاعة ونبل الخلق. (الصياد: الشرق الإسلامي في عهد الإيلخانيين ص ٢٤٨).

٣٤٦ نوروز وقواته : انقضت نوروز وقواته فجأة وبدون توقع على "بايدو" عند مكان يسمى "قونقولان".

٣٤٧ دارا : هي بلدة في لطف الجبل بين نصيبين وماردين (الحموي: معجم البلدان ج ٢ ص ٤١٨)

٣٤٨ القطائع : تعرف بقطائع الموالي، وهو موضع كان ببغداد في الجانب الغربي (الحموي: معجم البلدان ج ٤ ص ٣٧١)

٣٤٩ الصالحية : هي بلدة بالقرب من الرها في أرض الجزيرة (الحموي: معجم البلدان ج ٣ ص ٣٨٩)

٣٥٠ جوزة : قرية في جبال هكارية الأكراد من نواحي الموصل (الحموي: معجم البلدان ج ٢ ص ١٨٤)

- ٣٥١ مار : كلمة سريانية بمعنى " سيد " وتطلق على القديسين، والبطاركة، والأساقفة
(أغناطيوس برصوم: اللؤلؤ المنثور ص ٥٠٢)
- ٣٥٢ مفريان : كلمة سريانية بمعنى :المثمر" وهو اسم لصاحب رتبة كنسية خاصة بالكنيسة
السريانية مرادفة للجائليق فهو دون البطريك وفوق الأسقف، وكان كرسيه في تكريت ثم
نقل إلى دير مار متى فالموصل(أغناطيوس برصوم: اللؤلؤ المنثور ص ٥٠٢)
- ٣٥٣ ٧٦٢ سنة: هذا التاريخ مكتوب في الترجمة الانجليزية سنة ١٧٧٢، وهذا غير صحيح
- ٣٥٤ حاج: بلدة بين المدينة والشام (الحموي: معجم البلدان ج ٢ ص ٢٠٤)
- ٣٥٥ قوما : هو قوما ابن الرئيس "جفل السبيريني" أصبح أسقفا في أول أمره على دير قرتمين
ونقل إلى أبرشية "خاخ" ثم أقيم بطريركا، أي رئيس أساقفة لطور عبيد سنة ١٤٤٤
ميلادية وتوفي سنة ١٤٥٤ ميلادية (أغناطيوس برصوم: اللؤلؤ المنثور ص ٤٤٥)
- ٣٥٦ دير الجب : هو دير الجب الخارجى البرانى يقع فى بركة الفرات بين حلب ومنبج. شيد
بناؤه أواخر القرن الخامس و صدر السادس وانقطع خبره أواسط التاسع. أنجب أربعة
بطاركة، وثلاثة اساقفة.(أغناطيوس برصوم: اللؤلؤ المنثور ص ٥١٠)
- ٣٥٧ دير : يسمى هذا الدير دير مار أوجين وهو فى أسفل جبل الأزل المطل على نصيبين.
شيد بناؤه أواخر المائة الرابعة، أو صدر الخامسة وتقلبت به الأحوال فاستولى عليه
الساسطرة دهرا مديدا ثم عاد إلى اليعاقبة أواخر المائة الثامنة عشرة. نشأ منه أساقفة، ولم
يزل عامرا يقطنه راهب واحد. (أغناطيوس برصوم: اللؤلؤ المنثور ص ٥٠٨)
- ٣٥٨ سيدوس: قرية كانت فى بلدة منازل كرد (أغناطيوس برصوم: اللؤلؤ المنثور ص ٥١٧).

المراجع العربية

أحمد السعيد سليمان

تاريخ الدول الإسلامية ومعجم الأسر الحاكمة/ دار المعارف بمصر

أغناطيوس أفرام الأول برصوم

اللؤلؤ المنثور فى تاريخ العلوم والآداب السريانية - مطبعة السلامية

حمص - ١٩٤٣

السيد الباز العرينى

المغول/دار النهضة العربية للطباعة والنشر/بيروت-لبنان ١٩٦٧

بولس بهنام

مجلة لسان المشرق /العدد الممتاز/الموصل ١٩٥٠

جريجوريوس أبو الفرج ابن العبرى

تاريخ مختصر الدول .طبعة الصالحانى ١٨٩٠

جريجوريوس أبو الفرج ابن العبرى

تاريخ مختصر الدول .طبعة بوكوك ١٨٩٨

جمال الدين أبو المحاسن يوسف بن تغر بردى الأتابكى

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر والقاهرة-وزارة الثقافة والارشاد

القومى

المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة والطباعة والنشر

جمال الدين محمد بن سالم بن واصل

مفرج الكروب فى أخبار بنى أيوب تحقيق د.جمال الدين الشيال

الجمهورية العربية المتحدة /وزراء الثقافة والإرشاد القومى

الإدارة العامة للثقافة /مطابع دار القلم بالقاهرة

رشيد الدين فضل الله الهمذاني

جامع التواريخ/ نقله إلى العربية د. فؤاد عبد المعطى الصياد/

راجعه

د. يحيى الخشاب-الجمهورية العربية المتحدة/ وزارة الثقافة

والإرشاد

القومى/ الإدارة العامة للثقافة.

رشيد الدين فضل الله الهمذاني

تاريخ المغول /تحقيق د.فؤاد عبد المعطى الصياد/القاهرة ١٩٦٧

رفائيل بابو إسحق

تاريخ نصارى العراق منذ انتشار النصرانية فى الأقطار العراقية إلى

أيامنا

مطبعة المنصور / بغداد ١٩٤٨

رفائيل بابو إسحق

أحوال نصارى بغداد فى عهد الخلافة العباسية/مطبعة

شفيق/بغداد/١٩٦٠

عماد الدين إسماعيل أبى الفداء

المختصر فى أخبار البشر.دار المعرفة للطباعة والنشر/ بيروت-

لبنان

فؤاد عبد المعطي الصياد

المغول في التاريخ/ دار النهضة العربية للطباعة والنشر/بيروت

١٩٧٠

فؤاد عبد المعطي الصياد

الشرق الإسلامي في عهد الإيلخانيين/ منشورات مركز الوثائق
والدراسات

الإنسانية/ جامعة قطر ١٩٨٧

كارل بروكلمان

تاريخ الشعوب الإسلامية /نقله إلى العربية منير البعلبكي/ الطبعة
الثامنة

دار العلم للملايين/ بيروت ١٩٧٩

مصطفى طه بدر

مغول إيران بين المسيحية والإسلام/ دار الفكر العربي

المعاجم العربية

الزركلي : معجم الأعلام (بيانات الطابعة)

زمباور : معجم الأنساب والأسرات الحاكمة في التاريخ الإسلامي

مطبعة جامعة فؤاد الأول ١٩٥١

ياقوت الحموي : معجم البلدان (بيانات الطابعة)

المؤلف فى سطور:

ابن العبرى:

هو جريجوريوس أبو الفرج بن أهرون المعروف بابن العبرى. ولد سنة ١٢٢٦ ميلادية (٦٢٤ هجرية) فى مدينة ملطية عاصمة أرمينية الصغرى على ضفة الفرات، وكانت فى ذلك الوقت تحت حكم الدولة السلجوقية.

نشأ ابن العبرى فى مدينة ملطية، وكان له خمسة أشقاء. وفى سنة ١٢٤٣ ميلادية (٦٤١ هجرية) عندما ناهز ابن العبرى السابعة عشرة من عمره تعرض أهرون - والده - لمتاعب كثيرة شأن سائر سكان هذه المدينة بسبب غارات التتار عليها، فاضطر أن يهرب مع أولاده إلى أنطاكية؛ حيث بدأ ابن العبرى حياة الرهبنة. مكث ابن العبرى مع عائلته فى أنطاكية ما يقرب من ثلاث سنوات، ولكن يد التدمير امتدت إليها فى سنة ١٢٤٦ ميلادية (٦٤٤ هجرية) حين وصل إليها التتار. ظل ابن العبرى فى أنطاكية حتى سنة ١٢٥٢ ميلادية (٦٥٠ هجرية) ثم انتقل مع أهله إلى حلب.

أعماله:

تناول ابن العبرى فى كتاباته كل فروع العلم التى كانت مطروقة فى أيامه. وكان هدفه من وراء ذلك هو المحافظة على اللغة السريانية - لغة وأدبًا - من ناحية، وتقديم علوم المسلمين باللغة السريانية إلى أهل ملته وتعريفهم بها من ناحية أخرى.

لم يتوقف ابن العبرى طوال حياته عن المطالعة والتأليف؛ فألف ما يزيد عن الثلاثين كتابًا بالعربية والسريانية. ومن مجموعة كتبه هذه يتبين لنا أنه خاض معظم مجالات العلوم الأدبية؛ إذ كتب فى المسائل اللاهوتية وشرح الكتاب المقدس والفلسفة والطب والتاريخ والنحو والشعر والفكاهة.

المترجمة فى سطور:

شادية توفيق حافظ:

- ليسانس الآداب فى كلية الآداب - جامعة القاهرة - قسم اللغات الشرقية، تقدير ممتاز مع مرتبة الشرف عام ١٩٧٣.
- دكتوراه فى اللغة السريانية وآدابها فى كلية الآداب - جامعة القاهرة.
- الوظيفة الحالية: أستاذ غير متفرغ بقسم اللغات الشرقية - كلية الآداب - جامعة القاهرة.
- رئيس مجلس قسم اللغات الشرقية وآدابها بكلية الآداب لفترتين منذ عام ١٩٩٩ حتى عام ٢٠٠٤.
- عضو لجنة ترقيات أستاذ مساعد وأستاذ من عام ١٩٩٨ حتى عام ٢٠٠٤.
- عضو بمجلس كلية الآداب من عام ١٩٩٩ إلى عام ٢٠٠٤.
- عضو لجنة الدراسات العليا من عام ١٩٩٩ إلى عام ٢٠٠٤.
- عضو لجنة تشكيل اللائحة الجديدة لكلية الآداب عام ٢٠٠٢.
- عضو لجنة "تقويم الأداء الجامعى" عن كلية الآداب عام ٢٠٠٢.
- عضو بجمعية خريجي أقسام اللغات الشرقية بالقاهرة منذ إنشائها.
- الإشراف على العديد من الرسائل العلمية (الماجستير والدكتوراه) فى كلية الآداب جامعة القاهرة والمعهد العالى لحضارات الشرق الأدنى بالزقازيق.

كتب للمترجمة:

- قصة أهل الكهف فى المصادر السريانية (مجلة الدراسات الشرقية العدد ٥ - سنة ١٩٨٧).
- التآنيث بين العربية والسريانية (الدار العالمية للنشر سنة ١٩٨٧).
- كتابة المخطوط السريانى (الدار العالمية للنشر سنة ١٩٨٧).
- السريان وتاريخ الطب (دار نهضة مصر سنة ١٩٩٢).
- آدم وحواء بين المصادر العربية والسريانية (دار نهضة مصر سنة ١٩٩٢).
- الخير والشر بين هابيل وقابيل (دار نهضة مصر سنة ١٩٩٣).
- قصة يوسف دراسة مقارنة بين العربية والسريانية (دار نهضة مصر سنة ١٩٩٣).
- إبليس فى المصادر السريانية والعربية (دار نهضة مصر سنة ١٩٩٣).
- الأعداد ورموزها فى السريانية (دار نهضة مصر سنة ١٩٩٣).

المراجع فى سطور السباعى محمد السباعى

- وُلِدَ فى ١٩٤١/٨/٨ بالمحلة الكبرى - محافظة الغربية .
- حصل على ليسانس الآداب عام ١٩٦٣ بتقدير جيد جدًا مع مرتبة الشرف من كلية الآداب - قسم اللغات الشرقية - فرع لغات الأمم الإسلامية .
- حصل على الماجستير فى عام ١٩٦٦م بتقدير جيد جدًا فى موضوع " جلال الدين الرومى وكتابه: فيه ما فيه " .
- حصل على الدكتوراه عام ١٩٧٢م بمرتبة الشرف الأولى فى موضوع " عطا ملك الجوينى وكتابه: تاريخ جهان گشای " .
- شغل منصب رئيس قسم اللغات الشرقية من سنة ١٩٨٣م إلى ١٩٨٩م وفى الوقت نفسه شغل منصب وكيل كلية الآداب - بنى سويف .
- عين عميدًا لكلية الآداب جامعة القاهرة فرع بنى سويف من ١٩٨٦م إلى ١٩٨٩م .
- عين خبيرًا بمجمع اللغة العربية بالقاهرة للغتين الفارسية والتركية اعتبارًا من ١٩٩٢م وحتى الآن .
- رئيس تحرير مجلة "الدراسات الشرقية" التى تصدر عن جمعية خريجي أقسام اللغات الشرقية لمدة ثلاثة أعوام .
- رئيس تحرير مجلة "رسالة المشرق" التى تصدر عن مركز الدراسات الشرقية منذ عام ١٩٩٢ حتى ١٩٩٧م .

الإنتاج والأعمال العلمية :

أولاً: الكتب :

- ١- اللغة الفارسية (نحو وصرف وتعبير) ، عام ١٩٧٥ -
٢٠٠٠/٢٠٠١ م .
- ٢- النثر الفارسي منذ نشأته حتى نهاية العصر القاجاري في إيران ، عام
١٩٧٨ م .
- ٣- الثورة الإسلامية في إيران من وجهة النظر الإيرانية ، عام ٢٠٠٠ م ،
الموسوعة العامة، مقاتل من الصحراء [المملكة العربية السعودية] .
- ٤- عبد الوهاب عزام ، رائدًا ومفكرًا ، القاهرة ، الكتاب المصري اللبناني،
يناير ٢٠٠٥ م .

ثانيًا: الترجمات :

- ١- " تاريخ إيران القديم " تأليف حسن بيريا والترجمة بالاشتراك مع
د. محمد نور الدين عبد المنعم ومراجعة د. يحيى الخشاب .
- ٢- " الإسلام في إيران " تقديم وترجمة " الكتاب عن الفارسية " لمؤلفه
الروسي بطرشوفسكي ، الطبعة الرابعة ، مارس ٢٠٠٥ م .
- ٣- " من الفكر الصوفي الإيراني المعاصر " تأليف صادق عنقا مع كتابة
مقدمة وافية، والترجمة بالاشتراك مع د. إبراهيم الدسوقي شتا .
- ٤- ترجمات لمواد خاصة بإيران وتركيا وتاريخ آسيا الوسطى في
الدوريات المختلفة .
- ٥- كتابة ترجمة عدد من أعلام الفكر والتاريخ الإسلامي ورواد الدراسات
الشرقية لليونسكو .
- ٦- مراجعة المعجم الذهبي : " فرهنك ثلاثي - المعجم الفارسي العربي -
تأليف الدكتور النونجي - مراجعة الدكتور السباعي ، لونغمان ١٩٩٦ ،
القاهرة .

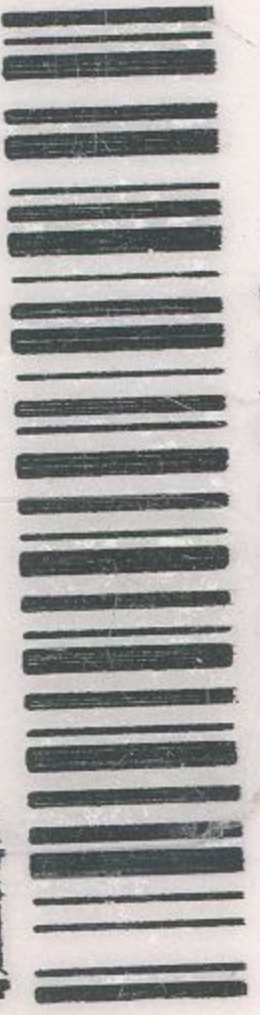
التصحيح اللغوى : أحمد عبد الباسط
الإشراف الفنى : حسن كامل



هذا الكتاب عبارة عن مخطوطة سريانية من تأليف ابن العبري هي "تاريخ الأزمنة"، وفيها يتناول التاريخ منذ بدء الخليقة حتى وفاته عام 1286 ميلادية. إن التأريخ الزمني أو تاريخ الأزمنة لابن العبري يعتبر موسوعة زمنية وتاريخية يوجد بها حشد ضخم من المعلومات المتنوعة؛ فهو يتعامل مع التاريخ والدين واللغة وعادات الشعوب وتقاليدها علاوة على قصة العلماء والمحاربين الكبار، وهو يصف المعارك وحصار المدن من المغول والتتار وظهور المذنبات الفلكية والظواهر غير الطبيعية في السماء والزلازل والمجاعات وسقوط الثلج، وهو كذلك يحكى فضائح البلاط كما يحكى بعض القصص الهزلية.

ولقد رأيت - كمحاولة لاستكمال تاريخ الأمة العربية من وجهة نظر المؤرخين السريان - أن أقوم بترجمة مخطوطة "ابن العبري" سنة 1197 ميلادية، وهو تاريخ وفاة صلاح الدين الأيوبي إلى سنة 1286 ميلادية تاريخ وفاة ابن العبري. ويشتمل هذا الكتاب على الفترة التي عاشها بنفسه، ولذا فهي فترة لها أهميتها من حيث إنها لم تكتب نقلاً، وإنما كتبت عن رؤية ومشاهدة؛ فجاءت كتابته صورة حية لأحداث عصره.

Bibliotheca Alexandrina



0666244